

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

قسم الدعوة والإعلام والاتصال

تخصص: دعوة وثقافة إسلامية



جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الفِكرُ الدَّعَوِيّ

عند أحمد الرفاعي شرفي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه: (ل.م.د)

تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د/ البشير قلاتي

إعداد الطالب:

عبد الرحمن رويينة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. نور الدين سكمال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د. البشير قلاتي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
د. سكيمة العابد	اساتذة محاضرة - أ -	جامعة قسنطينة 3	عضوا مناقشا
د. عيسى بوعافية	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
د. نور الدين لبجيري	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الطارف	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1441 هـ - 1442 هـ / 2020م - 2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأزهر

الاسلامية

قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ
أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾

[سورة يوسف. الآية: 108]

القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء:

- إلى عنوان الحب والوفاء: أمي حفظها الله.
- إلى رمز الرجولة والسخاء: أبي حفظه الله.
- إلى رفيقة دربي سندي : زوجتي الكريمة.
- إلى فلذات كبدي أبنائي:
- محمد فؤاد - بشائر شهد - نزار ريان - روان لميس.
- إلى إخوتي اشقائي.
- إلى كل من علمني حرفا في حياتي.
- إلى كل أحبابي وأصدقائي.

أهدي هذا العمل المتواضع.

عبد الرحمن.

سُرَّةُ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ

أَحْمَدُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا، عَلَى نِعْمِهِ الْجَلِيلَةِ وَمِنِّهِ الْجَزِيلَةِ
عَامَّةً، وَعَلَى تَوْفِيقِهِ لِي لِإِتْمَامِ هَذَا الْعَمَلِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ خَاصَّةً، سَائِلًا مِنْهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى الْإِخْلَاصَ وَالْقَبُولَ.

وأَتَقَدَّمُ بِخَالصِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ إِلَى شَيْخِي وَمُعَلِّمِي وَمَشْرِفِي: الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ البَشِيرِ
قَلَّاتِي، عَلَى جَمِيلِ نَصَائِحِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ لِي طِيلَةَ مَدَّةِ إِنْجَازِ هَذَا الْبَحْثِ، سَائِلًا اللهُ الْعَلِيِّ
الكَرِيمِ أَنْ يَجَازِيَهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ.

كَمَا أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْوَافِرِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ إِلَى كُلِّ مَنْ قَدَّمَ لِي مَسَاعِدَةً لِإِتْمَامِ هَذَا الْعَمَلِ،
وَأَخْصُ بِالذِّكْرِ الْأُسْتَاذَ: عَلِيَّ بْنَ الطَّاهِرِ رَفِيقَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ شَرِيفِي وَمَدِيرَ جَرِيدَةِ الْجُمْهُورِ
بِقَسَنْطِينَةِ، عَلَى مَا قَدَّمَهُ لِي مِنْ مَصَادِرٍ وَمَرَاجِعٍ تَخَصُّ الْمَوْضُوعَ، فَبَارَكَ اللهُ فِيهِ وَجَزَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا .

وَعَظِيمَ شُكْرِي وَامْتِنَانِي وَمُحِبَّتِي أَيْضًا أَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَى الدُّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ طَيْبِي مِنْ جَامِعَةِ
الْجَزَائِرِ وَالدُّكْتُورِ مَعْمَرِ قَوْلٍ مِنْ جَامِعَةِ وَادِي سَوْفٍ حَفَظَهُمَا اللهُ وَرِعَاهُمَا، وَإِلَى الْأُسْتَاذِينَ
الْأَخْوِينَ الْجُمُوعِيِّ هَانِي وَعَمْرٍ جِبَارِيِّ وَشَقِيقَتِي الدُّكْتُورَةَ نَزِيهَةَ رُوَيْنَةَ.

وَلَا يَفُوتُنِي بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، أَنْ أَرْفَعُ عِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ وَالتَّقْدِيرِ إِلَى أَعْضَاءِ لَجْنَةِ
الْمُنَاقَشَةِ عَلَى قَبُولِهِمْ هَذِهِ الْمَهْمَةَ أَوَّلًا، وَعَلَى تَقْيِيمِهِمْ وَتَقْوِيمِهِمْ لِعَمَلِي هَذَا ثَانِيًا، وَعَلَى مَا اسْتَفَدْتُ
بِهِ مِنْهُمْ مِنْ نَصَائِحٍ وَتَوْجِيهَاتٍ قِيَمَةٍ، فَبَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَنَفَعَ بِكُمْ.

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُثَبِّبَ الْجَمِيعَ عَنِّي خَيْرَ الثَّوَابِ.

عبد الرحمن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران. الآية: الآية: 102]

أما بعد:

من حكمة الله تعالى وفضله على النَّاسِ، أَنَّهُ خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم وافر نعمه، وأرشدهم إلى طريق الهداية بأن أرسل لهم الرسل، وأنزل لهم الكتب، وشرع لهم الشرائع، وبين لهم ما يحتاجون إليه في أمور الدين والدنيا، ومن عظيم فضله أَنَّهُ سبحانه وتعالى تكفل بحفظ الوحي، فقال جلَّ في علاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر. الآية: 10] وحبا الله أمة الإسلام بالتجديد، وسخر الدعوة الهداة، ليبيّنوا أصول العقيدة ودقائق الشريعة للنَّاسِ، ويذودون عن الدين وينصرونه، فعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»¹.

ورعّب الله سبحانه - عزَّ وجلَّ - في الدعوة، وجعلها أفضل الأعمال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت. الآية: 33]. ورثب عليها أجراً عظيماً، كما جعل سبحانه الخيرية وبقاءها في الأمة مرهون ببقاء الدعوة واستمرارها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: الآية: 110].

وكلّما توسعت البلاد الإسلامية، وتغيرت أحوالها وظروفها، أو اشتدت أزمتها، كلّما كانت الدعوة أوجب وألزم، وقد انبرى لهذا الواجب في كلِّ عصر ومصر دعاة هداة، ينشرون دين الله وينصرون شريعته ويذودون عن الإسلام وبلاد المسلمين، فحققوا بذلك أمر ربهم بتجسيد الدعوة في الميدان، وتحقيقها بين النَّاسِ، ونالوا بذلك الشرف الجليل والفضل الكبير.

¹ رواه ابو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: 4291، 109/04. وسنده صحيح. ينظر: محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ - 1997م، ص80.

وقد ارتأيت في هذا البحث التعريف بأحد هؤلاء الأعلام من الدعاة الجزائريين المعاصرين، ممن شرفهم الله بخدمة دينه وبال دعوة إليه باللسان والقلم، وهو (أحمد الرفاعي شرفي) وباعتبار أن الرجل قدّم الكثير، كان السعي لإبراز فكره وجهده الدعوي، وتبيين تاريخه الحافل بالمنجزات، وتراثه الزاخر بالمؤلفات، كل ذلك ضمن موضوع (الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي).

وقبل الولوج إلى صلب الموضوع وبيان تفاصيله وجزئياته، أتطرق إلى التعريف بموضوع الدراسة إجمالاً عبر النقاط التالية:

أولاً: أهمية الموضوع.

تتجلى أهمية دراسة موضوع الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي فيما يلي:

- دراسة أعلام الأمة الإسلامية وأعلام الجزائر بالخصوص لها أهمية كبرى تتمثل في إبراز هؤلاء الأعلام وجهودهم في حقل الدعوة والتغيير، وحتى يطلع عليها الباحثون وطلاب العلم.
- يستمد البحث أهميته من خلال التطرق إلى شخصية بارزة في حقل الدعوة الإسلامية الجزائرية المعاصرة والتعريف بها، وبما تميزت به الشخصية المدروسة، وبدورها الكبير في الدعوة والإصلاح.
- حاجة الأمة وخاصّة العاملين في حقل الدعوة للأفكار الدعوية الحديثة، والتجارب الرائدة واستخلاص الدروس منها.
- جدّة الموضوع، فشخصية أحمد الرفاعي شرفي لم يُتطرق لها بالبحث والكتابة لحد الآن في حدود علمي وبخشي.
- يعتبر أحمد الرفاعي شرفي من الوجوه الدعوية التي تركت بصمات قوية، رغم ظروف النشأة والتكوين القاسية جداً، ممّا يستدعي معرفة مكنم علو الهمة التي تحلّى بها أحمد الرفاعي شرفي للوصول لتلك الرتب المرموقة، في الشهادات العلمية وفي الدعوة والفكر وتأليف الرجال والكتب.

ثانياً: إشكالية الدراسة.

شهدت الأمة الإسلامية عبّر عصورها ومراحل توسّعها ظروفًا متباينة، كانت فيها محطات من العزّ والتمكين الشيء الكثير، كما كان فيها من القهر والضعف والهوان ما يُذكر ولا يُنكر، وكان لرجال الدين من الدعاة المصلحين في الأحوال كلّها الحضور القوي من النصح والتوجيه، والتربية والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستجيبين لنداء ربّهم سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [عمران. الآية: 104]

وظهرت في الجزائر - المحروسة بعناية الله - هيئات ومنظمات وجمعيات، كان همّها الوطن والذود عن جِماه، وغرس روح الوطنية في نفوس أبنائه، ولعلّ من أبرز هذه الهيئات (جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين) والتي تأسست سنة 1931م. أي بعد مرور قرن من الزمن على احتلال الجزائر، وعاش أغلب قادتها المؤسسين في حقبة الاحتلال الفرنسي، فكان فيها ومنها العلماء الربانيون، الذين أسهموا في حفظ هوية الشعب وهياؤا للأمة شبابا ورجالا كان على أيديهم الفتح المبين، وتوالى رجال الجمعية وغيرها ممن تعلقت قلوبهم بالله وحب الوطن والذود عنه، في مواصلة مسيرة التغيير والجهاد بالقلم واللسان حتى بعد الاستقلال وإلى يوم الناس هذا.

ومن أبناء جمعية العلماء العاملين في حقل الدعوة - أحمد الرفاعي شرفي- الخنشلي مولدا ونشأة، ثم القسنطيني تدرسا وتدرسا وسكنا إلى أن وافاه الأجل، ويُعد (أحمد الرفاعي) من أبرز رواد الحركة الإسلامية المعاصرة في الجزائر وبالأخص في الشرق الجزائري، وقد ترك تراثا فكريا منوعا، سواء في مجال تخصصه الأدب العربي أو في مجال جهوده الدعوية، كما كانت له أيضا البصمة الظاهرة للعيان، الجلية في الميدان من تأليف للرجال وبت بذرة الخير في قلوب الناس، تربية وتوجيها ونصحا وإرشادا.

إنّ البحث في مآثر الرجال وتخليد أعمالهم وإبراز جهودهم ضمن أعمال أكاديمية ودراسات علمية، يُعد أمراً ذا أهمية بالغة، لإعادة الاعتبار للشخصيات الوطنية والدينية التي أسهمت في الحفاظ على بيضة الوطن ولحمته، وتعزيز مكتسباته وتثبيت مقدراته، ويُعد أحمد الرفاعي شرفي من رجال العلم والمعرفة والإعلام، ومن العاملين المؤثرين في حقول التربية والتعليم والحركة الإسلامية، وهو من المخضرمين الذين عايشوا فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر وفترة الاستقلال، وقد تدرّج في الشهادات والمناصب العلمية، وكان له دور مشهود وحضور قوي في مجال الدعوة الإسلامية المعاصرة.

ومعلوم أنّ أمر الدعوة إلى الله في شريعة الإسلام له اعتبار وأهمية ومكانة كبرى، وقد دلّت آيات كريمة وأحاديث شريفة على حكم الدعوة وأسسها ومناهجها وسبلها، وقد فضّل العلماء في الكثير من المسائل المتعلقة بالدعوة، ومع التغيرات المستمرة والحوادث المتكررة والمتجددة، فإنّ توضيح مسائل الدعوة وتعزيزها يعتبر ضرورة ملحة ودائمة ومستمرة، حتى تبقى الدعوة في طريقها المستقيم ومنهجها القويم، وتؤتي ثمارها النافعة لكلّ الناس، وهكذا توالى جهود العلماء والدعاة في نشر الدعوة وبيان موضوعاتها.

وبناءً على ما سبق فإنّ الإشكالية الرئيسية التي يسعى الباحث الإجابة عنها تتحدد في التساؤل التالي: فيم تتمثل معالم الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي باعتباره أحد الدعاة البارزين من أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ ويمكن تفرغ هذه الاشكالية الرئيسية في صورة أسئلة جزئية مكملّة للسؤال الرئيسي حول: مصادر فكره ومنابعه ومجالاته، ومظاهره العلمية والدعوية، وما خلفه الرجل من مؤلفات وآثار منوعة بعد وفاته. وتفصيل ذلك في تساؤلات الدراسة التالية.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة.

- 1- من هو أحمد الرفاعي شرفي؟ وما هي أهم المؤثرات في شخصيته؟ وماذا خلّف من آثار معرفية وجهود دعوية؟
- 2- ما مصادر الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي؟
- 3- ما موقف أحمد الرفاعي من القضايا الدعوية الهامة، وخاصة تلك التي ثار حولها خلاف شديد، وكان لها الأثر البالغ في حياة النَّاس الفكرية والعلمية والدينية؟
- 4- ما المضامين المشكّلة لفكره الدعوي؟ وكيف كانت تنزيلات فكره على واقع النَّاس في تلك المجالات؟

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع.

إنّ اختياري لهذا الموضوع (الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي) يرجع لأسباب متنوعة، منها الذاتية ومنها الموضوعية وبيان ذلك فيما يلي:

أ- أسباب ذاتية.

- معرفتي لأحمد الرفاعي شرفي في فترة دراستي الأولى بالجامعة بقسنطينة (1992م-1996م) وتبني لفكر الرجل بعد ذلك من خلال كتاباته الصحفية، ومن خلال اهتمامي عموماً بالحركة الإسلامية في الجزائر (قبيل فتح باب التعددية الحزبية والإعلامية، وعقب أحداث أكتوبر 1988م وما تلاها من أحداث)، وقد أدركت مبكراً أهميته كرجل دعوة وإصلاح بما يرسم لنا أنموذجاً ناجحاً لورثة الأنبياء.
- الرغبة في المشاركة مع المهتمين في إبراز دعاة الجزائر المسهمين باللسان والقلم في تنوير العقول وإحياء القلوب، ودورهم في إثراء الساحة الدعوية.

ب- أسباب موضوعية:

- عدم وجود دراسات علمية أو أبحاث أكاديمية حول شخصية أحمد الرفاعي شرفي - حسب علمي وبحثي - في الموضوع، رغم ما خلّفه الرجل من آثار ومؤلفات، ولعل هذا البحث يوفي أحمد الرفاعي شرفي بعضاً من حقه، ويكون فاتحة لدراسات أخرى حول فكره ومسيرته الدعوية الحافلة.
- تفرق أفكار وجهود أحمد الرفاعي شرفي الدعوية في مؤلفاته ومخطوطاته ومقالاته المتنوعة، ممّا يستدعي أهمية جمعها ودراستها، فالرجل لم يجمع في حياته كامل أعماله، وعليه كان السعي والعمل على إبراز ذلك وتقييمه، وهو أمرٌ مطلوبٌ ومهمٌ في نظري.
- الرغبة في تعريف الأجيال بأحد أعلام الصحوة والدعوة والتربية، وحفظ تاريخه وسيرته ومسيرته الزاهرة، ومن ثمّ استفادة الكثير من الدروس والعبر من حياة ومسيرة أحمد الرفاعي.

- العمل على تحقيق رغبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ومخاربهها العلمية، في جمع آثار أبنائها من علماء قسنطينة والجزائر قاطبة، وتزويد المكتبة بأبحاث تُعنى بالشخصيات الوطنية.

- الحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لمعرفة الفكر الدعوي المعتدل مثل الذي عُرف به أحمد الرفاعي شرفي، في فترة تميزت بتنوّع المناهج وصراع الأفكار وكثرة التوجهات والأحزاب والجماعات وظهور التطرف والغلو بشكلٍ لافتٍ.

خامسا: أهداف الدراسة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نذكر منها.

- وضع تصور عام حول شخصية أحمد الرفاعي شرفي، باعتباره أحد أعلام الدعوة المعاصرة في الجزائر، وإبراز تاريخ الرجل والتعريف به وبمسيرته الحافلة في الدعوة والتربية وبيان آثاره.

- إبراز - وبشكل مفصل - الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي بناءً على الاستنباط أولاً، ثمّ استقراء آثاره المنوعة وجمع ما تفرق من مقالاته في الكتب والمجلات والصحف ثانياً.

- فهم طبيعة الفكر التربوي والتعليمي والثقافي والفكري لأحمد الرفاعي شرفي، ونظرته للإنسان والأسرة والمجتمع والمعرفة والعلم، وبيان مضامين الفكر الدعوي وعلاقتها بالإنسان والحياة.

- معرفة المصادر والروافد والمنطلقات الفكرية التي أسهمت في تشكيل فكر أحمد الرفاعي، والينابيع الفكرية عند الرجل وبيان التأثير والتأثير، واستكشاف الأدوات المستعملة لديه في التحليل والتأصيل.

- إبراز الخصائص الدعوية عند أحمد الرفاعي شرفي، وتحليله لقضايا الصحة وبيان أسباب ارتقائها وجمودها.

- التعرف على مجالات الفكر الدعوي، ومعرفة التنزيلات الواقعية في تشخيص الأوضاع المتردية للأمة وسبل تجاوزها.

- تشجيع عمليه البحث في سير الشخصيات الوطنية، وإثراء مكتبة الدعوة الإسلامية بدراسة حول أحد أهمّ رجالها في الجزائر، ونعني شخصية أحمد الرفاعي شرفي.

- بيان ضرورة الفكر الخالص في الحقل الدعوي ترتيباً للأولويات في ظلّ التزاحم في الواقع.

- تجلية النظر المقاصدي عند أحمد الرفاعي شرفي وبيان أهميته.

سادسا: مفاهيم الدراسة.

تضمن عنوان الدراسة عبارة (الفكر الدعوي) وهي مركبة من مصطلحين (مصطلح الفكر ومصطلح الدعوة) وبيان معناهما فيما يلي:

أولا: الفكر في اللغة والاصطلاح.

01- الفكر لغة.

جاءت مادة "فكر" في "لسان العرب" بمعنى إعمال الخاطر في الشيء¹.

ويعرف الفكر بأنه: إمعان النظر والتأمل في الأشياء الحسية والمعنوية من أجل الوصول إلى حقيقتها، وجاء في المعجم الوسيط أن الفكر هو: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، ويقال لي في الأمر فكر نظر وروية، ومالي في الأمر فكر مالي فيه حاجة ولا مبالاة، جمعه أفكار². وفي مقاييس اللغة لابن فارس: "فَكَرَ؛ الفاء والكاف والراء: تردّد القلب في الشيء، يقال: تفكّر، إذا ردّد قلبه معتبرا، ورجل فكّيرٌ: كثير الفكر"³.

02- الفكر اصطلاحا.

عرّفه الراغب الأصفهاني بقوله: "قوّة مطردة للعلم إلى معلوم، وجولان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب"⁴. وعرّفه طه جابر العلواني بأنه: "اسم لتلك العملية الذهنية أو اسم لتردّد القوى العاقلة المفكّرة في الإنسان، قلبًا كانت أو روحًا أو ذهنًا، بالنّظر والتدبّر لطلب المعاني المجهولة أو الأحكام أو النسب بين الأشياء"⁵.

والفكر يشمل المعلومات والشرائع والمناهج والقيم التي تقوم شخصية الأمة الثقافية والنفسية والعقلية والحضارية، وتمنحها سميتها الميزة لها عن غيرها من الأمم، ويرسم لها دورها في التاريخ وما يجب

¹ ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم الأفيقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت- لبنان، 1414هـ، مادة (فكر).

² إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ط4، مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر، مكتبة الشروق الدولية، سنة 1425هـ/2004م، ص698.

³ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1991، ص446.

⁴ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فكر) بتحقيق: صفوان عدنان، ط1، دار العلم بدمشق، 1992م، ص83. بتصرف

⁵ طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، ط4، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض- السعودية، 1994م، ص29.

أن يكون عليه في المستقبل، ذلك أنّ هذه المعلومات والشرائع والمناهج والقيم تشكّل عقل الأمة وروحها وضميرها الجمعي المعبر عن شخصيتها، فتضحى تنظر إلى الكون والحياة والإنسان والأمم من خلال منظور وصبغة هذه المنظومة القيمية¹.

ومن خلال تلك المعاني يتضح أن الفكر جهد عقلي تأملي بغية الوصول إلى كنه الأشياء وحقيقتها، يساعد على إدراك حقائق الأمور فهو كآلية فعالة أو أداة في عملية التفكير، أو هو ما ينتج من تصورات وأراء ومواقف عن الموضوعات المطروحة القضايا المعروضة، وهو واسع يشمل الفكر والثقافة وكل الميادين على المستوى النظري.

والمقصود بالفكر في هذه الأطروحة هو **الفكر الإسلامي**، وهو مصطلح حديث لم يرد في كتب السابقين، وقد شاع هذا المصطلح للدلالة على كلّ ما ينتجه العقل المسلم من أفكار من شأنها الرقي بأمة الإسلام، عرّفه محسن عبد الحميد بقوله: "كلّ ما أنتج فكر المسلمين من بعثة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المعارف الكونية العامّة المتّصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير تلك المعارف العامّة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدة وشريعة وسلوكاً"².

أما زكي الميلاد فيعبر عن الفكر الإسلامي الحديث بالقول: "هو فكر اعتنى بإشكالية النهوض والتقدّم والتنمية في العالم العربي الإسلامي، وأظهر تقدماً في مجال الأفكار وفي الرؤى التي عبّر عنها في ميادين الاجتماع والسياسة والقانون والدستور، وارتبط بواقع المجتمع والدولة بصورة وثيقة"³.
ومن خلال التعاريف المدرجة يمكن القول بأنّ الفكر الإسلامي هو: عملية عقلية جادّة متميزة بالروح الإسلامية، تهدف إلى الرقي بأمة الإسلام، والبحث عن حلول لكلّ مشكلاتها مع الشعور بالأمانة الرسالية الحضارية.

¹ محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، بيروت - لبنان، 1958م، ص58.

² محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006، ص45.

³ زكي الميلاد، الفكر الإسلامي تطورات ومسارته المعاصرة، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص22.

ثانيا: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح.

01- الدعوة في اللغة.

كلمة الدعوة مأخوذة من "دعا: دعاء ودعوى: ناداهُ رَغَبٌ إليه"¹ والدعوة مصدر الفعل دعا، يقال دعا إلى الشيء يدعو دعاءً ودعا حثه على قصده، يقال دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين و إلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه، والنبي - صلى الله عليه وسلم- داعي إلى الله وهي من قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:46] أي إلى توحيدهِ وما يقرب منه²، ويطلق الداعي على المؤذن أيضا لأنه يدعو إلى ما يقرب من الله، وقد دعا فهو داع أراد بالدعوة الأذان³ وفي كتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام أي بدعوته، وهي كلمة الشهادة التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة⁴. والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة⁵.

مما سبق يتبين معنى الدعوة واشتقاقاتها وهي تشتمل على المعاني التالية: الحث والترغيب على فعل شيء، الأذان، الاستغاثة الطلب والنداء، والندبة والسؤال والاستغاثة. فجميع هذه المعاني مشتقات من المدلول اللغوي وهو الفعل (د ع و). والدعوة هي الحث على الاستجابة لأمر الله، والترغيب في الالتزام به.

02- تعريف الدعوة في الاصطلاح.

وردت تعريفات كثيرة للدعوة بمعناها الاصطلاحي نذكر منها ما يلي:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفها: "الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين،

¹ المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت لبنان، 1998، ص216.

² عبير بنت دخيل الله، جهود الشيخ عبد الله ناصح علوان -رحمه الله- في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1433هـ، ص 17.

³ ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت د ت، 47/ 38.

⁴ ينظر: بن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (د ع و).

⁵ ينظر: المرجع نفسه. (262/14)

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه¹.
والواضح من تعريف ابن تيمية أنّ الدعوة إلى الله وإلى دينه لا بد أن تتضمن التصديق والعمل معاً، يعني الالتزام بالدين عقيدة وشريعة وسلوكاً.

وعرّفها عبد الحلیم محمد الرحي بقوله: هي دعوة الناس وإبلاغهم دين الله وحثّهم على الالتزام به والانقياد لأحكامه والتحاكم إليه تطبيقاً وتنفيذاً من قبل دولة يقودها إمام راشد، من أجل استئناف حياة إسلامية تحمل كلمة التوحيد للعالم لتخرجه من الظلمات إلى النور². وفي هذا التعريف إشارة إلى بيان أنّ الدعوة شاملة للدخول في الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام وجعلها كنظام حياة المسلمين، بما في ذلك إصلاح نظام الحكم الذي غفل عنه الكثير بعد سقوط الخلافة الإسلامية وإحلال الأنظمة الوضعية بديلاً عن الخلافة والحكم الإسلامي.
ومن أشهر التعاريف ما ذكره البيانوني: "الدعوة إلى الله هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"³ وهو تعريف مختصر جامع، يتضمن إبلاغ الإسلام وتطبيقه في حياة البشرية.

أمّا محمد سيدي الحبيب فقد عرّفها بقوله: "هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر رسول -صلى الله عليه وسلم- والتأسي به، قولاً وعملاً وسلوكاً"⁴. والتعريف هذا يتضمن بعض شروط القائم بالدعوة وهي وجود الأهلية الكاملة للداعية وهو أمر مهم غفل عنه الكثير، وفيه أنّ الدعوة لا تقتصر على زمان ولا مكان دون آخر، والمهم الاقتداء بمدرسة الحبيب محمد -صلى الله عليه وسلم-.

من خلال جملة التعاريف المدرجة يمكن القول أنّ الدعوة إلى الله تعني دعوة الناس إلى دين الإسلام لا اعتناقه والالتزام به اعتقاداً وسلوكاً وأخلاقاً ومنهج حياة، اقتداءً بالنبّي -صلى الله عليه وسلم- واعتبار الإسلام منهج حياتي صالح لكلّ زمان ومكان ولكلّ الشعوب والأمم والأجناس.

¹ أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ج15، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1423هـ. ص158.

² ينظر: عبد الحلیم محمد الرحي، مفاهيم في فقه الدعوة والداعية، ط1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2002م. ص46.

³ محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ط3، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، 1991م، ص16.

⁴ عبد الله بن سيف الحارثي، جهود الشيخ الألباني في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية 1433هـ، ص14.

ثالثاً: التعريف بعبارة الفكر الدعوي.

01- الفكر الدعوي.

تتنوع مفاهيم الفكر الدعوي بين الدعاة والمهتمين بالحقل الدعوي عامة، وهي في المحصلة لا تخرج عن مفاهيم أعمال العقل المسلم الواعي في شأن الدعوة، وذلك بإعداد العدة ورسم المناهج بدقة، والممارسة العقلانية والتحرك الواقعي بحكمة وروية بعيداً عن العشوائية والارتجال، إنه يتميز بالوعي والحكمة والاعداد والتخطيط والاجادة والتدبير وحسن التنفيذ. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [سورة الأنفال. الآية:60] وإعداد القوة لا يقتصر على الجانب المادي فقط بل يتعداه إلى الجانب الفكري المخطط والمدبر والمنفذ لتلك القوة المادية.

إن واقعاً بحجم علمنا هذا الواسع والمختلف، والمتقلب المتجدد، لجدير أن يُعدَّ له الإسلاميون عُدتهم، ويسموا مناهجهم بدقة، ويمارسوا بعقلانية، ويتحركوا بحكمة، وأن يتجاوزا مراحل الارتجال والعشوائية التي عاشتها الدعوة الإسلامية أحقاباً عديدة، فهذا الدين العظيم، دين النظام والوعي والحكمة والإعداد، وهي مفردات ينظمها الفكر الدعوي، الذي يجذبنا ويستدعينا لمزيد التفكير والتخطيط والإجادة والتدبير¹.

ولأنَّ الإسلام قضية كبرى، فلا بدَّ من إعداد كبير ومدروس وواع في الدعوة إليه، وهذا الاعداد لهذه القضية الكبرى لا يجب أن يتمَّ بالارتجالية والاندفاع كما حدث كثيراً، وجرَّ على الأمة المزيد من الفرقة والشحناء وتكريس الضعف والهوان، والمطلوب هو المزيد من أعمال العقل بالمنهجية العلمية الراقية، وبالدراسة الواعية والاستشراف البعيد وبالتطُّع لكلِّ ما هو مفيد، ذلك هو الفكر الدعوي المقصود.

02- التعريف الإجرائي: الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي.

من خلال اطلاعنا على المنتج الفكري للفقيد أحمد الرفاعي شرفي استنتجنا أنَّ الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي يستمد خاصيته من الفكر الإسلامي العام، فالإسلام دعوة ربانية لكلِّ النَّاس، والدعوة تكون للكفار للدخول في الدين العظيم، كما تكون للمسلمين بالرجوع للطريق المستقيم وإصلاح الأحوال وتمكين الشرع الحكيم.

¹ ينظر: أبو يزن حمزة الفتحي، في الفكر الدعوي المعاصر، د ط، دون نشر، كتاب بصيغة word من الموقع الالكتروني: <https://books-library.online/free-862226601-download> تاريخ التحميل: 2019/12/12م، في الساعة: 16.00، ص02.

لقد كان أحمد الرفاعي ومن مواقعه المتنوعة (كأستاذ وإمام وكاتب...) يمارس الدعوة إلى الله، وأمام الخبرات والتجارب وسعة الاطلاع التي تميّز بها الرجل، تكوّنت لديه نظرة خاصة وفكر خاص للدعوة، وانطلاقاً من ذلك يمكن تعريف الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي بما يلي: هو جملة التصورات لما يجب أن تكون عليه الدعوة في عصرنا الحالي، وذلك من خلال الجهد العقلي الخالص المبدع والجاد والمفيد والفعل بوسائل التأليف والخطابة وأساليب الإرشاد والنصح والتوجيه، وطرائق التقييم والتقويم المنهجية، بهدف إحداث التغيير الإيجابي لواقع المسلمين المثخن بالجراح، ومن أجل التمكين لدين الإسلام في حياة النَّاس، ونشره بين الأمم باعتباره الرسالة الخالدة للبشرية جمعاء والمنقذ لهم في الدنيا والآخرة.

ولم يقتصر مفهوم الدعوة عند أحمد الرفاعي على الجانب المعرفي ببيان مفهومها وما يتعلق بها فحسب، بل تعداه ليشمل جميع مناحي الحياة، كما أنه لم يغفل عن الآخرة ووجوب الإعداد لها. وكما جاء عن ابن القيم "فأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتنبها وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنبها فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار"¹.

لقد عاش رحمه الله حياته كلّها ملاحظاً لحركة الحياة ولحركة الدعوة، وحركة الإنسان وحركة الكون من حوله، يُسجّل ملاحظاته على مظاهر كلّ حركة وما تؤول إليه مقاصدها في دنيا النَّاس، وبذلك تملك رصيда دعويًا ثريًا وهو ما يشكّل في مجموعته فكره الدعوي².

وكما كان أحمد الرفاعي يرى أنّ شريعة الإسلام عامّة وشاملة لكلّ مجالات الحياة، فهو يرى أيضاً أنّ الدّعوة لا بدّ أن تكون شاملة وعلى جميع الصّعد، فلا بدّ أن تشمل جميع شؤون الحياة المختلفة من سياسة وفكر واقتصاد وغير ذلك... ومما تتطلبه أيضاً واجب التعمّن والنظر في التاريخ للاعتبار والتبصّر، والنظر المتفحّص في مسائل الواقع وجوانب الثقافة والحضارة والتربية والاجتماع والاقتصاد والعلاقات الدولية وحقوق الإنسان.. وكذا الأدب ومختلف الفنون والشؤون.

وتتجلى أهمية الفكر الدعوي بالنظر إلى واقع الدّعوة والتجارب الدّعوية، فالملاحظ أنّ كلّ تجربة دعوية رائدة إنّما كان لها منطلق فكري واضح ومعالم محدّدة ومضبوطة الخطط، وأمّا الاختلالات المسجلة في بعض التجارب الدعوية، فأغلبها ترجع لغياب فكر دعوي خاص يمهد الطريق وييسر السبيل ويزيل العقبات ويحقق الأهداف.

¹ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1973م، ص198.

² ينظر: عمر خلفه، مقدمة كتاب أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، ط1، دار ابن خلدون، الجزائر، 2020م، ص:ب.

وتبرز أهمية الفكر الدعوي لاحقا فيما يحققه من نجاحات ومكاسب بارزة، فهو يختصر المسافات وبه يمكن تجاوز الصعاب، كما أنه يُسهل العملية الدعوية قبل التحرك والممارسة بتنظيم التفكير والتنظيم وحسن الإعداد، وكذلك الفصل بين مهام الدعاة المفكرين والعاملين الميدانيين، فيزيل الخلاف ويحصى الجهود، ويظهر الصورة الجميلة للعمل الإسلامي، ويستشرف المستقبل ويتطلع للأفضل¹.

إنّ الفكر بمفهومه العام لا يمكن حصره في مجال التنظير دون النظر إلى العمل والسلوك الميداني، وهذا ما كان يركز عليه أحمد الرفاعي، وعند الإشارة إلى أحد أنواع السنة وهو (نوع السنة التقريرية) بيّن الرفاعي كيف اعتبر الشرع الحكيم مسألة النظر لأعمال الناس وموافقتها لقواعد الشريعة، ومعلوم أنّ السنة التقريرية هي ما يفعله الصحابة الكرام ويقرّهم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الإقرار لأفعالهم صار تشريعا محكما، رغم أنّ القرآن كان يتنزل وهو - عليه الصلاة والسلام - موجود بينهم، يشرح أحمد الرفاعي في هذه الفكرة قائلا: "كلّ ذلك ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمثّل القيادة بجانبها التشريعي والتطبيقي، وذلك يعني أنّ الفكر في تراثنا الإسلامي لا يعني النصّ المكتوب أو المنطوق فقط، وإنما يعني أيضا الموقف والسلوك. فالسنة: قول وفعل وإقرار. كلّ ذلك أنّ هذا الجانب الحساس الذي أولاه ابن خلدون - رحمه الله - عناية كبرى واستخرج منه قوانين الحياة الاجتماعية وسنن تفاعلها، وأسس بذلك علم الاجتماع الإسلامي"².

وهذا المضمون هو المفهوم الإجرائي للفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي، وهو ما سنطبقه على كامل بحثنا في مجموع العناصر المدرجة في خطة البحث.

¹ ينظر: أبو يزن حمزة الفتحي، في الفكر الدعوي المعاصر، مرجع سابق، ص 03.

² المرجع السابق، ص 19.

سابعا: الدراسات السابقة.

أولاً: الدراسات المتعلقة بشخصية أحمد الرفاعي شرفي.

بعد البحث والتحري والتنقيب وسؤال أهل الاختصاص في الحقل الدعوي وأقارب الشيخ وزملائه، تبين لي أنه لا توجد أي دراسة علمية حول أحمد الرفاعي شرفي، وما كتب حول شخصية الرجل قليل جدا موزع في بعض المقالات الصحفية، كتبها مقربون منه إثر وفاته سنة 2014م. وعليه فتراث وفكر أحمد الرفاعي شرفي ورغم أنه حصبٌ وثريٌ لم يتطرق بعد إلى استقرائه وتحليله رغم توفر كامل مؤلفاته وأغلبها مطبوع متداول وكذا وجود مقالاته الكثيرة الموثقة في المجلات والجرائد مثل الإرشاد والنور والنبأ والشروق والبصائر وغيرها، وقد جمع أكثرها في كتابين مستقلين لحد الآن.

ثانياً: دراسات حول الشخصيات الدعوية والفكر الدعوي.

وفيما يخص الدراسات الدعوية عند رجالات الدعوة نشير إلى الدراسات التالية:

الدراسة الأولى: الدكتور مصطفى السباعي¹ وفكره الدعوي.

إعداد الطالبة أمينة بوبصلة مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، المشرف مساعد مسلم آل جعفر ثم عمر لعويرة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، للسنة الجامعية 2002/2003م².

- إشكالية الدراسة:

تأخذ اليوم قضية الإسلام وانبعائه من جديد في حياة المسلمين لاستئناف دوره الحضاري، وتبليغ رسالته العالمية الكبرى حيزا واسعا في اهتمام المفكرين ومساحة ممتدة في تجارب الدعاة، وكان مصطفى السباعي أحد المهمومين بهذا الأمر الجلل، وقد دون تجاربه في الحياة وأفكاره التي استقاها من الحياة دون النقل من الكتب ولا الاستعانة بأراء الآخرين حسب توصيفه، مضيفا ومن حق الأجيال من بعدنا أن تطلع على تجاربنا وتستفيد منها إن وجد فيها ما يفيد، ومن هذا كان المنطلق كان التعريف بالرجل والعمل على استكشاف فكره الدعوي الخالص³.

¹ مصطفى السباعي ولد بسوريا سنة 1915م، درس في سوريا ثم مصر وترى في أحضان جماعة الإخوان المسلمين وأسس فرعا بسوريا،

أسس عدة صحف وخلف عدة كتب أشهرها السنة ومكانتها في التشريع، من روائع حضارتنا، هكذا علمتني الحياة، توفي سنة

1964م. (ينظر: عبد الله محمود الطنطاوي، مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد)

² أمينة بوبصلة مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، المشرف مساعد مسلم آل جعفر ثم عمر لعويرة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، للسنة الجامعية 2002/2003م.

³ ينظر: المرجع السابق ص: ب.

- نوع البحث ومنهجه:

حسب الباحثة فإنّ الدراسة المقدمة تندرج ضمن الدراسات التاريخية، والهدف استرداد ماضي هذه الشخصية تبعاً لما خلفته من آثار ذات صلة وثيقة بالحاضر، كما تمّ الاستعانة ببعض المناهج الأخرى كالمناهج المقارن عند التطرق للمجالات الاجتماعية والاقتصادية في فكر السباعي¹.

- النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة:

خلصت الدراسة إلى بعض النتائج وهي متضمنة في الخاتمة بصيغة العموم، لخصتها كما يلي²:

أ- شخصية السباعي جامعة متكاملة متعددة الجوانب، موزعة بين الإبداع الفكري في مختلف المجالات والممارسة العملية في حقل الدعوة..

ب- كان السباعي عدو الخرافة وحارها بالفكر، وأسهم في الردّ على المستشرقين وفي طعنهم في السنة، فقدم أمودجا رائعا في الفكر الموضوعي الرصين.

ت- كانت جهود السباعي واضحة في الفكر السياسي والاجتماعي والتشريعي والثقافي، وهذه الشمولية تدل على الثقافة الواسعة وعلى أساسها تمّ فتح كلية الشريعة في سوريا.

ث- السباعي من فرسان اليقظة الحديثة حيث المسالك الوعرة والعقبات في وجه المصلحين أكثر من أن تحصى، ومع ذلك ظلّ ضميراً حياً وحرّاً لا يعرف الكلال ولا الملل.

التعقيب على الدراسة:

هناك تشابه كبير بين هذه الدراسة وموضوع بحثي، فكلاهما يتعلق بالفكر الدعوي لشخصية دعوية معروفة، وهو ما أفادنا خاصة فيما يتعلق بالمنهج التاريخي والتوثيقي للأحداث، غير أنّ الفرق بين الدراستين أنّ الموضوع الأول الخاص بالسباعي يشمل الشخصية بشكل تفصيلي مناصفة مع الفكر الدعوي، في حين بحثي يتعلق بالفكر الدعوي والإشارة إلى الشخصية أقلّ من الموضوع الرئيسي وهو الفكر الدعوي.

وممّا يؤخذ على الدراسة الغياب التام لمفهوم الفكر الدعوي بصفة عامة ومفهومه كتعريف اجرائي، وأيضاً نسجل غياب العلاقة بين الفكر الإسلامي والفكر الدعوي، فالبحث كان يتكلم عن الفكر الإسلامي بالعموم عند السباعي، والملاحظة الأخرى عدم وجود إشكالية واضحة، وأغلب البحث عبارة عن تركيب جمل مقتبسة من كتب متفرقة للسباعي ولمن كتب حوله، وغياب واضح للتحليل.

¹ ينظر: المرجع السابق ص: ج.

² المرجع نفسه، ص390.

الدراسة الثانية: عبد الرحمن شيبان وجهوده في الدعوة والإصلاح.

إعداد الطالب محمد الصديق قادري دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص: الدعوة والثقافة الإسلامية، المشرف عبد الحليم بوزيد، جامعة الحاج لخضر بباتنة، للسنة الجامعية 2015/2016م¹.
إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية هذا البحث في دراسة علم من أعلام الجزائر، بهدف الوقوف على جهوده الدعوية والإصلاحية التي قدمها خدمة للوطن، وعبد الرحمن شيبان² من الشخصيات المخضمة التي عاشت في فترات تاريخية مختلفة من تاريخ الجزائر، قبل الاستقلال وبعده، حتى زمن غير بعيد، كان له فيها لمسات مهمة في جوانب ومجالات مختلفة، على الصعيد المحلي والخارجي، وعليه كان تساؤل الدراسة كما يلي: ماهي الجهود التي قدمها الشيخ عبد الرحمن شيبان خلال مسيرته الدعوية والإصلاحية؟³.

نوع البحث ومنهجه:

أشار الباحث عند التطرق إلى نوع البحث أنه اعتمد على منهجين اثنين وهما:

1- المنهج التاريخي وكان عند الحديث عن ظروف عصره وذكر الأحداث التاريخية التي تعاقبت على حياة عبد الرحمن شيبان.

2- المنهج الوصفي عند جمع جهود عبد الرحمن شيبان في المجالات التي نشط فيها، والاختيار هذا حسب الباحث صاحب الرسالة هو الأنسب لمثل هذه المواضيع، وقد استأنس ببعض المناهج الأخرى كالتحليل عند مقتضى الحال⁴.

النتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة:

خلصت الدراسة إلى بعض النتائج وهي متضمنة في الخاتمة بصيغة العموم، لخصتها كما يلي:

أ- شخصية عبد الرحمن شيبان عاشت ظروفًا متباينة قبل الاستقلال وبعده أسهمت في تكوين التوجه الدعوي للرجل، وأغلب ذلك التوجه كان امتدادًا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

¹ عبد الرحمن شيبان وجهوده في الدعوة والإصلاح: إعداد الطالب محمد الصديق قادري دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص: الدعوة والثقافة الإسلامية، المشرف عبد الحليم بوزيد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر بباتنة، للسنة الجامعية 2015/2016م

² عبد الرحمن شيبان من مواليد 1923م ببلدية الشرفة ولاية البويرة، تعلم بمسقط رأسه ثم بجامعة الزيتونة، ترأس جمعية الطلبة الجزائريين في تونس وبعده الاستقلال تولى عدة مناصب ومسؤوليات منها وزارة الشؤون الدينية ورئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ترك تراثًا فكريًا هامًا، توفي 2011م. (ينظر: عبد الكامل جويبة، الأستاذ عبد الرحمن شيبان: نشأته وحياته).

³ المرجع السابق ص: ج.

⁴ المرجع نفسه ص: د

ب- ساهم عبد الرحمن شيبان في الجهاد المسلح أثناء الثورة، وفي الجهاد لبناء الوطن فتولى عدّة مناصب وزارية وهيئات منها جمعية العلماء ومن خلال كلّ ذلك سعى للإصلاح والتغيير.

ت- شخصية الرجل أعطت الصورة الناصعة لموقف جمعية العلماء من الثورة حيث كان الكثير من أبنائها في الصفوف الأولى، كما أعطى الرجل الصورة الحسنة للرجل المسلم الرسالي المتعدد المواهب في الصحافة والتأليف والتسيير وغير ذلك.

ث- اتخذ عبد الرحمن شيبان عدّة وسائل للدعوة ومنها الخطب والدروس المسجدية والمشاركات في النشاطات داخل الوطن وخارجه وقد جسد صورة الداعية المتفاني في خدمة الدعوة في كلّ الظروف والأحوال كما أسهم في الحفاظ على الوحدة الوطنية والمرجعية الإسلامية للجزائريين.

ج- ترك عبد الرحمن شيبان تراثا فكريا ضخما ينتظر البحث والتنقيب عليه واستخلاص الكثير من الدروس والتجارب منه.

التعقيب على الدراسة:

تناولت الدراسة حياة الشيخ عبد الرحمن شيبان من ميلاده إلى وفاته وأبرز محطات حياته، من تعلم وتعليم وممارسة للدعوة وعمله في الصحافة، وما خلفه من رصيد فكري عبّر فيه عن مواقفه من قضايا كثيرة وطنية ودولية. وهذه النقاط تتشابه كثيرا مع حياة أحمد الرفاعي شرفي فكلاهما ولد في نفس الفترة تقريبا (شيبان ولد سنة 1918م وأحمد الرفاعي 1931م) وتوفيا كذلك في نفس الفترة (توفي شيبان سنة 2011م وتوفي أحمد الرفاعي سنة 2014م -رحمهما الله-)، وعليه فقد كان هناك تشابها كبيرا في حياة الرجلين وظروف نشأتهما ودعوتهما وما خلفا من آثار.

وَمَّا يُؤْخَذُ عَلَى الدرس غيب الحديث عن الفكر الدعوي والجوانب الفكرية عموما إذ كان البحث مقتصرًا على سرد حياة عبد الرحمن شيبان مع غياب التحليل والاستنباط والاستنتاج والمقارنة، كما أنّ الاشكالية البحثية كانت عامة متمثلة في بيان الجهود الدعوية للرجل، وهو ما أجابت عليه الرسالة في العموم لكن من غير بيان الأطر الفكرية والأسس والمنطلقات والمصادر التي تأسس عليها فكر عبد الرحمن شيبان.

ثامنا: منهج الدراسة.

انطلاقًا من طبيعة الموضوع اعتمدت على المناهج الأساسية التالية:

01- المنهج التاريخي: وذلك فيما يتعلق بحياة أحمد الرفاعي وظروف عصره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، مع التطرق إلى أهم الأحداث التي عاصرها أحمد الرفاعي سواء تلك التي واكبت

فترة ميلاده قبل الاستقلال، أو تلك المتعلقة بمرحلة الثورة وما بعد الاستقلال بأحداثه المتنوعة، وأيضاً عند التطرق إلى المضمون التاريخي وتنزيلاته الواقعية في فكر أحمد الرفاعي شرفي.

02- المنهج الاستنباطي: لمواكبته طبيعة الموضوع في شقه المتعلق بمضمون الفكر الدعوي والمبني على تتبع ما كتبه أحمد الرفاعي في مؤلفاته ومقالاته، ففكره موجودة لدى الكاتب أحمد الرفاعي ولذلك كان العمل على الاستنباط والتوضيح.

03- المنهج الوصفي التحليلي: وذلك عند الحديث عن جهود أحمد الرفاعي في الدعوة والحركة وترشيد الصحوة، مستعينين بأدوات التحليل والتعليل والمقارنة.

تاسعا: التزامات منهجية.

اعتمدت في كتابة هذا البحث على الخطوات المنهجية المعتمدة في البحوث العلمية، وهي كما يلي:
أ- القرآن الكريم: تم ضبط الآيات القرآنية الكريمة برواية حفص عن عاصم، ببيان اسم السورة ورقمها في المتن بين مزدوجين مستقيمين بالطريقة والشكل التالي: [اسم السورة.رقم: الآية] ووضعت الآيات بين هذين الرمزین ﴿﴾ مع تحخين الخط للآيات تمييزاً لكلام الله تعالى عن غيره.

ب- الأحاديث النبوية الشريفة: تم تخريج الأحاديث في الهامش واحالتها إلى مصادرها الحديثية مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم وباقي أصحاب السنن، ووضعت كل حديث بين قوسين صغيرين من هذا النوع « » مع تحخين الخط تمييزاً لكلام الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

ت- التهميش: تم الاعتماد على الطريقة المعروفة بذكر المؤلف (أو المؤلفون) ثم عنوان الكتاب، ثم رقم الجزء، ثم رقم الطبعة، دار النشر، ومكان النشر، وسنة الطبع، ثم رقم الصفحة.

ث- الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية: حيث تم في كل إحالة ذكر الكاتب، ثم عنوان المقال، ثم عنوان الصحيفة أو المجلة، مع بيان رقم العدد، وتاريخ الصدور، والصفحة، وبالنسبة للموقع الالكتروني: ذكر الكاتب، ثم عنوان الموضوع، ثم اسم الموقع، والرابط الالكتروني للموقع، وتاريخ وساعة الزيارة. وملاحظة خاصة بالنسبة للمقالات الصحفية المنشورة في الجرائد والتي لم أتمكن من الحصول على أعادها الورقية لجأت إلى (كتاب آلام في الدعوة والصحوة) والذي جمع فيه علي بن الطاهر مقالات أحمد الرفاعي شرفي حيث أشرت إلى عنوان المقال ثم اسم الكتاب.

ج- بالنسبة للرسائل العلمية الجامعية الأكاديمية ذكرت في التهميش: الباحث، عنوان الرسالة، نوع الدرجة العلمية، المشرف، الجامعة الأصلية، المكان، السنة الجامعية.

ح- في حالة تكرار المصدر أو المرجع: التزمت بالإحالة على المصادر بذكر اسم المؤلف ثم كتابه ثم الجزء والصفحة، فإن تكرر مباشرة فأشير بعبارة: "المرجع نفسه" وأحيل على الجزء والصفحة إن كانت مختلفة

عن السابقة، وإن فصل بينهما فاصل فأكتفي باسم المؤلف ثم الجزء- إن وُجد- والصفحة مع ذكر عبارة مرجع سابق .

خ- الاحالات: عند نقل الكلام حرفياً أضعه بين مزدوجين (شولتين) بهذا الشكل " " ، والإشارة في الهامش للمصدر أو المرجع، أما إذا كان في الكلام المنقول تصرف وأدرج بالمعنى: فأشيرُ إلى ذلك بعبارة -يُنظر- قبل التهميش، وإن كانَ في الكلام المنقول حذف: أضع - مكان الحذف- ثلاث نقاط متتالية وإن كانت نفس العبارة مع تغيير طفيف فتكون الإشارة إلى المرجع مع ذكر كلمة - بتصرف-.

د- تراجم الأعلام: أترجم للأعلام الواردين في المتن من غير الأحياء، وأستثني من الترجمة من كان ذكره عرضاً وليس له تأثير في الفكرة المناقشة، وأستثني المشهورين من الصحابة والتابعين.

ذ- الرموز المعتمدة: الطبعة (ط)، المجلد (مج)، الجزء (ج)، التحقيق (ت)، الصفحة (ص)، عدد المجلة أو الجريدة (ع)، السنة الهجرية (هـ)، السنة الميلادية (م).

ر- التأريخ: عند كتابة التواريخ أوردته كما في المصدر، إن كان الميلادي مع الهجري ذكرتهما معاً، فإن وجد أحدهما فقط اكتفيت بذكره، وإن غاب التاريخ ذكرت (د ت).

عاشرا: خطة البحث.

بعد تأكيد عنوان البحث من طرف المجلس العلمي، رسمتُ خطةً بحثيةً أولية، ومع استمرار البحث والتنقيب قُمتُ بتعديلها عدة مرات، لأستقر في الختام على الخطة التالية:

المقدمة: وفيها تمهيد مختصر، ثم بيان لأهمية الموضوع، وطرحٌ للإشكالية والتساؤلات الفرعية، والدراسات السابقة وأهداف الموضوع، ومفاهيم الدراسة، والمنهج المعتمد والمنهجية المتبعة، والخطة المرسومة مختصرة، وأهم المصادر والمراجع، وصعوبات البحث وكيف تم التغلب عليها.

الباب الأول: وقد وضعت له عنوان: أحمد الرفاعي شرفي وجغرافية الدعوة، وكما هو واضح فالجزء الأول منه يتعلق بشخصية الرجل، والجزء الآخر حول الحقل الدعوي، وقد اخترت المصطلح - جغرافية وهو مقتبس من المفكر علي شريعتي¹ - رحمه الله- حيث كان يستعمل جغرافية الفكرة. إذ يقصد أن الأفكار قد تكون واحدة، لكن سياقات الزمان والمكان والشخص تفرز فكرة دون أخرى. ويتكون الباب الأول من أربعة فصول:

¹ علي شريعتي (1933م- 1977م) مفكر إيراني إسلامي شيعي مشهور ويعتبر ملهم الثورة الإسلامية. اسمه الكامل: علي محمد تقي شريعتي مزيناني. ولد قرب خراسان عام 1933 ، وتخرج من كلية الآداب، ليُرشح لبعثة لفرنسا عام 1959 لدراسة علم الأديان وعلم الاجتماع ليحصل على شهادتي دكتوراه في تاريخ الإسلام وعلم الاجتماع.(ينظر: جميل قاسم: علي شريعتي المحجور إلى الذات).

- فأما الفصل الأول فخصصته للحديث عن شخصية أحمد الرفاعي شرفي من حيث المولد والنسب وظروف النشأة التي وافقت فترة ميلاده وحياته بصفة عامة، وأيضا الحديث عن شهادات المقربين للرجل والتي قيلت أغلبها على إثر وفاته.

- وخصصت الفصل الثاني للحديث عن مصادر الفكر الدعوي للرجل، وقد شملت القرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة النبوية وأيضا أقوال الصحابة الكرام والتابعين - رضي الله عنهم - والمصادر الخاصة بالمدارس الفكرية والثقافية المتمثلة في الصوفية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحركة الإخوان المسلمين.

- أما الفصل الثالث فمعمود للحديث عن القضايا الدعوية في فكر الرجل، وكان الحديث فيه عن الخطاب الدعوي من حيث المفهوم والمنطلقات وبيان حقيقة الدعوة ومجالاتها وأهميتها ومنهج الرجل وأسلوبه في تحليل القضايا الدعوية ومدارسها، وأسلوب الدعوة لديه ومراحلها ووسائلها ولوازمها ومتطلباتها، كما تمّ التطرق إلى جهود الرجل في الحقل الدعوي وما خلفه من آثار في خدمة الحركة والصحة والدعوة.

- والفصل الرابع فأهتم بالحديث عن الحركة والصحة الإسلامية وضمنتها مفهوم الصحة وواقعها وبيان أسباب القصور والمكبات المؤثرة في الفعل الدعوي الميداني، وفصلت في جهود الرجل في ترشيد الصحة، وبيان معاني التغيير ووسائله وشروطه ومرتكزاته ومحاوره كما يراها أحمد الرفاعي.

الباب الثاني: وهو بعنوان مضامين الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي وتنزيلاته الواقعية، وشمل الحديث عن مجالات الفكر الدعوي الواسعة عند الرجل، والذي يمتد - طولا وعرضا وعمقا - تماما مثل الفكر الإسلامي في كلّ المجالات في شموليته وعموميته، ومنه استمد أحمد الرفاعي فكره الشمولي الواسع، كما كان العمل على الاسقاطات والتنزيلات الواقعية لتلك المسائل في واقع الناس، وقد تضمّن هذا الباب هو الآخر أربعة فصول:

- الفصل الأول خصصته للحديث عن المضمون الإيماني، وفيه بيان لمسائل العقيدة من المفهوم والأهمية وواقع العقيدة وأسباب ضعفها في زماننا كتنزيل واقعي، وأيضا مفهوم الإيمان وأهميته ومنزلة تقوى الله وسبب البعث الإيماني ومنه البعث الحضاري والفكري، ونظرا لأهمية الفصل وأولويته فقد بيّنت التنزيلات الواقعية منفصلة عن المضمون، خلافا للفصول الأخرى التي تكون فيها التنزيلات مترافقة مع المضمين.

- والفصل الثاني جعلته للحديث عن المضمون الاجتماعي والثقافي وتنزيلاتهما الواقعية، وشمل الحديث عن الواقع العام للمسلمين وقضايا الأسرة وواقع القيم والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم وفي

الشق الثقافي تكلمت عن اهتمام أحمد الرفاعي بالثقافة عموماً وبعض المسائل المتعلقة بالثقافة الإسلامية كالأدب الإسلامي، وخصصت جزءاً للحديث عن التعليم وواقعه في الجزائر.

- والفصل الثالث كان للحديث عن المضمون السياسي وتنزيلاته الواقعية، وفيه تمّ الحديث عن الواقع السياسي للأمة الإسلامية وموقف أحمد الرفاعي من الممارسة السياسية، وتصورات الرجل للخروج من الأزمات السياسية التي تغرق فيها الأمة منذ زمن، كما أدرجت جملة من مواقف أحمد الرفاعي حول قضايا سياسية هامة مثل: الوحدة الإسلامية والوئام والمصالحة والديمقراطية، ورؤيته لنظام الحكم والأحزاب والمعارضة، وأهمية تشكيل جماعة المسلمين والرجوع لمبدأ الشورى.

- والفصل الرابع تطرقت فيه إلى الجانب الحضاري وبعض المسائل المتعلقة بالجانب الفكري من بعض المفاهيم وبيان لبعض مجالات الفكر وخصائصه وما تميّز به الفكر الإسلامي، ومواضيع أخرى تتعلق بالحضارة كمفهوم وتجليات وخصائص، وبيان لحقيقة الأزمة الحضارية وأسبابها، وسبل إصلاح الفكر وكيفية البعث الحضاري من جديد للإقلاع بالأمة نحو العلياء، ومع كل ذلك كان الحديث أيضاً عن مستقبل الإسلام في ظلّ النظام العالمي الجديد.

الخاتمة: ذكرت فيها باختصار حوصلة البحث والنتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي رأيتها مهمة ومن شأنها أن تثري الموضوع وتُكْمِلُ ما نقص منه أو تزيد عليه.

الملحقات: وضعت بعد الخاتمة الملحقات من الصور والرسائل، وقمتُ بترقيمها وترتيبها والإشارة إليها.

الفهارس: ذكرت في آخر البحث أيضاً مختلف الفهارس الفنيّة وتشمل:

- فهرس الآيات: رتبت فيه السور ترتيباً تنازلياً حسب ورودها في المصحف، وعزوت الآيات إلى سورها مع ذكر بداية طرف الآية مع ترتيب والآيات ترتيباً تصاعدياً، وعندما تتكرر نفس الآية في صفحة أو صفحات أخرى أكتفي بذكر رقم تلك الصفحات في نفس الخانة.

- فهرس الأحاديث: تمّ فيه ذكر كلّ الأحاديث مرتبة ترتيباً ألف بائياً، مع ذكر صفحة تواجد الحديث

- فهرس الأعلام: ذكرت فيه الشخصيات المترجم لها، وهي الشخصيات التي لها علاقة بالبحث ولم أترجم للأحياء، أوردتها مرتبة ترتيباً ألف بائياً.

- فهرس المصادر والمراجع: رتبت المصادر والمراجع حسب أهميتها ومكانتها فكانت أولاً قائمة الكتب، وأوها كتب القرآن وعلومه، وثانيها كتب الحديث وعلومه، وثالثها كتب أحمد الرفاعي، ورابعها بقية الكتب من المراجع المختلفة، ذكرتها مرتبة ترتيباً ألف بائياً انطلاقاً من اسم المؤلف، وفصلت كل فئة عن الأخرى مع بقاء ترتيب تعداد المراجع نفسه، ثمّ أوردت مراجع الأطروحات والمقالات، ثمّ الجرائد والمجلات، ثمّ المواقع الإلكترونية، وأخيراً المقابلات الشخصية.

- فهرس المحتويات: ذكرت فيه كلّ العناصر تقريبا وتشمل: المقدمة والأبواب والفصول والمباحث والمطالب والفروع والعناصر الفرعية والملاحق والفهارس والملخص.

مدخل الفصل وملخصه: وضعت عند بداية كلّ فصل مقدمة مختصرة، طرحت فيها إشكالية الفصل الرئيسية، وفي نهاية كلّ فصل من الفصول وضعت خلاصة عامّة لما تضمنه الفصل وما أجاب عليه من أسئلة إشكاليته.

ملخص البحث: وضعت الملخص باللغة العربية وأرفقت ذلك بملخصين باللغتين: الإنجليزية والفرنسية.
حادي عشر: مصادر ومراجع الدراسة.

اعتمدت في جمع المادة العلمية على مجموعة من المصادر والمراجع، وتفصيل ذلك كما يلي:

المصادر: وهي جملة مؤلفات أحمد الرفاعي شرفي ومقالاته ومخطوطاته، وهي مصادر مركزية رئيسية تُشكّل تراث الرجل، وتفصيلها كما يلي:

01- كُتِبَ أحمد الرفاعي المؤلّف والمطبوعة، وقد اعتمدنا على عشرين كتابا من مؤلفاته ذات الصلة، وهي مرتبة لوحدها معا في قائمة المراجع.

02- بعض الوثائق والمخطوطات الخاصة بأحمد الرفاعي.

03- مقالات أحمد الرفاعي شرفي والتي تجاوز عددها مائتي مقال منشور في المجلات والصحف الوطنية، وقد جمعت أكثرها في كتابين مستقلين وهما: آلام في الدعوة والصحة¹، ومراجعات في زمن الوهن².

المراجع: وهي الكتب المتنوعة التي تخدم فكرة البحث وإشكاليته، وتفصيلها كما يلي:

01- كتب القرآن الكريم وعلومه.

02- كتب الحديث وعلومه.

03- الكتب التي تتكلم عن الدعوة والفكر الدعوي بالخصوص، وما يخدم الموضوع بشكلّ عام.

04- الدراسات السابقة والأطاريح العلمية القريبة من الموضوع، والمقالات العلمية المحكمة.

05- المقالات ذات الصلة في الجرائد والمجلات والمواقع الإلكترونية.

06- المقابلات الشخصية مع أصدقاء ومقربين من أحمد الرفاعي شرفي.

¹ آلام في الدعوة والصحة، آلام في الدعوة والصحة، كتاب يحوي مجموعة من المقالات التي كتبها أحمد الرفاعي شرفي، جمعها علي بن الطاهر، يقع الكتاب في 375 صفحة من الحجم المتوسط، صادر عن مؤسسة الرجاء للنشر قسنطينة، 2018م.

² مراجعات في زمن الوهن، كتاب يحوي مجموعة من المقالات التي كتبها أحمد الرفاعي شرفي والحوارات الصحفية معه، جمعها أبو أسامة عمر خلفة، يقع الكتاب في 802 صفحة من الحجم المتوسط، صادر عن دار ابن خلدون، الجزائر، 2020م

ثاني عشر: صعوبات البحث.

كما لا يكاد يخلو عمل من مشقة، فكذلك لا يكاد يخلو بحث من صعوبات، وقد اعترضت جهودي لإنجاز هذا العمل بعض الصعوبات المختلفة، عملت على تذليلها وتجاوزها مستعينا بالله تعالى ومن هذا الصعوبات أذكر:

01- عدم تمكني من الوصول إلى عائلة الفقيه أحمد الرفاعي شرفي، وقد علمت من بعض مقربيه أنّ الرجل ترك تراثا هائلا، وللأسف لم يتمكن من الحصول على أيّ جزء منه، ورغم المحاولات المتكررة إلا أنّ الرفض كان دائما هو القرار من طرف العائلة لأسباب تخصّهم.

02- رغم وفرة الدراسات حول الشخصيات الإسلامية والدعوية، إلا أنّ أكثرها متعلق بجانب الجهود الدعوية، ولم أعر على دراسات خاصة بالفكر الدعوي إلا الشيء القليل.

03- انعدام المصادر والمراجع التي تتحدث عن أحمد الرفاعي شرفي في المكتبة الوطنية، وما وجدته خارج كتبه من معلومات عن شخصه، كان ممّا كتبه عنه رفقاؤه في الصحف أو من خلال بعض اللقاءات الشخصية التي أجريتها.

04- الانشغال بالواجبات الأخرى في الحياة المهنية والاجتماعية، حيث أنّي أعمل على عدّة جبهات في نفس الوقت، ومنها التدريس الثانوي وهو عملي الرئيسي منذ 23 سنة، والتعاقد مع جامعتي واد سوف وبسكرة خلال السنتين الجامعتين السابقتين، وعملي كمراسل صحفي مع إذاعة بسكرة الجهوية، ومنسق ولائي للعمل النقابي، وأيضا مسؤول عن جمعيات ثقافية واجتماعية... هذه النشاطات وغيرها أخذت الكثير من وقتي وخلفت أعباء إضافية مرهقة بالنسبة لي جسديا وماديا بسبب كثرة السفر والجهد وما في كلّ ذلك من مشقة ونصب.

ومع كلّ ذلك فتوفيق من الله العليّ الكريم، تمكّنت من تجاوز تلك الصعاب من خلال الصبر والاحتساب، والاستعانة بنصائح وتوجيهات الأستاذ المشرف الذي لم ييخل عني بنصائحه وتوجيهاته، وكذلك بعض الأساتذة الآخرين وزملائي الأفاضل.

وهذا كلّ لا ينفي ولا يلغي حقيقة التقصير التي هي من صفات الإنسان مهما بذل واجتهد، وأنا أنتظر بشغفٍ ملاحظات أساتيذ الكرام في لجنة المناقشة وتصويباتهم، حتى أتمكّن من ضبط النقائص وإزالة الخلل الذي قد أكون وقعت فيه أو ما سهوت عنه في هذا العمل.

وصلّ اللهم على سيدنا وحيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الباب الأول

أحمد الرفاعي شرفي وجغرافية الدعوة

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أحمد الرفاعي شرفي وتحديات المرحلة.

الفصل الثاني: مصادر الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي.

الفصل الثالث: القضايا الدعوية عند أحمد الرفاعي.

الفصل الرابع: رؤية أحمد الرفاعي لمسألة الصحوة الإسلامية.

الفصل الأول

أحمد الرفاعي شرفي وتحديات المرحلة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته وآثاره.

المبحث الثاني: خصائص البيئة التي عاش فيها.

المبحث الثالث: وفاته وشهادات حوله.

مدخل الفصل:

البحث في سير الرجال وخصالهم أمر طيب وفعل حسن، وما زال حرص جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة على التعريف بأبناء الجزائر قائما، و يأتي في أولويات باحثيها ومؤطريها، وذلك لإبراز جهوده علماء الجزائر ودعاتها ومفكريها وهو أمرٌ في غاية الأهمية.

ولا يمكن للباحث رسم الصورة الكاملة أو الواضحة لهؤلاء الرجال وما خلفوه من آثار، دون معرفة حياتهم والإشارة إلى أبرز المحطات في مسيرتهم وحياتهم الشخصية، والبيئة التي نشأوا فيه: العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... من الميلاد إلى الوفاة، فكل ذلك مما يؤثر في شخصية الإنسان، وكل إنسان ابن بيئته كما يقال.

ويعدّ أحمد الرفاعي شرفي من رجال الجزائر الذين تركوا تراثا طيبا، وهو في حاجة إلى التعريف به، فمن هو أحمد الرفاعي شرفي؟ وكيف كانت حياته ونشأته الأولى؟ و ماهي ظروف بيئته التي نشأ فيها؟ وماذا قال عنه أتراه وأقرانه في شهاداتهم - عن الرجل الداعية والمفكر- ممن عاصره وعمل معه أو علم عنه؟ ولعل الاجابة عن تلك التساؤلات تفي بتحصيل مضمون الفصل الأول حول:

أحمد الرفاعي شرفي وتحديات المرحلة.

المبحث الأول: حياته وآثاره.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته.

الفرع الأول: اسمه.

اسمه أحمد الرفاعي، سمّاه والده بهذا الاسم المركب، فأحمد تيمناً باسم الرسول - صلى الله عليه وسلم- وأمّا الرفاعي فكناه به والده "الذي كان رجل علم وزهد ومن المتصوفين، وكان يتبع المنهج الصوفي وكان متأثراً بالشيخ الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية المشهورة¹ "حسب ما حدّثني به أبو جرة سلطاني وقد حدّثه أحمد الرفاعي شرفي نفسه بهذه القصة"².

ولقبه شرفي، وهو لقب معروف مشهور ببلدية بوحمامة ولاية خنشلة، فكان اسمه الكامل المعروف به: أحمد الرفاعي شرفي.

الفرع الثاني: نسبه.

هو أحمد بن الطيب بن إبراهيم بن محمد بن بلقاسم بن إبراهيم شرفي، من قرية بوحمامة «دوار ملاقو» بلدية بوحمامة حالياً، قبيلة أولاد انصر، وقد كان جده الأعلى: الشيخ بلقاسم بن إبراهيم شرفي من خريجي جامع الزيتونة بتونس بشهادة التطويغ من علماء المنطقة ووجهائها ومصالحها المشهود لهم بالفضل وطيب الذكر - رحمه الله - وطيب ثراه³.

¹ تنسب الطريقة الرفاعية إلى أحمد الرفاعي بن سلطان علي، ويوصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالقرب من أم عبيدة بالعراق 512هـ وتوفي سنة 578هـ ودفن في قرية أم عبيدة. ينظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق، ط2، مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1984م، ص351، قال الذهبي في ترجمة الرفاعي: "الإمام القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، وكان قدم أبوه من بلاد المغرب وسكن البطائح في قرية «أم عبيدة» وهي قرية من قرى واسط بالعراق. ثم توفي وأم أحمد حمل به، ينظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، 307/15.

² أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية أجراها الباحث، بمسجد حمام سيدي يحيى، بمدينة بسكرة يوم 2018/01/14م. في الساعة 13.00.

³ علي مدور، معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحيى لمير شرفي شقيق أحمد الرفاعي، وثيقة غير مطبوعة، ص03.(ملحق 04)

الفرع الثالث: أسرته.

اشتهرت أسرة أحمد الرفاعي شرقي بعديد من الخصال وبالمكانة الرفيعة في المجتمع المحلي، وهي أسرة لها انتماء إلى العلم والوجاهة ويسر الحال، ولد أحمد من أبوين طيبين هما: (الطيب بن إبراهيم شرقي)¹ وأُمًّا والدته فهي - (بزة صفية بنت أحمد)².

كان والده سي الطيب قد تزوج من أربعة نسوة، وولد له من الذكور اثنان فقط وهما الشيخان الجليلان أحمد الرفاعي ويحي أمير، وهما أخوان غير شقيقين، وأُمًّا البنات فعددهن كثير³.

تزوج أحمد الرفاعي شرقي بالسيدة شيبان فطيمة الزهراء بتاريخ 1966/07/18م ببلدية عين البيضاء، بعقد سجل تحت رقم 116 حسب ما هو مدون في شهادة ميلاد المعني⁴. وخلف أحمد الرفاعي ستة من الأولاد: ابنين وأربع بنات.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

الفرع الأول: مولده.

كان ميلاد أحمد الرفاعي شرقي في سنة 1932م ببلدية (بوحمامة)⁵ ولاية خنشلة، غير أنه مسجل بصفة رسمية في مصالح الحالة المدنية من مواليد 1934م ببلدية خنشلة ولاية خنشلة، وهذا حسب شهادة الميلاد التي استخرجنا نسخة منها وهي تحت رقم: 1934/00038م. فقد سئل أحمد الرفاعي شرقي عن تاريخ مولده فقال: "ولدت سنة 1934م ببلدية خنشلة، ولاية خنشلة حسب بطاقة التعريف، وفي 1350هجري المناسبة لـ 1932م ببوحمامة، ولاية خنشلة حسب شهادات الأقارب"⁶.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² شهادة ميلاد أحمد الرفاعي تحت رقم 1934/00028 صادرة عن بلدية سيدي خالد ولاية بسكرة يوم 20/01/2020م. (ملحق 01)

³ علي مدور، مقابلة شخصية شفوية عبر الهاتف، بلدية قايس ولاية خنشلة، بتاريخ 06/01/2020م في الساعة: 10.30.

⁴ شهادة الميلاد، تحت رقم 1934/00028 مرجع سابق.

⁵ بلدية بوحمامة: منطقة جبلية ذات طابع فلاحي تبعد عن ولاية خنشلة بالشرق الجزائري ب حوالي 60 كلم.

⁶ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، الموقع الإلكتروني <https://www.vitamedz.com> تاريخ الزيارة 11.00م في الساعة 2018/02/12.

الفرع الثاني: نشأته.

نشأ أحمد الرفاعي شرفي وترعرع في أسرة عُرف عنها صفات التقوى والثبات والإيمان والصلاح، بيت علم ومعرفة وزهد وتصوّف، اهتمت بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية، وأسرة مجاهدة معروفة في بلدية بوحمامة.

كانت نشأته الأولى في مسقط رأسه بلدية بوحمامة حيث كانت البيئة الاجتماعية حينئذ قاسية، يسودها الفقر والحرمان، ومع ذلك كانت عائلته متميزة بالزهد والفضل، وفي زواياها حفظ القرآن الكريم، حيث كان والده حريصاً جداً على تحفيظه القرآن الكريم وعلى تكوينه تكويناً شرعياً.

وفي شهادة للشيخ علي مدور كتبها عن شقيق الفقيد أحمد شرفي وهو الشيخ يحي أمير شرفي حيث عاش الأخوان أحمد وأمير الظروف والأحوال نفسها يقول فيها: "نشأ في جو مثالي وبيئة فاضلة كما ينشأ أبناء بيوت العلم، وقد عاجله القدر بوفاة والده وهو صغير، فتولى كفالته عمه شقيق أبيه الشيخ الشاذلي بن ابراهيم شرفي، وسهرت على رعايته أمه وتولت أكبر أخواته العناية به وبأخيه سماعة الشيخ أحمد الرفاعي بكل ما يزيل عنهما وحشة اليتيم ومرارة الحرمان من عطف الأب وحنانه، وبهذه الرعاية المتكاملة التي لقيها الأخوان في صغرهما نشأ نشأة سوّية، لأنّ بيتهم أحد البيوت التي حفظت رسم العلم وتوارثته طبقة عن طبقة إلى جيله"¹.

المطلب الثالث: رحلاته في طلب العلم ومؤهلاته.

الفرع الأول: رحلاته في طلب العلم.

بدأ أحمد الرفاعي تعليمه منذ صغره في الكتاتيب، وعلى يد الشيخ علي أعراب القادم من الجنوب وبالضبط من مدينة جامعة بواد سوف. أتم حفظ القرآن الكريم²، كان الطفل أحمد ملازماً لوالده في أغلب أوقاته، وكان والده حريصاً على تربيته وتعليمه.

اشتهرت قرية بوحمامة حينذاك وعلى غرار أغلب بلديات الجزائر بتحفيظ القرآن الكريم في الكتاتيب والجوامع والزوايا، ومن أشهر المعلمين في تلك الفترة في مسقط رأس أحمد الرفاعي وشقيقه الشيخ يحي أمير كان "عمهما الشيخ بلقاسم بن ابراهيم شرفي وابن عمهما محمد الطاهر بن محمد

¹ علي مدور، معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحي لمير شرفي شقيق أحمد الرفاعي، مرجع سابق بتصرف.

² نور الدين شرفي، مكالمة هاتفية أجراها الباحث مع قريب أحمد الرفاعي المقيم ببوحمامة بمنشلة يوم 2019/12/30 في الساعة

الصالح شرفي والشيخ علي بن ابراهيم تماسين¹. "وبالنسبة لابن عمهما الشيخ محمد الطاهر فقد درّس يحيي أمير ولم يُدرّس أحمد الرفاعي فقد كانا في سن واحدة وحفظا القرآن معا"².

عندما أتم حفظ القرآن الكريم، قرّر والده أن يرسله إلى قسنطينة³ لمزاولة الدراسة بمعهد عبد الحميد بن باديس، وقد مكث هناك ست سنوات كاملة بدءاً من سنة 1948م وإلى سنة 1954م يواصل أبو جرة القول عن مسيرة الرجل: "ومّا حدثني به الشيخ شرفي - رحمه الله- أنّ والده كان ينتمي للطريقة الرفاعية، وكان متأثراً جداً بالزهد وبالحركة التي كانت ترى بأنّ سبب تأخر الأمة بُعدها عن الله تعالى وارتقائها في أحضان الدنيا والاهتمام بعالم المادة والأشياء بدلاً من عالم الأفكار، فكان حريصاً أن يجعل ابنه أحمد مولعاً بطلب العلم، ولذلك حاول أن يُحفظه في البداية القرآن الكريم وحرص أن يُرسله لمعهد ابن باديس بقسنطينة ثم إلى تونس لاستكمال دراسته"⁴.

أمّا المرحلة الثالثة في مسيرة الرجل في طلب العلم فكانت رحلته إلى تونس وبالضبط جامع الزيتونة سنة 1954م، ومكث بها سنتين حتى 1956م، تعلّم خلالها المزيد من العلوم الدينية خاصة علوم اللغة العربية وعلوم التفسير والحديث والفقه وعلوم الأصول والمقاصد وغيرها. وبعد وفاة والده كفله عمه الذي كان صارماً على خلاف والده، وكان لا يؤمن كثيراً أنّ العلم يوصل لشيء معين ولا سيما أنّ طريق تعلم العربية والإسلام كان مسدوداً جداً، حيث كان لا يوصل إلى مرتبة تؤهّل الإنسان أن يُحصّل الخبر ويسهل طريق العيش وطريق الرفاه، كان الأمر السائد هو التعليم باللغة الفرنسية والدراسة الرسمية في المدارس الفرنسية. الأمر الذي ترك الشاب الطالب أحمد الرفاعي لما وجد فرصة للذهاب إلى تونس كان لا يعود إلى مسقط رأسه في بوحمامة بولاية خنشلة إلا في العطلة الصيفية، وباقي الشهور يقضيها في طلب العلم في الزيتونة وعند مشايخ الزيتونة وما حولها، ومن البداية كان متأثراً جداً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأنّه وجد آثار ابن باديس لما كان طالباً، وجد آثاره مترددة على ألسنة الطلبة الزيتونيين ومشايخ الزيتونة، كانوا يرون أنّ الطلبة الذين يأتون من الجزائر كلهم عزيمّة وإرادة في تحصيل العلم من أصوله وأن ينكبوا عليه بشكل كبير، وكذلك كان أحمد الرفاعي الذي شكّل خلفية عقديّة ممّا كان يؤمن بجمعية العلماء المسلمين وأضاف إليها المسحة الصوفية للمذهب الذي كان يعتنقه والده

¹ علي مدور، معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحيي لمير شرفي شقيق أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² علي مدور، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ حسن خليفة، أحمد الرفاعي.. مفكّر زاوّه القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل الموقع الإلكتروني، ابن باديس <https://binbadis.net/archives/7631> تاريخ المقال 2018/04/18 تاريخ الزيارة: 2019/01/02 في الساعة 10.30.

⁴ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

وتأثر به هو كذلك وبقي معه طول حياته، ثم بعد ذلك استفاد من منحة إلى العراق ليستكمل هناك دراسته في كلية الآداب ببغداد¹.

ورغبة في الاستزادة في العلوم والمعارف انتقل إلى جمهورية مصر العربية، ودرس في الأزهر الشريف بين 1956م-1957م. ثم في جامعة بغداد (العراق) سنوات 1958م إلى 1961م. واصل دراساته العليا بكلية الآداب جامعة القاهرة سنتي 1961م-1962م، كان طالبا مجتهدا عاكفا على العلم والتعلم في مجالات عدة².

بعد عودته من العراق كان من الأوائل القلائل الذين حصلوا على البكالوريوس باللغة العربية، وهذه المجموعة عانت معاناة كبيرة وشديدة جدا في بداية الاستقلال، لأن اللغة العربية في بداية الاستقلال كانت غريبة كلسان وكلغة، خارج المدرسة كانت مقبولة لكن كتعليم كان يحكي أحمد الرفاعي عن المأساة والمرارة التي كان يلاقيها مع المجموعة القليلة التي عادت من العراق ومن مصر ومن تونس ومن المغرب يحملون شهادات التدريس باللغة العربية، ولا سيما تدريس اللغة العربية بجد ذاتها، لقي عنتا كبيرا في بداية حياته مع بداية الاستقلال. ثم صار أستاذا في ثانوية ابن باديس 1962م في قسنطينة، وذكر أحمد الرفاعي أن أحد رجال جمعية العلماء - وهو الشيخ الطاهر حراث³ - هو الذي حماهم وأعطاهم نفسا جديدا نظرا لمكانته في الدولة واتصالاته بأجهزتها المختلفة وشخصيته القوية. وفي 1974م انتدب إلى معهد الآداب واللغة العربية في قسنطينة ليصبح أستاذا للغة العربية وللأدب القديم والعروض والنقد هذه المواد الأربعة. ثم تخصص في النقد الحديث⁴.

الفرع الثاني: مؤهلاته العلمية.

تحصل أحمد الرفاعي شرقي - رحمه الله - خلال مسيرته الحافلة في طلب العلم، على عدة شهادات ورتب علمية مرموقة، كان يحتل الرتب الأولى والدرجات العليا - حسب ما أفادنا به بعض مقريه - ومن هذه الشهادات:

- حائز على شهادة الأهلية من تونس سنة 1953م.

- شهادة الثانوية العامة (البكالوريا) من الأزهر سنة 1957م.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² ينظر: حسن خليفة مرجع سابق - الصادق سلامية، مرجع سابق

³ الطاهر حراث من مواليد واد سوف سنة 1927م، عاش بين الجزائر وتونس تحصل على عدة شهادات وتقلد عدة مناصب منها مدير ثانوية ابن باديس بقسنطينة وكان عضوا في جمعية العلماء، توفي سنة 1981م بقسنطينة. (ينظر: أحمد بن ذياب - الطاهر حراث كما عرفته - جريدة العصر - العدد 52، الجزائر 1982).

⁴ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

- حائز على شهادة ليسانس في الآداب من جامعة بغداد سنة 1961م.
- حائز على شهادة النجاح للسنّة التمهيديّة للماجستير في الآداب من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة 1962م.
- شهادة الدكتوراه الطور الثالث في الأدب العربي من جامعة الجزائر سنة 1979م¹.

الفرع الثالث: الإنتاج العلمي لأحمد الرفاعي شرفي.

بدأ أحمد الرفاعي شرفي - حسب المقرّبين منه- الكتابة والتدوين متأخراً، فلم يكن في شبابه كثير التدوين، ولم أعرّث أثناء قيامي بإنجاز هذا البحث وعند كتابة المقال المنشور في مجلة المعيار (حول الكتابة الصحفية عند أحمد الرفاعي شرفي) على موضوعات قديمة أو كتب مطبوعة قبل 1989م أي قبل التعددية، ورغم هذا فقد كان أحمد الرفاعي صاحب قلم سيّال كتب الكثير من المقالات عُدت بالمئات، وألّف العشرات من الكتب فاقت الثلاثين كتاباً أكثرها مطبوع.

يقول حسن خليفة في بيان إنتاج وعطاء أحمد الرفاعي المعرفي: "وأما كتاباته قبل ذلك فمما تنوّع بحمله العصبية من أهل القوّة، مبنوثة في كراسات كثيرة وأوراق، منها ما هو بخط يده، ومنها ما هو مرقون على الآلة الكاتبة القديمة، أو مكتوب على الحاسوب، فيها المكتمل، وفيها ما هو مجرد أفكار سريعة وسطور وملاحظات، وكان ذلك شأنه في الكتابة والتدوين الذي هو عادة من عاداته اليومية الجميلة، يخلو فيها إلى قلمه وعقله، في غرفة "مزدحمة" بالكتب والمجلات والجرائد، فيها يكتب ويتدارس، وفيها أيضاً يستقبل زوّاره، في شقة صغيرة ضيّقة جدّاً، في الطابق الأول بحي الدقسي الشعبي بقسنطينة، وذلك بيته الذي يعرفه الجميع منذ عقود من السنين حتى توفّاه الله فيه وخرج منه إلى مثواه الأخير، نعم شقة ضيّقة صغيرة لا تتسع حتّى لكتبه وأوراقه فما بالك أن تسع زوّاره ومحبيه والمترددّين عليه للتذاكر والتفكير والمراجعة وبعض المؤانسة"².

ومنذ منتصف التسعينيات مع اشتداد الأزمة الأمنية التي عرفتها الجزائر، انكفأ أحمد الرفاعي شرفي على نفسه، وابتعد عن الأضواء، ولم يعد يشارك في التظاهرات الفكرية والعلمية، كما لم يعد يكتب في الجرائد والمجلات، حتى نسيه الكثيرون، وظنّ الكثير أنّ الرجل ربما فارق الحياة منذ زمن بعيد. لكن الحقيقة أنّ هذه العزلة التي فرضها أحمد الرفاعي على نفسه، أو فرضت نفسها عليه، بفعل الأحداث التي عاشتها البلاد، وقناعته أنّ صوت الفكر والعقل لم يعد مسموعاً، هذه العزلة كان لها فائدتها وثمراتها،

¹ ينظر: عمار رقية الشرفي، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة <http://shamela-dz.net/?p=633> تاريخ المقال 2017/09/09

تاريخ الزيارة 2019/01/03، في الساعة 20.00، وينظر الصادق سلامية، مرجع سابق، وحسن خليفة مرجع سابق.

² حسن خليفة، مرجع سابق.

فقد جعلت الرجل يتفرغ للكتابة والتأليف والإبداع الفكري، وهيأت له فرصة للتأمل والتفكير العميق في حال الأمة العربية المسلمة، وفي حال الجزائر بصفة خاصة. وقد أثمرت هذه العزلة عددا من المؤلفات والأعمال الفكرية المتميزة التي صدرت لأحمد الرفاعي شرقي في السنوات الأخيرة عن دار الهدى في عين مليلة وبعض دور النشر الأخرى، وهي مؤلفات رائدة في مجالاتها، كتبت بأسلوب بسيط وبلغه سهلة كانت في متناول الجميع، كما كانت تحمل بين طياتها لفتات ونظرات وحقائق ودقائق نفيسة.¹

إنَّ ما خلفه أحمد الرفاعي من رصيد معرفي، هو تراث متميز سواء في المدون في الكتب المطبوعة والمخطوطة، أو المقالات الموثقة في الصحف، وقد كانت موضوعاته متنوعة وخاصة في مجالي تخصصه: الأدب العربي، ومجال الدعوة الذي اشتغل عليه كثيرا، ومن هذه المؤلفات المطبوعة:

1. دراسة علمية عن "الشعر الوطني الجزائري" وهي أطروحته للدكتوراه. الطور الثالث.
2. مقالات الشيخ العربي التبسي (جزآن) طُبع عدة طبعات 1981م-1982م، و 2007م.
3. رسالة المسترشد (تحقيق). مطبوع أكثر من طبعة، مطبعة البعث 1981م، ثم 2006م.
4. رسالة الإمام مالك في السنن، طبعتان.
5. عيوب النفس ومداواتها للسلمي. تحقيق ونشر. مطبوع.
6. مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد (ثلاثة أجزاء). مطبوع أكثر من طبعة.
7. التعريف بالقرآن الكريم. مطبوع دار اسكندر.
8. مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس. لابن عربي: تحقيق ونشر. مطبوع.
9. معالم وخيارات إيمانية. مطبوع.
10. قضايا إسلامية: مراجعات ومناقشات.
11. جراح التاريخ وعاهاته. مطبوع، دار الرجاء للطباعة والنشر والتوزيع.
12. جماعة المسلمين ضمن مقالات وآراء الشيخ أبي يعلي الزواوي (للشيخ أبو يعلي الزواوي). تحقيق وتقديم، مطبوع دار الرجاء للنشر والتوزيع.
13. مقالات وآراء للشيخ الطيب العقبي، مطبوع، دار الهدى للنشر. عين مليلة.
14. مقالات وآراء الإمام مبارك المليبي، مطبوع، دار الهدى للنشر. عين مليلة.
15. مقالات وآراء الشيخ العربي التبسي. مطبوع، دار الهدى. عين مليلة، مع الإشارة إلى أن هذه الكتب الأربعة الأخيرة (10 مجلدات) طبعت بالعربية والفرنسية في إطار عاصمة الثقافة العربية.

¹ مسعود فلوسي، مع التراث الفكري للشيخ أحمد الرفاعي شرقي، الموقع الإلكتروني الشاملة <http://shamela-dz.net/?p=590> تاريخ المقال: 2017/09/08 تاريخ الزيارة: 2018/02/25م في الساعة 10.43

16. الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير: تقديم وتعليق . للشيخ الزاهري. مطبوع.
 17. السيرة النبوية الشريفة: دلالات وعبر، مطبوع.
 18. أوجز السير خير البشر . لابن فارس: تقديم وتعليق، مطبوع.
 19. مقالات الفكرة الإسلامية للشيخ عبد الحميد بن باديس . تقديم وتعليق. مطبوع.
 20. مقالات وآراء الشيخ السعيد الزاهري .
 21. مقالات وآراء الشيخ حمزة بوكوشة.
 22. الشيطان عليه اللعنة: حقيقته، وطبيعته، وظيفته، وأفعاله، مطبوع.
 23. الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات . مطبوع.
 24. التبشير الإبراهيمي حقائق وآراء عن الحركة الإصلاحية
- ومن الكتب المخطوطة وغير المطبوعة¹:

- 01- المدرسة القرآنية الجديدة: نظرات وشذرات ونقد. (وقد تمكنت من الحصول على نسخة منه).
- 02- خطوات في الاتجاه الصحيح. (علمت بوجود نسخة منه عند أهله ونسخة عند المطبعة).
- 03- قضايا إسلامية - مراجعة ومناقشة.
- 04- بنية الفكر.
- 05- الذين بدلوا نعمة الله.
- 06- قضايا وطنية.

وأثناء إنجاز هذا العمل كنت قد علمت من مصادر مختلفة أن أعمالاً أخرى كثيرة، كتبها أحمد الرفاعي شرقي لم يتم نشرها وطباعتها في حياته، وهناك غموض كبير يكتنف مصير تلك المخطوطات، وسبب تأخر طبعتها.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن لأحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق، ص20.

الفرع الرابع: الحياة المهنية لأحمد الرفاعي شرفي.

شغل أحمد الرفاعي شرفي مناصب عدّة مناصب في حياته، تنوّعت بين التعليم الثانوي والجامعي والإدارة والإمامة والصحافة، وكانت مهمة بالنسبة له فقد اتخذها وسائل ومنابر للدعوة إلى الله وقد استغلّ أكثرها أحسن استغلال في الترويج لفكره الدعوي ونشر الدعوة إلى الله، ومن هذه المناصب التي تولى القيام بها:

- 01- في فترة الثورة التحريرية المجيدة كان يمثّل صوت الجزائر في إذاعة العراق، وكان ضمن فريق اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين¹.
- 02- عمل في التدريس بدولة موريتانيا مدة تقارب السنتين، وهذه المعلومة وجدتها عند الأستاذ حسن كاتب فقط دون غيره، حيث أخبرني أنّ أحمد الرفاعي حدّثه بها أكثر من مرّة في سبيل عرض سيرته².
- 03- رتبة أستاذ التعليم الثانوي مدة عشر سنوات من 1962م إلى 1972م.
- 04- مدرّس بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة من 1972م إلى 1987م.
- 05- أستاذ مشارك في تدريس الحديث النبوي الشريف وفقه السيرة في المعهد الوطني للتعليم العالي في الشريعة بولاية باتنة سنة 1996م.
- 06- مدير معهد الحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر من 1987م إلى 1989م.
- 07- رئيس المجلس العلمي لمعهد الآداب بجامعة محمود منتوري بقسنطينة 1989م-1990م³.
ومن النشاطات التطوعية⁴:
- 08- رئيس تحرير مجلة الإرشاد 1989م.
- 09- رئيس المكتب الجهوي لجمعية الإرشاد والإصلاح الوطنية بقسنطينة.
- 10- إمام متطوع ومدرّس بعدّة مساجد منها مسجد الفتح ومسجد أبي أيوب الأنصاري ومسجد حمزة بقسنطينة.
- 11- عضو بالمجلس الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- 12- كاتب صحفي في عدة صحف منها: النور، النبأ، الشروق، البلاد، النور الجديد، البرهان ومجلة الإرشاد.

¹ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

² حسن كاتب، مقابلة شخصية، جامعة محمود منتوري، قسنطينة، بتاريخ 20/04/2018 في الساعة 14.00.

³ الصادق سلامية، حوار صحفي مع أحمد الرفاعي شرفي، مرجع سابق.

⁴ المرجع نفسه.

المبحث الثاني: خصائص بيئة نشأة أحمد الرفاعي شرفي.

مدخل:

من أهم العوامل المؤثرة في الإنسان وتكوينه عناصر البيئة المحيطة به، فالإنسان دائم التفاعل بينه وبين مكونات البيئة التي يعيش فيها تأثراً وتأثيراً، والكاتب والمفكر إنما ينطلق من واقع بيئته فيعبر بقلمه عن فكره الخاص وضمير مجتمعه العام.

إنَّ الأوضاع التي عاشها المسلمون في شتى مناحي الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والتي سبقت عملية الاحتلال التي مسَّت الكثير من البلاد الإسلامية، كانت أوضاعاً متدهورة للغاية، وهي التي سهلت للاستعمار الطريق ومكنت له بسط نفوذه على جسد الأمة المنهك المريض.

وقد عاصر أحمد الرفاعي شرفي أحداثاً بارزة وكثيرة مسَّت مختلف شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية على الصعيد الدولي والعربي، وفي الشأن الوطني الجزائري، كان لتلك الأحداث تداعيات وتغيّرات وإرهاصات على الأمة الإسلامية والشعوب العربية وعلى الجزائر بالخصوص، تلك الأحداث أسهمت أيضاً في رسم توجه أحمد الرفاعي شرفي الفكري الدعوي والنضالي. وكما هو معلوم فكل إنسان ابن بيئته وهي قاعدة أكّدها علماء الاجتماع وصدّقها الواقع، ويُعد المفكر أبرز من تتجسد فيه تلك القاعدة، فهو بالإضافة إلى تأثره بما يحيط به، يتفاعل مع المتغيرات ويحلّل الوقائع ويبحث عن الحلول، وكلّما كان الموضوع يمسّ ذاته أو ما يحيط به عن قرب كان التفاعل أكثر والتجاوب أسرع.

"فالعصر الذي يولد فيه الإنسان والعالم الذي يعاصره، والمجتمع الإنساني الذي يعيش فيه، هو كالنهر الجاري تتصل كل موجة فيه بالموجة الأخرى، وتتسق معها، فلا يمكن أن يبقى بلد - مهما كان بعيداً نائياً يعيش في عزلة عن سائر العالم - غير متأثر بالأحداث الخطيرة والثورات العظيمة والقوى المتحاربة، والحركات المؤثرة القويّة، التي تجري في بلدان العالم الأخرى، لاسيما إذا كان مركز هذه الأحداث والوقائع والثورات والتطورات بلداً يشاركه في العقيدة والمذهب والمشرب ويجاروه في المكان"¹. وهكذا كان أحمد الرفاعي شرفي متأثراً بواقعه، وقد تشكلت الكثير من فكره انطلاقاً من ظروف حياته التي أحاطت به طوال مسيرته.

¹ أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام الإمام السرهندي، ج 3، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1994م، ص18.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

شهد عصر أحمد الرفاعي شرفي أحداثا كثيرة كان عنوانها الأبرز توالي النكبات على الأمة الإسلامية عامة، وكان للشعب الجزائري منها نصيب بالخصوص، فبعد قوّة وتمكين للأمة الإسلامية دام فيه عزّها ومجدها قرونا وساد سلطانها على كثير من بقاع الأرض، كان فيه العزّ والتمكين والسؤدد للمسلمين، بعد كلّ ذلك استطاع الصليبيون بعد محاولات متكررة من السيطرة على أجزاء مهمة من جسم العالم الإسلامي، وقد كان ذلك سببا مباشرا في فتح الطريق أمام قوافل المستشرقين والمنصرين في معرفة البلدان الإسلامية من الداخل تمهيدا لبدء حملات الاستعمار اللاحقة.

لقد كان للمستشرقين دور كبير في التمهيد لاختطاف الأمة الإسلامية وذلك عن طريق الدراسات المستفيضة للشعوب الإسلامية والعربية عن قرب من خلال الرحلات والبعثات المنظمة، لتتوالى الأحداث العظام وتبدأ الأمة تفقد أعضائها شيئا فشيئا ويتشتت كيانها وبمرض جسدها وتخور قواها. "فالمستشرقون هم الوجه الحقيقي الثقافي للمدرسة الاستعمارية، مدرسة ذبح الشعوب وتدمير الحضارات وزرع التخلف"¹.

وقد سبق ميلاد أحمد الرفاعي شرفي أحداث بارزة كان لها الأثر العظيم على الأمة الإسلامية وعلى الجزائر، وفيما بعد أيضا كان لها تأثير على فكره وتوجهه الإصلاحية، ومن أبرز تلك الأحداث الحرب العالمية الأولى والتي استمرت أحداثها أربع سنوات كاملة (من 1914م إلى 1918م).

وبعد هذا الحدث العالمي البارز والذي خاضته معظم دول أوروبا، بالإضافة إلى روسيا، والولايات المتحدة، والشرق الأوسط، ومناطق أخرى ومست آثاره معظم دول العالم وخلف ما لا يقل عن عشرة ملايين ضحية، بعد ذلك بفترة وجيزة أسقطت الخلافة الإسلامية، حيث أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية في 03 مارس 1924م. وتمّ إزاحة السلطان عبد الحميد الثاني كآخر خليفة للمسلمين، ولأول مرّة يصبح المسلمون بلا خليفة منذ عهد الخليفة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وتشتت المسلمون بعدها إلى شعوب متناثرة ودويلات متفرقة.

أعقب سقوط الخلافة الإسلامية تمزّق العالم الإسلامي وتناثر أجزائه بعدما كانت كتلة واحدة، وتابع المجرمون خطتهم التي أسقطوا بها الخلافة لأول مرّة في تاريخ المسلمين، ليمارسوها في كلّ بلد، واستخدموا جميع الوسائل والأساليب المتابعة محاربة الإسلام الذي كان اللحم الجامعة للشعوب والقبائل المختلفة، فمحاربة الإسلام وتصفيته هي قضيتهم الأولى وهمهم الأكبر، ويُسخّرون لأجل ذلك إمكاناتهم

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لحي الدين بن عربي، د ط، دار الهدى عين مليلة، - الجزائر، 2009، ص13.

كلّهما، وهي القضية التي يلتقون عليها مهما اختلفوا على الغنائم وامتدت المأساة والفواجع حتى اليوم، وما زالت ممتدة في كل بلد مسلم، مشكلات آخذة بالازدياد¹.

ومع حلول سنة 1930م كان الاستعمار الفرنسي قد أكمل القرن من الزمن من احتلاله للجزائر باسطة نفوذه على جميع شؤون الحياة للشعب الجزائري "فاحتفل الاستعمار بمرور مائة عام على احتلال الجزائر سنة 1930م، حيث امتدت هذه الاحتفالات مدة ستة أشهر من جانفي إلى جويلية، صاحبها حملة إعلامية من خلال مقالات استفزازية تتحدث عن عظم فرنسا، وقوة حضارتها التي فهرت الشعوب البربرية، إضافة إلى حديثها عن انتصار المسيحية على الإسلام"².

وفي مشاهد استفزازية بالغة جرت احتفالات المستعمرين بمناسبة مرور مائة (100) سنة على احتلالهم أرض الجزائر، والغرض من ذلك تحطيم ما تبقى من مشاعر الجزائريين وكسر حواظره في مشهد استفزازي مقيت، الأمر الذي سبّب شرارة قويّة ولدت عزيمة متجددة للتحرر من نير المستعمر الغاشم، وقد حاول الجزائريون عقب ذلك وعبر حملات فردية وجماعية التصدي للواقع الرهيب الذي فرض عليهم من طرف الإدارة الاستعمارية من خلال مقاومات شعبية متعددة ومتنوعة عبر التراب الجزائري.

كانت فرنسا تحكم الجزائر حكما مباشرا في النواحي كلّها حتى الجانب الديني والتعبدي، فكان الاشراف الديني على المساجد والقضاء والمدارس والمعاهد من حق رجال فرنسيين مستشرقين، فهم الذين يعينون القضاة والأئمة والخطباء والمعلمين، وكان أغلبية هؤلاء الجزائريين الموظفين ممن يوالون الاستعمار ويخدمون مصالحه وبثت الخلاف بين البربر والعرب، وأولت البربر عناية خاصة لفرنستهم وتنصيرهم وأفسحت المجال للمبشرين، وبذلت كل ما في وسعها من أجل قطع الصلة بين الشعب الجزائري وإخوانه في الشرق العربي وضيقت سبل الرزق على الفرد الجزائري، واستولت على الأوقاف الإسلامية التي كانت تغذي المساجد والمدارس، وحرابت من يعلم الناس العربية أو العلوم الشرعية العملية والتاريخ والجغرافيا، ومنعت الصحف والمجلات والاتصالات بين مدينة وأخرى، وكانت تتخذ أحيانا الترغيب كوسيلة، فمن انسلخ من دينه ولغته وشخصيته فله المنصب والمال والمكانة العالية ومن حافظ على دينه وشخصيته فهو محروم، وتارة أخرى تستعطي الترهيب أو هما معا³.

¹ عدنان النحوي، ملحة التاريخ قيام الدول الإسلامية وسقوطها، ط1، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، سنة 2006، ص157.

² عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931، 1945)، د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م. ص87/86

³ ينظر: عامر علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1994م ص14.

استطاع المستعمرون وبقوة الحديد والنّار بسط نفوذهم على كامل التراب الجزائري، وقد مكّن حُكام الجزائر من الفرنسيين للمعمرين واليهود من استغلال خيرات الجزائر والتنعم بها، فيما بقيّ الجزائريون غرباء في وطنهم عاجزين عن تأمين معيشتهم بعدما استولى اليهود على أغلب السوق والتجارة، وكانت لهم الكلمة وهم المقربون من السلطات الفرنسية.

لقد كان اليهود إذن يؤثرون في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائر، وقد أصبحوا هم الذين يحتكرون التجارة المحلية الأهلية في التعامل مع الفرنسيين، كما أنّ علاقتهم بالسلطات الفرنسية كانت قوية، وكانوا مستعدين للاندماج في المجتمع الأوروبي الخليط قصد استغلاله واجتئاء الأرباح منه ماديا ومعنويا، وهذا بفضل دخولهم في جمعيات الفرنسيين المدنية والعلمية، وتأثيرهم عن طريق الكتابة والمحاضرة في توجيه الحياة الفكرية والسياسية لصالحهم إضافة الى الرابطة التي كانت تجمعهم مع السلطات الفرنسية من تفاهم وحتى تحابب¹.

كما استطاعت فرنسا الاستعمارية إلى حد كبير الإساءة للحياة الثقافية للمجتمع الجزائري، وأن تصادر اقتصاده، وتقطع صلته بعالمه العربي والإسلامي، وبالمحمل تُلغي دولته. يقول أحمد الرفاعي شرفي عن المرحلة الاستعمارية المظلمة من تاريخ الجزائر: "إنّ الإدارة الاستعمارية الفرنسية ومنذ المرحلة الأولى للاحتلال، عمدت إلى إيجاد جملة من الفراغات المتعددة والمتنوعة في:

- 01- إلغاء الدولة الجزائرية بكل رموزها وجوانبها المادية والمعنوية.
- 02- تفكيك الكيان الجزائري الوطني وإدماج الجزائر في الكيان الفرنسي الاستعماري.
- 03- مصادرة الاقتصاد الوطني واعتباره غنيمة حربية.
- 04- تحطيم الحياة الثقافية بتغيير لغة المجتمع الجزائري العربية واستبدالها بلغة المستعمر.
- 05- إلغاء الموروث الحضاري والتاريخي للشعب الجزائري المتمثل في الفترة الإسلامية من تاريخه.
- 06- قطع علاقاته بالمجتمعات والشعوب الإسلامية عامة العربية خاصة، ربطه بعلاقة تبعية وبالمستعمر الفرنسي خاصة².

وقد انعكست تلك القرارات السابقة وغيرها وجملة الأهداف المسطرة، بصورة سلبية على الإنسان الجزائري مع مرور الوقت جعلته يتحول عمليا وواقعا من إنسان حرّ أصيل معروف بالشهامة والبطولة له قيمته وحقوقه ووظائفه وهدفه الإنساني ومشروعه الحضاري، في إطار مجتمعه ودولته الوطني انتمائته

¹ ينظر: ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992م، ص 374.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، آثار الفترة الاستعمارية وحقوق الجزائر على فرنسا، جريدة النور الجديد، عدد 02، تاريخ 17 فيفري 2001م، قسنطينة، الجزائر، ص 06.

حضاري، تحوّل إلى إنسان مستعمر مقهور لا قيمته له ولا حقوق، ولا وظيفة ولا هدف ولا انتماء وكأنّه عدم، هو مجرد رقم في ضيعة معمر أو مؤسسة مستعمر¹.

هذه الأوضاع المأسوية سببت ورسمت الحزن على وجوه الجزائريين "وقد استحكمت في الناس اليأس وفشت بينهم الفرقة والفقر والأمراض واللامبالاة والجهل والمعاصي وشتى أنواع الانحراف، ووجدت الطرقية في هذا حقلاً خصبا للتوسّع والانتشار فتغلّغت إلى كل بلد وحي وبيت وأسرة، ولم يكذب ينجو من مسها أحد فزادت من تخدير الناس وأمانتهم وأصبح الذي له قلب إمّا يموت همّاً وغمّاً أو يهاجر إلى الشرق"².

وليس المقصود هنا الطرقية عامة أو الصوفية المعتدلة، بل تلك المجموعات التي بالغت في التبرك بالأضرحة والكثير من الطقوس الشركية من ذبح لغير الله بناء القباب والدعوة للرضى بواقع المستعمر فهذا في نظرهم من لوازم التسليم بالقضاء، وهؤلاء من حاربهم ابن باديس³ وجمعية العلماء عموماً.

وفي هذه الأثناء ولد أحمد الرفاعي شرفي 1932م، أي بعد مرور قرن من احتلال الجزائر في أوضاع كانت تزداد سوءاً واحتقاناً يوماً بعد آخر، وكان أخطر ما يهدد الجزائريين من السياسة الاستعمارية القرارات والإجراءات التعسفية التي تطل الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

ولما سكن الاستعمار مع المسلمين في دارهم وأصبح لا يخفى عليه شيء من شؤون حياتهم تمكّن أكثر من تنفيذ مخططاته عليهم لسلبهم من دينهم، وكان ممّا قام به للوصول إلى هذه الغاية⁴:

01- محاربة العلم الشرعي واللساني بأن منع التعليم أو الاستهزاء به وأهله والتحريض عليه بدعوى إصلاحه.

02- تقويض كل جهة تريد الإصلاح وعرقلتها.

03- السيطرة على الحكم بصفة عامة وخاصة الإعلام والثقافة والتعليم مما يؤثّر على هويّة الأمة وإن منح الاستقلال الشكلي.

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص 64.

³ عبد الحميد بن باديس (1889-1940م) من رواد الحركة الإصلاحية والعلمية بالجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

سنة 1931م، لقب بألقاب عديدة فهو المصلح الثوري، والشاعر الصحفي، والعالم المفسر، والمعلم المرابي، والكاتب السياسي.

⁴ ينظر: عامر علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، مرجع سابق،

ص 03.

04- محاربة كل ما من شأنه أن ينهض بالمسلمين مثل: تصحيح العقيدة والدعوة للرابطة الإسلامية والجهاد في سبيل الله، الأخلاق الإسلامية، الحكم بما أنزل الله، وأن عقيدة الإسلام دين ودولة وبصفة عامة حارب كل ما يمت للإسلام الصحيح بصلة.

05- وفي المقابل شجّع بل وناضل نضالاً مستميتاً على نشر وبث الأفكار الهدامة مثل القومية، الإقليمية والعرقية والإباحية والتحلل من أحكام الدين باسم الحرية والديمقراطية والتقدم والتحضر، نبد الحكم بالشرعية باسم الديمقراطية والحياة الدستورية، الدعوة إلى الأخوة الإنسانية والتسامح بين الأديان، حرية المرأة والمساواة بينها وبين الرجل، الاشتراكية وغيرها من آلاف الدعوات المعادية للإسلام والتي تدخل في الخطة الطويلة والعريضة التي رسمها الأعداء لمحاربة هذا الدين وتشويه حقائقه وطمس معالمه¹.

والمتمثل في تلك الفترة -التي تميّزت بمرور قرن على احتلال الجزائر- وهي الفترة التي ولد فيها أحمد الرفاعي شرفي، يُدرك تماماً الخطر الذي كان يهدد مصير الأمة الجزائرية بسبب ما لحق دينها ولغتها ووحدتها، وقد وصف أحمد الرفاعي الجزائر في هذه الفترة وكأنّها شقيقة الأندلس في الضياع، إلا أنّ إرهابات كثيرة ظهرت تبشر بالخير وبالغد الأفضل خاصة مع ميلاد جمعية العلماء وتنظيم المؤتمر الإسلامي.

إنّ الذي ينبغي أن يعرفه القارئ هو أنّ الجزائر في عقد الثلاثينيات كانت في نظر عامة المسلمين والمراقبين للشؤون السياسية، شقيقة الأندلس في الضياع إلى غير عودة، حيث لا تذكر إلا في السياق التاريخي باعتبارها كانت وطناً إسلامياً قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وذلك ما يجعل أحداث عقد الثلاثينيات مفاجأة غير متوقعة خاصة وأنّ الفرنسيين المحتلين احتفلوا بكثير من الاستفزاز والاستعلاء، بمرور قرن على احتلالهم للجزائر، فجاء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهة، وصدور كتاب: جماعة المسلمين لأبي يعلى الزواوي من جهة أخرى، ثمّ مقالات: الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ثمّ انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م².

جاء كلّ ذلك يشير إلى أنّ الجزائر لم تمت، ولن تموت، وأنّ المستعمرين يعيشون في وهم كبير حيث أنّ الأحداث السابقة في مجملها وملاساتها تشير إلى أنّ الجزائر سيكون لها شأن كبير في التاريخ العربي الإسلامي المعاصر، وهذا ما أكّده ثورة نوفمبر 1954م والحمد لله؛ ذلك أنّ الأحداث السابقة

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 04.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الهدى للطباعة والنشر، د. ط، عين مليلة، الجزائر، 2006م

تدل بوضوح على ظهور جديد إسلامي وطني غير تقليدي يتمثل في مفاهيم جديدة برزت في الساحة الثقافية والفكرية الوطنية ستؤدي حتما إلى مواقف وممارسات ستغير حتما من واقع الجزائر الاستعماري وستفيدها، وهو ما تحقق ميدانيا.¹

أحداث ووقائع كثيرة واكبت فترة ميلاد أحمد الرفاعي وفي حياته على وجع العموم، وفيما يلي تلخيص لأهم تلك الأحداث:

أ- على الصعيد الدولي: شهدت الساحة الدولية جملة تحولات وأحداث أبرزها:

- سقوط الخلافة الإسلامية وتقسيم جسم الأمة إلى أعضاء متناثرة، ووضع حدود بين شعوب الأمة الواحدة.

- مواصلة حركة الاستعمار والاستيلاء على معظم البلدان العربية والإسلامية والإفريقية.

- اشتداد العداء والصراع بين الدول القوية وما أثر به ذلك على الشعوب المقهورة والمحتلة.

- نشوب الحرب العالمية الثانية (1939م-1945م).

- بداية نكبة فلسطين: وكان ذلك بعد الوعد المشؤوم (وعد اللورد بلفور البريطاني) والذي ينص على منح اليهود وطن يخصّ بهم في فلسطين وكان ذلك من مخلفات الحرب العالمية الأولى حيث نالت بريطانيا تصريحاً من عصبة الأمم بالانتداب البريطاني على فلسطين سنة 1920م، وبعد أقل من ثلاثة عقود تحقق الوعد وكان لليهود ما أرادوه سنة 1948م.

- تمدد جماعة الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان وتكوين نواة للصحة الإسلامية الحديثة.

- بروز تيار الصحة الإسلامية وعلان الثورة الإسلامية في إيران 1978م.

- سقوط المعسكر الشرقي وانحيار الاتحاد السوفياتي 1988م.

- حرب الخليج الأولى والثانية وسقوط بغداد.

- أحداث أمريكا وبدء ماسميّ (الحرب على الإرهاب) 2001م وما بعدها.

- أحداث الربيع العربي بداية من 2011م.

ب- على الصعيد الوطني:

- لعلّ الحدث الأبرز الذي سبق ميلاد أحمد الرفاعي شرفي بسنة واحدة ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (سنة 1931م).

- انعقاد المؤتمر الإسلامي 1936 م.

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها..

- أحداث 8 ماي 1945م.
- الثورة التحريرية الكبرى 1954م والاستقلال المبارك 1962م.
- الأزمة السياسية بعد الاستقلال (الانقلاب على أحمد بن بلة 1965م، وفاة بومدين 1978م).
- النظام الاشتراكي وتداعياته.
- أحداث أكتوبر 1988م وفتح التعددية الحزبية.
- الانتخابات البلدية الأولى في ظل التعددية 1990م، ثم التشريعية 1991م، والتي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ثم توقيف المسار الديمقراطي وتجميد الانتخابات واستقالة الرئيس الشاذلي بن جديد وما تلاها من أحداث (مثل اغتيال محمد بوضياف 1992م).
- الأزمة الأمنية (1991م- 2001م) وما سميَّ بالعيشية السوداء وما خلّفته من دماء ودموع غزيرة، ومبادرات المصالحة الوطنية والوثام المدني.
- وبالنسبة للوضع بعد الاستقلال فقد كانت الدولة تفرض قبضتها على الساحة السياسية وكانت الكلمة الأولى والأخيرة للحزب الواحد حينئذ (جبهة التحرير الوطني) ومعه كان القمع والتسلط والقبضة الحديدية حيث فرض النظام الاشتراكي، وطبقت الكثير من القوانين المستوردة، ومنعت المعارضة من إبداء رأيها فكانت تعمل في السرية وكانت الاعتقالات تطال السياسيين المعارضين، كما كان الإعلام محتكرا من طرف السلطات ونفس الأمر بالنسبة للنقابات والجمعيات.
- ومع التفتح السياسي والإعلامي وفي ظل غياب الوعي والتّضج السياسي، تشابه الأمر فما تعاني منه السلطة تعاني منه الساحة السياسية أيضا، يتمثل ذلك في أزمات القيادات الحزبية: جبهة التحرير، التجمع الوطني الديمقراطي، بالإضافة إلى ما عرفته بعض الأحزاب من انقسامات أو تقسيم مثل حماس، والنهضة، وجبهة القوى الاشتراكية وغيرها، فلم يسلم حزب ولا منظمة إلا وانقسمت على نفسها، وأصبحت المعارضة تعارض بعضها أو تعارض نفسها والوضع نفسه تعاني منه النقابات والحركات الاجتماعية وكلّ ذلك يدل على أنّ المجتمع الجزائري يعاني من أزمات عديدة خانقة وخطيرة ومتزايدة، وأثرها يتجاوز كلّ وسائل السلطة وأدواتها القانونية وغيرها، ويتجاوز في الوقت نفسه الأحزاب مجتمعة ومنفردة¹.

إنّ الحالة السياسية التي واكبت حياة أحمد الرفاعي شرفي وتلك التي عاش أحداثها، لم تكن يسيرة ولا هيّنة، بل كانت أحداثا عظيمة وبالغة الأهمية، أثّرت في الأمة الإسلامية أيّما تأثير، وكذلك كانت

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، قبل فوات الآوان، كتاب: آلام في الدعوة والصحو، ط1، مؤسسة الرجاء للنشر قسنطينة، 2018،

أحداثها وتداعياتها بارزة الأثر في فكر الرجل وتوجهه الدعوي، وقد عبّر بلسانه وقلمه من خلال خطبه ومقالاته وكتبه عن الأحوال والأوضاع التي مرّت بها الأمة الإسلامية، محملاً ومفسراً لها ومستقرناً للتاريخ وجراحاته، ومنظراً للحلول ومستشرفاً للمستقبل وموضّحاً لأسباب الارتقاء والصعود.

المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية.

عاش الشعب الجزائري في الفترة الأولى من بداية القرن التاسع عشر ظروفاً اقتصادية جد متدهورة، ولم يكن للجزائر أيُّ سيادة على ممتلكاتها، فقد كان يسيطر عليها المستعمر الفرنسي، وقُسمت الكثير من الأملاك على المعمّرين الذين حوّلوا أكثرها لزراعة الكروم لاستغلالها في صناعة الخمر وأنواع النبيذ، كما أنّ سياسية مصادرة الأراضي أثّرت سلباً على تربية المواشي خاصة الأبقار ومختلف الأنعام، حيث لم يعد هناك مصادر لتغديتها وقد تعرّض الكثير منها للنفوق والهلاك، وبقيت ففة من الجزائريين ممن يقيم قرب السواحل يقتات على اصطياد الأسماك وفئات أخرى تستعين بالتجارة رغم التضيق المستمر من الحكام الفرنسيين.

وصف أحمد الرفاعي شرقي حالة الاقتصاد في تلك الفترة وكيف أنّ الجزائر من بداية الاحتلال سنة 1830م خسرت في وقت واحد الدولة والاقتصاد، فاستعاض عن الدولة الجزائرية بالإدارة الاستعمارية، و استعاض عن الاقتصاد الوطني بالنظام الربوي الاستغلالي¹.

وحول السياسة الاستعمارية في نهب الأراضي من ملاكها يقول محمد العربي الزبيري: "لقد كانت معظم الأراضي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ملكاً لمشاعاً للأعراش التي كانت تستثمرها جماعياً لتحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي، وتصدير الفائض من الإنتاج إلى المشرق وإفريقيا السمراء وإلى بلاد جنوب أوربا على وجه الخصوص، ثمّ جاءت قرارات القادة العسكريين الفرنسيين ومراسيم السلطات الاستعمارية، فأباححت اغتصاب تلك الأراضي بسبب مشاركة أصحابها في الانتفاضات الشعبية المختلفة، وتسليمها بالجمان إلى المعمّرين الأوروبيين. وبفعل عمليات الاغتصاب تلك تحول الفلاحون الجزائريون الذين كانوا قبل الاحتلال يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان، إلى مجرد خماسين أو أجراء موسميّين أو إلى أناس عاطلين تماماً عن العمل يعيشون من التسوّل أو يقتاتون من الأعشاب والنباتات التي تجود بها الطبيعة².

وكم هو قاس أن يتحول صاحب الأرض إلى عامل عند الغير أو متسولاً عند من نهب أرضه وانتهك عرضه واحتل وطنه وشرّد شعبه.

¹ ينظر: المرجع السابق، ص226.

² ينظر: محمد العربي زبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة 1999، ص17.

وفيما يخصّ الصناعة فلم يكن للجزائريين مصانع تذكر، رغم بداية تطوّر وانتشار الآلات والمكينات على المستوى العالمي في تلك الفترة، إلا أنّ الجزائر لم تكن تملك إرادتها، وكان الفرنسيون يقيمون مصانع هنا وهناك في ربوع الجزائر إلا أنّها توظّف من العمال المعمرين في الغالب، وتوجه عائداً لخدمة الاقتصاد الفرنسي معتمدة على خيارات الجزائر المتنوعة في شتى المجالات. وفيما يخصّ الجانب الجزائري الصّرف فقد كانت الصناعة الحاضرة في تلك الفترة هي الصناعة التقليدية فقط سواء في مجال الألبسة من صناعات النسيج والجلود وما تعلق بها من ألبسة وزيابي أفرشة أو الصناعات الغذائية المختلفة.

وتوضيحا للوضع الاقتصادي والتجاري المزري في فترة الاستعمار الفرنسي كتب الزبير ي يقول: "وبقدر ما أنّك الاستعمار صناعتنا، قبل أن يقضي عليها، فإنّه حنق التجارة الخارجية التي كانت هي الأخرى، مزدهرة قبل الغزو الفرنسي. قد يبدو أنّ قولنا هذا مجرد إدعاء ولكن المصادر على اختلاف لغاتها تثبت بأنّ الجزائر قبل الاحتلال كانت تقيم علاقات تجارية مكثّفة مع افريقيا جنوب الصحراء، ومع البلاد العربية وأوروبا الغربية خاصة، وبأنّ تجارتها تلك كانت مخططة وتدر على البلاد أرباحا كثيرة، تستثمر في سائر الميادين، ثمّ جاءت آفة الاستعمار، وما كادت تمرّ السنوات الأولى من الغزو حتى أصبح ميزان التجارة الخارجية الجزائرية خاسرا لأنّ كل عمليات التصدير والتوريد صارت مقصورة على فرنسا¹.

وأمام هذا الوضع البائس بقي الشعب الجزائري يعيش بالحد الأدنى من الزراعة التقليدية وتربية المواشي والرعي وبعض أنواع التجارة، أو العمل داخل الوطن أو خارجه بأجور زهيدة لا تفي بحاجياته. بعد الاستقلال خرجت الجزائر بغير اقتصاد، أي استقلال سياسي بلا استقلال اقتصادي فبقيت فرنسا تتحكم في البترول الجزائري إلى غاية تأميم المحروقات في 24 فبراير 1971م، وما تركته من مصانع الكثير منها تعطلّ وما بقيّ لم يكن ليكفي الشعب الجزائري، فكانت الهجرة إلى الخارج قوية مطلع الاستقلال وبقيّ كثيرون يعتمدون على وسائلهم التقليدية لاستجلاب الرزق.

اعتمد النظام الجزائري الجديد للجزائر المستقلة الأولى النظام الاشتراكي وقد حذّر منه العلماء والدعاة من أمثال الشيخ البشير الابراهيمي ولم تكن نتائجه فيما بعد حسنة للأمة الجزائرية، ورغم ذلك فقد شيّدت الدولة مبانٍ ومصانع ومدارس وجامعات وهيكل مختلفة عرفت فيها الجزائر نهضة نمووية محدودة، ورغم المداخيل المتنوعة للاقتصاد الجزائري إلا أنّ سوء التسيير كان العائق الأكبر للتطوّر والتقدّم، ومع تراكمات عدة بدأ الاقتصاد الوطني الجزائري يعيش تراجعاً مريباً وتراكمات الديون الخارجية

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 20.

عن الجزائر وأصبح الملجأ السهل لأنظمة الحكم المتعاقبة لسنوات عدة الاقتراض من صندوق النقد الدولي، ومن بعض الدول الأوروبية والأمريكية، تلك القروض بفوائد معلومة، وحتى بعد ارتفاع محسوس لأسعار البترول تأخر حلُّ الأزمة المالية لأسباب سداد الديون وبالأحرى فوائد تلك الديون المرهقة. في هذه الأثناء، بدأ التملل في أوساط الجزائريين، يصف أحمد الرفاعي شرقي الوضع القائم بالقول: "وأما الجانب الاقتصادي فيلاحظ الدارس التناقض الصارخ بين مديونية المواطنين وما جرته عليه من ويلات التبعية الاقتصادية والتدخل في الشؤون الداخلية في إطار نظام إعادة الجدولة، وبين استثمارات المستثمرين أفرادا ومؤسسات وأنظمة في الدولة الأكثر تصنيعا، بحيث تزيد قيمة الاستثمارات والودائع عن قيمة الديون بكثير، مما يجعل ودائع المودعين واستثماراتهم خارج السوق الإسلامية أرباحا صافية للقوى المالية الأجنبية بدون تكاليف"¹.

هذا الحال سبب تفاقم نسب الفقر بين الجزائريين وشكل أزمة حقيقية "حيث بدأت إثر الانعكاسات السلبية التي أفرزت الأزمة الاقتصادية على المجتمع الجزائري وبالأخص بعد توجه رئيس الجمهورية إلى تطبيق نظام اقتصادي جديد والقائم على اللامركزية مقابل ما كان معتمدا (بشأن الاقتصاد الموجه المبني على التخطيط، وعليه فقد ارتفعت نسبة الفقر بشكل كبير ابتداء) من عام 1987م، وبلغت نسبة الفقر سنة 1988م 5.2 مليون أو ما يعادل 2.17 % من السكان يعيشون تحت الحد الأدنى للعيش والمقدر بـ 368.10 دينار جزائري أو ما يعادل دولار أمريكي واحد سنويا للفرد الواحد"².

هذه التبعات وغيرها عجّلت بخروج الشعب بقوة، مطالبا بتحسين الأوضاع وحدثت أحداث جسام عرفت فيما بعد (بأحداث 05 أكتوبر 1988م) وفي الفترة نفسها تمّ الإعلان عن انهيار المعسكر الاشتراكي، يصف أحمد الرفاعي شرقي واقع الاقتصاد الجزائري بعد الاستقلال بأنه كان منقوصا أو تابعا مقلدا، وأنّ التحرير الكامل يكون في جميع المجالات بما فيها تحرير الاقتصاد من كل تبعية، يضيف أحمد الرفاعي: "وقد كان من أهداف ثورة نوفمبر 1954م تحرير البلاد، ببعث دولة جزائرية تبني سياسة وطنية بالمفهوم السابق للوطنية، وبعث اقتصاد وطني تحكّمه قيمّ الوطن وثوابته العقدية والفكرية والأخلاقية، لكن الذي حدث في ميدان مؤسسة الحكم من استيراد النظام الاشتراكي، انعكس على الحياة الاقتصادية، فظهرت شعارات التأميم والقطاع العام والقطاع الخاص، ومنذ ذلك الحين تبلور

¹ أحمد الرفاعي شرقي، هل الأصولية خطر على الانسانية، النور الجديد العدد الثاني فيفري، 2001 فسنطينة، الجزائر، ص16.

² فيروز حنيش، "إشكالية المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الجزائر (1989-2005) مذكرة ماجستير : تنظيمات سياسية وإدارية جامعة الجزائر : العلوم السياسية والعلاقات الدولية : 2008، ص102.

نوع من الاقتصاد: اقتصاد الدولة، وهو من حيث المبدأ ملكية عامة لجميع المواطنين، ولكنه من حيث الواقع في حالات عديدة إقطاعية خاصة لكبار المسؤولين والمنفذين، فلهم وحدهم الامتيازات والخيرات، ولمن لا جاه لهم ولا مال وهم عامة المواطنين الغرم والتضحيات. وفي هذا السياق ظهرت الثورة الزراعية لحاجة النظام إليها، والتهمت مئات الملايين من الدنانير دون أية مردودية على أيّ صعيد، وكلّ ذلك على حساب إهمال قطاعات حيوية وأساسية لحياتنا ومستقبلنا¹.

ونظرا لتلك السياسات المنتهجة تحوّل القطاع العام بالمواصفات السابقة في الغالب إلى قطاع خاص بكبار موظفي الدولة والحزب، ظهر القطاع الخاص ونما في وضع غير واضح ولا مستقر، إذ اعتبر تارة نقيضا للقطاع العام، وتارة أخرى حليفا له، وفي ظلّ هذا الغموض المفتعل تسللت مصالح كبار المسؤولين إلى القطاع الخاص تحميه وتدافع عنه بوسائل متعددة، إلى أن يصبح قوة اقتصادية وسياسية لا تملك الدولة، إلا أن تتعامل معه كواقع حقيقي بغض النظر عن قيمه الخاصة، وهي في الغالب قيم الأنانية والجشع والرغبة في الثراء السريع ولو على حساب المواطنين والوطن، ممّا جعل القطاع الخاص بدوره ينفصل عن القيم الوطنية ولا يخدمها بواقعه الحالي، وذلك ما جعل المواطن يتساءل من حين لآخر: هل لدينا اقتصاد وطني؟؟ إنّ الاقتصاد شأنه شأن الثقافة والسياسة لا يكون وطنيا إلا إذا قام على القيم الوطنية العقيدية والفكرية والأخلاقية، ممّا يجعله حقا اقتصادا يرتبط بالمصلحة الوطنية ممثلة في المجتمع وأوضاعه وحاجاته العاجلة والمستقبلية، وليس مرتبطا بالدولة أو الفرد².

لقد تدهور وضع الجزائر الاقتصادي بشكل خطير في العشرية الأخيرة من القرن الماضي، وصف عبد الحميد الإبراهيمي³ وزير الخارجية الأسبق الأمر بالخطير، وأعطى احصائيات دقيقة من ذلك⁴:

- هبوط الناتج الداخلي الخام للفرد بصورة مأساوية من 2500 دولار سنويا في العام 1990م إلى 1376 دولار في العام 1997، وبلغ 1661 دولارا في عام 1998م.
- يتجلى تهميش الزراعة المتواصل بزيادة الواردات من المنتجات الزراعية الغذائية إلى حد أنها كلفت البلد حوالي ثلاثة مليارات دولار في العام 1998م.
- في العامين 1997م/ 1998م اشتغل القطاع الصناعي العام والخاص، ما عدا المحروقات، بأقل من معدل 20 بالمئة من قدرته الفعلية.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، وطن الجميع، كتاب: ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص228.

² ينظر: المرجع السابق، ص226.

³ عبد الحميد إبراهيمي سياسي ورئيس حكومة سابق، من مواليد 1936 بمدينة قسنطينة، تقلد منصب رئيس الحكومة الجزائرية من سنة 1984 إلى 1988 أي في فترة حكم الشاذلي بن جديد.

⁴ عبد الحميد إبراهيمي، في أصل الأزمة الجزائرية 1958-1999، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أبريل 2001 ص33.

كما أنّ نسبة الاستثمار انخفضت بشكل محسوس بما لم تشهد الجزائر منذ الاستقلال، وتلاه ازِمات مختلفة تتعلق بالسكن والمستوى المعيشي للمواطن وارتفاع رهيب لنسب البطالة وحصول التضخم، يضيف عبد الحميد الابراهيمي: "تخطت البطالة، المتزايدة باستمرار، عتبة الى 40 بالمائة منذ عام 1998م وبلغت 50 بالمائة، لا بل أكثر في الكثير من مناطق البلد وتصيب البطالة الشبيبة بوجه خاص ففي الواقع، يشكل الشبان المتراوحة أعمارهم بين 16 و 29 عاما، 83 بالمائة من العاطلين عن العمل. وعدد هؤلاء الكلي ارتفع من 1.300.000 عام 1992 إلى 3.500.000 عام 1998م، والتضخم، الناتج من زيادة أسعار المنتجات المستوردة (التي تسبب بها خفض سعر الدينار) وزيادة تكاليف الإنتاج، تخطى 40 بالمائة في عام 1994م، وكان حول 32 بالمائة في عام 1995م، وهما مستويان لم يريا يوما منذ الاستقلال"¹.

إنّ الحديث عن واقع الاقتصاد الوطني في فترة أحمد الرفاعي يطول ولا تكفي الصفحات لبسطه، غير أنّه من المهم الإشارة إلى تردي أوضاع الجزائريين الاقتصادية منذ احتلال فرنسا للجزائر، ومن استقلال الجزائر إلى الألفية الجديدة، ولم يكن مستساغا أن تكون الدولة الجزائرية بخيراتها العظيمة فاقدة لسياسة راشدة، وأن يكون في شعبها الفقراء والمحتاجون، وأن تعيش الأزمات تلو الأزمات وخيراتها غير مستغلة، أو هي مستغلة في الاتجاه غير الصحيح.

وقد كان أحمد الرفاعي شرقي دائم التأسف على هذا الوضع وخاصة عند الحديث عن الفشل في تحقيق المتطلبات الخاصة بالزراعة والاقتصاد التنبيه إلى هذا الخطر الزاحف، فقد وصل الأمر إلى درجات خطيرة في تأمين الحد اللازم من الأمن الاجتماعي والغذائي، إذا اعتمدنا ما تطلقه تصريحات الخبراء والمتابعين بشأن ارتفاع فاتورة الواردات إلى حدود مخيفة منذرة بشرور وأخطار، وأكثرها تتعلق باستيراد ما له علاقة بالغذاء والتموين ومستلزمات العيش وكأنّ البلد صحراء قاحلة لا رقعة فيها للاستثمار والاستصلاح واستخراج الخيرات، بينما هي في الحقيقة جنة يمكن أن تتحول إلى "سلة غذائية" لأفريقيا كلّها، وليس على ما هو عليه الواقع عاجزة حتى عن سدّ الاحتياجات الضرورية².

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها..

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، نصيحة لولاة الأمور، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 325.

انتقل أحمد الرفاعي شرفي إلى رحمة الله، وفي حلقة غصّة من أوضاعنا الاقتصادية السيئة وفي قلبه أمنية بتحسين الأوضاع، وقد أشار في أكثر من مقال إلى أهمية تطوير الاقتصاد الوطني وتنويعه. يقول أحمد الرفاعي شرفي في بيان الأفق السليم والمستقبل الواعد لاقتصادنا إذا أحسن التصرف: "مراعاة مصلحة أبنائنا في التوظيف والتشغيل، بحيث يتم الاستثمار على هذا الأساس، ولتحقيق هذه الغايات بدل توجيه الاستثمار حسب ضغوط مصطنعة ووهمية، لا بُدّ من مراعاة استقرارنا وأمننا المستقبلي، بحيث يتحقق فعلاً ترشيد الاستثمار والإنفاق بما يحقق مصلحة الجميع، وإن كان ذلك ببعض التضحيات الفردية أو الحكومية، فبذلك وحده يكون لدينا اقتصاد وطني، وعندئذ تكون لدينا سياسة وطنية، وثقافة وطنية، ومعنى ذلك أننا بدون اقتصاد وطني سليم يستحيل إصلاح الثقافة أو إصلاح السياسة... فمن يصلح الاقتصاد؟؟ ومتى؟؟"¹.

المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية.

إنّ الحالة الاجتماعية لأيّ بلد إنما هي انعكاسٌ للحالة السياسية التي يعيشها ذلك البلد، فكلمًا كان هناك استقرار سياسي كان هناك أمن اجتماعي ورخاء، وعلى النقيض من ذلك كالمّا ساد الاضطراب السياسي حلّ في مقابله الظلم الاجتماعي، والكثير من صور الفوضى والانحلال وعدم الاستقرار داخل المجتمع.

وقد شهد هذا الزمن الذي عاصره أحمد الرفاعي شرفي تدهورا واضحا في الشأن الاجتماعي نظرا للظروف السياسية القاهرة التي مرّت بها الجزائر، فقد انعكست آثار الاستعمار الفرنسي البغيض على مختلف جوانب الحياة خاصة الاجتماعية منها، كما ظهر تنافر بين أجزاء من الشعب بفعل سياسات المستعمر الذي عمل على تنفيذ سياسية فزق تسد وانتشرت آفات اجتماعية في مجتمع كان يرفضها بشكل كبير، فانتشر الخمر والقمار وسادت الرذيلة وتوسّعت دائرة الأخلاق السيئة من صفات الكذب والفتنة والنفاق والغشّ وغير ذلك، وهذا كلّهُ ممّا كان يخطّط له المستعمر بحجج التمدن والحريّة، ورغبة في تهديم مقوّمات المجتمع الجزائري المسلم وقد "شهد العالم الإسلامي موجة في التغيير الاجتماعي دعيت بالتغريب وهو تغيير قيّم الأمة ومثلها أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها، وبعبارة أوضح إبعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنية أو التطوّر أو التقدّم"²

وقد تكلم أحمد الرفاعي شرفي في أكثر من موضع عن الحالة التي آلت إليها وضعية المجتمع نتيجة الاستعمار البغيض، الذي أهلك الحرث والنسل وعمل جاهدا على تقويض أركان الأمة وتهديم ثوابتها

¹ المرجع السابق، ص 229.

² جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط 6، ج 1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2007م، ص 212.

واشاعة الفحشاء بين أهل الجزائر المسلمين، يقول رحمه الله عن تلك المرحلة: "عهد الاستعمار الذي أجهز على بقايا الكيان الإسلامي المتمثل في أنظمة متخلفة فاسدة غارقة في الجمود والتأخر، ومنها الجزائر في العهد العثماني وما قبله، وأحلَّ محلَّه الدولة المدنية اللادينية التي لا تؤمن بدين الإسلام ولا تعمل بشرائعه؟ فهدم مساجد المسلمين، وحوّل بعضها إلى كنائس ومرافق عامة، ومنع إقامة الشعائر الدينية مثل قطع يد السارق لغير ضرورة، ورجم من ثبت عليه معصية الزنا إمّا بالإقرار أو بشهادة أربعة شهود عدول، وتعطيل عبادة جمع الزكاة، وفتح محلات للدعارة، وحماية الزانيات، وإباحة التجارة العلنية بالخمور، وإقامة المحاكم المدنية التي لا تحكم بشرائع الإسلام ولا تعمل بالقرآن والسنة"¹.

كلُّ ذلك وغيره جعل الواقع الاجتماعي للمسلمين عامة يفقد مميزاته وخصائصه الإسلامية، وأصبح مجتمعاً مسلماً اسماً ومختلفاً واقعا، فقد زالت منه الكثير من المظاهر الإسلامية من مساجد ومصليات، وخلو ما وُجد منها من آذان وشيوع الفواحش والمفاسد من خمور وزنا برعاية رسمية من المستعمر ذاته، وانتشار آفة السرقة والاعتداءات وشيوع الفتن بين أفراد المجتمع الواحد.²

وقد نجح الاستعمار الغاشم إلى حدٍ بعيد في نشر الفساد وإشاعة الفاحشة وبثَّ الفرقة بين الإخوة الجزائريين، وكلُّ ذلك كان بسبب إبعادهم عن دينهم الذي كان ضامنا لوحدتهم وللتمسك بأخلاقهم، فلمَّا علم المستعمر أنَّ الأخلاق الإسلامية باقية ما بقيت الروح الإسلامية تسري في دماء الجزائريين، عمد إلى ضرب تلك الروح وإضعافها بكل الوسائل والمغريات "ومع هذا المد المشوب بالكثير من البدع والممارسات الجاهلية عرف الواقع الاجتماعي الإسلامي يومئذ حركة جزر لمنسوب الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- والمتمثل خاصة في حركة الاستقامة العقديَّة والسلوكية، حيث تزايدت مظاهر الانفلات السلوكي المعبَّرة عن طغيان سلطان الشهوات على سلطان التقوى والصلاح، وذلك ما تجلَّى في مظاهر الخلافات والفرقة وتفكُّك وحدة الدولة الإسلامية الواحدة وتنازع مكوّنات المجتمع الإسلامي الواحد، وما ترتب عن ذلك من ضعف الصلة بالقرآن الكريم علما وعملا، ثم الجهل بالقرآن، ثم هجره بعد ذلك، على نحو متدرِّج حتى يومنا هذا"³.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، ط1، مؤسسة البلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص42.

² ينظر: المرجع نفسه، ص37.

³ أحمد الرفاعي شرقي، بل التفكير في التغيير، جريدة البلاد، العدد: 4205، الأحد 15 سبتمبر 2013 ص 10-11.

لم يكن المجتمع الجزائري بعد قرن من الزمن من الاحتلال قد استسلم نهائياً، ولم يكن قد تطوّر كما وُعد، وفي مقابل ذلك كان الواقع هو صورة للفقر الذي بات يضرب أطنابه بين صفوف الشعب وقد بلغ اليأس مداه في نفوس الشعب المغلوب عن أمره.

وهذا ما عبّر عنه الإمام ابن باديس في وصفه للحال الذي بلغ إليه الشعب الجزائري في زمانه فقال: "ولا أدلّ على ذلك من الحالة التعيسة التي بلغنا إليها اليوم من جهل وفقر وسقم وقهر وظلم وإذلال، لا جرم أنّهُ حصل للجزائر بعد هذا كلّهُ يأس وقنوط من بحث كل باحث، ووعد كل واعد"¹.

لقد نجح الاستعمار في تنفيذ بعض مخططاته والوصول إلى بعض مآربه، وبدأت ملامح المجتمع المسلم تتغير في بعض المظاهر الاجتماعية، وبدأت بعض القيم في الانحسار والاندثار، ومن أبرز ما سعى إليه الفكر الاستعماري وركّز عليه إفساد المرأة المسلمة فهي من أهم أعمدة وركائز الأسرة. وقد وصف الشيخ الزواوي² مظاهر التدهور الاجتماعي عند المرأة الجزائرية زمن الاستعمار في ثلاثة مظاهر³:

- الجهل، حيث لم تُعلّم الجزائرية تعليماً دينياً ولا دنيوياً لائقاً بمكانتها وكافياً للقيام بواجبها.
- التبرج والسفور وخلع جلّ باب الحشمة والحياء، خاصة من كنّ في المدن، وهو من التحرّر الخالي من قيود الشرع والعرف والعقل، كالحلوة بالأجنبي.

- عادات سيئة في الزواج والصدّاق والطلاق والعدة وغيرها.

وبعد هذه المرحلة الحاسمة تأتي مرحلة تفكّك الأسرة الإسلامية ككلّ، ومن مظاهر ذلك:

- إنشاء المحاكم المدنية في المجتمعات الإسلامية في العهد الاستعماري.
- إنشاء المدارس والمراكز الثقافية لتعلّم اللغات الأجنبية.
- تكاثر الجاليات غير الإسلامية في المجتمعات الإسلامية في العهد الاستعماري
- ولاية الإداريين والحكام غير المسلمين على المسلمين في العهد الاستعماري
- هجرة بعض المسلمين - العمّال خاصة - إلى البلدان غير الإسلامية وتخلّصهم بغير أخلاق المسلمين.
- تأثير الإعلام والثقافة غير الإسلامية وخاصة السينما في أوساط المسلمين وبخاصة الشباب⁴.

¹ عمار طالبي - آثار ابن باديس ج 4، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م، ص23.

² أبو يعلى الزواوي: عالم في الشريعة وخبير في علم الاجتماع والتاريخ ولد بتيزي وزو سنة 1866م تولى عدة مناصب منها الامامة وله مؤلفات عدة منها كتاب جماعة المسلمين، توفي سنة 1952م. (ينظر: رابح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، د ط، منشورات الحضارة، 2014م، ص98)

³ ينظر: بوبكر صديقي، أبو يعلى الزواوي وجهوده في الفقه والأصول، أطروحة دكتوراه في الفقه والأصول، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر 1- باتنة السنة الجامعية 2016/2017 ص26.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، بل التفكير في التغيير، جريدة النور، مرجع سابق، الصفحة نفسها..

هذه المخططات الاستعمارية لم تكن وليدة المرحلة فقط بل كانت منذ زمن بعيد، بدأتها قوافل المستشرقين وعمل على استكمال حلقاتها المستعمر، و قد اتخذ لأجل ذلك أساليب ووسائل مختلفة، منطلقا من أفكار تحرير المرأة وحقوق الإنسان، ومتخذًا من المدارس المختلطة في ذلك الوقت وسيلة، وكذلك العمل على تدجين بعض المغتربين الذين كانت تدفعهم ظروف الفقر والقهر والحاجة إلى الهجرة إلى بلد المستعمر وهناك عايشوا مجتمعات أخرى بأفكار ومبادئ تختلف تماما عن قيم المجتمع الجزائري، ووجدوا حرية كبيرة واغراءات جمّة، فتحقق فعلا التأثير بتلك الأفكار من طرف قطاع واسع من المهاجرين وأهليهم، فرغم أنّ هناك من سعى لطلب الرزق هروبا من الفقر والوضع العام للجزائر المحتلة وقد تحقق له، إلا أنّ هناك أيضا من تاه في بلاد الغرب وضاع وأضاع ما تبقى له من دين وخلق.

لقد كان هدف تقسيم الشعب وبتّ الفرقة بين صفوفه أهم أهداف المستعمر الغاشم وأخبت مخططاته، حيث عمد على تشتيت الشعب وبتّ الشقاق بين الإخوة الجزائريين وإنّ اختلفت أعراقهم فقد وحّدهم الإسلام، وسعت يد الكفر سعيا حثيثا لتفريقهم، يقول عمّار طالبي في بيان السياسة الفرنسية وما كانت تهدف إليه: "ورسمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنّها ستربح بها اللعبة وهي بثها الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري، بين العرب والبربر، وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم من سلالة أوروبية وأنّ لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها، وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر"¹.

وما زالت هذه الرغبة القديمة من المستعمر قائمة، والواقع يثبت أنّ هناك أطرافا تعمل ليل نهار لضرب الوحدة الترابية والاجتماعية والدينية للشعب الجزائري باستعمال النعرات القبلية خاصة بين البربر والعرب، والمقصود هو دولة فرنسا.

ولم يكن الوضع الصحي أحسن حالا، فقد انتشرت الأوبئة والكثير من الأمراض خاصة تلك التي تصنّف بأمراض الفقر مثل الكوليرا والتيفيوئيد والطاعون والقمل وغيرها، ولم يكن هناك أطباء في أغلب المناطق حيث كان يعتمد أكثر المرضى أو أولياؤهم إلى الطب الشعبي والتقليدي، أو البقاء على تلك الحال فإمّا الشفاء وإمّا الموت البطيء.

ولغياب أبسط طرق الوقاية والعلاج، كانت الأمراض والأوبئة تفتك بالسكان فتكا ممّا يفسر عدم استقرار عدد السكان طوال العهد المظلم، فعرفت البلاد أمراضا وأوبئة كثيرة ومتنوعة وعلى فترات خاصة في السنوات 1869-1870-1919-1929-1941م، ولم تقابل بأيّة وقاية ولا بأيّ علاج ومن أشهرها داء "التيفيس" الذي وقع ما بين 1941 و1943م، وأودى بحياة الكثير، أمّا الأمراض العادية المزمنة فلم تكن كلها معروفة لدى الكثير من السكان ولم يكن لبعضها أسماء، فكان السكان يموتون

¹ عمار طالبي - آثار ابن باديس، مرجع سابق، ص 49.

بداء السكري أو قصور الكلى أو الكبد أو أمراض الشرايين والقلب دون أن يعرفوا لأمراضهم أسماء ولا لوفياتهم أسبابا!! وكانت الأمراض المعروفة فقط هي تلك التي لها أعراض ظاهرة كالسل والربو والصفير والأمراض الجلدية وأمراض العيون والقروح وما شابه ذلك.¹

يقول محمد العربي الزبيري عن حالة الجزائريين مع التداوي في تلك الفترة: "وبالنسبة للخدمات الطبية والمنشآت الصحية أيضا فإنَّ السلطات الاستعمارية لم تهتم بها إلا في المراكز الآهلة بالمستعمرين لذلك اندلعت ثورة نوفمبر 1954م والأغلبية الساحقة من الجزائريين لا تعرف الطبيب أو المستشفى أو المستوصف ولا تستعمل الأدوية بل إنَّ التداوي في أريافنا مع العلم أنَّ معظم الأهالي في الأرياف وفي القرى إنما كان يتم بالطرق التقليدية مثل استعمال العشب باختلاف أنواعه وسائر الحبوب النشوية واللجوء في كثير من الأحيان إلى الرقية والنار والتمائم".²

استمرَّ هذا الحال والواقع المزري عقودا من الزمن، وبعد اندلاع الثورة المجيدة في 01 نوفمبر 1954م ازداد الخناق على الشعب وتعمَّق الحصار واشتدَّت الأزمة وتوسَّعت دائرة الفقر والحرمان، وانتشرت مظاهر الفرقة والكثير من الأخلاق السيئة من سرقة وقمار وقتل وتناحر وخصومات بين (العروش) على أتفه الأسباب، وعرفت الطرق المنحرفة التي تستعمل الشعوذة والبدع والخرافات انتشارا كبيرا مستغلة للجهل والامية التي عمت في الوسط المجتمعي الجزائري، وغابت مظاهر التكافل والتضامن الاجتماعي عند الكثير.

وعشيَّة الاستقلال خرجت الجزائر من حرب تحريرية دامت قرابة ثمان سنوات خرجت منها منهكة خائرة القوى، وقد استنزفت في حرب التحرير طاقات بشرية ومادية كثيرة، ليواجه الشعب الجزائري ظروفًا اجتماعية قاهرة ليست في الواقع أحسن بكثير من زمن الاستعمار، عدا في موضوع الحرية والانعتاق فهذا لا يقارن بالوضع السابق بتاتا، أمَّا غير ذلك فآثار الاستعمار مازالت باقية عقودا من الزمن، فلم تكن هناك مصانع ولا مدارس ولا معاهد ولا جامعات ولا مستشفيات ولا طرق ولا منشآت إلا النزر اليسير من بقايا المعمرين، وبخطى متناقلة بدأت الدولة الجزائرية الفتية تخطو أول خطواتها، وفي ظلِّ أنظمة حكم مختلفة التوجه والتسيير تمكنت الجزائر الجديدة من تحقيق تنمية محدودة وتجسيد مشاريع متنوعة في مختلف القطاعات والمجالات، إلا أنَّ النمو الديموغرافي المتسارع للشعب الجزائري أبرز بجلاء أنَّ ما قُدم وما تجسد على الأرض لم يرق لأن يكون في مستوى تطلعات الجزائر الجديدة، فبرزت أزمة خانقة في

¹ ينظر: محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاحتلال الفرنسي، وزارة الثقافة ط1، الجزائر، 2005م ص98. (بتصرف).

² محمد العربي زبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص27.

الإسكان وامتلات مدن الجزائر بالسكنات الفوضوية والهشّة وانتشرت البطالة بشكل رهيب بين الشباب وجرّ كل ذلك إلى انتشار بعض الآفات السيئة خاصة في أوساط الشباب بالأحياء الفقيرة والمتضرّرة. وممّا حدث عشية الاستقلال بعدما عاثت فرنسا فسادا في الجزائر وقد قاومها المجاهدون ببسالة لأجل استعادة كرامة الجزائري واستقلاله الفكري واللّغوي، إلا أنّ ما حدث لم يكن استقلالا تاما، فالوضع صار محيّبا للآمال بوصف أحمد الرفاعي وصدمة كبيرة ونكبة مريرة إذ لم تتبدد فرحة الاستقلال فحسب، وإنما تكرست الازدواجية باسم الحرية والاستقلال، وتحت ظلّ العلم الوطني، حكومة الاستقلال ينص دستورها على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية. لكن القوانين والممارسات اليومية تكسّر اللغة الفرنسية وتحارب العربية بكل سلاح، في الإدارة، في التعليم، في الاقتصاد، في الثقافة¹.

وكما كان الحال بعد الاستقلال بالنسبة لوضعية اللغة العربية، فكذلك كان الأمر بالنسبة للدين الإسلامي، رغم أنّ كلا منهما من الثوابت الوطنية، وكلاهما في المواد الأولى للدستور، إلا أنّ الواقع لا يصدق هذا الاهتمام بهما في الدستور الجزائري. يضيف أحمد الرفاعي: "حكومة الاستقلال ينص دستورها على أنّ الإسلام هو دين الدولة، لكن قوانين الدولة وممارساتها ومواقفها تحارب الإسلام وتضر به، ومن ذلك إلغاء المعاهد الإسلامية وفرض الاختلاط والنهج العلماني في المدرسة والجامعة، وتفرض السفر وتبيح الخمر، وتقنن للزينة والقمار، وبكل ذلك تجذرت الازدواجية على الصعيد الحكومي الرسمي، وعلى الصعيد الشعبي الاجتماعي أيضا، إذ ظلّ نفر من النّاس يمارس النقد والرفض النظري للازدواجية، ويمارس الفرنسية والتعريب والضياع تحت سلوك: (الله غالب)"².

وبالإضافة إلى هذه الأوضاع الاجتماعية المتدهورة نجد الخناق المفروض على الحريات السياسية قد استشرى في كل أرجاء الدولة، وذلك الخناق سرّع بانتفاضة كبرى للشعب الجزائري عرفت فيما بعد بأحداث 05 أكتوبر 1988م، أعلن خلالها الرئيس الشاذلي بن جديد³ - رحمه الله - إصلاحات شاملة وفتح باب التعددية الحزبية لأول مرة منذ الاستقلال، رغم أنّه لم يكن السبب الرئيس مطلب فتح باب الحريات، بل الأمر يرجع لتراكمات عدة أبرزها الجانب الاجتماعي القائم .

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مجلة الإرشاد، العدد 04، تاريخ النشر أفريل/ماي 1990 ص 21.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ الشاذلي بن جديد: سياسي وعسكري وثالث رئيس للجمهورية الجزائرية، تولى عدة مناصب قبل الثورة وبعدها آخرها رئاسة الجزائر من بعد وفاة الرئيس هواري بومدين سنة 1978 إلى 1992 حيث استقال من الرئاسة، توفي في: 06 أكتوبر 2012م (ينظر: فارس بيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، دار أسامة للتوزيع والنشر، الأردن، 2003م، ص 745).

ومن الصّور التي تجسّد فيها البعد الاجتماعي للأزمة، تقول فوزية حنيش: "اتّسع فجوة التفاوت بين الشرائح والفئات الاجتماعية المختلفة وبخاصة أنّ مدّ التفاوت يفتقد إلى أسس مشروعة تبرره في ظلّ غياب نسق قيمي يحظى باتفاق بين القوى الاجتماعية، فظاهرة التفاوت الاجتماعي أصبحت مرفوضة من قبل القوى الاجتماعية، كل هذه التطورات الاجتماعية من بطالة وتفاوت اجتماعي تجسّدت في أحداث أكتوبر 1988م، ما شكّل حركة رفض اجتماعية للنظام السياسي وقنواته¹.

وبعد فتح المجال السياسي والتعددية الحزبية، شهدت الجزائر أزمة سياسية حادة عقب الانتخابات التشريعية سنة 1991م - وقد عشت هذه الأحداث وأنا شاب في أول تدرجي في الجامعة- والتي أفضت فيما بعد إلى أزمة أمنية مريعة دخلت فيها الجزائر نفقا مظلما وعاشت واقعا سيئًا دام عقدا من الزمن اصطاح عليه (بالعشرية السوداء) رسم خلالها الحزن الاجتماعي على كافة الشعب الجزائري، فأصبحت صور التفجيرات والاغتيالات والاعتقالات والمظاهرات بصفة يومية، دفعت فيها الجزائر حصيلة ثقيلة متمثلة في آلاف من القتلى والمفقودين والمشردين والمتابعين، وخلفت مع ذلك أحقادا وصراعات بين الشعب الواحد وأحيانا بين الأسرة الواحدة بسبب الاختلافات في التوجّه السياسي.

ومع هذه الأحداث الدامية ظلّ الشعب يتطلع لمستقبل أفضل عشية الألفية الجديدة، وبعد الانتخابات الرئاسية سنة 1999م والتي رسّمت الدولة خلالها عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجزائر، بادر الرئيس بتفعيل قانون المصالحة الوطنية الذي بدأه الرئيس الأسبق المؤقت اليامين زروال سنة 1995م، واستفتى الشعب حول قانون الوثام المدني الذي وافق عليه أغلبية الشعب الجزائري، وقد أتى ذلك بثمار طيِّبة على عموم الشعب. وصادفت هذه الفترة الزمنية نشوب حرب الخليج الثانية ممّا تسبب في ارتفاع كبير لأسعار البترول وتدخل الجزائر مرحلة جديدة.

فتحت الأوضاع الجديدة باب الأمل للشعب الجزائري في تحسين ظروف معيشته وواقعه الاجتماعي، إلّا أنّ ذلك لم يتحقق كما كان يتمناه الجميع، ورغم التحسن الملحوظ في مختلف جوانب الحياة مقارنة مع الزمن السابق، إلّا أنّ مظاهر التفكك الاجتماعي من ظواهر الطلاق والعنف والفساد في مختلف شؤون الادارات شكل عائقا أمام تنمية حقيقية، أتبع كل ذلك احتجاجات واضطرابات واضرابات مستمرة في مختلف القطاعات تقريبا.

وقد عبّر أحمد الرفاعي شرفي عن هذا الواقع المؤسف في أكثر من مقالة مُبدئًا حَسرتُه على استمرار الأزمات على مختلف الصعد وعن عدم إعطاء أهمية للجامعات للقيام بدور النهوض

¹ ينظر: فيروز حنيش، "إشكالية المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الجزائر (1989-2005) مرجع سابق، ص 102.

الاجتماعي. يقول رحمه الله: "وما زالت الأوضاع كما هي، والدليل على ذلك ما يعاني منه الواقع الاجتماعي من انهيار أخلاقي وأمراض وعلل واختلالات في العلاقات الاجتماعية من: الرشوة، إلى الجهوية والمحسوبية، إلى الاستبداد الإداري، ونتيجة إخفاقات سياسات المسؤولين الجزائريين في الجامعات، والمصانع، والإدارات وغيرها، وكل ذلك أيضا عبّر عنه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في بدايات عهده الأولى عندما قال: "الجزائر مريضة مريضة مريضة، فمتى تجد الجزائر من يداويها"¹.

إنّ الحالة الاجتماعية التي نشأ فيها أحمد الرفاعي شرفي كانت سيئة للغاية في أغلب مراحلها، سواء أثناء فترة الاحتلال الفرنسي أو الثورة أو بعد الاستقلال، وقد تأثر أحمد الرفاعي بالوضع القائم فحاول التغيير الميداني فأسهّم في إنشاء جمعية الإرشاد والإصلاح الوطنية ذات الطابع الاجتماعي، وعمل مع جمعيات محلية أخرى، وكانت لها مبادرات اجتماعية كثيرة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكتب عن المجتمع وظروفه وواقعه الكثير ناقداً وناصحا ومصلحا اجتماعيا.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيشها الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، أثرت بشكل كبير على الواقع الثقافي والعلمي على عموم الشعب الجزائري، فقد أسهمت تلك الظروف القاسية في انتشار الأمية والجهل، وقد كان التعليم حكرا على أبناء المعمرين ولا يستفيد منه أبناء الجزائر إلا القليل والقليل جدا.

لقد حُرم الجزائريون من التعليم الرسمي ولم يكن أمام الكثير ممن يرغبون في تعليم أبنائهم سوى اللجوء للكتاتيب والزوايا، والتي كانت تفتقر لأدنى الوسائل والإمكانات البسيطة، أمّا البرامج الدراسية فقد كانت تقتصر على تعليم الحروف العربية وتحفيظ القرآن الكريم وأحيانا بعض المتون الفقهية وغيرها، ورغم قلة الامكانيات وصعوبة الظروف، إلا أنّ تلك الزوايا استطاعت أن تسدّ بعضا من الفراغ، وتمكّن بعض أفراد الشعب الجزائري من تعلم القراءة والكتابة، مع غياب شبه كلي للثقافة الواسعة أو الفهم العميق والإدراك السليم.

وأثناء العهد الاستعماري حيث كانت الزوايا تسدّ الفراغ التعليمي كما سبقت الإشارة إليه، كانت صورة معلمي القرآن مهزوزة، يلحقها الكثير من الاستهزاء وبطالها الكثير من الاحتقار، يقول أحمد الرفاعي عن هذا المشهد السيئ: "كانت الصلة بالقرآن الكريم في صورة الحفظ والتلقين من غير فهم ولا علم بالكثير من أحكامه وحدوده. وتتجلى هذه الصورة البائسة في واقع المدارس القرآنية ومعلمي القرآن

¹ أحمد الرفاعي شرفي، علم الجهل، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق. ص 355.

الكريم وما يعانونه من الازدراء والإقصاء؛ حيث لا أحد من المسلمين يرضى لابنه أو ابنته أن يكون (معلم قرآن) مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في الحديث الصحيح «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»¹ وفي حديث: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»². والنبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعني مجرد الحفظ من غير فهم ولا عمل وإنما يعني . دون شك . معرفة وفهم وعلم ما جاء به القرآن الكريم على البشرية من عقيدة التوحيد وشرائع الإسلام وسنن الله - عزَّ وجلَّ - في الكون عامَّة وفي المجتمعات البشرية خاصَّة³.

إنَّ هذه الظروف القاسية والواقع الأليم المتمثل في حرمان التلاميذ من حقِّ طلب العلم والتدريس، جعل من الأولياء يسعون بكلِّ جهد للظفر بمقعد دراسي في المدارس الفرنسية النظامية رغم ما فيها ممَّا يتعارض مع قيِّم ومبادئ المسلمين الجزائريين آملين في نجاح أبنائهم والوصول بهم إلى رتبٍ عُليا.

ويصف الزواوي هذا الواقع الأليم فيقول: "ولو تراهم هم ونساؤهم وعجائزهم وأراملهم يتواردون على المكاتب الابتدائية الفرنسية، ويزدحمون ويزجون بأولادهم في تلك المدارس، ويتوسلون ويتضرعون ويتسابقون إلى الرئيس والمدير الذي قد يكون راهبا ويجري على لسانه إنَّ محمدا مذب يقتل النَّاس المخالفين له بخلاف سيدنا عيسى وليس بمذب، فيرى العقلاء أنَّ مثل هذه العامة الجاهلة التي صار التعليم العربي الإسلامي نسيا منسيا مثل الفراش على النَّار، و يا الله و يا للإسلام، و ارباه واحمداه"⁴!!! وقدَّرت الاحصائيات التاريخية نسبة الأمية بنسب محدودة ومنخفضة في وسط الشعب الجزائري - قبل دخول الاستعمار الفرنسي - ولكن بفعل الآلة الاستعمارية الرامية للتجهيل ونشر الأمية في وسط الجزائريين، تقول ناهد إبراهيم: "تشير الإحصاءات أنَّ نسبة الأمية كانت منتشرة بشكل ملحوظ بين الجزائريين للغاية، فبعد الحرب العالمية الأولى كان 09 % من الجزائريين فقط يعرفون القراءة والكتابة، وظلَّت نسبة الأمية مرتفعة وتزيد على 90 % عام حتى 1945م"⁵. وبعد قرن من الزمن أتت - سياستهم - أكلها بالنسبة لهم، حيث ارتفعت نسبة الأمية لأعلى مستوياتها، وانتشر الجهل بشكل فظيع، وأصبح من يجيد القراءة والكتابة يشار إليهم بالبنان لقلتهم.

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم: 5027، 192/6.

² المرجع نفسه، رقم: 5028، 192/6.

³ أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، مرجع سابق.

⁴ أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين، د ط، منشورات الحبر، الجزائر، 2006 ص 65، 66.

⁵ ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001، ص. 78-79 .

وأول ما عمد إليه الاستعمار بعد غلق المدارس العربية والتضييق على الكتاتيب، سعى لإحلال الفرنسية كلغة بديلة عن العربية خاصة في منطقة القبائل، وذلك من أجل طمس اللغة العربية باعتبارها وعاءً حضاريا مهما، وأيضا من أجل إثارة النعرات والخلافات بين الأمة الواحدة.

يقول محمد العربي الزبيري: "إنَّ هذه المهمة التي تبدو ثقافية في ظاهرها أخطر بكثير من العمل العسكري الذي يهدف إلى فرض الاستعمار الاستيطاني، ولقد كانت فرنسا تدرك هذه الحقيقة وأبعادها، وتعرف أيضا أنَّ اللغة لا يمكن أن تكون محايدة كما أنَّها لا يمكن أن تكون مجرد وسيلة للتبليغ، بل إنَّها وعاء حضاري وثقافي وعنصر أساسي من مقومات الشخصية، بالإضافة إلى كونها أداة فعالة لاكتساب المعرفة، ولصياغة نمط الحياة المميز للفرد والمجتمع على حد سواء"¹.

إنَّ تعليم اللغة الفرنسية كان يندرج ضمن مخطط القضاء على مقومات الهوية الجزائرية من قبيل اللغة العربية والدين الإسلامي وكافة المظاهر المميزة للشعب الجزائري المسلم، ومن الأساليب المتخذة بالتدرج العمل على دمج اللغة الفرنسية بفرض ازدواجية اللغة في التعليم والإدارة ومن بعد ذلك فرضها في كلِّ مجالات الحياة.

وعن هذه السياسة في فرض الازدواجية اللغوية، يضيف محمد العربي الزبيري: "إنَّ ازدواجية اللغة في التعليم والإدارة والقضاء فصل الجزائر عن عروبته وابقائها في دائرة الفرانكفونية، التي هي مذهب سياسي يرمي إلى نشر الفكر الاستعماري في البلدان التي لها استعداد طبيعي لقبول التبعية بجميع أنواعها، ومما لا شكَّ فيه أنَّ نشر الفكر الاستعماري في حد ذاته وسيلة لقبولها الذهنية طبقا لمتطلبات الاستعمار الجديد من جهة، ولتعميم أنماط الحياة المؤدية إلى سلخ المجتمع عن أصالته وربطه بظروف الحياة السائدة في فرنسا التي هي مصدر ذلك الفكر من جهة ثانية"².

والأمثلة والشواهد كثيرة على الجهود الفرنسية لفرض الوصاية على الشعب الجزائري من خلال القرارات التعسفية، ومثال على ذلك المرسوم الذي أصدره رئيس وزراء فرنسا كامبي شوطون— Camille Chautemps في سنة 1938 م والقاضي بأنَّ العربية أجنبية.

يقول يحيى بوعزيز عن هذا القانون المححف والجائر: "وفي 8 مارس 1938م، أصدر وزير المعارف الفرنسي قرارا ينصُّ على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ويمنع تعليمها تبعا لذلك في المدارس، وفي يوم 22 جويلية (يوليو) عام 1945م، أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا يفرض على كل معلمي اللغة العربية، معرفة اللغة الفرنسية، كشرط أساسي لتوظيفهم في المدارس، واستهدفت من هذا

¹ محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ص 198.

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

القرار القضاء على الجهاز العربي وتحطيم كيانه، لأنها تعلم أنّ معظم أولئك المعلمين لا يحسنون الفرنسية أصلاً¹.

وهذه القرارات التعسفية لم تكن وليدة تلك المرحلة، بل كان مخططاً لها منذ أمد بعيد وكانت قد سبقتها مخططات ومشاريع وقرارات مماثلة، ففي سنة 1904م كانت السلطات الاستعمارية قد منعت فتح أيّ مدرسة إلا بترخيص وبشروط قاسية، وقد ذكر المؤرخ يحي بوعزيز بعضاً من تلك القرارات التعسفية في كتابه السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ومّا جاء فيه: "في يوم 24 ديسمبر عام 1904م أصدر الحاكم العام الفرنسي قراراً يقضي بعدم السماح لأيّ معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم العربية دون الحصول على رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين في المناطق الخاضعة للحكم العسكري. ويشترط هذا القرار على من منحت له الرخصة أن يخضع للشروط التالية²:

- أن يقصر تعليمه على تحفيظ القرآن الكريم فقط دون غيره.
 - أن لا يقوم بشرح آياته وخاصة التي تتحدث عن الجهاد.
 - أن لا يقوم بتدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها، وتاريخ وجغرافية العالم العربي والاسلامي.
 - أن يكون مخلصاً للإدارة الاستعمارية ويخضع لأوامرها مهما كان شأنها.
- ومن خلال هذه الاجراءات يتضح قوة الآلة القمعية التي كانت سائدة، والبطش الذي كان مسلطاً على الشعب الجزائري في حرمانه من التعليم وخاصة معرفة دينه وتاريخه وجغرافيته حتى تطمس معالم الهوية لديه ويسهل تدجينه.

ومما تميّز به عصر أحمد الرفاعي شرقي ظهور الأفكار التغريبية بقوة مثل تيارات العلمانية والتغريب و بروز تيارات سياسية وفكرية قوية تمثل هذه التوجهات في العالم الإسلامي والمؤسف أنها كانت بقيادة أبناء المسلمين المتأثرين بهذه الأفكار ويسعون لنشرها وتطبيقها في أرض المسلمين، ومن ذلك الأحزاب والحركات الشيوعية والمتشعبة بالفكر الاشتراكي والليبرالي وغيرهما...

لقد أدرك المستعمرون أنّ نهضة الشعوب ستكون بنهضة الفكر لديهم، والفكر إنّما يكون محصلة للعلم، فعملوا على طمس هوية الشعوب المستعمرة، وذلك بتعميم الجهل وضرب العلم ونشر الأمية في صفوف أبناء المستعمرات، وبالموازاة مع ذلك عمل المستدمر على نشر الفكر التنصيري (التبشير) ومن

¹ ينظر: يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص59.

² ينظر: المرجع السابق، ص60.

ذلك طبع الكتب المقدسة لديهم ونسخها بلغات الدول المحتلة وتسهيل تعميمه وتوزيعه، واستغلال حملات التطوع والتي تحمل غالباً صور الحملات الإنسانية لإغاثة الفقراء والمساكين للترويج لأفكارهم. ومن الصور المعتمدة لضرب الهوية تشجيع الزوايا والفرق المنحرفة عن الإسلام التي تعمل على نشر الدروشة والدجل والخرافات بين عموم المسلمين وكانت بعض تلك الفرق تعتبر المستعمر قدراً على الجزائر ولا يحق محاربة القدر وهي بذلك أداة طيعة لخدمة الكيان الاستعماري في جسم أمة الإسلام. كل هذا كان نتيجة لسياسات الاستعمار الذي كان يعتمد إلى نشر الأمية والجهل وحرمان الشعب الجزائري من التعليم. يقول ابن باديس واصفاً حال الجزائر جراء الفعل الشنيع: "لقد كان هذا العبد يشاهد قبل عقد من السنين هذا القطر قريباً من الفناء، ليست له مدارس تعلمه، وليس له رجال يدافعون عنه، ويموتون عليه. بل كان في اضطراب دائم مستمر، ويا ليتة كان في حالة هناء، وكان أبناءنا يومئذ لا يذهبون إلا للمدارس الأجنبية، التي لا تعطيهما غالباً من العلم إلا ذلك القُتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفاسف حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين دينهم ولغتهم وقوميتهم وقد ينكرونها، هذه هي الحالة التي كنا عليها في تاريخنا الحديث"¹.

يقول رابع مشحود عن الهجمة الفرنسية وهدفها الأسمى: "إنَّ الهجمة العنيفة التي تعرض لها المسلمون من حروب صليبية ومن بعدها حملات الاستعمار الاستدمارية كانت تهدف إليه فيما تهدف وبالتأكيد إلى ضرب مكونات الهوية الإسلامية، وإضعاف الشعور بالانتماء للإسلام، وقد عبّر الجنرال بيجو عن ذلك عندما تمَّ احتلال قسنطينة في احتفال كبير حيث صرَّح بأنَّه لم يكن احتفالنا هذا لاحتلال الجزائر، وإنما الغرض من هذا الاحتفال هو تشييع جنازة الإسلام من هذه الأرض"².

لقد أجمع المؤرخون والباحثون على أنَّ أكبر أهداف المستعمر يتمثل في ضرب الهوية، وهو ما يؤكده أحمد حران بالقول: "كانت حملات التنصير على قدم وساق ترغيباً وترهيباً تسعى لتغريب الشعوب وصرفها عن دينها وطمس هويتها الإسلامية، وقد قابل المسلمون ذلك بالكثير من الانتفاضات والثورات والحركات الإصلاحية ولم تمت الروح الإسلامية لدى المسلمين فقاوموا وضحو كثيراً ضد الغزو العسكري والفكري الذي مورس ضد بلدان العالم الإسلامي ودولة الخلافة العثمانية خلق صراعات حدودية لا تنتهي"³.

¹ عمار طالي، آثار ابن باديس، مرجع سابق، ص 266.

² رابع مشحود، مذكرات المجاهد والديبلوماسي الجزائري رابع مشحود، ج 1، ط 1، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2018م، ص 34.

³ تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 1422هـ ص 38. بتصرف

إنَّ الأهداف الاستعمارية كانت مرسومة بدقة وهي تهدفُ - كما سبق بيانه - لتجهيل الشعوب الضعيفة ومن ثمة تمرير الأفكار الغربية للشعوب الإسلامية وتحتييم قيم الإسلام في أوساط المسلمين بنشر الايدولوجيات والأفكار الحداثية البعيدة عن عقيدة المسلمين.

يقول محمد قطب: "فمن أخطر ما تكشف في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية الرامية إلى تدمير المجتمعات الإسلامية، وخاصة المجتمع الإسلامي العربي عن طريق طرح العديد من النظريات والمذاهب الوثنية والمادية المتصلة بالنفس الإنسانية، والأخلاق والعقائد والتاريخ واللغة، ومقارنات الأديان والتربية، قصدت هذه المخططات إلى محاولة تغريب العرب والمسلمين، وتفريغ الفكر الإسلامي العربي من مقوماته وقيمه وذاتيته في بوتقة الفكر العالمي الوثني المادي، والعمل على إخراج المسلمين والعرب من قيمهم ومقدراتهم وتذويهم في الأمية والعالمية"¹.

وكان من آثار هذه المخططات ونتائج تلك المؤامرات انحراف البعض من المسلمين عن نهج الدين، وقد استهوتهم مظاهر الحياة الغربية، واعتقد بعضهم أنَّها جنة الدنيا وبهرجة الحياة، فأقبل بعضهم على الخمر والفجور والقمار والربا، وشاعت الفواحش وانتشرت بين المسلمين المحافظين، كما انتشرت الكثير من الأفكار الالحادية والفلسفية البعيدة عن جوهر الإسلام وروحه، مستغلة وسائل الإعلام والصحف للترويج لكل ذلك، كما شهد العالم الإسلامي موجة من التغيير الاجتماعي الفاسد وما زالت المؤسسات الإسلامية والدعاة الواعون في محاولات للتصدي وما زال الصراع مستمراً بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية².

ومن نعم الله على الجزائريين عبر تاريخهم أنَّهم لا يعرفون الاستكانة، ولا الرضوخ للبغاة والطغاة، ورغم المحن والإحن والضعف الذي تعرّضت له الجزائر، إلَّا أنَّ رجالاً أوفياء تصدوا بما أوتوا من قوَّة وصبر وعزيمة وإرادة فولاذية صلبة ومتينة لكل تلك المحاولات وما زال بعضهم يقاوم ويحاول.

يقول عامر علي العرابي في شهادة لأبناء الجزائر البررة: "فقد وُجد في الجزائر قبل ابن باديس رجال علم وإصلاح جاهدوا من أجل اخراج الشعب الجزائري ممَّا هو فيه، ومنهم من اتخذ التعليم وسيلة لذلك أمثال الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني والشيخ عبد القادر الجاوي والشيخ عبد الحليم بن سماية وغيرهم،

¹ جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، مطبوعات كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، ص148.

² ينظر: المرجع السابق 166.

ومنهم من اعتمد على الصحافة مثل عمر بن قدور الجزائري¹ وعمر راسم² والأمير خالد³ وغيرهم فهؤلاء وأمثالهم ساهموا جميعا في العمل الاصلاحى وصبروا وصابروا"⁴.

لقد ترك لنا أعلام الجزائر وصفوتها إرثا علميا وثقافيا طيبا، ومن ذلك تفسير ابن باديس وتفسير الشيخ إبراهيم بيوض⁵ والشيخ محمد بن يوسف أطفيش⁶، وآثار محمد البشير الابراهيمي وتاريخ عبد الرحمن الجيلالي⁷.

¹ عمر بن قدور الجزائري باحث كاتب جزائري صحفي شاعر أديب ومصالح جزائري من مواليد 1886 بالجزائر، تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه ثم سافر للخارج وأكمل تعليمه، ورجع للجزائر وأسس عدة صحف منها جريدة الفاروق ثم الصديق، توفي سنة 1932م. (ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، 499/01)

² عمر علي راسم من مواليد 1884م بالجزائر، نشأ وتعلم بها، كان صحفيا مميّزا، اشتهر بخطه العربي ومقدرته في رسم المنمنمات والذي أسس مدرسة المنمنمات الجزائرية في 1939 مع شقيقه محمد راسم وهو من رواد الإصلاح في عصر النهضة بالجزائر، عرف منذ صباه بأفكاره الإصلاحية، أنشأ جريدة الجزائر في 1908 ثم ذو الفقار في 1913 و كان اسمه المستعار أبو المنصور الصنهاجي، توفي سنة 1959. (ينظر: موقع جريدة الشعب / <http://ech-chaab.com/>)

³ الأمير خالد بن الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر ولد بمدينة دمشق بسوريا يوم 20 فيفري 1875 سياسي جزائري من رواد العمل السياسي السلمي في أثناء الإستعمار الفرنسي للجزائر، كان مناضلا وطنيا معروفا بالدفاع عن حقوق الجزائريين أسس جريدة الإقدام وتوفي بالنفى سنة 1936م بدمشق (ينظر: بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري)

⁴ عامر علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، مرجع سابق، ص 15.

⁵ هو الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ، ولد سنة 1899 / م من عائلة الحكيم بالقرارة بولاية غرداية جنوب الجزائر، ووالده يعد من أعيان البلد. عالم في الشريعة والتفسير، شارك في تأسيس جمعية المعلماء المسلمين الجزائريين، وكان عضوا في الهيئة العليا للعزابة بغرداية ومجاهدا في الثورة، له آثار كثيرة أبرزها تفسير القرآن الكريم، اوفي سنة 1981م (ينظر: محمد ناصر/ في رحاب القرآن).

⁶ محمد بن إبراهيم بن يوسف أطفيش ولد سنة 1820م في بني يسقن في وادي ميزاب بغرداية، عالم مسلم جزائري ومن الأئمة الإباضية برز في الفقه والأدب واللغة والتفسير ومن رجال النهضة الإصلاحية في الجزائر، تلقى تعليمه الأول في الجزائر وتقل في سبيل طلب العلم إلى الحجاز، كتب في التفسير والفقه وأصوله والتوحيد وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والسير والفلك والحساب والأدب، من أشهر كتبه هيمان الزاد ليوم المعاد، في ستة أجزاء، في التفسير، توفي سنة 1914م. (ينظر: بكير بن سعيد أعوش، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش)

⁷ عبد الرحمن بن محمد بن بوعلام الجيلالي، ولد سنة 1908م في بولوجين الجزائر العاصمة، تلقى العلم في مساجد العاصمة كجامع الكبير، وجامع سيدي رمضان، ومسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وواضب على تحصيل العلم والمعرفة حتى تعددت معارفه، واتسعت مداركه، وصار من أعلام الجزائر في العصر الحديث، ساهم الشيخ عبد الرحمان الجيلالي بقلمه في الصحف والمجلات الجزائرية، كما ساهم في تزويد المكتبة الجزائرية بالعديد من العناوين الهامة، منها: "تاريخ الجزائر العام" الذي يعتبر مرجعا لا يمكن لدارسي تاريخ الجزائر الاستغناء عنه، وقد توفي 2010 بالجزائر. (ينظر: مولود عومر، الشيخ عبد الرحمن شيبان ذاكرة الأمة، المكتبة الجزائرية الشاملة)

وفتاوى عبد الرحمن شيبان وأحمد حماني¹ ومدونات أبو القاسم² سعد الله وغيرهم كثير.

وبعد الاستقلال سنة 1962م كانت الهياكل التعليمية محدودة جدا وهي مما بقي من آثار المعمرين الفرنسيين بالإضافة إلى الكتابات المنتشرة في أغلب المدن والمداشر، وعملت الدولة الجزائرية الحديثة على بناء مؤسسات تربوية من مدارس ابتدائية ومتوسطات وثانويات في كل البلديات تقريبا، لتضعف مع مرور الوقت وتصبح بالمئات، وفيما يخص الجامعات فقد توسّعت هي الأخرى لتصبح في كل ولاية جامعة وبعض الولايات الكبرى على غرار العاصمة وقسنطينة ووهران تحوي جامعتين أو أكثر.

لقد ارتفع تعداد الطلاب من مئات عشية الاستقلال، ليصل في الألفية الجديدة نحو 10 ملايين متمدرس، وهو عدد هائل وارتفاع واضح وملحوس، غير أنّ المستوى العلمي ضلّ محدودا ولم يعرف البحث العلمي الارتقاء اللازم على غرار الدول المتقدمة التي تطوّرت وارتقت بسبب تفعيل آليات وسبل البحث العلمي، وظلّت جامعاتنا تخرج طلابا يحملون شهادات يبحثون بها عن توظيف فقط، في حين اضطر الكثيرون للهجرة وهو ما سمّي بحجرة الأدمغة وقد أثبت العقل الجزائري تفوّقه في الجامعات الغربية والمحافل العملية الكبرى في شتى الميادين العلمية والتكنولوجية وعلم الفضاء والعلوم الإنسانية بمختلف تخصصاتها.

ومهما يكن من أمور سيئة حدثت ومرّت بها أمتنا ووطننا، فهذا لا يدعو لليأس والإحباط، فأهل الكفر والفساد والظلم مازالت لديهم النية والقدرة على التخطيط لمواصلة المسيرة في محاولات متواصلة لإضعاف المسلمين وتشويه تاريخهم ودينهم وحضارتهم. يقول أحمد الرفاعي مبيّنًا ذلك: "إنّ الجبهة التي استغلت ضعف المسلمين وعملت على إسقاطهم وتخلّفهم الحضاري ونجحت في ذلك، تزايدت قوتها ووسائلها في السيطرة والتحكم، وهي ما تزال تعمل على تكريس تخلف المسلمين وضعفهم الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، ممّا أدّى إلى تضائل مناعة المسلمين وتزايد وهنهم"³.

¹ أحمد حماني ولد بولاية جيجل سنة 1915م، عالم مصلح مجاهد وكاتب شغل مناصب عدة منها أستاذا جامعيا ومفتيا ورئيسا ترك آثار كثيرة منها فتاوى أحمد حماني وصراع بين السنة والبدعة، لجمعية العلماء ومديرا لجريدة البصائر توفي سنة 1998م (ينظر: ترجمة العلامة أحمد حماني الجزائري، موقع الموسوعة الشاملة)

² أبو القاسم سعد الله شيخ المؤرخين الجزائريين من مواليد 1930م بضواحي قمار من ولاية الوادي، باحث ومؤرخ، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين، له مؤلفات عديدة، توفي في سنة 2013، (ينظر: بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر)

³ أحمد الرفاعي شرفي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، دار ابن حزم، ط1، بيروت - لبنان، 2009م، ص242.

فإذا كانت لأهل الكفر والفساد والأعداء كل هذه الإرادة والطاقة والعزيمة، فالمسلمون أولى بشحذ الهمم وتقوية العزائم، للتصدي لهم وأكثر من ذلك لإعلاء راية الدين خفاقة لتكون أمة الشهادة في الريادة كما ارتضاها الله - عزَّ وجلَّ- لهم.

هذه الأوضاع المختلفة الاجتماعية والعلمية والسياسية والاقتصادية، بتداعياتها المختلفة كانت تشكل جزءاً هاماً من البيئة والمحيط الذي نشأ فيه أحمد الرفاعي، ومنه نشأ فكره في ضرورة إصلاح الأوضاع والارتقاء بالفرد والمجتمع والوطن والأمة والإنسانية جمعاء كما جاء الإسلام لتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والنجاة يوم القيامة.

عبد القادر للعطوم الإسلامية

المبحث الثالث: وفاته وشهادات حوله.

المطلب الأول: وفاته.

بعد كفاح طويل ومسيرة حافلة بالعطاء في حقول التربية والتعليم والصحافة والدعوة والإرشاد، وبعد مرض ألزمه الفراش لمدة أشهر متتالية "انتقل أحمد الرفاعي شرفي إلى جوار ربه مساء الأربعاء 29 من شهر ماي 2014م، الموافق لـ: 28 رجب 1435هـ¹ عن عمر ناهز 80 عاما قضاها بين منابر وكراسي الوعظ والإرشاد بمختلف مساجد قسنطينة والتي أبرزها مسجد الفتح ومسجد أبي أيوب الأنصاري بحي سيدي مبروك، وأقسام ومدرجات المدارس والجامعات عبر مختلف أنحاء الوطن. وقد حضر جنازته جمع غفير من المواطنين من جهات مختلفة من الوطن، يتقدمهم أصدقاء ورفاق الفقيه من أساتذة وزملاء وجيران وأقارب.. ورغم الجنازة المهمة التي أقيمت له، فلم يتقدم أي شخص لتأبينه وهذا نزولا عند رغبته ووصيته التي أوصى بها. "فقد أوصى قبيل وفاته أن لا تقام له تأيينية وأن لا يقال فيه شيء عند قبره، والتزم الجميع بتنفيذ وصيته"².

المطلب الثاني: رثاؤه وأقوال معاصريه فيه.

بوفاة أحمد الرفاعي شرفي تكون الجزائر قد فقدت رجلا أديبا أريبا، داعية ومصلحا، أستاذا ومريبا، جهله الكثيرون، وشهد له كل من عرفه بالصرامة والصدق والأخلاق والمثل العليا والكفاءة والتمكّن، وأيضا شهدوا بما خلّده من فكر حضاري نبير، وقد أشادوا فيما بعد بجهوده الدعوية المتعددة، وبما خطّه قلمه في الصحف والكتب، وفيما يلي شهادات الأصدقاء والخلان بعد وفاة الرجل الذي كان هادئا لا يجب الظهور كثيرا.

لم يكن أحمد الرفاعي شرفي -رحمه الله - يجب البهرجة والظهور، ولم يكن كثير الابتسام والمخالطة حسب مقربيه، كان خلقه الحياء وشيمته التواضع الجُم، يقول أبو جرة سلطاني عن رفيقه: "عاش متواضعا بسيارة متواضعة بيت متواضع ولما توفاه الله لم يترك شيئا، وترك وصية بعده يقول فيها: لا تطروني بشيء ولا أريد تأيينية أو أن يتحدث أحد في جنازتي ويقول كان وكان وكان... فأنا لم أكن شيئا، والله يعلم ما في قلبي اتركوني لربي - عزّ وجلّ-، وبالتالي جنازته ما تكلم فيها أحد"³.

¹ ينظر: جريدة الجمهور، العدد 2611، بتاريخ 29 ماي 2014م قسنطينة، الجزائر، ص 24.

² أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ المرجع نفسه.

إنَّ منزلة الرجل الرفيعة ومكانته المرموقة دفعت ببعض أصدقائه ممن عرفوه وعاشوه عن قرب أن يدونوا شهادات قوية ومواقف خالدة للفقيد، وقد نُشرت أغلب هذه الشهادات عقب وفاته في بعض الصحف الوطنية وكانت متنوعة، عملت على تصنيف هذه الشهادات حسب محاور محددة وتركت شهادات أخرى في عناصر البحث بما يخدم لبَّ الموضوع.

الفرع الأول: منزلة الرجل القدوة.

سجّل بعض من رجال الجزائر وأعلامهم شهادات تبرز قيمة الرجل ومكانته، منها ما كتبه محمد الهادي الحسيني إثر وفاة أحمد الرفاعي: "كان الأستاذ - رغم لقبه شرقي الرفاعي الذي يدل على الشرف والرفعة - متواضعا في غير ذلة، وعزيفا في غير استعلاء، وزاهدا في غير سلبية. وكان ينفر ممن يمكن تسميتهم "القواعد على غير قياس"، وهم الذين لا يبلغون - لا بمقالة ولا بدرس ولا بمحاضرة - ما أمروا - على لسان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بتبليغه، حيث قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»¹. كما كان يمقت أولئك الذين يراءون النَّاس، ولا يسترضون ربَّ النَّاس، لم يكن أستاذنا كالأنعام يأكل ويتمتع، بل كان صاحب رسالة نبيلة، وكان وفيًا لتلك الرسالة ومخلصًا لها، ولمن يشاركه الإيمان بها والعمل لها، ومن ذلك الوفاء جمعه لتراث بعض علمائنا ونشره في النَّاس، كالشيخ العربي التبسي²، والشيخ أبي يعلى الزواوي، ومبارك المليبي³ رحمهم الله⁴.

عمل أحمد الرفاعي على جمع تراث أعلام جمعية العلماء وتحقيق بعض الكتب وجمع ما تفرق، وكل ذلك في رؤية حضارية مميزة، لم يكن يرى إبراز فكره ومنتوجه فقط، فهو عاش للأمة والعمل على استعادة حضارتها ومجدها.

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، رقم: 3461، 170/4.

² ولد العربي التبسي سنة 1985م بولاية تبسة، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثم ارتح إلى تونس ثم القاهرة، عرف بنشاطه الإصلاحي وكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتولى إدارة معهد ابن باديس فترة من الزمن، اختطفه الاستعمار سنة 1957م ومنذ ذلك الحين لم يعرف مصيره. (ينظر: نبيل أحمد حلاق، العلامة المصلح الناصر الشهيد الشيخ العربي التبسي موقع الموسوعة الجزائرية الشاملة).

³ هو الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم المليبي من مواليد 1895 بولاية جيجل، درس تعليمه الأول في مسقط رأسه ثم في قسنطينة وتوجه إلى جامع الزيتونة بتونس، يعتبر عضوا مؤسسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كانت له مقالات كثيرة في صحف جمعية العلماء، ترك تراثا مهما، ومنه كتاب رسالة الشرك ومظاهره، توفي سنة 1945م. (ينظر: محمد المليبي، الموسوعة الحديثة الشاملة)

⁴ ينظر: محمد الهادي الحسيني، نجم أفل، موقع وجريدة الشروق اليومي <https://www.echoroukonline.com>، تاريخ الزيارة: 2019/02/20 في الساعة 23.30.

يقول الطيب برغوث عن شيخه أحمد الرفاعي، وعن البعد الحضاري والفكري في فكره: "والشيخ شرفي الرفاعي كما عرفته، سار على هذا الخط الرسالي الصاعد، وقطع فيه أشواطاً بعيدة، لذلك فإنني أودُّ بهذه المناسبة الأليمة التي نودعه فيها إلى المراحل التالية من دورته الوجودية الكبرى، أودُّ أن أفضي ببعض الخواطر حول الراحل العزيز، الذي كان لي شرف التلمذ الحرِّ عليه زمناً طويلاً، والاستفادة من علمه وخبرته وحاله، فأحبته وأكبرت فيه خصالاً حميدة جمّة، أجاهد نفسي على استلهاً أقباس منها في حياتي قدر طاقتي"¹.

لم يكن أحمد الرفاعي يائساً ولا محبطاً تماماً، رغم ما كان يديه أو يظهر عليه من مشاعر السخط ومن كونه ناقماً وناقداً للوضع، وذلك ما كان يدفعه دوماً للعمل على بعث الروح الحركية في الأمة، كما أنّه لم يكن مزدوج الفكر ولا يلمس المتابع لفكره أيّ تناقض بين ما كان يحمله من فكر وبين سلوكه ومنهجه.

يعقب الطيب برغوث فيضيف قائلاً: "وقد كان بعض من لا يعي الأهمية التربوية لهذه الروحية الرسالية المتميزة في حياته، يصفه بالتشاؤم والتقلب والقابلية السريعة للانقباض والإحباط، بينما كان ذلك يشكّل منهجية شعورية ولاشعورية بعيدة الغور في سياسة نفسه ومن يحيطون به من شباب الصحة وقادتها، حتى يأخذوا أنفسهم بالجدية والروحانية والأخلاقية والسلوكية والفعالية الرسالية اللازمة، وأن يتخلصوا قدر الإمكان من أسباب وعوامل ومؤثرات الازدواجية الفكرية والنفسية والسلوكية والحركية والاجتماعية.. التي تبدد طاقاتهم وإمكاناتهم العقلية والنفسية والروحية والاجتماعية، فيما لا طائل من ورائه، وتحرمهم وتحرم مجتمعهم من خدماتها وبركاتها"².

ويلاحظ من خلال شهادة الطيب برغوث أنّه تأثر كثيراً بفقدان الرجل، وقد عبّر عن أمنيته في جمع رصيد الرجل يضيف قائلاً: "وأتمنى أن تُتاح لي فرصة الحديث عنها مستقبلاً بحول الله تعالى، كما فعلت في كتابي عن شيخ الدعاة أحمد سحنون³ رحمه الله: "أسرار القوّة والقدوة في الحياة الدعوية للشيخ أحمد سحنون"، لتستفيد منها أجيال الصحة والدعوة والمجتمع والأمة بحول الله تعالى؛ ففي الحياة

¹ الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعّالة، موقع وجريدة الشروق.

اليومي <https://www.echoroukonline.com>، تاريخ المقال 2014/06/15م. تاريخ الزيارة: 2019/02/21 في

الساعة 09.00

² ينظر: الطيب برغوث، مرجع سابق.

³ أحمد سحنون: شاعر الجزائر في عصره (1907-2003م) ولد في قرية ليشانة بولاية بسكرة، وتوفي بالجزائر العاصمة، كان ماجداً في الثورة وعالماً وعضواً في جمعية العلماء من آثاره: دراسات وتوجيهات إسلامية، ديوان أحمد سحنون وديون شعر للأطفال (ينظر: محمد لخضر سائحي، محاولة لكتابة تاريخ أدب الطفل في الجزائر، ص75)

الدعوة للشيخ شرفي الرفاعي-رحمه الله- جوانب كثيرة من أسرار القوة والقدوة التي ينبغي أن تعرف وتستفيد منها الأجيال"¹.

وعن قيمة الرجل في حقل الدعوة يقول محمد الهادي الحسيني مرة أخرى مبرزاً المكانة والقيمة التي تميّز بها الرفاعي: "لقد كدح الدكتور إلى ربّه كدحاً، وأدى . قدر الاستطاعة . ما ائتمن عليه من أمانة التوحيد مذ كان في عالم الذر، فقد شهد عارفوه أنّه لم يستنكف أن يكون عبداً لله، تلك العبودية العاملة الحرّة، ثمّ اندفع بعد الرشد إلى تبليغ رسالة الإسلام بلسانه القوَال وقلمه السيّال، ولم ينكص على عقبيه، بل استمر في ذلك غير منسلخ من آيات الله التي آتاه إياها حتى آتاه اليقين، ولم يشتر بها ثمناً قليلاً، ولم يضلل بها، وقد كان كما عرفناه من أحرص النّاس على تجسيد حديث من لا ينطق عن الهوى في بذل النصح لله، ولكتابه، ولرسوله وللمسلمين خاصّة وعامة."².

وشهادة محمد الهادي الحسيني لأحمد الرفاعي شرفي تبيّن وتكشف الحرص الذي كانّ يحمله الرفاعي لتبليغ الدين والنصح للأمة والمجتمع.

ومن صفات الرجل التي عرف بها وأشاد بها أقرانه وأحبابه، صرامته في قول الحقّ وشجاعته دون مداراة ولا محاباة "فلقد كان رحمه الله يمقت الازدواجية والنفاق أشدّ المقت، ويجاهد نفسه مجاهدة صارمة مضنية من أجل البراءة من ذلك، وكان شديد الاتهام لنفسه والمحاسبة لها والثورة عليها، والحمل لها على المضىّ صعداً في المدارج العليا للرسالية البصيرة، وعدم الرضا بطول المكث في سفوح مدارج هذه الرسالية التي تنقطع فيها أعناق غالب البشر، ولا ينفذ من جاذبيتها السالبة المقعدة إلى الأرض إلا أهل المثالية الرسالية البصيرة، المنشدّة دوماً إلى عزائم الأمور ومعاليها، وإلى الأولويات والموازنات المعززة لذلك"³.

ومأ سجّله أبو جرة سلطاني عن أحمد الرفاعي شرفي في مسيرة النضال من أجل الصحة والدعوة قوله: "كانت المسافة الواصلة بين المنطلقات والأهداف واسعة وشاقة ولكننا بدأنا مسافة الألف ميل بخطوة واحدة، اتفقنا في الكثير واختلفنا في القليل ولكن أخوتنا كانت فوق كل الاعتبارات لأنّه هو شخصياً رحمة الله عليه كان حريصاً على معاملة كل من يحاورهم أو يتعايش معهم بأخلاق الصحابة - عليهم الرضوان- بنفس الحرص على سدّ كلّ المنافذ المؤدية إلى حظوظ النفس أو وسوسات الشياطين"⁴.

¹ الطيب برغوث، مرجع سابق.

² محمد الهادي الحسيني، مرجع سابق.

³ الطيب برغوث، مرجع سابق.

⁴ أبو جرة سلطاني، فقدنا رجلاً من جيل الصحابة، جريدة الشروق اليومي الموقع الإلكتروني www.echoroukonline.com بتاريخ 2014/05/31. تاريخ الزيارة 2019/12/12 في الساعة 22.00.

لقد كان أحمد الرفاعي دائم الظهور بالوجه الحسن والثياب الحسنة والقول الحسن، فكان الحسن يلازمه حيثما حلّ وارتحل، وعن تلك الصفات وأخرى يحدثنا صديقه المقرب حسن خليفة: "هل أتحدث عنه كأستاذ "أنيق"، أنيق الخارج؛ حيث لا يرى في المحافل العامة إلا في كامل أناقته وهندمته وكماله في اللباس المتناسق الألوان، وهو ما يعرفه عنه كل طلابه ومعارفه وغير معارفه، فما وُجد مرة في ثياب بالية ولا هندام مشوش كتيب المنظر، بل لقد سجل في مشروع وثيقة الأخلاق الفردية والاجتماعية لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- التي تنشر مع هذه الخواطر، بمثل ذلك فأوجب على الفرد المنتسب للجمعية المحافظة والالتزام بطهارة ونظافة الجسم واللباس والماعون والمسكن والمحافظة التامة على الصحة؛ لأنها وسيلة لإنجاز كل الواجبات إصلاح عيوب النفس وجهاد أهوائها وعاداتها الضارة. وغيرها من البنود، كما كان أنيق الداخل؛ حيث لا يسمع منه ذمٌ أو شتمٌ أو إساءة لأيٍّ كان، وقد أُسيء إليه كثيرا من أحبته ومن خصومه على حد سواء"¹.

هذه الصفات وغيرها تعكس صورة المؤمن القدوة في ظاهرة الجميل النظيف، ومن خلال سلوكه العلمي، ومن ذلك حزمه وانضباطه في عمله فقد كان "أستاذا مدرسا لعديد المواد والمقاييس، وكان لا يعرف (العيب) ولا يقبل به، لا يجب من الطلاب التأخر عن الدخول إلى القاعة أو المدرج، تمامًا مثلما لا يجب أبدا العيب في داخل القاعة و المدرج من تشويش ولا مبالاة وإهمال وما أشبه، ممّا صار ديدن الطلاب اليوم؛ حيث لا اهتمام ولا متابعة ولا مدرسة"².

إنّ الصفات المذكورة آنفا والتي يعرفها الكثير من المقربين من أحمد الرفاعي شرفي تؤهله إلى صفة الرجل القدوة أو الأنموذج الذي يحمل الفكرة الحضارية ويسعى لتطبيقها بمنهج القدوة أولا، حتى وصفه الطيب برغوث بالرجل المسكون بالمثالية "لهذا كلّه، وصفته بالرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعّالة، المنشدة دوما إلى القيم العليا للإسلام، وإلى المنطق العملي الفعّال، والروح الجماعية التكاملية، وفقه السنن الناظمة لحركة الحياة. إنّه مدرسة كبيرة للرسالية المتوازنة، الجامعة بين الروحية والمثالية الأخلاقية من جهة، والانجازية الاجتماعية الفعّالة من جهة أخرى. وإنّه ليحز في نفسي كثيرا أن اعترف بأننا كصحوّة وحركة ومجتمع ودولة، لم نستفد من هذه المدرسة الرسالية في حياتنا، وفاتنا بذلك خيرٌ كثير، نأمل أن نستدرّكه بعد الفراغ الذي تركه في نفوسنا وواقعنا"³.

¹ حسن خليفة، مرجع سابق.

² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: الطيب برغوث، مرجع سابق.

هذه الحنكة التي كان يتمتع بها أحمد الرفاعي هي حصيلة تجارب وقراءات كثيرة للتاريخ والواقع، وأيضا اكتسابه الكثير من المعارف من خلال أسفاره خارج الوطن ومشاهداته لمجريات الأحداث والتغيرات خاصة تلك التي وقعت في العراق، وبذلك كان يحمل همّ التجديد دوماً في كلّ كتاباته.

لقد خسرت الحركة الإسلامية رجلاً فذاً بوفاة أحمد الرفاعي، فقد كانت لديه خبرة عظيمة، وقد عاش بالعراق والعراق كانت حبلتي وملائي بالتوجهات الحزبية والتي نجم عنها ما حدث للعراق من بعد، كانت الجامعة مليئة بأنصار حزب البعث وبالشيوعيين وفي وقت عبد الكريم عارف وعبد الرحمن عارف وفي وقت الانقلاب الأول الذي عاشته العراق قبل 1962م، كان قد عاش ورأى كل الأمور اختمرت في ذهنه. وبعد رجوعه للجزائر وقبلها ذهب للتدريس في موريطانيا مدة سنتين تقريبا وهو من حكي هذا الأمر للأستاذ حسن كاتب، وأول ما بدأ التدوين كان يحاول بعث فكر التجديد وكتابه في التعريف بالقرآن يظهر منهجه ورغبته في الملحة في بعث التجديد¹.

إنّ خبرة أحمد الرفاعي كانت مزيجاً من نبوغه، وممّا استفاده من تجارب وخبرات داخل الوطن وخارجه قبل الاستقلال وبعده في التدريس والخطابة والدعوة، فكان يشعر في كلّ ذلك بثقل المسؤولية التي تحملها ويذكر بها الجميع.

يضيف حسن كاتب: "وكان لا يترك فرصة تمرّ دون أن يذكر بالأمانة وتكاليها ويحمل كلّ من يتحدث إليه مسؤولية الإسلام والدعوة، وظلّ كذلك حتى في لحظاته الأخيرة. قبل أن يلفظ أنفاسه فقد كان يتحدث عن عظمة هذا الدين وعن قدرته على تحقيق الانتصارات حتى لو انهزم المنتسبون إليه جميعاً فهو صاحب فكرة (عصر الإسلام الثاني) إسلام القرآن والسنة وليس مزاعم قشور المسلمين الذين يقول عنهم إنهم سيّسوا الدين ولم يسلموا السياسية، ففسد الدين وفسدت السياسة"².

ولنا حديث مفصل عن موقف أحمد الرفاعي من ممارسة السياسة والخصوص فيها وتأثير الحركات الإسلامية والدعوة الإسلامية عوماً بالمشاركة السياسية والحزبية.

الفرع الثاني: تواضعه وزهده.

كُرم أحمد الرفاعي في حياته وأثني عليه الناس ولم يكن ذلك يرضيه أبداً، وفي تكريم خاصّ حظي به أقامته له جريدة الجمهور بقسنطينة رفقة مديرية الثقافة بالولاية، وقد أهدى له مبلغ مالي فرفضه ولم يستلمه وهذا مما يدل على زهد الرجل وتواضعه الجم. وهذه شهادة أحد المقرّبين منه الأستاذ علي بن الطاهر "عُرف عن الشيخ زهده وعفته، وتجلّى ذلك حين كرمته يومية الجمهور كما ذكرنا، فقد تنازل

¹ ينظر: حسن كاتب، مرجع سابق.

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

عن أشياء قد تغري غيره، وأولها رحلة العمرة، التي كرمته بها يومية الجمهور سنة 2010م، فتنازل عنها وقال إنَّ العمرة كان نفعها يعود لي شخصيا فأنا أريد تعويضها بطبع كتيبي، لنشر العلم، كما بادرت حينها مديرية الثقافة بتكريمه وأعطته صكًا، ولكنه رفض وتحدّث إلى مدير يومية الجمهور في مكتبه وطلب منه أن يعيد الصكّ لمدير الثقافة وقال : لست أحقُّ به فاستغله في أمور تخدم الثقافة"¹ .
وفي الرسالة التي كتبها بمناسبة تكريمه يقول المكرم أحمد الرفاعي: "قبلت تكريم مديرية الثقافة باعتزاز على أنه موجّه للثقافة القيم والمبادئ وليس لشخصي الضعيف، وأعتذر عن قبول المبلغ المالي المرفق بها لكونه يتناقض مع قناعاتي وقيمي ومبادئ"² .

يُبين هذا الموقف لأحمد الرفاعي حبّه للثقافة وبعده عن الأنانية والجشع وإيثاره حبّ الخير للعامة على مصلحته الخاصة، هذا السلوك ينم عن تربية روحية عالية كان يتمتع بها الرفاعي. وقد تعلم من سلوكه وتصرفاته الكثير، يقول أبو جرة سلطاني: "رحمك الله يا أبا تميم، فقد تعلّمنا منك التواضع والصدق، وتعلّمنا منك الشجاعة وكلمة الحقّ، وتعلّمنا منك الصدع بالحجة مهما كانت النتائج وحاولنا مجاراتك في سمتك وتعاملك مع من يحيطون بك فما أحد منّا استطاع أن يشق لك غبار، ولم نعرف حقيقة ما كنت تخفي من أسرار وأنت بيننا حيًّا فلمّا فقدناك شعرنا أنّنا خسرنا رجلاً من قامّة جيل الصحابة، كان يعظنا بحب ويعلمنا برفق ويدفع بنا إلى ساحات الصّحوة بثقة الوالد وحنان الوالدة، فلمّا انتقلت إلى رحمة الله أصابتنا حالة من اليتيم الدّعوي.. ألسنا كلنا أيتام دعوة؟"³ .
ولا أحد تعقيا على هذا الكلام مثل قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فقد مال *** ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حُرِّ *** يموت بموته خلق كثير

الفرع الثالث: وطنيته.

كان أحمد الرفاعي شرفي -حسب مقربيه- رجلا وطينا حدّ النخاع، وقد بكى كثيرا وبجربة لأجل الوطن وما لحقه من أذى في تسعينيات القرن الماضي، ونلمس في كتاباته الكثير من المواضيع ذات التوجه النوفمبري فهو يدعو دوما لاحترام ثورة نوفمبر المجيدة ومبادئها، وما ضحّى لأجله المجاهدون والشهداء، وهو إقامة دولة جزائرية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية.

¹ علي بن الطاهر، تقديم كتاب أحمد الرفاعي شرفي، الام في الدعوة والصّحوة ص385 مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي جزء من كلمة ألقاها بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومدير الثقافة بقسنطينة، بتاريخ 10 جوان 2010م نسخة أصلية من أرشيف الفقيد، ملحق رقم 03.

³ أبو جرة، فقدنا رجلا من جيل الصحابة، مرجع سابق.

وهذه شهادة الطيب برغوث عن وطنية الرجل وحبّه لبلده الجزائر: "وأشهد أنّه رحمه الله عاش مستلهما لمآثر نوفمبر في حياته ومثريا ومؤصّلا لها، وداعيا إليها، وناشرا لها أينما حلّ وارتحل، وحزينا ومتألّما وباكيا على تهميشها وانحسارها في حياة الأفراد والمجتمع والدولة"¹.

هذا الحبُّ الكبير تمثّل في عدّة مواقف وخاصة عندما كانت الجزائر تعصف بها أزمة أمنية خانقة، لم يتوقف ولم يتوان في تقديم المقترح تلو الآخر، لوقف نزيف الدماء وتخريب الوطن.

كتب حسن خليفة عن هذه الخصلة من خصال الرجل: "ويمكن لمن يريد الوقوف على هذه المحبة الغامرة، والروح المتوفرة الوثابة، وهذا الانفتاح الإنساني الإيماني على جميع الفرقاء، أن يقرأ مقالته المهمّة التي نشرتها الصحف بعنوان "الشيخ أحمد الرفاعي شرفي يقدم مقترحات للخروج من الأزمة الجزائرية المركبة"، ففيها الكثير من الآراء الجريئة وغير المسبوقة في طرح الأفكار الجيدة في أوانها، وأداء واجب المثقف الحقيقي وهو التذكير والنصح والاقتراح بالكتابة والممارسة الحضارية في التواصل مع كلّ مكونات المجتمع: سلطة، ومعارضة، ونجبا ومجتعا مدنيا"².

لم يكن يعرف الإقصاء ولا يجذبه ويمقت كل من يتجاوز الجزائريين على مختلف مشاربهم فكّلهم شركاء في الوطن، والوطن هو الكلمة الجامعة بينهم بثوابته وقيمه المعروفة وفي مقدمتها الإسلام، ولم يكن أحمد الرفاعي يفرق بين الإسلام والوطنية.

يتكلم محمد الهادي الحسني عن علاقة الإسلام بالوطنية في فكر أحمد الرفاعي شرفي: "إنّ ممّا امتاز به أحمد الرفاعي شرفي في حياته الفكرية والعملية، أنّه لم يفرق بين الإسلام والوطنية كما يفعل بعض العلماء والدعاة، ولا شك في أنّه متأثر في ذلك بفكر الحركة الإصلاحية ممثلا في رموزها خاصة رائدها وقائد أتباعها وأنصارها الإمام ابن باديس الذي جعل شعار جريدته "المنتقد" (1925م): (الحقُّ فوق كل أحد، والوطن قبل كلّ شيء)، وعاش كما قال "للإسلام وللجزائر"، ولم يأل الأستاذ الرفاعي جهدا في غرس هذه الفكرة في عقول طلابه في مدرجات العلم، وقراءته في الصحف والمجلات، ومستمعيه في المساجد وساحات الدعوة"³.

وحبُّ الوطن عند أحمد الرفاعي لم يكن شعارا حزبيا يُرفع، ولا ادعاء يُكتب ولا قصائد تُقرأ، لقد كان يتمثل الوطنية في فكره وسلوكه قولا وفعلا، نصحا وتوجيها، تنبيها وتوبيخا، لم يكن حريصا على

¹ الطيب برغوث، مرجع سابق.

² ينظر: حسن خليفة، مرجع سابق

³ ينظر: محمد الهادي الحسني، مرجع سابق

متع الحياة ممّا تمنحه الدولة من امتيازات في السكن والسفر، بل عاش زاهدا لدرجة كبيرة حتى أنّه رفض هدايا وجوائز عينية ومادية عدة مرات كما سبق الإشارة إليه.

وكان ديدن الرجل هو قول الحقّ لا يسعى لإرضاء أحد إلا بالحقّ لا يبتغي من قوله الحقّ جزاء ولا شكورا. يضيف حسن خليفة: "وإنّ عارفي الأستاذ الرفاعي يشهدون بما علموا وبما سمعوا أنّه لم يكن متاجرا لا بالإسلام ولا بالوطنية، كما فعل ويفعل أدعياء الدعوة مدعو الوطنية ليحققوا مآرب وينالوا مكاسب، ولذلك لم يكن يهمه . فيما يقول ويفعل . أن يرضي أحدا من الناس، بل كان همّه الأهمّ وشغله الأشغل أن يُرضي الله - عزّ وجلّ-، وأن يصدع بما يراه الحقّ ولو أسخط الخلق"¹.

ومن كان همّه إرضاء الله نجحا وأفلح، وسار على الطريق القويم بفضل من الله وتوفيق منه.

الفرع الرابع: اهتمامه بأوضاع المسلمين.

كان أحمد الرفاعي في الثمانين، بل تجاوزها، ولكنه يتقد حيوية وإيجابية وحرقة، كأنّه في الثلاثين أو الأربعين، يتألم ولكنه لا يمتعض ولا يتدمر، يفكر ويتدبر، ويستعين بالقرآن والسنة والتاريخ، وإعمال العقل والفكر، في فهم حقائق ومعطيات الواقع الذي يعيشه المسلمون، في كلّ بقاع الأرض، ومنهم بطبيعة الحال المسلمون الجزائريون الذين يعانون من كثير من الأوصاب والمشكلات والعلل، بسبب بعدهم أو إبعادهم عن الإسلام والإيمان، فاستحكمت الدنيا فيهم، وتمكّنت المادة من قلوبهم ونفوسهم حتى صارت الجرائم الشنعاء: كالقتل والخطف والاعتصاب والسرقة والنهب من يومياتهم العادية جدا، تتحدث عنه الصحف السيارة وكأنها شيء عادي، بينما هو مؤثر خطير على التدهور والانحطاط المنذر بالشرور. وهذا كلام الشيخ رحمه الله وهو يقرأ الواقع الجزائري، ويعبّر عنه في كثير من الكتابات نُشر أقلها وما تزال المئات من المقالات تنتظر النشر، مقالات تحليلية عن الواقع الحاضر المتشعب المركّب، سياسة وفكرا وثقافة ودينا واقتصادا واجتماعا².

لم يكن أحمد الرفاعي بعيدا عن هموم وانشغالات أمته ووطنه بل كان جزءا من المجتمع يعيش آلامه ويهفو لتحقيق آماله، يقول مراد زعيمي عن اهتمام الرفاعي بأحوال المجتمع: "لقد عايش أخي الفاضل أحمد الرفاعي ما تعيشه الأمة من مظاهر التخاذل والضعف والهوان، والفرقة والخلاف والتشتت، فألمه ذلك. وكلّما التقينا لتتدارس حال المسلمين إلّا كانت هذه المظاهر من خلال الصوّر المختلفة التي

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² ينظر: حسن خليفة، مرجع سابق

يجسدها واقع أمتنا، محلّ مناقشة وحوار بيننا، وكان يُلحُّ باستمرار على إحالة هذه المظاهر إلى سبب رئيس جوهرى هو: ضعف الإيمان والابتعاد عن الله¹.

وكانت أوضاع المسلمين الآخذة في التدهور والتقهقر وغياب النخب العلمية عن دورها الريادي والحضاري، كان ذلك وغير ذلك ممّا يؤلم أحمد الرفاعي كثيرا، يضيف مراد زعيمي: "ومعنى ذلك أنّه يسيئه في كلّ حال وضع المسلمين عامة والطليعة منهم وهم النخب المثقفة المنتمية إلى الإسلام حقا أو ادعاء، حيث يقول أيضا في هذا الخصوص بوضوح حاد: يجب أن نلوذ بقدر من الرشد ومن الوعي ومن الجدوية لأنّ واقعنا الإسلامي بصورة عامة مهدد بأسوأ ممّا نظن من الأخطار، حيث انتهينا إلى وضعية لا ينتهي إليها حتى الحيوان الذي يعوّل على نفسه في العيش ودفع الأخطار إذ صرنا عالة على البشرية، وواقعنا يفرض أن نكون خير أمة أخرجت للناس"².

كلمات أحمد الرفاعي التي نقلها عنه رفيقه مراد زعيمي تعكس بحق عمق التألم والحزن الذي وصل بأحمد الرفاعي جراء ما لحق بالوطن والأمة من التخاذل والتخلف والأسى.

وكما كان أحمد الرفاعي متأثرا بواقع الأمة فقد كان متأثرا أيضا وبشكل أكبر لحال وضع الجزائر. يقول الصادق سلايمية في حوار معه: "وكان كثيرا ما يغلبه الدمع عندما يتكلم عن الجزائر وما آلت إليه الأمور، لقد ترك الدكتور في نفسي أثناء هذا الحوار مشهدا لا أنساه أبدا وهو عندما حبست الدموع كلماته في حلقة فسالت كحبات اللؤلؤ على لحيته البيضاء أثناء الحديث عن الجزائر التي يراها تُطعن وتُذبح من الوريد إلى الوريد على يد الجميع من إسلاميين في ما يزعمون ومن علمانيين وديمقراطيين ووطنيين³.

لقد كانت الجزائر وطنًا يسكنه كما كان فردا يسكنها، كانت له أمنيات وطموحات كبرى سعى لتحقيقها، وناضل في سبيلها من أجل الجزائر كما أرادها الرعيل الأول من الفاتحين والرعيل الثاني من جمعية العلماء والمجاهدين الأحرار، ولم تكن أوضاع الجزائر فقط هي من تشغله في فكره وفي قلبه، فقد كانت فلسطين هي الأخرى الجرح الغائر في نفسه، وكانت البلاد الإسلامية بأوضاعها محلّ اهتمامه وكانت الدعوة تسكنه.

وقد عبّر أبو جرة سلطاني عن خسارة الجزائر بفقدان هذا الرجل: "رحل عنا رجلٌ من جيل الصحابة خلقا ودعوةً وحرقةً على دينه وأمته، رحل وفي نفسه كثير من جراح التاريخ وأخطاء المسلمين

¹ مراد زعيمي تقديم كتاب أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، دار الهدى، عين مليلة الجزائر ط 1 سنة 2012، ص ج .

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ ينظر: الصادق سلايمية، حوار صحفي مع أحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق.

وحسرات الصحوة وغصص بعض المتحدثين باسم الصحوة من الذين كلّموا منحهم القدر فرصة للإصلاح أهدروها بخلافاتهم، وكلّموا بنى فريق لَبَنَة في جدار الأمة قام من يهدم الجدار كلّهُ لأنّه لا يقبل أن يعلو صرح الإسلام إلّا على يديه"¹.

وصدق من قال يمضي الرجال ويبقى الأثر. فرحم الله أحمد الرفاعي شرفي وغفر له وتقبل منه ما قدم، وما أسهم به من فكر وتوجيه ونصح في نفع البلاد والعباد والأمة جمعاء.

الأمير عبد القادر للعطوم الإسلامية

¹ أبو جرة سلطاني، فقدنا رجلا من جيل الصحابة، مرجع سابق.

خلاصة الفصل:

لقد كانت حياة أحمد الرفاعي شرفي في ظروفها وأحوالها مشابحة في العديد من المحطات والمواقف لظروف وأحوال حياة الشخصيات العلمية والدعوية الجزائرية، ففي بيئة يسودها الفقر والحرمان والحاجة نشأ وتربى في ظلّ استعمار غاشم يجرم أبناء الوطن من التعليم ومن أبسط وأهم الحقوق التي هي من صميم حقوق الجزائريين، كما كانت الظروف قاسية من كلّ النواحي الاجتماعية وثقافية واقتصادية، ومع ذلك نشأ أحمد الرفاعي مثل أقرانه متعلما في الزوايا والكتاتيب، ثمّ مرتحلا إلى حواضر العلم مثل قسنطينة ثمّ إلى الخارج متدرجا في التحصيل العلمي والشهادات، بدءا بتونس ثمّ العراق ثمّ القاهرة. وفي الجزء الثاني من حياته بعد استقلال الجزائر سنة 1962م، لم يكن الحال أفضل بكثير منه قبل الاستقلال، فقد وقعت أحداث بارزة وحوادث كثيرة وأزمات متعاقبة عايشها أحمد الرفاعي بكلّ تفاصيلها، كلّ تلك الأحداث كان لها التأثير على شخصيته وفكره.

وبالنسبة للحياة العملية فقد اشتغل أحمد الرفاعي محررا في إذاعة صوت الجزائر من القاهرة، وعمل في موريتانيا فترة قصيرة أستاذا، والتحق بالتعليم الثانوي ثمّ الجامعي.

مارس أحمد الرفاعي الخطابة والتأليف، وشارك في عدّة نشاطات دعوية متنوعة، وشهد له كلّ من عرفه بالزهد والإخلاص والحرص والانضباط وصدق الكلمة وقوّة الأسلوب ورقة العاطفة والمشاعر، وسعيه الحثيث للخروج من المأزق الحضاري وإصلاح الأحوال في شتى المجالات.

هذه المسيرة الحافلة سواء ما تعلق بنشأة الرجل أو بمراحل حياته اللاحقة من طلب العلم والعمل والسفر وممارسة الدعوة، كلّ ذلك كان عاملا رئيسيا في تشكيل الفكر الدعوي لأحمد الرفاعي شرفي، وهو ما تجسد وبرز من خلال الجهود الدعوية المتنوعة والمؤلفات المختلفة، ومن خلال ما تقدم أخذنا صورة حول فصل:

أحمد الرفاعي شرفي وتحديات المرحلة.

الفصل الثاني

مصادر الفكر الدعوي

عند أحمد الرفاعي شرفي

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: السنة النبوية والسيرة.
- المبحث الثالث: الصحابة والتابعون.
- المبحث الرابع: مدارس واتجاهات فكرية.

مدخل الفصل:

لكلّ مفكر روافد ومصادر اعتمد عليها واقترب منها واستقى منها المعين الصافي، وهي التي أسهمت بطريقة أو أخرى في تشكيل فكره الخاص، وككلّ العلماء والمفكرين المسلمين فإنّ القرآن الكريم والسنة النبوية عند أحمد الرفاعي شرفي يأتیان في المقدمة، فهما الوحيان الصادقان الشاملان لكلّ أصول الدين وقضايا المجتمع بالتفصيل أو بالعموم.

ولقد عبّر أحمد الرفاعي عن شمولية القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأكد على أنّه وبمقتضى الإيمان والعقيدة يجب الاحتكام للقرآن والسنة في شتى مجالات حياة المسلم. ومما قاله في هذا الشأن: "إنّ الاحتكام إلى الله - عزّ وجلّ (القرآن والسنة) أمر يشمل كلّ حياة المسلم الأسرية والاقتصادية والتجارية وغيرها من العلاقات الزوجية والأسرية"¹.

وبعد هذين المصدرين، تأتي السيرة النبوية وهي رديفة السنة، ومنها أخذت واستقت الكثير من الأحاديث الشريفة، فالسيرة هي الحياة المثالية ليس للنبي - صلى الله عليه وسلم - بل للإنسانية جمعاء، فلم ير الإنسان منذ خلق الله الأرض وإلى قيام الساعة مجتمعاً طاهراً ومنظماً وصادقاً مثل ما كان في عهده عليه الصلاة والسلام.

وغير بعيد عن تلك المرحلة النيرة يأتي مجتمع الصحابة الكرام الذين امتدحهم الله في القرآن الكريم، ومن بعدهم التابعين الأخيار وهم من القرون الثلاثة الخيرة، ومالهم من سيرة حسنة، وقد ضربوا أروع الأمثلة والصفات في الالتزام والزهد والثبات، وفي الدعوة وإقامة الدين ونشره.

وهنا نطرح الإشكالية: فيما تمثّلت الاستفادة من تلك المصادر المعتمد عليها في تشكيل فكر أحمد الرفاعي،؟ وأسئلة أخرى مشابهة حول: أثر المصادر والمرجعيات الإنسانية من تجارب وتوجهات وفرق ومدارس فكرية، إمّا تاريخية وإمّا معاصرة للرجل؟ ونقصد بالضبط: فيم برز دور وتأثير الصوفية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجماعة الإخوان المسلمين على شخصية أحمد الرفاعي شرفي وفكره وتوجهه.

الإجابة عن الإشكالية الرئيسية للفصل الثاني، والتساؤلات الأخرى، يُرجى منها إبراز مضمون:

مصادر الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 95.

المبحث الأول: القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم والبحث عن مفاهيم جديدة.

الفرع الأول: تعريف القرآن الكريم.

01- لغة:

القرآن (لغةً) مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: 17-18] أي قراءته¹. يقال: قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآنًا، ثم نقل هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم- من باب إطلاق المصدر على مفعوله، فالقرآن على هذا يكون بمعنى المقروء، وهذا الذي اختاره جمهور العلم استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق².

02- اصطلاحاً:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه³. إنَّ هذا التعريف متداول مشهور ولا يكاد تعريف للقرآن الكريم يخرج عن معاني هذا التعريف، وهو تعريف يشمل أيضاً خصائص القرآن، بما فيه الربانية والاعجاز والتواتر وأنه متعبد بتلاوته.

الفرع الثاني: البحث عن مفهوم جديد لعبارة القرآن الكريم.

إنَّ مفهوم القرآن الكريم لا يمكن حصره في معنى واحد أو مجال ضيق، بل إنَّه ليتسع ليشمل آفاق الفكر الواسع والمتجدد، ويشمل أيضاً الرؤيا الواسعة للكون والإنسان، وعليه فالرؤية للقرآن الكريم في مفهوم أحمد الرفاعي لا بدّ أن تتغير ولا تبقى حبيسة الجمود والعجز. ولقد أقرّ الكثير من العلماء أنّ كلّ ما كان من الفكر الإنساني فهو إنتاج بشري، وهو بذلك قابل للملاحظة والتقييم والاضافة والتعديل، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان أحمد الرفاعي يطرح بدائل أخرى واضافات جديدة في أكثر من محطة ومن أبرز المواقف في هذا الشأن موضوع تعريف القرآن الكريم فهو يرى أنّه يمكن توسيع التعريف المتداول والمعهود دون الانتقاص من قيمته وأهميته.

¹ ينظر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، ط1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة- السعودية، 2000، ص05.

² ينظر: كريم شوقي ابن عربي، المنفعة في مراحل جمع القرآن، ط1، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، مصر، 2018، ص02.

³ ينظر: محمد أحمد محمد معبد، نفعات من علوم القرآن، ط2، دار السلام، القاهرة- مصر، 2005، ص11.

يقول أحمد الرفاعي شرفي في بيان ذلك: "إنَّ الثابت من الدين إنما هو النص الشرعي المقدس قرآنا كان أم سنة وما يتضمنه من عقائد وشرائع وقواعد وأصول، أما الفهم والفقہ والاستنتاج والتحليل والتعليل فهذه جوانب تتغير بالضرورة تبعا لتغير الواقع البشري إيجابا أو سلبا وهذا التغير في الفهم والتحليل والاستنباط ليس أمر شهوة أو رغبة أو طموح، وإنما هو أمر يحدث بالضرورة لتطور أوضاع الانسان وهو ما يعرف بالاجتهاد ويحدث بشروط علمية معروفة وهي شروط الاجتهاد وقوانينه العامة"¹ يتضح من خلال هذه الفقرة أنَّ الرفاعي من دعاة إعمال العقل في فهم القرآن الكريم وفق قواعد الاجتهاد المعروفة بما يضمن صلاحية القرآن والشريعة عموما لكل الأزمان والأمكنة.

والتعريف المتداول للقرآن الكريم عند الكثير هو: "القرآن الكريم هو كلام الله - عزَّ وجلَّ - الموحى به إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم- باللفظ العربي، المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر، المعجز بلفظه ومعناه"².

وهذا التعريف للقرآن الكريم مهم ومفيد بكل تأكيد، وقد أوضح أحمد الرفاعي أهميته مضيفا أنَّه ومع أهميته ففيه بعض القصور، وبيان ذلك في قوله: "التعريف المتداول مهمّ ومفيد لكونه يؤثّق النصّ القرآني توثيقا متينا، ويثبت أنَّ المصحف الموجود بين أيدينا يتضمن حقا، ودون أي شك كلام الله - عزَّ وجلَّ- المنزل على النبيّ - صلى الله عليه وسلم- بواسطة جبريل - عليه السلام- دون أيّ تغيير، لكنه لا يعطينا فكرة عن ما جاء به القرآن الكريم من جديد عقدي وشرعي وثقافي وفكري، وذلك ما يدعو إلى البحث عن مفهوم جديد يضيف إلى المفهوم التقليدي المشار إليه البعد الرباني الغائب، وذلك ببيان ما جاء به القرآن من جديد كثير وعجيب، وذلك ما لا يجده الباحث إلا في القرآن الكريم نفسه وفي سنة النبيّ - صلى الله عليه وسلم- ذاتها"³.

ونلمس من خلال التعريف المعهود وما أدرجه أحمد الرفاعي أنَّ هناك تكاملا في المعنى والمفهوم، وهو اجتهاد لإدراك المعاني العميقة التي طالما دعا إليها أحمد الرفاعي لإبراز صفة الشمولية لكتاب الله الكريم.

فالقرآن الكريم بما تميز به من خصائص الربانية يمكن أن نستبط به ومنه مفاتيح ما أغلق وحلول ما أشكل مهما تغيرت الأحوال وتجددت الظروف وتبدلت الأزمان إلى قيام الساعة، وهذا ما يوضحه

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، د ط، دار للهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، سنة 2013، ص 50.

² محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط 4، مكتبة البشري، كراتشي باكستان، 2011، ص 09.

³ أحمد الرفاعي شرفي، المرجع السابق، ص 13.

المفكر أحمد الرفاعي بقوله: "إنَّ القرآن الكريم من هذا المنظور ليس الحفظ وحده، وليس عقيدة وشريعة فحسب، وإنما هو رؤية ربانية للكون والإنسان بكل قضاياها وأحداثه وأحواله إلى أن يرثَ الله الأرض ومن عليها. ونظرا لما لحق مفهوم عبارة (القرآن الكريم) ومضامينه من تحريف وتزييف نابع من روافد مختلفة جعلت الرؤية للقرآن الكريم تعكس المفاهيم المتباينة أكثر مما تبين خصائص الرؤية الربانية، لذلك يتعيّن تغيير الرؤية للقرآن الكريم ذاته؛ بحيث تنبع من النص القرآني نفسه، بخصائصه الربانية التي تجعل كل ما سوى القرآن الكريم دون القرآن الكريم أصالة وصحة وتجسيدا لنورانية القرآن الكريم وروحانيته، ومما يؤيد هذا الاعتبار ويؤكد أنه ما قيل عن القرآن الكريم وعلومه قديما وحديثا شغل الناس وأنساهم عن القرآن الكريم نفسه، وهذه الظاهرة السلبية عرفتها حركة التأليف عامة، مجسدة وممثلة فيما يُكتب عن المؤلفات من تفاسير وهوامش، ومختصرات، لا جديد فيها غير الاجترار والجمود والعجز عن الإبداع العلمي والفكري"¹.

لقد أوضح أحمد الرفاعي موقفه وأبدى تدمره مما سماه اجترار يكرّس الجمود والركود، وهو بذلك يدعو لضرورة الاجتهاد في فهم كلام الله على مراد الله.

هذه الأفكار التجديدية والتنويرية والتي تدعوا لفتح باب الاجتهاد دوما دون التنكّر لجهود الأولين كان أحمد الرفاعي -رحمه الله- يعمل عليها بشدّة ويدعو إليها بإلحاح ويحثّ عليه بصدق ويقين، وهو المدرك لأوضاع المسلمين المنهارة والراغب في ايجاد حلول قرآنية ربانية بالنظر والتعمّق في كتاب الله للوصول إلى تفسيرات جديدة، يفصل الكاتب أحمد الرفاعي "فوجوه القرآن الكريم تعني أنّ القرآن الكريم ليس له تفسير واحد ولا فهم واحدة ولا بُعد واحد لكونه رسالة الله - عزّ وجلّ - إلى الإنس والجن في كل زمان ومكان وبيئة، ومن سنن الله - عزّ وجلّ - التي لا تتغير أنّ القدرات العقلية تختلف من جيل إلى جيل ومن عمر إلى عمر، لأسباب عديدة، كما أنّ فضل الله - عزّ وجلّ - من الفهم والفراسة غيب لا يعلمه إلاّ هو"².

وقد جاء في بعض التفاسير: إنّ المراد بقوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 78] لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ أَي: لا يعلمون إلا قراءة مجردة من المعاني، فهم لا يعرفون التفسير، وإنما يقرءون كتابهم دون فهم لمعانيه، فعابهم الله -تبارك وتعالى- على ذلك، وإذا كان هؤلاء قد لحقهم الذمّ والعيب على تفريطهم في كتابهم وعدم علمهم به، فإنّ العيب والذمّ الذي يلحق هذه الأمة حينما تفرط بأعظم كتاب يكون أكثر، وقد

¹ أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، مرجع سابق، ص 11.

² أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص 94.

قيل: على قدر المقام يكون الملام، ولهذا قال الله تبارك وتعالى عن هذا القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [سورة فصلت. الآية: 41] ومن عزته ألا تدخل معانيه في القلوب الفارغة المعرضة المشتغلة عنه بغيره زهداً فيه¹.

لقد أبدع علماء الإسلام خاصة في القرون الأولى في تفسير القرآن الكريم، وقد تنوعت هذه التفسيرات حسب المواضيع وقسمت إلى أنواع كثيرة، وصارت مرجعاً مهماً للمسلمين خاصة لمن لا يفهم صريح القرآن ومبهمه ومتشابهه وعامه وخاصه وناسخه ومنسوخه ومختلف علومه - وهم الأغلبية المطلقة من عموم المسلمين - فمن أراد أن يفهم كلام الله يرجع لتلك التفاسير لينهل منها ومن معين القرآن الكريم يستقي الرحيق وينال المراد، والمهم بالتذكير والإشارة أن القرآن رسالة الله إلى النَّاسِ كَافَّةً في كل زمان ومكان ولكل جيل ولكل طبقة ولكل الشعوب والأمم، ومعلوم أيضاً أن الحوادث تتجدد والوقائع تتبدل والعلوم تتطور والفهوم تتنوع، وعليه فليس للقرآن تفسير واحد مرجعي دون غيره، فكما اجتهد الأولون ووضعوا تفاسير عديدة، فقد اجتهد بعض المعاصرين وكتبوا أيضاً في تفسير القرآن العظيم.

المطلب الثاني: أهمية ومكانة القرآن الكريم.

إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الرئيسيان لشريعة الإسلام ومنهما تستمد أحكام الشريعة وأصولها، وفيهما بيان لكل ما يحتاج إليه المؤمن في دينه ودنياه وآخرته، وهما أي - الكتاب والسنة - طريق الخلاص، وبهما اهتدت الأمة قديماً، ولا نجاة إلا بهما في كلِّ حين، ولا رشد ولا فلاح ولا استقامة إلا بالتمسك بهما. عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»².

لقد كان أحمد الرفاعي شرفي يعتمد أساساً على الوحيين الكتاب والسنة كما كان يدعو للتمسك بهما في جلِّ مقالاته وكتبه، وقد ألَّفَ رحمه الله كتابين عن القرآن الكريم وهما (القرآن الكريم: نور وبصائر وهداية ورحمة للعالمين) وكتاب (المدرسة القرآنية الجديدة). ومن القرآن والسنة كان يستمد ويستنبط فكره الدعوي، وكان أكثر استدلاله بهما وأكثر استنتاجه منهما، كما كانت دعوته للاحتكام للقرآن والسنة

¹ خالد بن عثمان السبت، نظرات في كتب التفسير، الموقع الإلكتروني الخاص / <https://khaledalsabt.com/>، تاريخ الزيارة: 2019/12/12م، في الساعة 13.00.

² رواه الحاكم في المستدرک، رقم: 318، 171/1، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما يقضى به القاضى ويُفتى به المفتي، رقم: 20362، 333/20.

شديدة، وبكلِّ حرص وتأكيد وفي جميع المجالات المختلفة وفي كلِّ شؤون حياة المسلم حيث يعتقد جازماً أنَّه لا حلَّ ولا نجاة إلا بهما ليس للمسلمين فحسب بل للإنسانية جمعاء، ولا يمكن تعويض ذلك ولا استبداله بأيِّ نظام أو شريعة أو قانون.

يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ الدين الإسلامي (القرآن والسنة) نظام كوني، يشمل الدنيا والآخرة، وتمثل فيه شريعة الله - عزَّ وجلَّ- الكونية للمؤمن برسالة الإسلام وغير المؤمن عبر كلِّ أجيال الإنسانية وبيئاتها وحضاراتها، وذلك ما يجعل النظام الإسلامي منفتحاً على الأجناس والأجيال والعقائد والمواريث البشرية كلّها، وهذا جانب في بنية الفكر الإسلامي لا يشاركه فيه جهد بشري بل لو اجتمع الإنس والجن على ذلك لعجزوا كما جاء في صريح القرآن ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء. الآية: 88]. ومما سبق يتبين أنَّ استبدال الرؤية القرآنية بالرؤية البشرية بالنسبة للمؤمن خاصة بمثابة لمن يستبدل السمَّ بالعسل والداء بالدواء"¹.

ومَّا لا شك فيه أنَّ المسلمين يمتلكون كنوزاً عظيمة متمثلة أساساً في الوحيين الشريفين، وبهما يمكن الارتقاء من جديد، غير أنَّ المسلمين المعاصرين خاصة، باتوا لا يحسنون قراءتهما ولا فهمهما كما يجب أن يكون وكما قرأهما الأولون، وخاصة ونحن نعيش المزيد من التحولات الحاصلة في مسيرة الإنسان، وإنَّ أيَّ تقصير في فهم نصوص الشريعة قد يُعطي الانطباع بأنَّ (القرآن والسنة) قديمان أو محدودا الصلاحية وهو ما يزعمه بعض العلمانيين المتأثرين بأعداء الإسلام الطاعنين في الدين وأصوله، وعليه فقد أصبح واجبا كما يقول أحمد الرفاعي: "أن يفهم المسلمون دينهم فهما معاصراً لأنَّه صالح لكل زمان ومكان، وأصبح حتمية أن نقرأ القرآن والسنة انطلاقاً من مشكلاتنا وعلى ضوءها، ونحن الآن في حاجة إلى اجتهادات فقهية وسياسية، واقتصادية وإذا كان الإسلام بمصادر تشريعه صالح لكل زمان ومكان فإنَّ أيَّ نقص أو خطأ فهو بسبب قصورنا ونقص فهمنا وسوء إسقاطنا أو استنباطنا لأحكام الشريعة على واقعنا"².

وبهذا يوجه أحمد الرفاعي الدعوة لعلماء المسلمين بضرورة الاجتهاد العميق لفهم الدين ضمن أصوله الكبرى ومقاصده العظيمة دون إغفال مستجدات العصر.

ولقد توالى الهزائم على المسلمين طيلة قرون عديدة، وشهد العصر الحديث أبشع تلك الصور من التخلف والتشرذم والتنافر، يرى أحمد الرفاعي أنَّ السبب الرئيس في كل ذلك هو البعد عن الكتاب

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 63.

² أحمد الرفاعي شرفي، حوار صحفي، كتاب: آلام في الصحوة والدعوة، مرجع سابق، ص 82.

والسنة وأنه لا حلّ للمسلمين ولا مجد ولا جبر للانكسارات إلا بالرجوع للمعين الصافي وجادة الصواب وقوارب النجاة الوحيين الشريفين.

الفرع الأول: شمولية القرآن الكريم.

إنَّ خاصِّيَّةِ الربانية والشمولية في القرآن الكريم تدلان بما لا يدع مجالاً للشك أنَّ القرآن العظيم شامل لكل ما يحتاج إليه النَّاس من توجيهات وتشريعات، وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، وجميع شؤونهم، يوضح أحمد الرفاعي هذه النقطة المهمة بالقول: "إنَّ الإسلام بالآيات القرآنية الموحى بها إلى النَّبي - صلى الله عليه وسلم - تضمنت الكثير من الجديد عن الإنسان، وحياته، ومصيره، وعلاقته بمحيطه، وبالكون كلِّه، وبمستقبله، ذلك ما يعني أنَّ الإسلام (القرآن الكريم) تفسير شامل لقضايا الإنسان والحياة نابع من إدراك عميق لحقيقة الكون، يخاطب في الإنسان عقله، وفطرته، ويقدم له البراهين والآيات الدالة على أنَّه حق، وأنَّه كلام خالق كلِّ شيء، ومالك كلِّ شيء، والعالم بكلِّ شيء والمتصرف في كلِّ شيء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [سورة الإسراء. الآية: 60] ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة. الآية: 284] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس. الآية: 83]"¹.

ومعلوم أنَّ النَّاس قبل الإسلام خاصَّة في البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم كانت الأمية والجهل، وكان الإنسان لا يعرف عن نفسه الكثير، فلمَّا جاء الكتاب المنير أوضح حقيقة الإنسان وأوضح له أيضاً ما يجب له وما يجب عليه، وأبصره بالنور والهداية، وأجابته عن التساؤلات الحائرة المتمثلة أساساً في: من أنا؟ وماذا يجب عليّ؟ و إلى أين المصير.

إنَّ المتأمل في الكتاب العزيز يدرك يقيناً ما أقرّه المفسرون وعلماء الإسلام عامَّة من أنَّ القرآن جامع وشامل وإن لم يكن كلِّه مفصلاً، فالأصول العامَّة واضحة المعالم، جليلة الدلالات، في بيان مقاصد الشريعة الكبرى وأهدافها ومراميها، وهي بذلك تكفي وتفي، غير أنَّ فهوم النَّاس تبقى هي القاصرة والعاجزة عن إدراك المزيد من الحقائق التي يحتاج إليها النَّاس، وهكذا كانت دعوة أحمد الرفاعي لاستنباط حقائق ودلائل وتوجيهات جديدة، وإن تكررت الآيات ومنها المتشابهة والمحكم والمفصل، ومنها الخاص والعام والمطلق والمقيّد وفي كلِّ ذلك نلتمس الجديد دوماً.

لقد تكلم علماء التفسير عن علم المتشابهة في القرآن الكريم وأفاضوا في بيانه وتفضيله، وأيضاً في تكرار بعض الألفاظ والآيات. يقول أحمد الرفاعي أنَّ كلَّ ذلك يحمل الجديد "وقد ترد القضية الواحدة

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، عين مليلة، 2011، ص71.

في القرآن الكريم، في عدد من الآيات المختلفة المواضيع، بل وفي عدد من السور المكية والمدنية لكن ذلك كله لا يؤثر لا على وحدة السورة ولا على وحدة القرآن الكريم الذي ليس كمثلته شيء في بنيته، وليس من باب التكرار بمعناه التقليدي ذلك أنّ الكلمة أو الآية في النص القرآني لها جانب تقليدي يتمثل في عروبة القرآن لغة وأسلوباً، ولها جانب إعجازي يتمثل في ربانية القرآن الكريم بمعانيه الإعجازية مع كل عبارة أو آية تتكرر، جديد رباني عرفه من عرفه، وجهله من جهله¹.

والجديد في القرآن يكون دوماً موجوداً باعتبار أنه لكل الأزمان والشعوب والأحوال، والتقصير الحاصل متمثل في عدم تفعيل الاجتهاد كما يجب أن يكون، هكذا عبّر أحمد الرفاعي في أكثر من مرة في مختلف كتاباته.

جاء القرآن الكريم فيه الهداية والموعظة والشفاء وهو النور المبين، مواضعه عامّة وشاملة لكلّ الجوانب قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: الآية 38]، تلاوته عبادة، وعبادة الصلاة الركن الركين لا تتم إلاّ به، وعن شمولية القرآن ومجالاته فصل أحمد الرفاعي في ذلك حيث قال: "إنّ الآيات والأمثلة السابقة وهي مجرد أمثلة تدل على أنّ تلاوة القرآن الكريم عبادة لله - عزّ وجلّ - بل نعمة من أجلّ النعم، وكرامة لا مثيل لها للمسلم الذي يؤجر على قراءة القرآن كما يؤجر على عبادات وطاعات: الصلاة والصيام، والحج والصدقة، وغير ذلك فضلاً عمّا يستفيدة من حكم ومواعظ القرآن الكريم. وقيمه ومبادئه وما يتضمنه من العلوم الإنسانية، والكونية والأخروية والدينيوية والمستقبلية والتاريخية، فالقرآن الكريم أصدق محدث، وأبلغ واعظ، وأحسن معلم"².

وحقيقة فتلاوة القرآن الكريم سهلة ميسورة لمن سهلها الله عليه، عظيمة الأجر كثيرة النفع، فما أحوجنا للعودة لهذا المعين الصافي نستلهم منه كل جميل وكل مفيد وكل جديد.

وعن شموليته يواصل أحمد الرفاعي الوصف: "إن شئت حدثك عن الجنة ونعيمها، وإن شئت حدثك عن النار وعذابها، وإن شئت حدثك عن الكون وعجائبه، وإن شئت حدثك عن القيامة وأهوالها، وإن شئت حدثك عن التاريخ وغرائبه، وإن شئت حدثك عن المستقبل ومخباته، وإن شئت حدثك عن الملأ الأعلى وأقداسه، وإن شئت حدثك عن الشيطان عليه اللعنة وأرجاسه، وإن شئت حدثك عن الجنّ وإن شئت حدثك عن الإنس، وإن شئت حدثك عن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وإن شئت حدثك عن العجماوات، وإن شئت حدثك عن الأبرار وفضائلهم، وإن شئت

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن نور وهداية وبصائر، مرجع سابق، ص 155.

² المرجع نفسه، ص 230.

حدثك عن الفجار وفضائحهم، وإن شئت حدثك عن العدل ومبادئه، وإن شئت حدثك عن الظلم وعواقبه، وإن شئت حدثك عن الفتن والمحن، وإن شئت حدثك عن العطايا والمنن¹.

وبنفس اللغة والأسلوب والايحاء يسرد أحمد الرفاعي المزيد من أسرار وخبايا ومضامين القرآن الكريم حيث يقول: "وإن شئت حدثك عن المتقين، وإن شئت حدثك عن المشركين والكافرين، وإن شئت حدثك عن المؤمنين الخاشعين، وإن شئت حدثك عن المنافقين والمرائين، وإن شئت حدثك عن مصارع الأمم ومهالكها، وإن شئت حدثك عن عجائب قرآنية، وإن شئت أضحكك، وإن شئت أبكاك، هو الحق الذي لا باطل فيه، والخير الذي لا شر فيه، والجمال الذي لا قبح فيه، والنور الذي لا ظلمة فيه، والشفاء الذي لا مرض فيه، يغنيك عمّا سواه ما خطت أنامل الإنس²."

ويبقى القرآن الكريم رسالة الله الأخيرة للبشرية جمعاء، خير معين للمؤمنين، وخير موجّه للناس كافة، بما حوى من قيم ومبادئ وتوجيهات عظيمة من لدن حكيم خبير.

إنّ الدعوة إلى الله تعالى أمر جليل، ومن أساليب الدعوة التي أكّدت عليها القرآن الكريم في عديد الآيات الموعظة الحسنة، وقد قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل. الآية: 125]. والقرآن هو موعظة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة النور. الآية: 34]. ومن هنا يمكن إدراك أهمية الموعظة للداعية، وقد أشار أحمد الرفاعي إلى أنّها تصلح لجميع الحالات وفي كلّ المجالات، حيث وصف ما جاء في القرآن كلّ مواعظ سواء تشريع أو قصص أو غيرها بقول أحمد الرفاعي: "جاء القرآن الكريم بالموعظة وهي التذكير بالحقّ والخير، وما يرقق القلب ويميل به إلى الفضائل ويبعده عن الرذائل والمفاسد، ويشعره بعظمة الله - عزّ وجلّ- و جلاله وآلائه ونعمه ممّا يزيد خشوعاً لله وتواضعاً له، والقرآن الكريم كلّ سمّاه الله - عزّ وجلّ- موعظة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس. الآية: 57]. فسوره كلّها مواعظ، وآياته كلّها مواعظ، وكلامه كلّها مواعظ، وعقائده وشرائعه وآدابه، وقصص الأنبياء، وسنن الله - عزّ وجلّ- كلّ ذلك مواعظ لأنّ الغرض منه التذكير بالحقّ والدعوة إلى الخير، وممّا سبق يتبيّن أنّ الموعظة ليس لها شكل معين ولا موضوع معين، إذ قد تكون

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الموعظة حكما شرعيا وقد تكون أمرا سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو فكريا أو علميا أو تاريخيا أو مستقبليا¹. ومهما خطب الخطباء ووعظ الوعاظ فسيبقى القرآن خير مذكر وخير واعظ لمن يتعظ. وكما أنّ الإسلام دين الفطرة، فالقرآن أيضا - وهو دستور المسلمين - يخاطب في الإنسان الفطرة، تلامس معانيه ومشاعره وأحاسيسه، يجد القارئ فيه المتعة والراحة النفسية، فقائله سبحانه وتعالى عالم بمن خلق، وعليه الفطرة السليمة تتقبل القرآن وترتاح له وتزهو نفسه به. يوضح أحمد الرفاعي كيف أنّ القرآن يخاطب الفطرة السليمة في كلّ مكان وزمان: "إنّ ملاءمة القرآن الكريم للفطرة الإنسانية في كلّ عصورها وبيئاتها، في آياته وسوره ومعانيه تتقبلها الفطرة الإنسانية، سواء في ذلك ما يتعلق بالعقائد كتوحيد الله - عزّ وجلّ- وعبادته وطاعته وطاعة رسوله، أو ما يتعلق بالشرعية والأحكام المنظمة للحقوق والواجبات، أو ما يتعلق بالأخلاق والآداب والثقافة في صورتها المعنوية الفطرية أو المادية الاجتماعية، فالقرآن الكريم يخاطب في كلّ إنسان فطرته بكلّ مكوناتها ممّا يجعل كلّ إنسان يحسُّ كما لو أنّ القرآن الكريم نص خاص به وحده، لكون معانيه تلامس أدقّ وأخصّ مشاعره وأحاسيسه ورغباته وشهواته حتى لكأنّ القرآن الكريم مرآة صادقة يرى فيها كلّ إنسان نفسه دون أيّ حجاب"².

إنّ المطلوب من الإنسان أن يجيأ على الفطرة، أي حسب قدرة الله في المخلوقات بمآ جبلهم عليه، والقرآن كلام الله العالم بكلّ شيء يخاطب الإنسان وهو يعرف طبعه وقدراته وجميع أسراره وما يحتاج إليه، ولذلك سطر له جملة القوانين والسنن التي تتوافق مع خلقته وقدراته. قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم. الآية: 30].

لقد حوى الكتاب العظيم- القرآن الكريم - علوما شتى، ومعارف كبرى، تخصّ العقيدة والشرعية وتفصيلهما، وليس ذلك فحسب بل تحدث عمّا ينفع الإنسان في دينه ودنياه وآخرته، وعن علاقاته بمن حوله وعن الأسرة والمجتمع والحضارة، ومن الآيات الدالة على شموليته قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل. الآية: 89].

يتحدث أحمد الرفاعي بالتفصيل عن شمولية القرآن وأنّ من آيّ القرآن ما يشير إلى التأمل في سنن الله في الآفاق والهداية والأنفس فيقول: "وتتمثل في الآيات التي لا تتضمن معاني عقدية أو تشريعية وإمّا تتضمن بيان سنن الله - عزّ وجلّ- في الكون وهي الجزء الكبير والعظيم من القرآن الكريم، ذلك أنّ

¹ المرجع السابق، ص 167.

² المرجع نفسه، ص 224.

القرآن الكريم ليس كتاب عقيدة وشريعة فحسب، وإنما هو أيضا كتاب ثقافة وفكر وحضارة، بل هو رحيق الثقافة ورحيق الفكر، لأنه من الله - عزَّ وجلَّ- الذي أحاط بكلِّ شيء علما، وكلامه سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت. الآية: 42]"¹.

والفرق واضح وجلِّي بين ماء جاء في الانسان من ثقافة ربابية، وبين ثقافة الإنسان، يضيف أحمد الرفاعي: ".. بينما ثقافة الإنسان المخلوق وفكره نابع من تجارب محدودة في الزمان والمكان وتنعكس عليها كل خصائص المخلوق بضعفه وأخطائه، أمَّا ثقافة القرآن، والفكر في القرآن فهو مطلق الصحة ومطلق الكمال، ومَّا سبق يتبين أنَّ القرآن الكريم يتضمن من المعارف والمفاهيم والمعاني، والقيم والمبادئ والموازين، وكلُّ ما تحتاجه الحياة الإنسانية في كل العصور والحضارات إلى قيام الساعة وزوال الدنيا"².

وبالإضافة إلى جملة المعارف المذكورة، فإنَّ القرآن الكريم ومن الاعجاز الرباني تكلم عن علوم ومعارف وحقائق علمية كثيرة تدخل جميعها في خانة ما اصطلح عليه - بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ القرآن الكريم الذي ليس كمثلته شيء في عظمته وبرابيته وكماله يتميز بسمة لا يشاركه فيها أيُّ نص آخر وهي أنَّه بشر بعلم مستقبلية قبل أن تحدث بمئات السنين"³.

ويبقى الإشكال المطروح دوما أنَّ المسلمين لا يبادرون باكتشاف تلك الحقائق أو ينطلقون من القرآن الكريم لإكتشافها، إنَّما يجيدون ويجذون التباهي بأنَّ القرآن سبق إليها، وهو حقا أمر يدعو إلى الفخر والاعتزاز، ولكن كان ذلك سيكون أفضل لو اكتشفه المسلمون أولا.

وعلم القرآن ليست حكرا على المسلمين فكتاب الله العزيز حسب أحمد الرفاعي يحمل قيمة اضافية للإنسانية جمعا، وفي القرآن المجيد جوانب تشريعية، يقول أحمد الرفاعي: "جانب معرفي عظيم نَبَّه إليه القرآن الكريم قبل الدراسات الحديثة بمئات القرون، فالقرآن الكريم يمثل ثقافة إنسانية كونية عظيمة القيمة والأهمية لكونها ترتبط بالمصلحة البشرية كلها وبالكون كله"⁴. وعليه فالإنسانية جميعا مدينة للقرآن الكريم وحقَّ عليها إن آجلا أو عاجلا العودة إلى دين الفطرة وإلى دستور البشرية جمعا.

¹ المرجع السابق، ص 177.

² المرجع، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 103.

⁴ المرجع نفسه، ص 178.

الفرع الثاني: الحاجة إلى القرآن الكريم.

إنَّ غاية الكثير في خدمتهم للقرآن الكريم تتمثل في حفظه في الصدور أو تحفيظه للناشئة وتلاوته في التراويح أو المآتم أو أداء الصلوات به كونه ركنا وواجبا، ومع ما في ذلك من أهمية ومنفعة ووجوب. فالاهتمام بالقرآن الكريم يجب أن يكون مع ذلك وأكثر من كل ذلك أهم وأوسع، وذلك عندما يتجاوز البعد النظري إلى البعد العملي التطبيقي، فالعلوم الأخرى ومهما ارتفعت وعلت فلن تصل معشار قيمة ومكانة كلام الله العليّ القدير، ومع ذلك تراها تحظى بالتطبيق والتنفيذ والتجسيد، فما بال الناس لا تفعل مثل ذلك مع القرآن الكريم رغم حاجتهم إليه كما يقول الرفاعي؟ وربما لكونهم لا يدركون قدر هذه الحاجة تراهم يزهّدون في كلّ ذلك. يوضح أحمد الرفاعي: "إنَّ البديل المجسد لمعرفة القرآن الكريم معرفة صحيحة يتمثل في إنصاف القرآن الكريم، ورفع الغبن والظلم عنه، والتمثل في اعتبار الحفظ وحده من غير فهم ولا عمل. يمثل الغاية والمقصد من تعلم القرآن وتعليمه، فإنَّ كل العلوم غير القرآنية، وهي كلّها دون القرآن الكريم مقاما وفضلا، تكتسب قيمتها من الفهم والممارسة أو التطبيق العملي، وذلك هو الحد الأدنى من حقوق القرآن الكريم على الناس كلّهم، وعلى المسلمين خاصّة، يُضاف إليها حقّ الإيمان غير المطلوب بالنسبة لسائر العلوم، وهذه الملاحظات/ الحقائق تبين ضرورة تغيير أسلوب وطريقة تعليم القرآن وتعلمه، وتغيير المعلم نفسه، وتغيير المدرسة غير الملائمة، وكل ذلك يتوق على مدى تقدير المسلمين لحاجتهم إلى القرآن الكريم"¹.

هذه الاشارات توحى للقارئ الرغبة الكبيرة التي كان يتمناها الرفاعي، في ضرورة إعادة قراءة القرآن واكتشاف المزيد من أسراره ودرره، وقد عمل على ذلك كثيرا، وفي رأيه فلن يحصل ذلك إلا بعد اقتناعهم بحاجتهم للقرآن والتي يظهر أنّها غائبة عن الكثير من الأذهان.

ويؤكد أحمد الرفاعي على ضرورة الرجوع إلى الخيار القرآني فليس للمؤمن الخيار في ذلك أصلا، فقد أمر الله تعالى في غير ما موضع بالتمسك بكتاب الله، ولا يجوز معصية أمر الله بحال من الأحوال قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 36]

لقد حان الوقت للرجوع إلى القرآن الكريم، والحقيقة أنّ القرآن بصلاحيته الدائمة وبقدسيته الربانية لم يكن يوما قاصرا أو مقتصرًا على فترة زمنية دون غيرها، وإنّما العيب كلّ العيب في من تركه جانبا وكأنّه إرث تاريخي لا يصلح لهذا الزمن الجديد والمتجدد، وسبحان الله ممّا يقول العلمانيون وما شابههم.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، بل التفكير في التغيير، مرجع سابق، ص 11.

وفي هذا المعنى أشار أحمد الرفاعي إلى الفرص العظيمة التي يضيعها المسلمون لحلّ كلّ مشكلاتهم والقرآن بين أيديهم حيث يقول: "إنّ المتأمل في واقع المسلمين اليوم يتبين له أنّ كثيرا منهم ينظرون إلى القرآن الكريم عامّة على أنّه كتاب تاريخي، ومفاهيمه وقيمة تجاوزه الأحداث والإيديولوجيات والسيل الجارف للعملية المادية العبثية وذلك ما جعل حياة المسلمين الاجتماعية مثقلة بالفساد، وهم غارقون في الجمود، والقرآن الكريم بكل عظمته بين أيديهم"¹.

إنّ القرآن الكريم بربانيته وكماله، وبرهانته حاجة أساسية وضرورية من حاجات الإنسان المسلم وغير المسلم، يرى أحمد الرفاعي شرفي أنّه بالإضافة إلى صلاحيته لكلّ النّاس فهو صالح أيضا لكلّ "زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والتاريخ والواقع يشهدان بذلك. أمّا الإنسان المسلم فإنّه منذ نهاية عهد النبوة والخلفاء الراشدين، وبدء العهد الأموي إلى عصرنا ومشاكله وقضاياه لم تجد الحلّ الصحيح بعد، سواء في ذلك القضايا السياسية أو العقدية الفكرية أو الاجتماعية العرقية، فقد انقسم المسلمون إلى سنة وشيعة وخوارج، وانقسم السنيون إلى مذاهب، وانقسم الشيعة والخوارج إلى فرق، وظهرت التيارات الفكرية: المعتزلة، والمرجئة، والزيدية، ثم ظهرت السلفية، والتصوف، وطوائفه، وسقطت الدولة الأموية، وقامت الدولة العباسية، وقامت الدولة الأموية الأندلسية، وظهرت الصراعات العرقية بين الشعوب من الأعاجم والعرب، وظهر الصراع بين الحكام"².

لقد مرّت على الأمة أحداث عظيمة وخطوب جليلة، مسّت أركان دولة المسلمين وما زالت الأمة تنن من وطأة تلك الانقسامات، وهي بعيدة عن القرآن الكريم، يضيف أحمد الرفاعي عن مأساة المسلمين المستمرة: "انقسمت الدولة الإسلامية، وانقسم المجتمع الإسلامي، وحارب المسلمون بعضهم بعضا، واستعان بعضهم على بعض بغير المسلمين، وسقطت بغداد، وضاعت الأندلس، واستعمر المسلمون، وضاعت فلسطين، وضاعت العراق، وضاعت أفغانستان، والصومال، وما زالت حروب المسلمين فيما بينهم لم تنته، والقائمة طويلة وقاسية بما نتج عنها من ضعف، وذلة، وهوان، وجهل، وتخلّف، وفرقة، كل ذلك وغيره مما لم يذكر يرجع إلى سبب واحد هو ترك العمل بالقرآن الكريم"³.

يعدد أحمد الرفاعي نكبات المسلمين التي حصلت بفعل جنائتهم المتمثلة أساسا في ترك العمل بالدستور الرباني، وهذا ما وقع لهم في الدنيا، فاللهم ألطف بنا وبالمسلمين ممّا ينتظرنا يوم القيامة. ومع توصيف الخطأ الشنيع يصف أحمد الرفاعي أيضا الدواء الشافي والبلسم النقي حيث يقول: "ولا علاج

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن نور وهداية وبصائر، مرجع سابق، ص 28.

² المرجع السابق، ص 234.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لما حلَّ بالمسلمين منذ عهد بني أمية إلى عهد أمريكا وإسرائيل إلا بالقرآن الكريم، فذلك ما يشهد له التاريخ وتجاربه العديدة الفاشلة، سواء في ذلك تجارب الملوك، أو الرؤساء، أو الزعماء أو الإيديولوجيين، أو العسكريين أو المدنيين، فما أفلح منهم أحد، ولن يفلح بغير القرآن الكريم وذلك ما يشهد له الواقع: واقع الجامعة العربية، وواقع منظمة المؤتمر الإسلامي وواقع الخليجيين، وواقع المغاربة، وواقع الآسيويين من المسلمين في باكستان وأندونيسيا وغيرها، فالداء واحد، والدواء واحد، القرآن وحده فقط"¹.

إنَّ مشاكل المسلمين تسببت فيها بالدرجة الأولى أفعالهم ببعدهم عن القرآن والسنة-، وأسهم في تفاقمهما عوامل أخرى داخلية وخارجية ومن ذلك تسييس الدين، وما لحق بالشعوب والدول الإسلامية من استعمار بغيض، وتكالب كل القوى المعادية على الدين الحق، والتي عملت ولا زالت تعمل على إضعاف المسلمين بكلِّ الوسائل والطرق والمناهج، وطال الزمن وبقيت الصورة القائمة سيدة الموقف والمشهد الأبرز.

وفشل محاولات الإصلاح كانت في الغالب بسبب عدم معالجة الأمور من الجذور والأساس، واتخاذ سياسية التبرير لكل أخطاء التاريخ، ولا حلَّ في رأي أحمد الرفاعي إلاَّ باتخاذ القرآن الكريم بديلا حتميا لعلاج معضلات المسلمين العميقة والممتدة في ماضينا والبارزة بقوة في حاضرنا يقول رحمه الله: "ففي تاريخنا الإسلامي التسييس والتبرير وما نتج وينتج عنهما من ظلم وفساد صار الصورة المكرسة غير القابلة للإصلاح والتغيير، بعد انحسار/ انحصار صورة الإسلام الرباني، إسلام القرآن والسنة. ورغم ذلك فقد ظلَّ الشعور بضرورة التغيير قناعة راسخة لدى العلماء والفقهاء وذلك يتجلى في آرائهم ومواقفهم من قضية مفساد الواقع، ولعل ما جعل آراءهم لا تتجاوز معنى الإصلاح والترقيع إلى مستوى التغيير الجذري الشامل والمطلوب لكون البديل المطلوب لم تتضح لهم معالمه وقيمه ومتطلباته، ولكون التغيير لا بد له من بديل صحيح مقنع، وإلاَّ صار حركة في الجهول، وذلك ما ينبغي تلافيه في واقعنا بعد أن تبين أنَّ البدائل غير القرآن الكريم بأنواعها، وعبر جميع مراحل التاريخ الإسلامي ثبتَ فشلها في إيقاف انحسار الصحة الإيمانية والفكرية، وذلك ما جعل البديل القرآني البديل الحتمي لتغيير واقع المسلمين"².

إنَّ الحديث عن أهمية القرآن لا يقتصر على منفعته للمسلمين فحسب، بل هو نافع ومفيد لكل الإنسانية، يفصل في ذلك أحمد الرفاعي بالقول: "فالقرآن هو وثيقة الإنسانية الوحيدة لمعرفة ربِّها سبحانه وإلهها ودينها، وما يصلح لدينها وآخرتها إلى يوم القيامة، ونظرا لهذه الأهمية التي لا مثيل لها، والمتثلة في جانبين أساسيين :

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرقي، بل التفكير في التغيير، مرجع سابق، ص 11.

الأول: أن القرآن الكريم هو آخر رسالة من الله، إلى كل الناس إلى يوم الدين، و بين لهم فيها عقيدتهم وشريعتهم وحقوقهم، وواجباتهم ومصيرهم، وما ينتظرهم من الحساب والجزاء، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف. الآية: 158]، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران الآية : 19] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران الآية: 85]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الحجر. الآية: 92]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة. الآيتان: 7-8]

الثاني: إن القرآن الكريم هو المرجعية العليا والوحيدة للإنسانية كلها إلى يوم الدين لتعرف سبب وجودها وبماذا أمرت؟ وبماذا ينتظرها؟ وما جزاء من آمن؟ وما عقاب من كفر؟ فهذه كبرى قضايا الإنسان التي شغله عنها الضلال والضالون من الجاهليين والمشركين والمنحرفين من عصاة المسلمين¹.

والحاجة للقرآن الكريم لا يمكن أن تشبه بشيء، وليس ذلك للمسلم كما سبق القول فقط بل للناس جميعا "لذلك فإن المسلمين خاصة والإنسانية عامة مطلوب منهم أن يراجعوا أمرهم مع القرآن الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله، وأما غير المسلمين فحاجتهم إلى القرآن أشد لإنقاذهم من موروثهم الجاهلي أولا، ثم إصلاح حالهم مع الله - عز وجل - بعد ذلك، يشهد لذلك التاريخ والواقع"².

إن القرآن الكريم هبة ربانية ومنحة إلهية، وهو الوحيد الذي من شأنه أن يحلّ مشكلات المسلمين بما حوى من توجيهات ودلائل وعبر، فهل يبادر المسلمون وعلماءؤهم للأخذ بهذا الكنز العظيم، يقول أحمد الرفاعي: "ولعله من المفيد الإلماع إلى أهمية تكاتف الجهود بين المثقفين والمفكرين والمهمومين بهموم أمتهم ومجتمعهم وتعميق البحث في هذا المجال الذي أراه - والله أعلم - المخرج الوحيد للأمة الإسلامية كلها مما هي فيه من هوان وضعف وعجز، وأراه دواء لكل أدواء وعلل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. إن القرآن العظيم أعظم كنز وأعظم هبة، ولكن لن يؤتي ثماره إلا بالفهم والوعي والتطبيق والتنزيل في أرض الواقع للأفراد أولا والمجتمعات ثانيا"³.

هذه الكلمات في حاجة لمن يستوعبها ثم يعمل على تنفيذها، ففعلا لا حياة للمسلمين وللناس جميعا بدون القرآن، فهو للقلب كالماء للأرض، به تحيا القلوب وتنتعش وتسعد دنيا وآخرة.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن نور وهداية وبصائر، مرجع سابق، ص 89 .

² المرجع نفسه، ص 235.

³ أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، جريدة النور، مرجع سابق، ص 11.

الفرع الثالث: مكانة القرآن في زماننا.

للقرآن الكريم مكانة كبرى في نفوس المؤمنين وفي التشريع الإسلامي أيضا، إلا أن واقع المسلمين يبين كيف أن أهل القرآن أهملوا العمل به وقصروا في حقه إلا القليل منهم، وحتى ما يظهر من تكريمات في المناسبات المختلفة لحفظ القرآن أو معلمهم هو في الحقيقة مظهر سلبى حسب أحمد الرفاعي، الغاية منه مخادعة الناس والهدف الحقيقي إبعادهم عن لبّ القرآن ومحاولة الظهور بمظهر من يخدمه، يقول أحمد الرفاعي في ذلك: "إن القرآن الكريم مازال محاصرا ومقموعا منذ العهد الاستعماري، وحفلات تكريم الحافظين والحافظات من غير فهم ولا تطبيق ولا إعادة ولا ترسيخ لسلطان القرآن وحقوقه في الواقع كله سياسيا، واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا إنما هو تكريس لحقيقة عزل الناس وإبعادهم عن قيم القرآن وثقافة القرآن"¹.

وهذا الوضع في الحقيقة ليس جديدا على المسلمين، فقد بدأ الإهمال يطال القرآن الكريم منذ أول جرح في تاريخ الأمة حيث عصر بنو أمية يضيف أحمد الرفاعي: "ومنذ بدايات العهد الأموي، غير قلة قليلة جدا من الصفحات المشرقة لأبرار المسلمين ومحسنينهم وصالحينهم الذين ظلوا عبر التاريخ أوفياء للقرآن والسنة، كما هم في الواقع هم قلة قليلة يمثلون حالات معزولة، وغير فاعلة لا في واقعنا، ولا مؤثرة في مسيرتنا الحضارية"².

وما زال أحمد الرفاعي يتساءل عن السبب في عدم الاهتمام الرسمي بالقرآن الكريم، وقد خصص المسؤولون لكل مجالات الحياة ميزانيات مالية، والقرآن وهو كلام الله ومصدر شريعته ونور وبصائر وهداية ورحمة للعالمين لا يحظى ولو بجزء قليل من مثل ذلك الاهتمام المشار إليه في مجالات أخرى، رغم أن القرآن العظيم يفوق كل شيء في الأهمية والاعتبار، يقول أحمد الرفاعي: "فهل يمكن أن يكون إسلام بغير القرآن الكريم؟.. وهل حاجة الناس إلى المستشفى والمدرسة، والزراعة، والصناعة وغيرها من حاجات العمران البشري أولى من حاجتهم . الناس ومنهم المسلمون . إلى القرآن الكريم وأحكامه وحدوده ومضامينه وما تحويه من سنن الله - عز وجل - ؟ . لماذا تكون للمدرسة، وللمستشفى وغيرهما ميزانية ومعلمون، ومرافق وإدارة... ولا يكون للقرآن الكريم شيء من ذلك إلا ما يتبرع به المحسنون؟"³.

¹ المرجع السابق، ص 12.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ط1، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2012، ص 81.

³ أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، جريدة النور، مرجع سابق، ص 11.

مقارنة جلييلة، تكشف مقارنة بديعة ومفارقة عجيبة هي تلك الإشارة التي أدرجها أحمد الرفاعي في تساؤله عن السرّ في الاهتمام بكلّ الأمور، وفي المقابل إغفال القرآن الكريم عن كلّ اهتمام. ومع الأزمات التي تعاني منها الإنسانية عموماً والتي رسمت صورة بائسة على حالة الإنسان المعاصر، خاصّة فيما يتعلق بالجانب النفسي حيث أصبح الكثير رغم ما توفّر له من سبل العيش الكريم والحياة المادية الفارحة أصبح الانتحار سيد الموقف وانتشرت الأزمات النفسية بقوّة، في هذا الحال البائس يمكن تقديم القرآن الكريم كعلاج لكلّ الأدواء وكبديل حضاري ناجح، ففي القرآن الكريم نظام قوي من القيم والتوجيهات والنصائح التي من شأنها ترفع الإنسان وترفع عنه همومه. يبين أحمد الرفاعي أنّ ضالّة النّاس جميعاً يمكن أن يجدوها في القرآن الكريم.

إنّ البعد عن القرآن الكريم أدى إلى أن حلّ محلّه الاهتمام المتزايد بالدنيا وملذاتها، واشتغل النّاس بهوى السياسة والحزبية والمصالح الدنيوية مقابل إهمال كلّ ما له صلة بالآخرة، حدث ذلك حتى من قادة الصحوة واتباعها، وقد أصاب الكثير منهم هذا المرض العضال. يقول أحمد الرفاعي: "وكل ذلك أفرغ الساحة الاجتماعية من الجهد الدعوي الصحيح والأصيل القائم على تصحيح المفاهيم، وإحياء العمل بالسنة، والنهل من ثقافة القرآن الكريم باعتباره المرجعية العليا للمسلمين عقيدة وفكراً، ولو رجع المسلمون إلى القرآن وثقافته لوجدوا ضالتهم، وعلاج أمراضهم، وحلول مشكلاتهم، وفقها لفهم قضاياهم بأسبابها وملابساتها ونتائجها"¹.

لقد جرّب المسلمون في العقود الأخيرة عدّة دساتير ومناهج وأفكار مختلفة، ولم تأت بالجديد، فماذا لو رجعوا للقرآن الكريم حيث كلّ الحلول وكلّ ما يحتاج إليه النّاس بوعد ربّ النّاس قال الله تعالى:

﴿مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام. الآية: 38].

وعندما يتكلم المسلم عن القرآن الكريم، فهو يدرك تماماً ما للقرآن من قدسية وأنّه واجب التطبيق والتنفيذ، غير أنّ واقع النّاس خلاف ذلك، ومع علمهم أنّ أيّ إنكار للقرآن كفر، وأنّ أيّ استهانة به فسق وفجور، ومع ذلك فمزال القرآن محكوماً لا حاكماً، وهو الذي يجب أن يسود ويقود ذلك أنّ القرآن سلطة واجب على الجميع الانقياد لها. يقول أحمد الرفاعي في هذا: "القرآن الكريم سلطة إيمانية توجب على الإنسان عامّة، وعلى المسلم خاصّة الامتثال المطلق، والطاعة التامّة لقوله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 35] والقرآن الكريم كلّ من قضاء الله - عزّ وجلّ - وقدره ورسالته الأخيرة إلى عباده كلّهم، وليس للإنسان عامّة والمؤمن خاصّة أن يتجاوزها أو

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 70.

يكون له خيار يخالف أو يناقض ما جاء به القرآن الكريم، فتلك جاهلية: إمّا كفر، أو شرك، أو ظلم، أو فسق وخروج عن سلطة القرآن الكريم، وتعدّ على حقوقه، وعلى حدود الله - عزّ وجلّ- في الوقت نفسه، يتناقض مع الإيمان المبني على أنّ النفس لله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة. الآية: 111]¹.

إنّه من غير اللائق أن يدعي المسلمون الإيمان بالله تعالى، وهم يعلمون أنّ من أركان هذا الإيمان (أن تؤمن بالكتاب) ومن شروط الإيمان بالكتاب تطبيق ما جاء فيه والعمل به والوقوف عند حدود، وهم في الواقع لا يلتزمون بكلّ ذلك.

كما أنّ القرآن الكريم جاء يدعو للعلم وإلى تكريس الحرية، فإنّه من العدل كما كان الاهتمام بالعلوم والمعارف الأخرى، فإنّه يجب إيلاء الاهتمام المماثل على الأقل للقرآن، تعليماً وفهماً وتفسيراً وتطبيقاً في حياة الناس، لقد ظلّ أحمد الرفاعي يدعو لإعادة الاعتبار للعمل بالقرآن يقول الفقيه شرفي الرفاعي -رحمه الله-: "إنّ من أعظم ما جاء به القرآن الكريم للناس أنّه دين العلم والحرية، الرفض للإكراه والتقليد، ومن الإساءة للقرآن الكريم في واقعنا أن يُعترف بقيمة العلم المقتضي للفهم وحرية الإدراك لسائر العلوم، بينما يُحرم القرآن الكريم نفسه وهو ممّا ورد به على الناس، كذلك ينبغي أن لا يعلم القرآن من لا يفهم ولا يعرف أحكام القرآن وحدوده ويجسد/ يطبق معانيه في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته اقتداءً بالنبيّ - صلى الله عليه وسلم - الذي كان خُلّقه القرآن الكريم، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح، ثمّ اقتداءً بالصحابة الذين كانوا لا يشترعون في حفظ ما أنزل من جديد الوحي والقرآن إلّا بعد استكمال تعلم وفهم ما نزل قبله والعمل به"².

والإشارة واضحة هنا في وجوب تطبيق القرآن وأن لا يكون مجرد كلمات تتلى بلا فهم ولا تطبيق، فكلام الله أسمى من أن يبقى بلا تطبيق ولا تدبر، بل إنّ ذلك من الخلل والتقصير.

ويضرب أحمد الرفاعي المثل الحسن بالجيل الأول: "وقد كان حفاظ القرآن الكريم كلّهم في عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قليل عددهم بالقياس والمقارنة بمن يحفظ بعض السور أو بعض الآيات. أما تعظيم القرآن والعمل به فقد كان شغلهم الشاغل، وذلك ما ينبغي إحيائه والعمل به لتغيير الواقع وإصلاحه؛ بحيث ينشأ من جديد جيل قرآني يفهم القرآن الكريم ويعمل به ويعظمه خُلّقا ومعاملة

¹ المرجع السابق، ص 27.

² أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، مرجع سابق، ص 11.

اعتقاداً منه أنّ الإسلام والإيمان والدين إنّما هو معرفة القرآن والعمل به، وليس السياسة والخلافات المذهبية والأيدولوجية والحزبية كما هو الواقع¹.

إنّهُ ومن خلال تتبع كتابات أحمد الرفاعي شرّفي عن القرآن الكريم، ندرك حرص الرجل الشديد على وجوب عودة الأمة للمعين الصافي كتاب ربّهم ودليل حياتهم للنجاة، ويعتبر كلّ إخلال أو إعراض عن القرآن الكريم قد يجزّ صاحبه إلى الضلال ويدخله بعد ذلك في الكفر والعياذ بالله، يبين أحمد الرفاعي ذلك: "إنّ ترك العمل بالقرآن والسنة يؤدي إلى الضلال دون شك، والضلال كما هو معروف قد يكون مجرد معصية يتم إصلاحها بالتوبة الصادقة وقد يكون كبيرة، بل وقد يكون كفراً كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة: الآيتان: 78/79] والصيغة التي ورد بها الحديث توحى بأنّ احتمال الضلال بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - "وارد بحسب سنن الله - عزّ وجلّ - لذلك جاء التحذير مقروناً بدواء الضلال وهو الرجوع إلى العمل بالقرآن والسنة، ومفهوم الحديث يعني أنّ عدم الرجوع إلى العمل بالقرآن والسنة هو في الحقيقة التمسك بالضلال بل كفر وردة"².

فهل بعد هذا يبقى المسلمون في غفلتهم، وما هم بالدين ولا بالدنيا والله أعلم بما ينتظرهم في آخرتهم؟

الفرع الرابع: تفسير القرآن الكريم لم يكتمل بعد.

من المعلوم عند المسلمين أنّ القرآن الكريم كلام الله الميم يتميز بخصائص عديدة، ومنها الحفظ، فقد تكفل الله بحفظه من كل تحريف وتزييف وتبديل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: الآية 09]، وهو أيضاً معجز بيانه وبلاغته وفصاحته وبإخباره بأمر غيبية وبإعجاز علمي فائق، ومتميّز بصلاحيته لكلّ زمان ومكان ولكلّ الشعوب والأمم والطبقات، وهذه المعاني وغيرها تعطينا الإشارات الواضحات على أنّ فهم القرآن ليس محصوراً في جيل دون جيل، أو زمن دون زمن، أو فئة دون أخرى، فباستثناء ما فسّره الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو قطعيّ الدلالة، يبقى باب الاجتهاد في التفسير وفهم كلام الله مفتوحاً إلى قيام الساعة، للمزيد من التدبر في الآيات المستورة كما هو واجب التدبر في الآيات المنظورة.

¹ المرجع السابق، ص 11.

² أحمد الرفاعي شرّفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 204.

إنَّ القرآن الكريم موجه للإنسانية كلّها مؤمّنها وكافرها، غنيها وفقيرها حاكمها ومحكومها، قويها وضعيفها، عالمها وجاهلها، ذكرها وأنثاها، في جميع البيئات والعصور، وهذا بُعدٌ إنساني آخر، لا يوجد في غير القرآن الكريم من النصوص العلمية أو غيرها، وهذان البعدان الإنسانيان يجعلان النص القرآني بالضرورة متعدد الأبعاد والجوانب، وزاخر بالمفاهيم والمعاني والقيم اللازمة لمواكبة مسيرة حياة الإنسان من بعثة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - إلى قيام الساعة وفي مختلف العصور والبيئات والحضارات، وفي كلّ المراحل والأطوار السابقة تتجلى جوانب جديدة من الإعجاز القرآني لم تكن لتظهر قبل الأوان المقدر لها من الله - عزّ وجلّ - ، وممّا سبق يتبيّن أنّ تفسير القرآن الكريم لم يكتمل بعد، ولن يكتمل إلى نهاية المسيرة حيث سيتولى عيسى - عليه الصلاة والسلام - بيان وتأويل وتفسير ما لم يدركه المسلمون منذ وفاة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فهو وحده الرسالة التي بدأها نبيّ رسول خاتم - عليه الصلاة والسلام - ويختتمها نبيّ رسول - عليه السلام - ولد وبعث قبل آخر الأنبياء، ورفع الله إليه وهو عنده حيّ يرزق، ليختتم به مسيرة رسالة الاسلام، لكنه سيطبق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما كانت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم¹.

¹ المرجع السابق، ص 195.

المبحث الثاني: السنة النبوية والسيرة.

المطلب الأول: السنة النبوية.

الفرع الأول: تعريف السنة النبوية.

01- لغة:

الطريقة، كذا في "القاموس المحيط" ¹ وأيضا في "لسان العرب" ². ومنه قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الفتح. الآية: 23]، وقوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [سورة الاسراء. الآية: 77]. ومنه قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ³: «لتسبع سنن من كان قبلكم» ⁴.

02- اصطلاحا:

عرفها الأصوليون بقولهم: ما نقل عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قول أو فعل أو تقرير ⁵. وقد تطلق السنة عندهم على ما دلّ عليه دليل شرعي، سواء كان ذلك في الكتاب العزيز، أو عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو اجتهد فيه الصحابة، كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد، وتدوين الدواوين، ويقابل ذلك البدعة. وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة ⁶.

الفرع الثاني: حجيتها ومكانتها عند أحمد الرفاعي.

أجمعت الأمة الإسلامية على أنّ السنّة هي المصدر الثاني للتشريع، وقد دلّت نصوص شرعية كثيرة على حجيتها وقديسيته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء. الآية: 65] فالله

¹ القاموس المحيط، مادة (سنن).

² لسان العرب، مادة (سنن).

³ أخرجه " البخاري " في كتاب النكاح - انظر " فتح الباري " : (9 / 104) و " مسلم " : (2 / 1020) و " الدرامي " : (1 / 343) بلفظ (أرغبت) والإمام أحمد : (2 / 158 ، 165 ، 188 ، 210).

⁴ محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، السنة في مواجهة الأباطيل، د. ط، العدد 12، دار دعوة الحق، مطبوعات ربطة العالم الإسلامي، مكة، 1402 هـ، ص 10.

⁵ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1982، ص 69.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 71.

العلي القدير أقسم بنفسه الشريفة على انتفاء الإيمان لمن لا يُحْكِم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدلَّ هذا على وجوب تحكيم السنة النبوية. ومن الآيات الصريحة قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر: الآية 07]. ووجه الدلالة في الآية وجوب الأخذ بكلِّ ما أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والانتفاء عن كل ما نهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - سواء جاء ذلك في القرآن أو لم يأت فيه، مما يدلُّ على حجية السنة النبوية. وقال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء: الآية 80].

ومن السنة في إثبات حجية السنة ما جاء عن العزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»¹.

وحجية السنة مفصول فيها عند علماء السنة وأهل السنة بصفة عامة، غير أنَّ هناك أصواتا تظهر من حين لآخر تدعو لعدم الاحتكام لنصوص السنة الشريفة، تارة بحجة أنهم (قرآنيون) وتارة بحجة الطعن فيها وفي صحتها ونسبتها للنبيِّ الكريم - عليه الصلاة والسلام - وقد اعتبر أحمد الرفاعي السنة مصدر أساسي في فكره، مبينا فضلها ومكانتها ومفرقا بين ما كان منها تشريعا خالصا وما كان من مواقف النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - الخاصة. يقول أحمد الرفاعي في هذا: "فالدارس للسنة النبوية الشريفة يجد أنَّ رسول الله قد بيَّن للمسلمين في كثير من المرات الفرق بين مواقفه وآرائه التشريعية التي لا يجوز للمسلم الاعتراض عليها أو تجاوزها واستبدالها؛ لكونها من الشريعة، وبيَّن السنة التربوية التوجيهية التي يمكن للمسلمين، ممثلين بعلمائهم وثقاتهم وقياداتهم الميدانية مناقشتها والاعتراض عليها واستبدالها لكونها ليست من الشريعة، ومن ذلك استبدال موقع معركة بدر الذي تراجع فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن رأيه التوجيهي العام نزولا عند رأي ذوي الخبرة بالناحية الحربية من المسلمين، ومن ذلك أيضا عمله - صلى الله عليه وسلم - برأي سلمان - رضي الله عنه - في حفر الخندق وعمله برأي الأنصار خاصة فيما يتصل بالموقف من الأحزاب"².

¹ رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: 4607، 16/7، قال محققا سنن أبي داود شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي: "حديث صحيح".

² أحمد الرفاعي شرفي، الجماهير الإسلامية والقيادات "قراءة هادئة في واقع مؤلم" جريدة النور، عدد 03. بتاريخ 1991/3/02، الجزائر، ص 18.

ونلاحظ في هذا التفسير لأحمد الرفاعي بالإضافة إلى بيان حجية السنة النبوية، كيف أنه لم يقتصر على إبراز مفهوم السنة في الأقوال الصادرة منه - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله فحسب. بل يبيّن النوع الثالث والمتمثل في الإقرار، وهو ما يديه الصحابة أو ما يصدر منهم من أقول وأفعال فيقرّه الرسول الكريم بالتصريح أو السكوت عنه. يضيف أحمد الرفاعي في وصف هذه الفكرة: "كلّ ذلك ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمثل القيادة بجانبها التشريعي والتطبيقي، وذلك يعني أنّ الفكر في تراثنا الإسلامي لا يعني النص المكتوب أو المنطوق فقط، وإنما يعني أيضا الموقف والسلوك. فالسنة: قول وفعل وإقرار. كل ذلك أنّ هذا الجانب الحساس الذي أولاه ابن خلدون - رحمه الله - عناية كبرى واستخرج منه قوانين الحياة الاجتماعية وسنن تفاعلها، وأسس بذلك علم الاجتماع الإسلامي"¹.

وهذه في حدّ ذاتها رؤيا حضارية عميقة يتطلبها الواقع الإسلامي المثخن بالجرّاح من جهة والآخذ في التطور والتغير بشكل سريع من جهات أخرى.

وقد أشاد أحمد الرفاعي بما كتبه الشيخ أبو يعلى الزواوي خاصة في كتابه (جماعة المسلمين) حول السنة النبوية ومكانتها وكيف أنّها شقيقة القرآن الكريم، وقد وجب تنقيتها ممّا لحقها من التدليس والتلفيق وما ألصق بها من البدع والضلالات، ودعا إلى تطبيقها في حياة النّاس كاملة بعد تعلمها وفهمها، يقول الرفاعي - رحمه الله -: "سنة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - التي خصص لها أبو يعلى الزواوي العديد من مقالاته المهمة، والتي يبين فيها أنّ سنة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - شقيقة القرآن الكريم في كونها صالحة لكل زمان ومكان، وأنّها كاملة كمال الدين كلّ، لذلك سجّل الإمام أعنف الانتقادات لما لحق السنة النبوية من بدع وضلالات شوّهت وجه الإسلام وبخاصة بدع التيار الصوفي المنحرف، وجمود الفقهاء"².

إنّ اعتماد رأي أبي يعلى الزواوي من طرف أحمد الرفاعي دليل على قناعته التامة بما جاء فيه من تأكيد على السنة شقيقة القرآن، وبيان الرفاعي بتفصيل أدق كيف أنّ السنة ليست تصريحاً أو مظهراً وإنما هي تقيد تام بسلوكه عليه الصلاة والسلام وليست السنة أيضا - علم تخريج الحديث حسب ما أشار الزواوي في كتابه آنف الذكر - يقول أحمد الرفاعي: "والسنة في فكر الإمام - رحمه الله - ليست معرفة درجة الحديث، أو معرفة الراوي أو التعديل والتجريح وغير ذلك من قضايا مصطلح الحديث، وإنما جوهر السنّة يتمثل في العمل بمعاني السنّة في الواقع المعيشي، وتجسيدها في الأفعال والأقوال والمعاملات

¹ المرجع السابق، ص 19.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 31.

شأنها في ذلك شأن القرآن نفسه، كما ورد في الأثر: «ما آمن بالقرآن من لم يعمل به»¹ كذلك السنة «فمن رغب عن سنتي فليس مني»²، والزهد في السنة ليس التصريح بذلك قولاً، وإنما الانحراف عن السنة النبوية، يتجلى في واقع الإنسان عندما لا يتحرى السنة في لباسه، وطاعاته، ومعاملاته، وعلاقاته الأسرية والاجتماعية والإنسانية، ففي كل المجالات السابقة لا بد من دليل عن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا الضلال والزيغ والعياذ بالله³.

لقد أوضح أحمد الرفاعي أن كلُّ بُعد أو تقصير في الالتزام بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - هو انحراف عن السنة، وقد يجر بدوره إلى الضلال والعياذ بالله.

وكما كانت الدعوة إلى قراءة القرآن بروح جديدة واعتماد تفسيرات جديدة تتوافق مع التطور الحاصل والتغير الواضح في سيرورة الحياة الاجتماعية للناس، نجد أحمد الرفاعي شرفي يدعو إلى إعادة قراءة السنة النبوية بروح جديدة. يقول في ذلك: "والكثير من تلك السنن والممارسات التطبيقية في حاجة إلى قراءة تحليلية واستنتاجية جديدة، لاستخلاص المفاهيم والقيم التي يحتاجها واقعنا المعاصر. ومن ذلك على سبيل المثال قضية العلاقة بين القاعدة والقيادة وما جاء فيها من نصوص شرعية تأصيلية تأسيسية وأخرى تطبيقية موضحة لنهج المواكبة الحياتية، وبخاصة كيفية التمييز بين جانب التشريع في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجانب التربية والتأهيل العام"⁴.

وقد بدا واضحاً أن أحمد الرفاعي يدعو كثيراً في كتاباته المتعددة إلى القراءات الجديدة في شتى المجالات (في التفسير والسنة والفقه...) وبذلك يبرز فكره الدعوي التجديدي المتفتح على الواقع وتطلعات المستقبل وفي نفس الوقت المتمسك بالأصول والمقاصد الأصلية.

¹ رواه الترمذي في سننه بلفظ: "«ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمَهُ»، أبواب فضائل القرآن، رقم: 2918، 180/5، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالْقَوِيِّ، وَقَدْ خُولِفَ وَكَيْفَ فِي رِوَايَتِهِ".

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم: 5063، 2/7، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استِحْبَابِ النَّكَاحِ لِمَنْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَّهُ، وَاشْتَعَالَ مِنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤْنِ بِالصَّوْمِ، رقم: 1401، 1020/3.

³ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 31

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، الجماهير الإسلامية والقيادات "قراءة هادئة في واقع مؤلم" جريدة النور، مرجع سابق، ص 18.

المطلب الثاني: السيرة النبوية.

الفرع الأول: تعريف السيرة.

01- لغة:

يقول أهل اللغة سار سيرا، وتسيراً، ومساراً، وسار السنّة أو السيرة سلكها واتبعها، والسيرة وجمعها سير تطلق على السنة والطريقة والهيئة والمذهب، ووصف السلوك¹، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره². والسيرة النبوية وكتب السيرة: مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك. ويقال قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته³.

02- اصطلاحاً:

هي "ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها"⁴.
كما عرّفت بأنها "دراسة حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبار أصحابه على الجملة، وبيان أخلاقه وصفاته وخصائصه ودلائل نبوته، وأحوال عصره"⁵.

الفرع الثاني: السيرة النبوية تجسيد للحياة المثالية للمسلمين.

السيرة النبوية والمتمثلة في دراسة حياة النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - أقوى معين على فهم الوحي وفهم الحياة المثالية للمؤمنين التي جسدها عليه الصلاة والسلام مع الصحابة الكرام. "وتعد السيرة النبوية المصدر الثالث للدعاة بعد الكتاب والسنة، وإن كانت في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة لأنها تطبيق عملي لهما، ولما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم- الداعية الأولى لهذا الإسلام كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم"⁶.

كان الناس يعيشون في جاهلية جهلاء، وكانت حياتهم يغلب عليها التسلط والقهر والظلم، فبعث الله - عزّ وجلّ- النبي محمد- صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء. الآية: 107]. وكان ذلك حدثاً عظيماً سينقل الإنسانية

¹ ينظر: مادة سير في معجم مقاييس اللغة، ومختار الصحاح، ولسان العرب، والمصباح المنير، والقاموس المحيط، والوسيط.

² منير محمد الغضبان، فقه السيرة النبوية، ط 2، جامعة أم القرى، السعودية، 1992، ص 13.

³ ينظر: القاموس المحيط، باب الراء، فصل السين للفيروزآبادي / 528 ط. مؤسسة الرسالة. والمعجم الوسيط / 1 / 467 ط. دار الفكر.

⁴ محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، د ط، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، د ت، ص 35.

⁵ محمد بن صامل السلميّ وآخرون، صحیح الأثر وجمیل العبر من سيرة خير البشر - صلى الله عليه وسلم-، ط 1، مكتبة روائع المملكة، جدة - السعودية، 2010، ص 12.

⁶ محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها، مرجع سابق ص 14.

من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وسيغير حياتهم من أسوأ الأوضاع إلى أرقاها، وذلك بهدم الموروث الفاسد وإحلال عقيدة الاسلام السمحة محلّه.

وقد أبرز أحمد الرفاعي أهمية هذا الحدث العظيم، وهو النبوة والذي سينقل عالم الناس من النقيض إلى النقيض وبدء صفحة جديدة في تاريخ الإنسانية، يقول الرفاعي: "إنَّ النبوة تعني بداية تغيرات عميقة وشاملة سيعرفها واقع الحياة البشرية تشمل عقائد الناس ومبادئهم ومفاهيمهم وموازنهم وعلاقاتهم الأسرية والاجتماعية والإنسانية ومناهج حياتهم وأساليبهم في كل مجالات الحياة الإنسانية والتجارية والصناعية والإدارية والسياسية والنفسية والفكرية، وذلك ما يعني أنَّ ظهور النبوة حدث عظيم، وعامل سيكون نقطة انطلاق لتغيير الواقع تغييرا عميقا وشاملا للجوانب المادية والمعنوية للحياة"¹.

وليس معنى التجديد هو البناء أو الإضافات فقط فأحمد الرفاعي يبرز أنَّ الأمر يتعلق بعالم كامل متكامل بديل عن السابق، وعليه فالسابق محكوم عليه بالزوال والاندثار اقتضاء بسنة الله في خلقه لبدء مسيرة إنسانية جديدة تكون وفق ما أراده الله، يضيف أحمد الرفاعي عن الوضع الجديد: "ونتيجة كلِّ ذلك ستكون بداية انهيار أوضاع وظهور أوضاع جديدة وزوال عقائد وظهور عقائد أخرى جديدة، وتفكك أمم ومجتمعات وظهور أمم ومجتمعات غيرها، ذلك أنَّ حقيقة علم النبوة أنه علم صناعة الأمم وتكوينها تكوينا ربانيا بواسطة الوحي المنزل من الله - عزَّ وجلَّ - إنها صفحة جديدة من تاريخ الإنسانية، وكذلك شأن الدعوات الصادقة"².

ونلاحظ من خلال هذه العبارات، رؤية أحمد الرفاعي لبناء الأمم حيث تعتمد في الأساس على الوحي الرباني وليس على الفكر البشري القاصر والمحدود، فكلُّ الحضارات المادية لم تبق منها سوى بعض الأطلال تدل على أنَّ أقواما مروا بها، وحتى الحضارات المادية القائمة حاليا فهي إلى زوال باعتبار أنَّها لم تقم على صحيح أو أساس متين، في حين سيبقى الإسلام ما بقيت الأرض ولو ساءت أوضاع المسلمين لقرون فإنَّ دين الله باق وحضارة الإسلام لن تموت.

لقد كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مكلفا من ربِّه سبحانه وتعالى بالعمل على بناء أمة جديدة من دون النَّاس جميعا، لها قيمها الجديدة، وعقيدتها الجديدة ومفاهيمها الجديدة، ونمطها الحياتي الجديد. يقول أحمد الرفاعي موضحا وفصلا آفاق الحضارة الجديدة: "أنَّ كلَّ ذلك يقتضي من النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في إطار النبوة والرسالة القيام بالوظائف والواجبات المبينة زيادة على الواجب تلقي الوحي، والتبليغ عن الله - عزَّ وجلَّ - فضلا عن ذلك كان يشرف بصفة مباشرة على حياة كلِّ

¹ أحمد الرفاعي شرطي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 49.

² المرجع نفسه، ص 49.

مسلم ومسلمة، يرعاها ويوجهها الوجهة الصحيحة وذلك ما جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنذ فجر البعثة يعيش كل قضايا السابقين إلى الإسلام، سواء قضاياهم الشخصية أو العائلية مثل: الكسب، الإنفاق، العلاقات الأسرية، علاقاتهم المتشابكة مع المشركين من أقاربهم وغيرهم، وفي هذا الإطار الواسع والجديد في الوقت نفسه تبدو قضية النبوة والرسالة بجوانبها النفسية، والمعنوية والاجتماعية، وغيرها حدثا بارزا في العصر الجاهلي¹.

لقد مثلت السيرة النبوية صفة العالمية وصفة الشمولية التي اختصت بها شريعة الإسلام، وكذا كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يعمل على تجسيد تلك المبادئ العليا في واقع الناس وحياتهم. وبعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - كان الصحابة الكرام يتمثلون سيرته العطرة في كل شؤونهم، ويجتهدون في تطبيقها في واقع حياتهم حتى لا يتم الانفصال ولا يحدث الانفصام، بين المرحلة التي كان يعيش بينهم وبعد فراقه بجسده الشريف - صلى الله عليه وسلم - فهم الذين عايشوه في حله وترحاله، وفي الحروب والغزوات وفي المسجد والسوق وفي شتى المجالات، وكانوا ينقلون كل ذلك باعتزاز وفخر كبيرين، نقلت تلك الأخبار إلى جيل التابعين وبنفس الحرص والفخر نقله التابعون إلى من بعدهم حيث بدأ تدوين السيرة النبوية بشكل واسع ومنظم.

الفرع الثالث: أهمية ومكانة السيرة عند أحمد الرفاعي شرفي.

لقد حوت السيرة العطرة على الكثير من الدروس الجليلة، وهكذا تعلم جيل الصحابة منها ومن بعدهم التابعون وتابعوهم وهم القرون المفضلة، ذلك أنهم فهموا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 23] وكان تنافسهم شديدا لفهم أحداث السيرة وحفظها كاهتمامهم بالقرآن الكريم فهما وحفظا ثم تطبيقا واقتداء.

أدرك أحمد الرفاعي شرفي أهمية السيرة النبوية فكتب مقالات شتى وألف كتابه (السيرة النبوية: دلالات وعبر)² ودعا إلى ضرورة الاهتمام والعودة إلى معين السيرة يقول الرفاعي: "ذلك أن سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بمنهج التحليل والتعليل والاستنتاج هي سلطة المؤمن في واقعه، السلطة التي لا يجوز له تجاهلها أو تجاوزها بنص القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ كل ذلك يؤدي إلى نقض الإيمان والوقوع في الشرك والكفر يقول الله - عز وجل - : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء. الآية: 65].

¹ المرجع السابق، ص 51.

² أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية: دلالات وعبر كتاب من الحجم المتوسط يقع في 224 صفحة (مرجع سابق).

إنَّ وفاة النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - لا تلغي هذه الحقيقة الربانية، لكون الوفاة اقتضت على جانبه البشري، أمَّا النبوة والرسالة والعقيدة فلم تزل قائمة والحمد لله، وتحكيمها بعد وفاة جسده هو البرهان العملي على صحة عقيدة التوحيد¹.

لقد بيّن أحمد الرفاعي - رحمه الله - أنَّ العمل بالسيرة في حياته وبعد وفاته - عليه الصلاة والسلام - واجب والإقتداء بها ليس على الخيار، بل ذلك يدخل في مضمون العقيدة ومن لوازمها، وهي ممَّا لا يستغنى عنه خاصّة من طرف الدعاة، حيث يجب الاحتذاء بالرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - فالسيرة جهد ميداني ومكثف، وهي بذلك مدرسة كبرى لا تضاهيها مدرسة. يوضح ذلك أحمد الرفاعي بالقول: "إنَّ النبوة والرسالة، وكذلك الدعوة الصادقة الخالصة لله - عزَّ وجلَّ - وحده ليست مجرد وحيٍّ يتلقاه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - من جبريل عليه السلام ويبلغه للنَّاس، ويقول لهم: هذا ما بلغني جبريل عليه السلام عن الله - عزَّ وجلَّ - أو مجرد فكرة يعبر عنها الداعية في كتاب أو شريط أو خطبة، وإمَّا هي جهد ميداني متواصل ومكثف ومتنوع بذله النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لإقناع المتلقين وتزويدهم بالتوجيهات اللازمة للتبليغ من: خلق، ومعاملة وحكمة، وفطنة، وعلم، وذكاء، وصبر، وشجاعة وثقة بالله - عزَّ وجلَّ - وعونه².

ويظهر جلياً كيف أنَّ أحمد الرفاعي يربط بين التعلم بالموعظة والتعلم بالسلوك، وكل ذلك موجود في سيرة النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وبذلك يركز أحمد الرفاعي في فكره الدعوي كثيراً بضرورة تقيّد الدعاة بهذا التوجيه النبوي العظيم.

لقد جاهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الله حقَّ جهاده حتى أتاه الله اليقين، وقد أدى الرسالة وبلَّغ الأمانة، أمانة الوحي بتوفيق من الله أداءً كاملاً، ولم تكن رسالته في تبليغ الوحي فحسب، إذ يعتبر أحمد الرفاعي أنَّ مدرسة النبوة عامة لا يمكن حصرها في تبليغ القرآن الكريم فقط، ورغم عظم تلك المهمة والمسؤولية فهناك جوانب أخرى تربوية وقيِّم كثيرة تستخلص من دروس حياته - صلى الله عليه وسلم - في حياة المسلمين ومستقبلهم.

وقد بيّن أحمد الرفاعي مكانة السيرة وأهميتها في تكوين الأمة واستمرارها واستقرارها، يقول في ذلك: "إنَّ النبوة جهد وليست وحيٍّ فحسب، وإمَّا هي في الوقت نفسه وحيٌّ عميق وشامل لسنن التطور والتغيير، وكل ذلك أساسه الوحيُّ دون شك ومعه جهد النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - وبخاصّة الجهد التربوي لإعداد جيل القضية، وبناء الأمة الإسلامية، رائدة الأمم في الخير والإحسان كما يجب الله

¹ المرجع السابق، ص 07.

² المرجع نفسه، ص 63.

- عزَّ وجلَّ- ويرضى، إنَّ سيرة النبي- صلى الله عليه وسلم- ليست مجرد حقبة زمنية في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإنما هي بمفاهيمها وقيمها كذلك حاجة المسلمين في واقعهم ومستقبلهم¹.

وأوضح أحمد الرفاعي كيف أنَّ السيرة لا تقتصر على زمن فقط (حقبة تاريخية) بل هي عمل مستمر يحتاج إليها النَّاس في مستقبلهم كما في واقعهم.

وواقع المسلمين يشهد أنَّ تدريس السيرة صار مقتصرًا إمَّا على فترة ذكرى مولده - صلى الله عليه وسلم- وإمَّا مقتصرًا على الجامعات المتخصصة في العلوم الإسلامية وليس كلَّ الفروع والتخصصات في الجامعات الإسلامية نفسها، ممَّا جعل النظرة إليها محدودة وضيِّقة، ومعلوم أنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قدوة المسلمين، ولا تقتصر القدوة على فترته - عليه الصلاة والسلام - بل تمتد إلى قيام الساعة، يقول أحمد الرفاعي: "فإنَّ سيرة النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- يخطئ من يتصورها أو يفهمها على أنَّها حدث تاريخي مضى به الزمن، وإمَّا هي كما سبق القول حضور دائم يتفاعل مع النفس بعد وفاته، وكما تفاعلت معه النفوس في حياته وذلك هو جوهر الإسلام وحقيقته الخالدة، والفرق بين عصرنا وعصر الصحابة هو أنَّ النبوة في عصرهم تمثلت وتجسدت في شخص النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- فضلًا عن تمثلها في القرآن والسنة"².

وقد بدا واضحًا أنَّ الاهتمام بالسنة النبوية من حيث أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- تحريجًا وشرحًا وهو أمر بالغ الأهمية أكثر بكثير من الاهتمام بالسيرة النبوية، حيث يعتبر أحمد الرفاعي أنَّ هذا التقصير فضيع في حقِّ السيرة التي هي أشمل وأوسع من مفهوم السنة.

إنَّ الواقع الاجتماعي المعاصر للمسلمين بصورة عامة انقطعت الصلة بينه وبين سنة النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- عامة والسيرة النبوية خاصة، باستثناء ما له صلة بعبادات الصلاة والصيام والزكاة على ما يشوبها من بدع وزيف وضلال، مع أنَّ مفهوم السيرة النبوية أوسع وأشمل من مفهوم السنَّة لكون "السيرة النبوية" تشمل معاملات النبيَّ - صلى الله عليه وسلم- مع المنافقين وأهل الكتاب، وغير المسلمين عامة، بينما يعني مصطلح السنة لدى علماء الحديث خاصَّة ما يجب على المسلم بنصِّ القرآن الكريم - العمل به في عباداته وطاعاته خاصة³.

ومن المؤسف كثيرًا أن يجد المرء المسلم أشخاصًا من بني عقيدته يوصفون بالمتقفين، وهم ممن يعتقدون أنَّ السيرة فعل ماض وكأنَّه يقول ويعبر على أنَّها قديمة وهي كلمة كبيرة وجريمة عظيمة، يبين

¹ المرجع السابق، ص 219.

² المرجع نفسه، ص 08.

³ المرجع نفسه، ص 217.

أحمد الرفاعي ردا على مثل هذه التصورات والادعاءات: "إنَّ سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ليست حدثا تاريخيا مضى به الزمان، وإنما هي مفاهيم وقيم، وحضور دائم في واقع الحياة ومبادئ وموازن تواكب حياة المسلمين إلى يوم الدين، لذلك فهي الصورة الحقيقية للإيمان الصحيح الصادق بكل مقتضياته، وما سوى ذلك فبدع وضلالات وجهالات تستنزف الجهود والطاقات، ولا تحلُّ أيَّ مشكل من مشاكل المسلمين كما يشهد على ذلك التاريخ والواقع"¹.

إنَّ وقفات أحمد الرفاعي مع أهم أحداث سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كانت واضحة في فكره وفي تحليله العميق، والغاية منها كما يقول رحمه الله: "استخلاص عبر ودلالات السيرة النبوية وبخاصة اعتبارها مثل القرآن سيرة لكلِّ زمان ومكان، وحاجة كلِّ مسلم ومسلمة إليها لا تقلُّ عن حاجته إلى القرآن الكريم لأنَّها المدخل الطبيعي للتعرف على القرآن، وعلى عقيدة الإسلام، وأهم ما يستخلص منها"².

وفي هذا نلاحظ أنَّ أحمد الرفاعي يعتبر أهمية السيرة تتجلى باعتبارها صالحة لكلِّ زمان ومكان، وهي بأهمية بالغة، فمن شأن تعلمها ومعرفتها التعرف على أصول العقيدة وأحكام الشريعة.

و ممَّا جاء في كتاب (زاد المعاد في هديّ خير العباد) لابن القيم قوله: "ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كلِّ ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنَّه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقةً بهديّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فيجب على كلِّ من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرِّج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والنَّاس في هذا بين مستقِل، ومستكثِر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"³.

إنَّ الاهتمام والالتزام بالسيرة بالإضافة إلى ما يمنحه للمرء من استقامة سلوكية، فهو أيضا يعطيه الراحة النفسية والاطمئنان وليس ذلك بالشيء الهين أو اليسير.

¹ المرجع السابق، ص 160.

² المرجع نفسه، ص 216.

³ ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هديّ خير العباد، ج 1، ط 57، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1994م، ص 69.

الفرع الرابع: ضرورة قراءة السيرة بفكر ومنهج جديدين.

إنَّ دراسة السيرة النبوية أخذت أشكالاً مختلفة، وأكثرها كانت تاريخية يعني تهتم بالنقل للرواية التاريخية للأحداث في عهده - صلى الله عليه وسلم - ويرى أحمد الرفاعي أنَّه من الواجب أن يُعاد قراءة السيرة قراءة عميقة بمنهج فيها الكثير من التحرير والتعليل، بعيداً عن الوصف العام فقط، لأنَّ السيرة تحمل الجديد دوماً، والوصول لذلك الجديد يكون بأدوات سليمة وقوية، والمقصود اعتماد منهج التحليل والتعليل والاستنتاج.

ومن خلال القراءة العميقة للسيرة يمكن اكتشاف الجديد المتعدد، يقول أحمد الرفاعي: "ففي السيرة النبوية الشريفة ومنهج التحليل والتعليل والاستنتاج، يتجلى ما جاء به الإسلام القرآن والسنة من جديد للبشرية: جديد عقدي، جديد اجتماعي، جديد فكري، جديد سياسي، جديد شامل وعميق يجعل الإسلام صفحة جديدة ومشرقة في تاريخ الإنسانية كلّها، ويبيِّن أنَّ السيرة النبوية مع ذلك كلّها وعيٌّ ذاتي وعميق يمارسه كلُّ مسلم ومسلمة بتوجيه القرآن والسنة، وبذلك تضاعفت قدرات الإنسان المسلم وصار إنساناً غير عادي بالقياس إلى الإنسان الجاهلي، إنسان الأهواء، والشهوات، والفراغات، لذلك ركزت على التحليل والتعليل والاستنتاج في الوقفات بدل الوصف الذي يكرِّس مفاهيم بعضها بشكل غير صحيح"¹.

وهنا أوضح أحمد الرفاعي أسلوبه في دراسة السيرة القائم بالأساس على التحليل والاستنتاج والربط بين الأحداث لاستلهام المزيد من الأحكام والدروس والعضات، وليس كما جرى عليه الحال عند الكثيرين الذين يعتمدون الوصف والنقل فقط، حتى أنَّ بعضهم حفظ المواقف والأحداث، لكن ليس له القدرة على الاستفادة أو الاسقاط أو المقارنة من كلّ ذلك.

إنَّ غياب التحليل في السيرة النبوية أدى إلى غياب فاعليتها وقلة الاهتمام بها وكأنَّها تاريخ عابر، وكأنَّه لا صلة لها بواقع المسلمين أو مستقبلهم. وقد أسهم التحليل الوصفي الغالب في دراسات السيرة على الوصف التحليلي في إضعاف الاهتمام بالسيرة، مما جعل الميدان يتسع لكل وافد ورافد، وهذا بدوره أسهم في خلق صورة مغايرة للمسلم الرباني حيث صار الكثير من المسلمين يحملون أفكاراً هجينة وغريبة عن الإسلام الصحيح. ومن هذا المنطلق يرى أحمد الرفاعي ضرورة العودة الجادة والفعالة لقراءة السيرة بتأنٍ وبعمقٍ للنصوص والأحداث والوقائع، معتبراً ما هو موجود من دراسات إنَّما سيطر على أغلبه المنهج الوصفي على حساب المنهج التحليلي، المعلل والمستنتج لما ينبغي استنباطه من ملاحظات

¹ أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية: دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 218.

ودلالات وعبر، ومقاصد ومعان في سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - غير ما يفيد منطوق النص أو الجانب اللفظي المباشر.

وإهمال التحليل والتعليل والاستنتاج جعل سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - تتحول في أذهان عامة المسلمين ومن لا يمكنه التحليل إلى حدث تتضاءل صلته بواقع المسلمين تدريجياً، وذلك أدى بدوره بالحياة الاجتماعية للمسلمين إلى فقدان أصالتها ومرجعيتها الفكرية والحضارية الإيمانية، وذلك ما جعلها في الوقت نفسه تصبح ساحة مفتوحة للبدع وكل ما هو غريب عن الإسلام وربانيته¹.

يؤكد الرفاعي مرة أخرى أنّ ترك العمل والأخذ بالسيرة بعدم دراستها بعمق فتح الباب واسعاً لكل ما هو وافد سيء من بدع وخرافات، ولاحقاً من أفكار علمانية وغربية لا علاقة لها بالإسلام. ورغم المؤلفات الكثيرة القديمة والحديثة عن السيرة النبوية، فإنّ أحمد الرفاعي شرفي يرى أنّها لم تَفِ سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - حقها، ومزال الكثير منّها في حاجة إلى مراجعات وفهم أعمق، ومن الاختلالات التي سجلها أحمد الرفاعي عن تدوين السيرة النبوية نجد عدم الربط بين سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وبين القرآن الكريم كونه مصدراً أساسياً ومهما لفهم مختلف جوانب سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ذلك أنّ القرآن الكريم كان يتنزل آياتاً وسوراً لمعالجة قضايا وأحداث واقعية، ويتنزل أحياناً أخرى لتغيير مفاهيم جاهلية سائدة، وأحياناً أخرى يتنزل لتأسيس قيم ومبادئ العهد الإسلامي الجديد².

إنّ فصل سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - عن القرآن عامّة، والاكتفاء بدل ذلك بالإشارة إلى ما نزل من الوحي والأحداث دون تحليل أو تعليل يجعل مهمة سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - تفضل غير واضحة بالقدر اللازم إيمانياً، "ذلك أنّ سيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - لا تتجلى في القرآن أكثر ممّا تتجلى في ما سجل من شمائله - صلى الله عليه وسلم - فهو كما قالت عائشة - رضي الله عنها - «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»³ وعلمياً وفكرياً، كانت سيرته القرآن، ذلك أنّ القرآن بالنسبة إليه لم يكن مجرد رسالة تلقاها عن ربّه سبحانه وتعالى ثمّ يبلغها إلى النَّاسِ، وإمّا كان في الوقت نفسه سلطة مطلقة على نفسه وروحه وجسده يمثلها في نفسه، ويكيّف نفسه مع كل آية أو كلمة من القرآن الكريم قبل أن يبلغها للنَّاسِ ويأمر المسلمين بذلك⁴.

¹ المرجع السابق، ص 04.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ حديث صحيح أخرجه مسلم، ج 6، شرح النووي 26.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية: دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 74.

ويظهر في واقع المسلمين ومنذ زمن بعيد الاختلال الواضح بين سيرة النبي الأكرم، وبين واقعهم، مما جعل أحمد الرفاعي يتحسر عن ذلك وما نشهد في عالمنا هو عدم الربط بين سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأحداثها العقديّة، والشرعية، والفكرية والاجتماعية الشاملة وبين واقع المسلمين المعاصر، بحثا عن الحلول المناسبة القضايا والمشكلات المعاصرة للإجابة عن الكثير من التساؤلات التي تطرحها سلبيات الواقع ونتائجها"¹.

إنَّ سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - في حاجة إلى قراءة جديدة، نابعة من واقع حاجة الإنسانية عامّة، وواقع المسلمين خاصّة بما فيه من سلبيات ومشكلات متزايدة عجز الفكر غير الإسلامي عبر تاريخه وحضارته وثقافته عن حلّها، لما تتوفر عليه السيرة النبوية من قيم إنسانية وريانية كفيّلة بإصلاح مفاصل الواقع الإنساني المعاصر.

والقراءة المطلوبة كما يراها أحمد الرفاعي شرقي ينبغي أن تركز على التعليل للأحداث، والتحليل للظواهر، والاستنتاج للغايات والأهداف بالمقارنة الدائمة بين عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - من جهة، والواقع المعاصر من جهة أخرى، قصد تحديد القواسم المشتركة بين العهدين في إطار سنن الله - عزَّ وجلَّ - وثوابت الفطرة، ومستجدات التطور، قصد إيجاد الحلول الملائمة لمشكلات الإنسان عامّة، وقضايا وأزمات المجتمع الإسلامي المعاصر خاصة"².

فالواقع ما زال شاهدا على حجم الأزمات التي تعانيها الإنسانية ولم تجد لها مخرجا بعد، رغم المحاولات العديدة، ولو كان الرجوع للسيرة لكان الحلُّ ميسورا سهلا، فإنجازات السيرة تزكي هذا الحل بتصحيح المفاهيم الخاطئة وتحديد الموازين العادلة في تقرير الحقوق والواجبات بين النَّاس بالعدل، وبما حوته من قيم إنسانية عليا"³.

وبهذه النصوص وغيرها بيّن أحمد الرفاعي رؤيته للسيرة، وكيف يجب أن تكون مرجعا رئيسا للمسلمين وحتى لغير المسلمين، فالعالم مزال يتخبط في مشكلات تربوية واخلاقية واجتماعية وفي حروب ودماء ونزاعات ولم يجد لها حلا مقنعا أو دائما، ومن شأن التعمق في السيرة الاستفادة العظيمة من أحداثها ووقائعها وما تحتويه من قيم ومثل عليا بعيدا عن كلِّ صور التيه والفساد.

¹ المرجع السابق، ص 06.

² المرجع السابق، ص 39.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: سيرة الصحابة والتابعين.

المطلب الأول: سيرة الصحابة.

عاش الصحابة الكرام في زمن هو خير الأزمان، ورافقوا سيد الأنام - صلى الله عليه وسلم - فنالوا شرف الصحبة وشرف أئمة خير القرون وأولها، حيث قال - صلى الله عليه وسلم -: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»¹. وقد توفّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تاركاً وراءه الجيل المتميز ليكمل مسيرة نشر الدين القويم مبيناً أنّ الإسلام لن يتوقف بوفاة الرسول الكريم.

ولما كانت النبوة مدرسة وكان الصحابة تلاميذها، فقد كانت دروسها شريعة الله، فكانت الدروس الأفضل وكان المعلم الأصدق وكان المتعلمون الأوفى، فتجلّت فيهم أخلاق الإسلام ومبادئه وعاشوا حياة يغلب عليها الزهد والورع، ورغم ما كان يعيشه بعضهم في الجاهلية من ترف وسعة إلا أنّهم في الإسلام أدركوا حقيقة الدار الدنيا وأنها مجرد دار فناء وأنّ الآخرة هي الأصل الذي يعمل لأجله المسلم ويكد ويجتهد ويناضل، ولم تكن الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم. وفي ما يلي توصيف لهذا الجيل الفريد مع أحمد الرفاعي شرفي: "ذلك أنّ جيل عهد النبوة والصحابة عامّة تعلموا من النبيّ - صلى الله عليه وسلم - ومن القرآن الكريم أنّ هموم الإنسان المسلم وقضاياها ومشاكله الكبرى ليست في الدنيا، إذ كل شيء فيها تولاه الله - عزّ وجلّ - بقدرته وبعمله وحكمته: الملك، الحياة، الموت، الرزق... الخ وإنما هي في الآخرة التي ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ [سورة النجم. الآية: 39-41] لذلك كانت الدنيا عندهم أهون وأحقر من أن يخاصم فيها وعليها، أو تسفك عليها دماء أو يتجرأ فيها على حدود الله - عزّ وجلّ -"².

إنّ هذه الفترة (أعني فترة الخلفاء الراشدين)، لها أهميتها ودلالاتها المتمثلة في أنّ جديد الإسلام جديد أصيل قابل للحياة وقابل للتطور وقابل للبناء عليه، وأنّ وفاة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - لم ينشأ عنها أي فراغ، وبذلك ثبتت أهلية الأمة الإسلامية لأداء واجبين أساسيين حسب أحمد الرفاعي شرفي وهما: واجب إقامة الدين في ذاتها، وواجب إيصال رسالة الله - عزّ وجلّ - إلى عباده.

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: 2533، 1963/4، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم، رقم: 1401، 1020/3.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 61.

كما تدل على ذلك شهادة التاريخ وهو أعدل وأصدق شاهد على مقتل عثمان -رضي الله عنه- ثم مقتل علي - رضي الله عنه- وقبل ذلك مقتل عمر - رضي الله عنه- إذ بعد ذلك حدث ما حدث من الأزمات التي ينبغي النظر إليها من الزوايا التالية: 1- السياق التاريخي 2- السياق القرآني. 3- سنن الله - عزَّ وجلَّ-. فمن الناحية التاريخية يبدو مقتل عمر -رضي الله عنه- من طرف عبد مجوسي، أتهارت ذبائته وحضارته أمرا بشريا لا مطعن فيه على الإسلام والمسلمين، وفي السياق القرآني يبدو مقتل عمر -رضي الله عنه- من غير سبب سياسي أو غيره، كرامة من الله - عزَّ وجلَّ- لأمير المؤمنين ويعتبر من مآثر العهد الجديد ومفاخره، حيث أن القتل ليس بسبب الفساد أو الظلم أو غير ذلك من أسباب القتل في الثقافة الجاهلية، وإنما حدث بدافع جاهلي محض، لذلك فعمر -رضي الله عنه- هو أحد شهداء المسلمين بشهادة النبي - صلى الله عليه وسلم- أما من حيث سنن الله - عزَّ وجلَّ- فإنَّ مقتل الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم- مظهر حضاري بشري وطبيعي حيث يدل في مجموعته على بقايا الجاهلية في مجتمع إسلامي ما يزال في طور النشوء والارتقاء والنمو والتكامل¹.

والملاحظات السابقة تبين رغبة أحمد الرفاعي بهذا التوصيف في إبراز إنسانية الصحابة وأيضا الكرامة التي حظي بها هؤلاء، فليس الموت أو القتل طعنا فيهم أو انتقاصا منهم، بل هو علامة على استمرار معركة الحق والباطل والخير والشر والثبات والانحراف، وأيضا نال بعضهم كرامة الشهادة وأنعم بها من كرامة.

لقد أبان أحمد الرفاعي شرفي مكانة أقول الصحابة وأهميتها، وكيف أتت مباشرة بعد الوحيين الشريفين - القرآن والسنة - وبهذا قال أغلب العلماء في حجية قول الصحابي ما لم يخالف نصا أو يتعارض مع أقوال أخرى للصحابة الكرام، كما نجد أنَّ أحمد الرفاعي التمس لهم العذر فيما وقعوا فيه من اختلاف، بل أكثر من هذا فقد صوَّر أنَّ خلافهم كان فقط حول الصحيح والأصح، فاجتهادهم فيما ليس هو قرآن أو سنة، وهو اجتهاد محمود يثاب عليه الإنسان بأجرين حال الإصابة وأجر واحد ولو مع الخطأ، يقول أحمد الرفاعي في ذلك: "عمل الصحابة - رضوان الله عليهم- فهم جميعا أبناء مدرسة النبوة النجباء، وفهمهم أحسن وأصح من فهم من بعدهم، لذلك كانت أراؤهم المرجع المتفق عليه لدى العلماء بعد القرآن والسنة ومنهم الإمام أبي يعلى، وما يقال عن خلافاتهم في معظمه يحتاج إلى مراجعة لما فيه من التحامل والكيد للإسلام ذلك أنَّ خلافات الصحابة ومنذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم- إنما هي خلافات حول الصحيح والأصح، وليست خلافات مصالح، لذلك لا حرج على المسلم أن يقتدي بمن يعتقد أنَّه الأصح، وإن خالف ذلك آراء مشاهير العلماء، ذلك أنَّ الصحابة عامة

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 61.

اجتهدوا فيما ليس فيه قرآن ولا سنة معروفة، فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر المجتهد"¹.

وكما كان الحديث عن السيرة بأتمها شاملة لجوانب الحياة فترات الصحابة هو الآخر غني بالتجارب والمفاخر، يضيف أحمد الرفاعي: "وتراث الصحابة في معظمه يشكل موسوعة عظيمة تغطي حاجة المسلمين، لذلك ينبغي العناية بها، وتحديد العهد بمفاهيم الصحابة وقيمهم، فهم القدوة والمثل لفهم الدين الإسلامي، والعمل بأحكامه بعد القرآن الكريم والسنة النبوية، وينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يقارن بينه وبين الصحابة - رضوان الله عليهم - ليعلم مدى تقصيره في دينه"².

والحقيقة أنّ المقارنة بين زماننا وزمان الصحابة قد تكون صعبة للغاية فرغم أنّ التكليف الشرعية واحدة، والواجبات واحدة، إلا أنّ الرسول المعلم المرئي - صلى الله عليه وسلم - بقدوته وأخلاقه وسمته وهيبته ووقاره... فعلت فيهم ما فعلت، من التربية والصالح والاستقامة، فما أروعها من صحبة وما أشرفها من فرصة.

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - مثالا حسنا للاستقامة والأنموذج الرائع للمجتمع الإسلامي المنشود، كانوا نتاج تربية مدرسة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد تجلّت فيهم صفات النقاء والبهاء والتقوى والورع، وكلّ ذلك لا ينفي عنهم صفة الإنسان الذي يصيب ويخطئ، فلا عصمة لبشر سوى النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - هذه الحقيقة عبّر عنها أحمد الرفاعي شرفي بالقول: "إنّ العصمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وحده، وأنّ الصحابة - رضوان الله عليهم - على فضلهم ومكانتهم عند الله - عزّ وجلّ - الذي شهد لهم بالخيرية فإنّه - من الممكن أن يُخطئوا، بل إنّ أعلام الصحابة ومنهم خاصة أبو بكر وعمر - رضوان الله عنّهما - عبرا وصرحا أثناء ولايتيهما أنّهما غير معصومين من الخطأ. فعل ذلك أبو بكر - رضي الله عنه - بعد تكليفه بالخلافة مباشرة في أول خطاب وجهه للمسلمين بصفته خليفة للنبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال: (أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتم فأعينوني، وإن أسأت فقوموني)، وفعله عمر - رضي الله عنه - أثناء خلافته عندما قال: أصابت امرأة ورجل أخطأ"³.

ويشير أحمد الرفاعي إلى أنّ الصحابة الكرام رغم علو مكانتهم وشرف صحبتهم للنبي الكريم فهم ليسوا معصومين من الخطأ، وفي هذا رسالة واضحة إلى عدم تقديس كل ما حمّله التاريخ لنا خاصة فيما

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 32.

² المرجع نفسه، ص 32.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصرع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 73.

يتعلق بأخطاء تكون قد وقعت ثمَّ يكون التبرير لتلك الأخطاء بحجة أنَّها صادرة من الصحابة، ويتوسع أحمد الرفاعي في ذلك بقوله: "ومَّا سبق يتبيَّن أنَّ إحداث إصلاحات أو تغييرات على ما كان في العهد الراشدي أمرٌ ممكن بل قد يكون ضرورياً، وذلك يتأتَّى من خلال تقويم العهد الجديد من حيث مقتضياته ومرتكزاته، وموازينه، وغاياته، ونتائجه، وملايساته"¹.

وأما تلك الخلافات التي وقعت في زمن الصحابة، فلم تكن لأجل مصالح أو مطامع خاصة، بل كانت حسب ما يصفه أحمد الرفاعي محاولات لمعرفة الصحيح والأصح والصالح والأصلح. يقول رحمه الله: "ومن الواجب التنبيه إلى ملاحظة أساسية هي أنَّ خلافات المسلمين في عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وعهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - لم تكن خلافات هوى، ومصالح ومطامع وإنما كانت خلافات في الفهم والتقويم ومستوياته ودرجاته، وذلك ما يعني أنَّ الخلافات كانت تتعلق بالإيمان والشأن الأخروي عامة، وما يتعلق بمصلحة العقيدة والأمة بصورة خاصة، فذلك كان مدار الخلاف والتقدير، ولم تكن خلافات مصالح وأهواء وشؤون دنيوية، لذلك أقرّها النبيّ - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يقر مخطئاً عن خطأ"².

وعهد الصحابة - كما ذكر أحمد الرفاعي - متميز في كل شيء، حتى في ما يصنف في دائرة الأخطاء، فيعتبر عهد الصحابة امتداد لعهد النبوة، وإن غاب النبيّ - صلى الله عليه وسلم - بجسده الشريف عنهم، فهو معهم في وجدانهم وفي كل حركاتهم وسكناتهم وجميع حياتهم. يضيف أحمد الرفاعي قائلاً: "ومَّا سبق يتبين أنَّ عهد الخلفاء الراشدين في تاريخ الإسلام والمسلمين عهد متميز بإنجازاته ودلالاته ومؤثراته، وبخاصة ما يتعلق برسوخ الجديد الإسلامي، واستقراره بمرتكزاته في عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من ولاء المسلم للمسلم، والأخوة الإيمانية والجديد العقدي والمالي، وجديد العدالة والأمن الاجتماعي، والجديد السياسي والشوري، وكلُّ ذلك يجعل عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لعهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وكلُّ ما يميزه عن غياب جسد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلُّ ما يقال عن أزمات المجتمع الإسلامي في هذه المرحلة، فهو مجرد إشاعات مغرضة وتهم باطلة غايتها التشكيك في منجزات العهد الإسلامي عامة"³.

لقد مثل الصحابة الكرام الجيل الفريد الأنموذج للمسلمين، بما تحلُّو به من صفات وخصال فريدة، وقد وردت الكثير من الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة في فضائل الصحابة - رضي الله عنهم

¹ المرجع السابق، ص 74.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 91.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 62.

وأرضاهم - والثناء عليهم، قال الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة. الآية: 100]، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: الآيتان 18-19].

المطلب الثاني : سيرة التابعين .

بعد الصحابة الكرام، يأتي التابعون - رضوان الله عليهم - وهم يدخلون ضمن القرون الثلاثة الأولى الخيرة التي امتدحها النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام - ووصفها بالخيرية. لقد كان التابعون في صفاتهم وأخلاقهم امتداد للصحابة - عليهم الرضوان - فقد التقوا بهم، وعاصروهم ونهلوا من معينهم الصافي واستفادوا منهم، وقد اعتبرهم أحمد الرفاعي أعلام الأمة، نوروا دربها بعلوم شتى ومعارف كثيرة، وأعطوا للمسلمين دروسا كبيرة وعميقة في الزهد والصلاح، وكثير من أمور الحياة المستقيمة، أولئك هم التابعون الذين يقول عنهم أحمد الرفاعي: "هم الجيل الذي حفظ علم الصحابة، وعنه أخذته أجيال المسلمين، وبخاصة ما يتعلق بالجاهلية وشركها وشروها، وبالنفق ومسالكه، ومظاهره، ومبدأ الثبات على الحق إبان الفتن، وعواصف الأهواء، وتكاثر البلاء، واشتداد التكالب على الشهوات والمصالح، كل ذلك كان علم التابعين وأعلامهم، أمثال الحسن البصري - رضي الله عنه - وغيره، وكل ذلك كان مرجعية أولي الألباب من عباد الله الصالحين، وذلك ما حفظهم به الله من التورط في الدماء، أو المشاركة في الفتن"¹.

ويدخل التابعون في زمرة الأتقياء البررة الذين امتدحهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ضمن القرون الثلاثة الخيرة وأيضا في قوله - عليه الصلاة والسلام -: « لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأني، وصاحب من صاحبي»². وشهد الواقع بما كان لهم من فضل مما نُقل إلينا من علوم ومعارف ودروس عظيمة في الزهد والحكمة. يضيف أحمد الرفاعي عن فضل التابعين: "وإلى هذه المدرسة التاريخية ينتمي أعلام علماء المسلمين الذين ظلوا علماء قضية، وعلماء أمة، وعلماء فكر، وليسوا علماء قصور، أو مصالح، أو استغلال لمآسي المسلمين وإنما كانوا أشدَّ المسلمين حزنا وألما لواقع المسلمين، وقد كان الإمام أبو يعلى بشهادة معاصريه أمثال

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 33.

² رواه ابن شيبه في مصنفه، كتاب الفضائل، باب ما ذُكر في الكف عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 32417،

405/6. قال الحافظ في "الفتح": وإسناده حسن. ينظر: ابن حجر، فتح الباري، 5/7.

العقبي¹ وابن باديس، ومبارك المليي إمام هذا التيار في الجزائر في عصره، وآراؤه في فكرة "جماعة المسلمين" وغيرها تركز على علم التابعين وفقههم كما يتجلى ذلك خاصة في مقالاته².
كان التابعون - رضوان الله عليهم - خير خلف لخير سلف، ولم أر هذه العبارة تصدق على أحد أكثر منهم، وما زال التاريخ يسرد لنا قصصهم الطيبة وزهدهم الكبير وآثارهم الجليلة والكثيرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

¹ الطيب العقبي هو الطيب بن محمد بن إبراهيم، ولد بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة عام 1890م، نشأ وتعلم بالجزائر ثم بالمدينة المنورة، عضو مؤسس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، له اسهامات صحفية واصلاحية عديدة، توفي في عام 1962م (ينظر: جريدة البصائر العدد (892) بتاريخ: 14/ 1/ 2018م)

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 33.

المبحث الرابع: مدارس واتجاهات فكرية.

المطلب الأول: المدرسة الصوفية

الفرع الأول: مفهوم التصوف.

01- لغة.

اختلف العلماء كثيرا في معنى كلمة (الصوفية) وأصل الكلمة، وفي قواميس اللغة العربية تطلق كلمة (صوف) على الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما تطلق كلمة (صوف) في بعض دلالات استعمالها بمعنى: الميل والعدل، يقال: صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، كما يقال أيضا: صاف عن الشر إذا عدل عنه¹.

وهي عند أكثر العلماء مشتقة من الصوف، وعند آخرين هي كلمة مولدة، لا يشهد لها قياس ولا استحقاق في اللغة العربية. وأغلب التعريفات اللغوية ترجعها إلى كلمة الصوف، يقول ابن خلدون في مقدمته: "إن قيل بالاشتقاق فإنها مشتقة من الصوف لأنهم في الغالب مختصون به"². و إنما كان نسبة ذلك إلى لبسهم الصوف الذي يعبر به عن الزهد والبساطة والتقشف وترك التنعم بالدنيا وبجميع الملذات.

02- اصطلاحا.

تنوّعت وتعددت تعريفات التصوّف، ومن أشهر التعاريف ما ذكره ابن خلدون في شرح عبارة (التصوّف) بقوله: "وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"³. وفي هذا التعريف يميل ابن خلدون إلى ربط التصوف بالزهد وحسن العبادة ومجاهدة النفس. وقال ابن القيم في تعريف التصوّف "فالتصوّف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتركيب النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه. فإنّ المرء مع من أحب"⁴.

¹ ينظر: صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، ط2، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، 1985، ص19.

² عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط 2، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1988م، ص611.

³ عبد الرحمن بن خلدون (تاريخ العلامة ابن خلدون) المجلد الأول، ط 2، بيروت، 1961، ص683.

⁴ ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1996، ص302.

ومن تعريفات المتصوفة أنفسهم للتصوف نورد تعريف الجنيد حيث يقول: "التصوّف أن تكون مع الله بلا علاقة" وقد عرّفه أيضا بقوله: "التصوّف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الربانية، والتعلّق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة"¹.

وفي المعنى العام للتعريف أنّ التصوف طريقة مساعدة على العبادة سواء بالأوراد أو باتباع شيخ أو غير ذلك، وشرط سلامتها موافقة الكتاب والسنة.

الفرع الثاني: اهتمام أحمد الرفاعي بموضوع التصوف.

كان أحمد الرفاعي شريفي يهتم بموضوع التصوف كثيرا، وقد كان أباه - كما سبق الإشارة إليه في التعريف بالرجل - صوفيا ومولعا بالتصوّف، وقد سمّاه (بالرفاعي) نسبة لصاحب الطريقة الرفاعية في الشام، لكن ما يميز الرجل حسب رفيقه أبو جرة سلطاني أنّه كان سنيا صوفيا، يعني يجمع بين التصوف والمذهب السني، فتجلت فيه صفات الرجل الزاهد الهادئ، ولم يكن يتكلم كثيرا ولا يبدو عليه الفرح، كان رجلا مسكونا بهموم وطنه وبهموم أمته، كما كان متأثرا جدا بزعماء الحركات الإصلاحية التي قادت إصلاحا نفسيا ولو يتم البحث في مكتبة الرجل نجد آثار الصوفية القديمة التي يسميها هو بالصوفية السنية، هو باديسي ينبذ الطريقة ومتأثر كثيرا بابن المبارك وحقق كتبا خاصّة بالزهد ويحث طلابه دوما أنّه لا بدّ من قراءة هذه الكتب².

إنّ التصوّف عند أحمد الرفاعي يتمثل في إقامة الدين بالعمل بالقرآن والسنة النبوية ووجوب الإقتداء بسيرة وسنة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - والصحابة - رضوان الله عليهم³.

ولا يجد أحمد الرفاعي فرقا بين السلفي والصوفي إذا هما تمسكا بالكتاب والسنة، بل إنّهما متكاملان متقاربان "إنّ الخلاف بين التيارين السلفي والصوفي ليس خلافا في المفاهيم كما يظن، وإنّما يتجاوز ذلك إلى العقيدة نفسها، فالسلفي الورع الزاهد المؤثر للأخوة على الدنيا، المعظم لله - عزّ وجلّ - وحدوده ونبيه - صلى الله عليه وسلم - العامل بالقرآن والسنة، النابذ للبدع والأهواء، هو صوفي أصيل لدى أعلام المدرسة الصوفية القرآنية السنية، والصوفي النابذ للبدع، العامل بالقرآن والسنة، المقتدي بالنبيّ - صلى الله عليه وسلم - وصحابته هو سلفي أصيل"⁴.

¹ أبو بكر محمد الكلاباذي، كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1994، ص34.

² ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، مختصر رسالة القدس، مرجع سابق، ص09.

⁴ أحمد الرفاعي شريفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام أبي يعلى الزواوي، ج4، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص100.

لقد رسم أحمد الرفاعي بهذا التعريف خطوطا عريضة تربط بين الصوفي والسلفي والقاسم المشترك بينهما الزهد والورع والتمسك بالمصادر الرئيسية الكتاب والسنة.

ويبرز الرفاعي أهمية التصوف بل ويصفه أحيانا بأنه هو حقيقة الإسلام وجوهره، ولذلك سعى المستشرقون وهم الوجه الحقيقي الثقافي للمدرسة الاستعمارية مدرسة ذبح الشعوب وتدمير الحضارات وزرع التخلف لتكريس تخلف المسلمين وجهلهم وتثبيت التفوق الحضاري الاوربي الصليبي اليهودي على المسلمين وذلك بإبعادهم عن التصوف الحقيقي وابداله بالطرق البدعية المنحرفة¹.

الفرع الثالث: موقفه من الطريقة.

إنَّ أمر الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر ليس واحدا، وهناك اختلاف شكلي وجوهري وكذلك بالنسبة لآثار كلٍّ منهما، فمنهم من ترك علما وأخلاقا وآثارا علمية ومنهم من كرّس التخلف والجهل والبدع².

كما كان أحمد الرفاعي يبغض الطريقة، لكنه رأى أنَّ جمعية العلماء أخطأت عندما دخلت في صراع عميق معها. يقول أحمد الرفاعي في بيان هذا الأمر: "جمعية العلماء نجحت في جانب ولم تنجح في جانب آخر، ومن بين الجوانب التي لم تنجح فيها وكان ينبغي عليها ألا تخوض فيها عدم صراعها مع الطريقة حيث كان ينبغي عليها ألا تتورط في صراع لا مبرر له ضد التيار الطريقي، وكان لأبي يعلى الزواوي موقف متميز وحاول قدر المستطاع التوفيق بين الطرفين، إلى درجة أنه أتهم بأنه طريقي وجمعية العلماء انطلقت من هذه الفكرة كقضية"³.

لقد تأثرا كثيرا أحمد الرفاعي من موقف جمعية العلماء من الطريقة ومحاربتها بشكل واسع لكل الطرق، وعلى العكس من ذلك كان يتمنى التوفيق بينهما وتصحيح المفاهيم المغلوطة، ولكننا لم نتفهم موقف أحمد الرفاعي من هذه المسألة بعدما تأكد للجميع أنَّ بعض الطرق المنحرفة كانت موالية للاستعمار وعونا له على الأمة وعلى جمعية العلماء خاصة، كما كان لتلك الطرق يد طولى في إفساد المجتمع أخلاقيا وفي إفساد عقيدته وليس ذلك بالأمر الهين.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس، مرجع سابق، ص 13 بتصرف.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص 58.

³ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي شرفي، مرجع سابق.

وواضح أنّ الرفاعي لم يكن راضيا عن سلوكات الطرفين وإتّما امتعاضه كان بسبب خلق جبهات صراع لم تكن الجمعية في حاجة إليها مع الوضع القائم من استعمار وشيوع الجهل والأمية، وفي ذات الوقت ارتبطت الطرق بالانحراف ولم يعد سهلا التفريق بين أنواعها وفروعها المتعددة.

لقد شاعت بين الجزائريين خرافات وأفكار لا تمت للدين بصلّة، الأمر الذي كان سببا وجيها لثورة كاسحة قادها علماء هذه الأمة كعبد الرحمن الأخصري¹ وعبد الكريم الفكون² في القرن السادس عشر، كما قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بكل أقطابها من ابن باديس، إلى البشير الإبراهيمي إلى مبارك الميلّي إلى مالك بن نبي³ في القرن العشرين، التقت مواقفهم في مواجهة أدياء التصوف بعدما لمسوه من خطر هذه الظاهرة على المجتمع، خاصة أمام ما خلفته من تشتت وتخاذل في المواقف، وتخدير للعقول، وكل هذا يتعارض مع مواقفها في الإصلاح والتغيير الذي يتطلبه هذا العصر للخروج من سبات التخلف الذي دام طويلا، خاصة بعد أن تبين لهم أنّ التصوف قد ستغل كوسيلة من طرف الاستعمار الفرنسي لتبرير وإدامة وجوده، وتبرير الوضع للجزائريين على أنّه قضاء وقدر⁴.

أما الخلط الذي وقع بين الطرقية والتصوف فيرجعه الرفاعي إلى الطرفين أنفسهم وهم من يتحمل المسؤولية وحدهم عن دعواهم ومدى صحتها. "وقد أثبت الأستاذ الإمام الشيخ العربي التبسي -رحمه الله- أنّ الطرقية بدعة من البدع وليست من سنن الإسلام، والمتتبع لأقوال وأراء الصوفيين أمثال

¹ هو العلامة الجزائري عبد الرحمن بن محمد الصغير الشهير بالأخصري، مالكي المذهب، اشعري العقيدة ويعد من علماء البارزين، وعلماء من أعلام الجزائر في القرن العاشر الهجري 10هـ ولد في سنة 1514م بقرية بنطوس ببسكرة، نشأ الشيخ عبد الرحمن الأخصري نشأة علمية تميزت بالعلم والصلاح، ترك مؤلفات تزيد عن العشرين كتابا مهما منها السلم المرونق والدرة البيضاء توفي 1575م. (ينظر: الزركلي، الأعلام)

² عبد الكريم الفكون القسنطيني، من عائلة قسنطينية عريقة في العلم والفتوى والقضاء والسياسة، ولد الشيخ بقسنطينة سنة 988هـ 1580م و تولى فيها القضاء والتعليم والفتوى والخطابة وتولى إمارة ركب الحجيج الجزائريين إلى الحجاز، له عدة مؤلفات منها محدد السنان في نحر إخوان الدخان، ومنها ديوان الفكون، توفي سنة 1662م. (ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية)

³ مالك بن نبي مفكر جزائري ولد سنة 1905 بقسنطينة، درس بالجزائر ثم انتقل إلى الخارج وتحصل على رتبة مهندس ، ويُعدّ المفكر الجزائري مالك بن نبي أحد رُواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ويُمكن اعتباره امتدادًا لابن خلدون، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نَبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، ترك تراثا فكريا هائلا من أشهر كتبه شروط النهضة، الظاهرة القرآنية، وجهة العالم الإسلامي. (ينظر: مولود عويمر، مالك بن نبي : مسيرته وعطاؤه الفكري، ص37)

⁴ مليكة مذكور، مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02، جامعة حسبية بن بوعلّي بالشلف، بتاريخ 2020/06/15، ص213، بتصرف.

المحاسبي¹ - رضي الله عنه - يجد منطلقها هو إنكار البدعة والدعوة إلى التمسك بكتاب الله وبعث السنة النبوية، والبرهان الساطع هو هذه الرسالة نفسها، وكذلك كتاب: الرعاية لحقوق الله" للمؤلف نفسه².

الفرع الرابع: موقف أحمد الرفاعي من ابن عربي.

لقد اتخذ علماء السنة مواقف واضحة من الجماعات الصوفية، وخاصة من زعماء تلك الفرق والتيارات من القادة الكبار أمثال الحلاج³ وابن عربي⁴، ولم يكن أحمد الرفاعي راضياً تماماً عن تلك المواقف التي رأى فيه تشدداً وبعداً عن الموضوعية، خاصة عند حديثه عن ابن عربي وكان يسميه الشيخ الأكبر.

وفي معرض حديثه عن الدفاع عن ابن عربي وبيان منهجه يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ الشيخ الأكبر - رحمه الله ورضي عنه - بيَّن في هذه الرسالة الأصول التي يقوم عليها التصوّف وهي: القرآن والسنة والافتداء بالنبّي - صلى الله عليه وسلم - ثمَّ بالصحابة - رضوان الله عليهم - وبذلك تنتفي الشبهات وتتضح قيمة الآراء والمفاهيم غير الموثقة ولا المؤسسة التي اعتمد عليها في التنفير من التصوف قديماً وحديثاً، وتتضح في الوقت نفسه النوايا غير العلمية ولا الصحيحة لمروجي التنفير التي لا يلجأ إليها إلا المبطلون ومن لا حجة لهم"⁵.؟؟؟

لقد حاول أحمد الرفاعي بيان أنّ التصوّف مرجعيته أيضاً الكتاب والسنة، ولكننا لم نجد توضيحاً ولا شرحاً ولا تبريراً لمواقف ابن عربي مثل قضية الحلول وغيرها.

¹ الحارث بن أسد بن عبد الله العنزي المحاسبي البصري كنيته أبو عبد الله، سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه. أحد العلماء في القرن الثالث الهجري، بصرى الأصل، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي أنه أستاذ أكثر البغداديين؛ وهو من أهل البصرة ولد سنة 170 هـ. من مؤلفاته رسالة المسترشدين، فهم القرآن ومعانيه، توفي المحاسبي ببغداد سنة 243 هـ. (ينظر: كامل محمد محمد عويضة، الحارث بن أسد المحاسبي العالم الزاهد الفقيه، ص 08)

² أحمد الرفاعي شريقي، تقدمت رسالة المسترشد، للإمام الحارث بن أسد المحاسبي - رضي الله عنه - د ط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 24.

³ أبو عبد الله حسين بن منصور الحلاج (858، 922) (شاعر عراقي عباسي، يُعد من رواد أعلام التصوف في العالم العربي والإسلامي. مات مقتولاً (الزركلي، الأعلام)

⁴ محيي الدين بن عربي، أحد أشهر المتصوفين لقبه أتباعه وغيرهم من الصوفيين "بالشيخ الأكبر"، ولد في الأندلس في 1165م وتوفي في دمشق عام 1240م من علماء المسلمين الأندلسيين، وشاعر وفيلسوف، أصبحت أعماله ذات شأن كبير حتى خارج العالم العربي. لده مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب فصوص الحكم، الذي أثار جدلاً كبيراً في وقته ولا زال (ينظر: ابن حجر - لسان الميزان).

⁵ أحمد الرفاعي شريقي، مختصر رسالة القدس، مرجع سابق، ص 14.

المطلب الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الفرع الأول: من فضائل الجمعية.

إنَّ العمل الجماعي مطلوب في الإسلام وقد كانت جمعية العلماء تضرب المثال الحسن في الدعوة إلى الله وإصلاح الحال بالعمل الجماعي المنظم، و ببعض الجهود الفردية أيضا. يقول أحمد الرفاعي أن ما حققته الجمعية لا يعود الفضل فيه للقادة فقط بل يشترك فيه الجميع.

" إنَّ ما أنجزته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دعويا وتربويا واجتماعيا، لا يعود الفضل فيه إلى أشخاص بعينهم، أمثال الشيخ عبد الحميد على فضله وعظيم جهاده، أو الشيخ البشير على علمه وعمله الذي لا ينسى ولا ينكر، وغيرهما، وإنما الفضل في ذلك لله - عزَّ وجلَّ - وحده، ثمَّ للجهـد الجماعي لأعضاء الجمعية المؤسسين وعلى رأسهم الإمام الشيخ الطيب العقبي رحم الله الجميع، كما يبدو وذلك من مقالاته هذه وغيرها، ومن مواقفه وآرائه التي جعلته رمزا كبيرا من رموز العلم والإيمان والإخلاص"¹.

وفي هذا إشارة واضحة الدلالة من أحمد الرفاعي في كون أن العمل الجماعي والدعوي المحقق من طرف جمعية العلماء إنما يشترك فيك كلَّ علماء جمعية العلماء وغيرهم من المصلحين الذين كانوا متواجدين في كلِّ تراب الجزائر وفي كلِّ حواضرها ومدنها، وقد استطاع هؤلاء من خلال العمل والإخلاص فيه من بسط الكثير من الفضائل والمحامد وغرسها في الجزائريين.

لقد كانت جمعية العلماء أنموذجا في الدعوة والصدق والعمل الجاد وحفظ المال والمحاسبة وبذلك أصبحت رائدة في شتى المجالات "إنَّ جمعية العلماء بقدر ما بنت جيل الحرية فأثَّرت في الوقت نفسه بنتت الفكر والوعي، وكرست الأسس الصحيحة لمجتمع واع وأصيل، ومستقبل تحكمه القيم والمبادئ وليس المصالح والشهوات، وبذلك كانت الجمعية جمعية المجتمع الجزائري ككله، وليس جمعية الأعضاء، بل كانت بحق هي الجزائر التي يريدونها كل مخلص وصادق الإيمان"².

ولقد أبلى علماء الجزائر ومصلحوها بلاء حسنا في معركة الوعي ونشر الفضيلة والحفاظ على القيم، وإن كانت جهودهم متفرقة فهي تذكر ولا تنكر، ومع مجيء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدأت حملات التوعية تظهر أكثر تنظيما وأكثر فعالية، أوضح أحمد الرفاعي شرقي جهود جمعية العلماء

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ الطيب العقبي، ج2، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص09.

² أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميلي، ج1، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص195.

في تحدي السياسة الاستعمارية وكيف أنه بفضل المسجد الحرّ والمدرسة الحرّة والصحافة الحرّة بدءاً من سنة 1919م بهذه الوسائل الثلاث المتكاملة تمكنت جمعية العلماء من إحداث تغيير جذري وعميق في الواقع الاجتماعي، رغم القمع والقيود الاستعمارية وتجلى ذلك في نشر المفاهيم الإسلامية القائمة على العمل بالقرآن والسنة، وفي نقد مفاهيم الطرفين وما يشوبها من بدع وجمود وأهواء. فقد جدد العلماء وأصلحوا جوانب كثيرة. يذكر منها أحمد الرفاعي:

أ- أفتى العلماء ببدعية زيارة الأضرحة والتوسل بالموتى لقضاء حاجات الأحياء، كما أفتوا بتحريم الأموال المكتسبة من زيارات الأضرحة وبتحريم ذبائح الوعدات والزرادات.

ب- أفتى العلماء ببطلان الصلاة وراء أئمة المساجد الخاضعة للإدارة الاستعمارية، سواء في ذلك الصلوات الخمس أو الجمعة، وتتضمن هذه الفتوى المهمة التأكيد على استقامة الإمام وربانيته باعتبارها شرطاً أساسياً في جواز إمامته.

ج- في الجانب المالي أفتى العلماء بجواز صرف أموال الزكاة في بناء المساجد والمدارس الحرّة باعتبارها من سبيل الله، وهو أحد مصارف الزكاة.

د- سن العلماء سنة درس ما قبل صلاة الجمعة لنشر الوعي، وتحديد المفاهيم، ونقد أخطاء وممارسات العامة القائمة على التقليد الجامد والفهم الخاطئ للدين ومبادئه. (ونحن اليوم أحوج إلى هذه الدروس خصوصاً مع وسائل التواصل الحديثة وتداعيات العولمة وخواء المناهج التعليمية وهي نظرة مقاصدية)

هـ- سنّ العلماء سنّة دروس الوعظ والإرشاد في ليالي رمضان خاصّة، وبذلك جسّدوا علمياً وواقعياً حقيقة الصيام من جهة وكون رمضان شهر القرآن فعلاً، بحيث كانت كل أنشطة أعضاء جمعية العلماء تتوقف خلال شهر رمضان ويوجه الوعاظ والمرشدون إلى الشعب الإصلاحية في مختلف مدن وقرى الجزائر.

و- في ميدان الإنتاج العلمي ترك العلماء تراثاً عظيماً من المقالات والآراء في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية وفي ميدان التأليف والنشر؛ من ذلك ما ألفه الداعية الإمام مبارك بن محمد المليكي كتابين تاريخ الجزائر العام ورسالة الشرك ومظاهره، وغيرها كثير كثير، مفيد ونافع¹.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرطي، مقترحات عملية في مجال الإيمان والتربية، جريدة البلاد، العدد: 4220 الأربعاء 02 أكتوبر 2013م، ص 11.

الفرع الثاني: علاقة أحمد الرفاعي بجمعية العلماء.

كان أحمد متأثراً جداً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأنه وجد آثار ابن باديس لما كان طالباً، وجد آثاره مترددة على ألسنة الطلبة الزيتونيين ومشايخ الزيتونة، كانوا يرون أنّ الطلبة الذين يأتون من الجزائر يأتون وفي عزيمتهم أن يأخذوا العلم من أصوله وأن يكتبوا عليه بشكل كبير، وكذلك كان أحمد الرفاعي الذي شكّل خلفية عقديّة ممّا كان يؤمن بجمعية العلماء المسلمين وأضاف إليها المسحة الصوفية للمذهب الذي كان يعتنقه والده وتأثر به هو كذلك وبقي معه طول حياته¹.

وقد كتب أحمد الرفاعي شرفي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيء الكثير وأهتم بها الاهتمام البالغ وتقدم إلى قادتها وأتباعها بجملة من النصائح والبرامج الهادفة، وعندما يضرب مثلاً بالنجاح العلمي والتكوين والحفاظ على هوية الأمة يستشهد غالباً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - في مرحلتها قبل الاستقلال.

وكان الرفاعي يمين بـ "جمعية العلماء" ومنهجها إيماناً كبيراً، وهذا الذي جعله قليل الالتفات إلى المشاركة شيوخيًا ونصوصًا، وهذا الذي أكسبه تميّزاً بين الدعاة في تلك الفترة².

وغالباً ما كان أحمد الرفاعي شرفي يفصل بين مرحلتين من تاريخ وعمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مرحلة التأسيس إلى الاستقلال مع جهود ابن باديس من 1913م إلى تأسيس الجمعية 1931م، ثمّ إلى قيام الثورة التحريرية 01 نوفمبر 1954م، حيث اندمجت في الثورة، ثمّ مجيء الاستقلال، هذه تسمى مرحلة الإصلاح الموجه لتحرير الجزائر كمعركة خارجية وتنوير العقول كمعركة داخلية. بعد ذلك يرى أحمد الرفاعي شرفي أنّ الجمعية كان يجب أن تعيد بناءها من جديد لتشارك في مسيرة الاستقلال ومسيرة بناء الدولة الديمقراطية، وكان - رحمه الله - ينتقد بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين لم يستطيعوا مواكبة التحولات التي جاءت بعد الاستقلال وقد اختفوا في الواقع أمام الملمات، لذلك يمكن القول أنّ أحمد الرفاعي شرفي عاش مرحلتين مرحلة إعادة هضم تراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومرحلة فهم الواقع وتشريح التاريخ للعبارة والاعتبار³.

وكما عُرف عن أحمد الرفاعي شرفي أنّه كان متعلقاً كثيراً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد كان ممن درس بعُمق تراثها وتتبع منهج علمائها وجمع تراث الكثير منهم، كما دافع عن بعض مشايخها ممن تعرضوا للتشويه والاساءة، وكان - رحمه الله - يعتقد أنّ الجمعية من شأنها أن تكون الوعاء الجامع

¹ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

² ينظر: عبد الله عيسى خليلح، مقابلة ولقاء عبر البريد الإلكتروني، 2019/02/04م، في الساعة 14.00.

³ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

للجزائريين، كما أنه يمكن تفعيل دور الجمعية في الجزائر الحديثة لتكون خير إطار يجتمع فيه الخيرون من أبناء الأمة.

ويشهد له كل من عايشه عن قرب كيف أنّ جمعية العلماء كانت تسكن قلبه ولم تكن تفارق خياله وكان يكتب دوماً عن ضرورة تفعيل دورها الريادي في الجزائر الجديدة وينظر لذلك بأفكار وتوجيهات كثيرة، وقد وصفه الأستاذ حسن خليفة- وهو أحد مقريه - "بأنه من رعييل المؤسسين الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان قبل أحد أبنائها الناجحين، وقد مارس العمل الديني والدعوي الاجتماعي وفق منظور الجمعية وأدبياتها، و لعله في بعض الأحيان كان "يتعصب" لمنهج الجمعية المتميز في الدعوة والعمل للصالح العام لدرجة أنه يراه أجود المناهج وأوفاهها وأجدرها بالتطبيق والمرافقة والمتابعة في طول العالم الإسلامي وعرضه، وليس في الجزائر وحدها، وكان يري - رحمة الله عليه - أنّ المنهج الذي أثمر تلك الثمار البانعة مما حققته الجمعية في أكثر من مجال وميدان زمن الاستعمار البغيض، و في ظروف استثنائية في ظل حكم استيطاني قاس و رهيب.. هذا المنهج بمواصفاته قادر وجدير بأن يثمر أكثر وأكثر في ظل الاستقلال والحريات والعون المعنوي والمادي من أبناء الشعب وفتحاته المختلفة"¹.

وبلغ من اهتمامه بأمر الجمعية خاصة وأمر العمل الجمعي عامة أن كتب الكثير من النصوص التوجيهية، وصاغ الكثير من القوانين الأساسية والداخلية لجمعيات وهيئات تعمل في مجال العمل الثقافي والاجتماعي والديني والإصلاحي والمهني والرياضي والفني.. وكان حرصه واضحاً في العمل الجماعي والحث عليه.

وكان يري العمل الجماعي المدني من أقوى الوسائل على تأطير المجتمع وزرع بذور الخير والفضل في أبنائه وبناته، ولكن ذلك يحتاج إلى توضيحات جسيمة من قادة الرأي والفكر والأئمة والدعاة وأهل الصلاح. ونجد في كتاباته التأصيل الرائع لهذا الملمح المهم وهو وجوب العمل الجماعي الاجتماعي والإيماني لإقامة الدين والدنيا معاً في كتابه عن "جماعة المسلمين" لأبي يعلى الزواوي².

الفرع الثالث: نقده لجمعية العلماء.

ورغم ما حظيت به جمعية العلماء من مكانة في نفس الرفاعي إلا أنه لم يتوان في تقديم النقد فيما يراه خطأ أو ابتعاداً عن المنهج السليم لخط الجمعية، وهذا الأمر كان يعتبره وجهاً آخر من أبواب النصح والتقويم للحفاظ على هذا الهيكل الكبير .

¹ حسن خليفة ، أحمد الرفاعي: مفكر زاهد القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، جريدة الشروق اليومي، الموقع الإلكتروني: <https://www.echoroukonline.com>، 2014/06/14، تاريخ الزيارة: 2019/02/08. في الساعة: 12.00.

² ينظر: المرجع السابق.

إنَّ جمعية العلماء كانت تحمل قضية كبيرة متمثلة في إحياء الأمة الإسلامية ككل بالإسلام وبالعلم، وللتسمية دلالة كبيرة في ذلك، فمصطلح العلماء يعني إخضاع كل شيء للعلم ولا لغيره، وهي بذلك صاحبة تجربة اسلامية متميزة تحمل الفكر الرسالي والرغبة في التغيير الجاد والفعال، ويرى الرفاعي أنّ الذي حدث فيما بعد أن المسلمين لم ينتفعوا بهذه التجربة وضيعت الجمعية الكثير بعد وفاة مؤسسها ابن باديس ثم خليفته محمد البشير الابراهيمي وهو عهد الرساليين من أبناء الجمعية البررة¹.

إنَّ موقف أحمد الرفاعي الواضح من الحزبية - لما يراه من فساد عريض سببته السياسية عموماً والأحزاب خصوصاً - تجلّى موقف الرجل أكثر عند الحديث عن جمعية العلماء الحديثة، حيث أبدى خشيته من استغلال الجمعية من طرف المنتمين للسياسية والمنتمين للأحزاب واعتبر ذلك استغلالاً فضيع للجمعية من أجل مغامر ومكاسب، وهو ما يؤدي إلى إفساد العقيدة والابتداع عن جوهر الكتاب والسنة.

وعن موقفه من ذلك تلکم أحمد الرفاعي في مقالاته أنّه راسل رئيس جمعية العلماء حينئذ الشيخ عبد الرحمن شيبان ناصحاً وموجهاً. ومما قال في هذا الشأن: "جمعية العلماء ينبغي أن تكون فوق الأحزاب ولكنها اليوم ساحة للصراع الحزبي والخلافات، يجوز في الجمعية أن يكون فيها كلُّ المذاهب ولكن لا يجوز أن تكون هي كلُّ الأحزاب لأنَّ المذاهب من منطلق سنة الاختلاف تتعايش ولكن الأحزاب من منطلق الخلاف تتصارع إن لم تتقاتل والفرق كبير بين التعايش في أدب واحترام متبادلين، وبين الصراع الذي تنبني المعاشرة فيه على الغش والنفاق، فجماعة المسلمين كما حددها أبو يعلى الزواوي - رحمه الله - هي العمل بالقرآن والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البرِّ والتقوى وإصلاح ذات البين"².

إنَّ جمعية العلماء ينبغي أن تكون فوق الحزبية دوماً، لأنَّها مرجعية وقضية ومصير، والانتماء إليها ينبغي أن يكون وفق شروط مضبوطة، أولها عدم الانتماء الحزبي مطلقاً، هكذا كان يرى أحمد الرفاعي جمعية العلماء أو كما ينبغي أن تكون عليه الجمعية الأم.

لقد صرح أحمد الرفاعي بحبّه للجمعية وأنَّها مرجعية له في عدّة مواقف، كما أنّه لم يتوانى في تقديم وبعث الرسائل التحذيرية كلّما رأى ما لا يسر من أمر الجمعية، وقد تحدث عن وضعية الجمعية قبيل وفاته ووصفه بأنه "لا يبعث على التفاؤل، بقدر ما يوحي بالكثير من الأسف لما آل إليه أمرها بعد جهود ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي والتبسي... فمعظم المكاتب (الشعب) تعيش حالة مقلقة

¹ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي شرفي، مرجع سابق.

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

من السلبية والجمود وضعف الشعور بالمسؤولية، وانحسار مصداقية الجمعية، وتآكل رصيدها الاجتماعي في تزايد، وكل ذلك وغيره يجعل الجمعية بين الحياة والموت، فلا هي حيّة كما كانت في عهود الأئمة الرساليين فُتُرحى ويُرحى نفعها وفضلها ويُنتظر منها الصلاح والإصلاح والخير والإيمان والعلم والعمل، ولا هي ميتة فُتُنعى بمآتم يليق بمكانتها وفضلها وإنجازاتها...¹.

لقد كان حرص الفقيد أحمد الرفاعي عن جمعية العلماء أكثر من حرص الوالد عن أولاده أو الابن عن والديه الذين بلغا من العمر عتياً، وهو يعتبر نفسه ابناً للجمعية، ومهم التنويه بأنّ جلّ نصائحه المتعلقة بالجمعية تتعلق بتنشيط فروعها واستعادة دورها الريادي والحضاري، والتركيز خاصة فيما تعلق بتربية النفوس وتهذيبها، وتصحيح العقيدة والرجوع إلى الكتاب والسنة بعيداً عن السياسة والحزبية الضيقة.

المطلب الثالث: جماعة الإخوان المسلمون.

الفرع الأول: التعريف بالجماعة.

جاء تعريف الجماعة في الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمون كما يلي: "الإخوان المسلمون هي جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنّها "إصلاحية شاملة" أسسها حسن البنا² في مصر في مارس عام 1928م حركةً إسلامية، وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول، ووصلت الآن إلى 72 دولة تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية في القارات الست"³.

ومن صفات جماعة الإخوان المسلمين على لسان مؤسسها يقول الإمام البنا: "الإخوان فكرة إصلاحية شاملة، كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك، إن الإخوان المسلمين: دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة

¹ أحمد الرفاعي شرفي جريدة الشروق اليومي، الموقع الإلكتروني: <https://www.echoroukonline.com>، بتاريخ 28 جوان 2013م، تاريخ الزيارة 2019/02/26م في الساعة 10.30.

² حسن البناء من مواليد 1906 بمصر، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، له أعمال كثيرة منها رسائل الإمام حسن البناء، ومذكرات الدعوة والداعية، قتل في سنة 1948م (ينظر: أبوجرة سلطاني، الإمام حسن البناء وتاريخه).

³ الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمون، الموقع الإلكتروني: www.ikhwanwiki.com، تاريخ الزيارة: 2019/06/11م، في الساعة: 16.00.

اقتصادية، وفكرة اجتماعية¹. وهذا التعريف يشير إلى توجه الجماعة الشامل، فهو يتسع للجميع من سلفية وصوفية ويهتم بالجميع رياضة وثقافة واجتماع وتربية.

الفرع الثاني: علاقة أحمد الرفاعي بجماعة الإخوان.

يعتقد الكثير من أتباع الحركات الإسلامية والمهتمين بشؤون الدعوة أن أحمد الرفاعي شرقي وخلال مسيرته الطويلة مع الحركات الإسلامية كان محسوباً على جماعة الإخوان المسلمين، فقد كان ضمن جمعية الإرشاد والإصلاح الوطنية ومن أطقمها الفاعلة بل كان رئيس تحرير المجلة التي تصدرها جمعية الإرشاد في بداياتها.

وقد حدثني أبو جرة بالقول: "كان أحمد الرفاعي يقول لي أنا أبحث عن أقرب نقطة من مركزية الإسلام، وقد قرأت الصوفية والمعتزلة والأشعرية وكل المذاهب، ومنها الجديدة كالإخوان والدعوة وقرأت التبليغ وقرأت الوهابية وقرأت الكثير، فوجدت أن فكر الإخوان في جانبه التربوي أقرب النقاط إلى مركزية الإسلام"².

وهذا التصريح من أحد المقربين للرجل يدل على أن الرجل فعلاً كان متأثراً كثيراً بفكر الإخوان، وأن هذا القرب إنما كان بعد قراءة عميقة وتبع ومسيرة طويلة من التجارب والملاحظات.

وقد عبّر أحمد الرفاعي شرقي أنه مقتنع بفكر الإخوان بصريح العبارة، ومما جاء في تصريح له في حوار مطول لجريدة الحقيقة: "أنا ما التقيت بقيادات حركية عالمية للإخوان، ولكني قرأت للإخوان ممّا جعلني أقتنع اقتناعاً لا تردد فيه أبداً بأفكار الجماعة إلا إذا ظهر شيء جديد يقنعني بأن ما قرأته في الكتب غير صحيح، وما قرأت عن الإخوان أنهم ملتزمون بالفكر والحوار، ويلتزمون بالقرآن، يبتعدون عن ما يثير الخلافات والصراعات، يعني كل ما يدعو إليه الإسلام من الأخلاق الفاضلة يتبناه الإخوان في مؤلفاتهم وكتبهم، فالإخوان الذين يقولون: ونتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا، هذه الكلمة وحدها فقط إذا أخذنا من تراث الإخوان تكفي لحلّ أزمة جزائر، فنحن نتفق بأنّ الجزائر وطننا، وهي مستقبلنا، ونتفق على أشياء و مبادئ أخرى كثيرة، ولكن يعذر بعضنا بعضاً في بعض القناعات أو قضية اللغة واللهجة وغيرها"³.

¹ زكريا اسلام بيومي، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية (1928-1948)، ط3، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2012، ص 145.

² أبو جرة سلطاني، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 293.

وفي هذا التصريح اعتراف من الرجل بإعجابه بالفكر الإخواني المتبنى والمصرح به والمطبق في المسيرة التي انتهجها وسار عليه الإخوان المسلمون، وبل كان يعتقد أنّ من أفكار الإخوان يمكن استخلاص حلول لأزمة الجزائر حينئذ.

لقد كان أحمد الرفاعي ينظر للجماعة أنّها إذا ما أتاحت لها الفرصة بإمكانها أن تحقق الدولة الإسلامية أو النظام الإسلامي أو الخلافة الجديدة، لكن العقبات المتوالية جعلت أفراد الجماعة يغيبون في غياهب السجون والكثير منهم إمّا طريدا وإمّا شريدا وإمّا سجيناً، وأكثرهم مستضعفون في الأرض. ويبقى أمل الرجل في الاستفادة من المنهج الذي رسمه حسن البنا للجماعة، يقول الرفاعي: "إنّ التطبيق الميداني المنهج حسن البنا مع مراعاة عاملي الزمان والمكان على يدي جماعة من الناس ولو كانوا عشرة أفراد من شأنه أن يحقق مشروع الرجل العقيد الذي منه تنطلق الشرارة الأولى لبناء جيل النصر المنشود، ومن يدري فلعل رجلاً كالإمام البنا يتمخض عنه الزمن في آخر هذا القول ليكون مجدد العصر، ويتحقق به وعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذه الأمة من محتتها الكبرى"¹.

لقد كان لفكر الإخوان المسلمين تأثير كبير على فكر أحمد الرفاعي وقد استلهم منه الكثير، خاصة في مجال الدعوة إلى إصلاح النفس وإصلاح العقيدة، والدعوة الهادئة والهادفة.

الفرع الثالث: نظرات في فكر الإخوان المسلمين.

اعتبر أحمد الرفاعي أنّ فكر الإخوان المسلمين واسع وشامل ويمكن أن يعبر عن ماض المسلمين ومستقبلهم "فكل من قرأ الرسائل ومذكرات الدعوة والداعية خاصة يجد للإمام رؤية واضحة ودقيقة لواقع المسلمين وتاريخهم ومستقبلهم"².

ولعل هذه النظرة التفاؤلية والطموحة من طرف أحمد الرفاعي سببها المنهج الواقعي الذي اعتمده الإخوان في إحداث التغيير "فمنهج الإمام - يقصد حسن البنا - في التغيير يقوم على الواقعية، فالفساد الذي أدى بالأمة الإسلامية أصبح الآن واقعا ماديا يتمثل في نظم غير إسلامية، وأخلاق غير إسلامية وعلاقات اجتماعية غير إسلامية، وعقائد دخلها الكثير من الفساد، كل هذا أدى إلى ظهور الإنسان الغنائي المنتسب إلى الإسلام دون وعي أو التزام، وبما أنّ الفساد أصبح واقعا ماديا فلا بد لتغييره من إيجاد واقع إسلامي مادي يكافئه في الوسائل ليأتي بعد ذلك التفاعل والصراع بين الحق والباطل، ولذلك

¹ المرجع السابق، ص 737.

² المرجع نفسه، ص 283.

لا بدّ من زرع خلايا حيّة. الأسر التربوية في الواقع لتتفاعل مع الخلايا الميتة في إطار التدرج و المرحلة لتحقيق التغيير الحتمي الذي سيظهر به الإسلام على الدين كلّ ولو كره الكافرون¹.

لقد كانت رؤية جماعة الإخوان للواقع والأحداث تتسم بالعمق والشمولية، وكان السبب في ذلك الفهم الدقيق والشمولية في التصوّر والعمق في التعليل والتحليل والموضوعية لأحداث التاريخ، وهو ما أسهم في فهم واقع المسلمين فهما عميقا، ومنه تمّ تحديد متطلبات المرحلة القادمة، وعليه فقد كان فكر الإخوان إضافة مفيدة للفكر الإسلامي الذي خرج من دائرة التنظير إلى دائرة التنظير والعمل معا عكس ما كان سائدا ورائجا، وقد ألفت في ذلك الكتب الكثيرة وسنت قوانين ومشاريع من خبراء في الشريعة والقانون والفكر، ومازالت تلك الأفكار حيّة لم تجد من ينافسها في واقع الناس تنظيرا وعملا ميدانيا، وعليه ففكر الإخوان حسب أحمد الرفاعي لم يتجاوز الزمن، ومازال الأمل قائما لإحداث التغيير لو أخذنا به والاستفادة منه بشكل عام في شتى المجالات².

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ جماعة الإخوان بالرغم من الصديقة التي عنها أحمد الرفاعي في الطرح السالف، إلا أنّه لم تستطع الجماعة فعلا وواقعا من تحقيق التغيير المنشود، ولم تكن الواقعية واقعا وحدثا مشهودا، وما كان مشهودا هو المزيد من التأزم في الواقع الإسلامي العام، وعلى واقع الدعوة بالأخص. إنّ جماعة الإخوان لم تستطع بعد قرابة القرن من الوجود في أكثر من بلد إسلامي لتعطي أنموذجا ناجحا ليكون البديل عن الخلافة الإسلامية المغدورة التي اسقطت سنة 1924م.

الفرع الرابع: نقده لجماعة الإخوان.

لقد كان أحمد الرفاعي يمقت الحزبية والممارسة السياسية بشكل عام - كما سيأتي بيانه لاحقا - واعتبر أنّ من أخطاء الإخوان التي جنت على الجماعة التحول إلى الحزبية والابتعاد عن التربية والإصلاح والذي يأتي في مقدمة أدبيات جماعة الإخوان، وفي رأيه أيضا فقد تورط الإخوان بعد مقتل مؤسسها حسن البنا في أمور لا علاقة للحركة بها لأنّها أنشئت لبعث الكيان الإسلامي فتورطت في الشؤون الحزبية والسياسية وهو الأمر الذي وقع لجمعية العلماء في الجزائر، فجمعية العلماء فكرتها إقامة سلطان الدين مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى. الآية: 13] ولم يحدث إقامة الدين بل سجل انحراف على مستوى الحركتين بسبب المنتفعين والموظفين الذين يحبون الدنيا ولا يهمهم أقام الدين أو لم يقيم كما فعل بنو أمية³.

¹ المرجع السابق، ص 291.

² المرجع نفسه، ص 292.

³ ينظر: الصادق سلامية، حوار صحفي مع أحمد الرفاعي شرطي، مرجع سابق.

إنَّ الاختلالات الواقعة في مسيرة الإخوان المسلمين وما تعرضت له الجماعة من هزات وارتدادات كبرى، أثّر كثيراً على مسيرة الحركة وعلى مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة بشكل عام، ويرجع أسباب ذلك إلى عوامل خارجية كظلم الأنظمة المتعاقبة وعداوة التيارات المناوئة، كما يرجع الأمر إلى بعض الأخطاء من قادة الإخوان أنفسهم ومن بعض أتباعها الذين حادوا عن الطريق أو أتهم كانوا من المندسين "ولكن لا بد أن أقول هنا: إنّه مثلما هناك منتسبون للإسلام خطأ فإنّ هناك من هم منتسبون للإخوان خطأ، فكلمة الإخوان من الكلمات المظلومة والمستغلة، فهناك من يدعي الانتماء للإخوان ولكنه سلوكاً وفكراً ومنهجاً لا علاقة له بالإخوان"¹.

إنّ بعض المآخذ أو النقائص أو السلبيات التي لاحظها المهتمون بأمر الدعوة إنّما تتعلق بالأشخاص لا بالمنهج نفسه. وحسب الرفاعي فمنهج الإخوان في حاجة ماسّة إلى أمرين متكاملين :
أ- قراءة جديدة ومعمقة على ضوء مسيرة الجماعة وتطور أوضاع المسلمين وأوضاع العالم، تقدم بالضرورة تفسيراً جديداً للمنهج ولتقتضيات ممارسته وتطبيقاته في بيئات متعددة. خاصة على مستوى الوسائل التطبيقية في السير نحو العمل المؤسسي.

ب- قيادات ميدانية وبرامج عمل في مستوى هدف بعث كيان الأمة الإسلامية، وفي مستوى منهج الدعوة إلى الله تعالى، تذكّر الناس بصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتذكير الناس بحسن البناء و ابن باديس، والمودودي²... وأمثالهم من أعلام الإسلام عقيدة وخلقاً³.
وستبقى الحركات الإسلامية في رحلة طويلة لتصفية الصفوف وتنقية الأتباع، والحفاظ على الخط والمسيرة والمنهج من كل زيغ وانحراف والسقوط في الطريق.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 737.

² أبو الأعلى المودودي، الإمام، الداعية، العلّامة، ولد في مدينة أورنج آباد جنوبي الهند في عام 1921م، بعد تقسيم الهند هاجر إلى باكستان وتولى مهام رئاسة الجماعة الإسلامية في البلد الجديد، أسهم في إنشاء جمعية الجامعات الإسلامية كمنظمة دائمة، ومُنح جائزة الملك فيصل تقديراً لجهوده وتضحياته في خدمة الإسلام، توفي رحمه الله سنة 1979م، من آثاره: احذروا مخطط اليهود، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، الإسلام والجاهلية. ينظر: محمد خير رمضان يوسف، تنمة الأعلام للزركلي، 74/1.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 293.

خلاصة الفصل

اعتمد أحمد الرفاعي في تكوين فكره الدعوي على القرآن والسنة، وأعتبرهما المعين الصافي الذي لا يجب تركه مجدداً، لأن الأمة خسرت كثيراً بترك دستورها القرآن الكريم وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام، وما ترتب عن البعد عنهما آثار كبيرة في حياة المسلمين، سواء في عرقلة تقدمهم أو في تعميق جراحهم، وما سببه أيضاً من تخلف وتقهقر، وعليه فلا بدّ من الرجوع الجاد والواسع إلى المصادر الأصلية استنباطاً للفكر والتزاماً بالسلوك.

إنّ القرآن والسنة ونظراً لأهميتهما يعتبرهما الرفاعي دولة وحكومة ومرجعية كلّ مسلم ومسلمة، وفي كلّ الحالات، واحتكام المسلمين والمؤمنين إلى القرآن والسنة يجب أن يكون بعقيدة وثيقة صادقة، وليس بمجرد رفع اللوم وبنية الخضوع إلى حكم الله - عزّ وجلّ - وقبوله.

كما استلهم أحمد الرفاعي الكثير من الدروس من السلف الأول جيلي الصحابة والتابعين واعتبرهما خير خلف لخير سلف، ويبقى جيل الصحابة والتابعين الأقرب إلى حياة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أعظم الأجيال وأفضلها وواجب التعلم منهم والاستفادة من تاريخهم وسمتهم وجهادهم وطريقة عيشهم مهمة للمسلمين، وكلّ ذلك دون اغفال الواقع ومتطلباته.

ومما تأثر به أحمد الرفاعي وكان سبباً وعوناً في تشكيل فكره، تلك الروافد العلمية والمدارس الواقعية التي عايشها ولم تكن بعيدة عنه في الزمن والمعاش والتعامل، ومن ذلك المدرسة الصوفية التي كان والده ينتمي إليها، وقد سمّاه عن أحد قادتها المشهورين (أحمد الرفاعي) وكان هو الآخر يميل إليها ويستقي منها أيضاً، ونقصد المدرسة الصوفية الخالية من البدع والبعيدة عن الخرافات، والتي ركزت على البعد الروحي وعلى التربية والتركية والتصفية، ومن الروافد الهامة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ولد وقت تأسيسها، ثمّ تتلمذ في مدرستها ودرس عند شيوخها وتعامل معهم، وما زالت الجمعية تعتبر الإرث العظيم للمجتمع الجزائري الحديث، وتمت الإشارة إلى رافد فكري آخر استلهم منه أحمد الرفاعي الكثير من الأفكار ألا وهو تيار جماعة الإخوان المسلمين حيث كان لأحمد الرفاعي تأثر واضح بالجماعة، والتي ما زال - إلى وفاته رحمه الله - يعتقد بصلاحيّة الفكر الإخواني وأهميّة منهجهم التربوي والإصلاحية.

ومع ما تأثر به أحمد الرفاعي - إيجابياً - من تلك التيارات الفكرية إلا أنّه لم يغفل عن توجيه النقد لبعض المواقف والأفكار لتلك الجماعات والمدارس الفكرية المتنوعة. وكل ذلك شكّل:

مصادر الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي.

الفصل الثالث

قضايا الدعوة في فكر

أحمد الرفاعي شرفي

وضيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الخطاب الدعوي عند أحمد الرفاعي.

المبحث الثاني: المنهج الدعوي ومراحل الدعوة ووسائلها.

المبحث الثالث: جهوده في الدعوة.

مدخل الفصل.

إنَّ الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ- عبادة عظيمة لا ينالها إلا من وفقه الله تعالى للقيام بها، ذلك أنَّ قضية الدعوة إلى الله تعالى كانت ومازالت منذ عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم- إلى عصرنا وما بعده هي أمُّ القضايا، وقد أوضح أحمد الرفاعي أنَّ الدعوة قضية القضايا، إلا أنَّ المفاهيم السابقة التقليدية والخطابات المعهودة والجاهزة المحصورة في التيارات والمذاهب قديما أو الحزبية والسياسية حديثا، كلُّ ذلك أثر على الدعوة وأفرغها من محتواها، وجعل شكل الدعوة ومظهرها مرعب عند الكثير من هول الخلافات والانشقاقات والاتهامات المتبادلة بين أبناء الدعوة في الساحة الدعوية الواحدة.

وفي وسط ذلك الخضم ضاع المفهوم الحقيقي للدعوة المستمد من الكتاب والسنة، والذي يدل على أنَّ الدعوة قضية كبرى تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تشتت، تبني ولا تهدم، وتدعم ولا تعرقل، وتفرح ولا تجرح، وذلك ما بنيت عليه حضارة الإسلام وأقامت لها مجدا عظيما وتركت أثرا جليلا عبر قرون خلت¹.

ولذلك كان من الواجب على الدعاة والمهتمين بأمر الدعوة إلى الله البحث دوما على التجديد وإصلاح الواقع الدعوي، من خلال بيان القضايا الدعوية الأصلية والمستحدثة، ومن خلال بيان لوازم الدعوة وأساليبها ومنهجها ومراحلها والتذكير دوما بأهميتها وأهدافها.

وانطلاقا من هذا طرح التساؤلات التالية: ما هو الخطاب الدعوي الذي كان يحمله أحمد الرفاعي، وكيف هي مفاهيم الدعوة ومجالاتها ومنهجها وأسلوبها عنده؟ وفيما تمثلت جهود الرفاعي في ممارسته للدعوة ميدانيا بلسانه وقلمه؟

تلك التساؤلات وأخرى ومن خلال الإجابة عنها تتشكل صورة فصل:

القضايا الدعوية عند أحمد الرفاعي شرفي.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 08.

المبحث الأول: الخطاب الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي.

المطلب الأول: مفهوم الخطاب الدعوي عند الرفاعي ومنطلقاته.

الفرع الأول: مفهوم الخطاب الدعوي.

مصطلح الدعوة من المصطلحات التي كثرت وتعددت فيها التعاريف والمفاهيم المتقاربة أحيانا والمتباينة أحيانا أخرى، فهناك من هو مستمد من النصوص الشرعية أو من الواقع ومنها ما هو مستمد من الموروث الملوث بالبدع والخرافات والضلالات، والله قد حدد مفهومها العام بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة. الآية: 111]. وهذا تعريف يشمل الإنسان المؤمن وما يملك. "وذلك يعني أنّ الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ- تعني إقامة الدين كلّهُ بسلطانه الشامل للنفس وما يحيط بها، وذلك ما يعني في الوقت نفسه أنّ الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ- تشمل أمر الدنيا كلّها وأمر الآخرة كلّها، و أنّها هي حقيقة لا إله إلا الله و أنّها هي الإسلام وهي الإيمان وهي التوحيد وهي العبودية لله، ذلك أنّ الإيمان أو الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يغني بعضه عن بعض"¹.

ورغم البعد الكبير الذي يكتسيه أمر الدعوة إلا أنّ الكثير من المسلمين وغير المسلمين ما زالت مفاهيم الدعوة عندهم يكتنفها الغموض ويشوبها الخلل في المعنى الحقيقي لجوهر الدعوة، إذ يعتقد بعض المسلمين أنّ الدعوة تنحصر في الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم... وبالعموم إقامة أركان الإسلام. وهو أمرٌ بالغ الأهمية غير أنّه قاصر في دلالات أخرى، وعند غير المسلمين وخاصة ممن يجاهرون بالعداء للإسلام فهي تعني سفك الدماء والترويع وكلّ أشكال العنف والحروب.

إنّ الدعوة إلى الله أشمل وأوسع من كلّ ما يعتقد بعض المسلمين من المفاهيم السابقة وأظهر وأنقى مما يعتقد أعداء الإسلام، ذلك أنّ الدعوة في نظر الإسلام تعني تحقيق العدل الاجتماعي ورعايته ورفض الفساد والظلم الاجتماعيين (معادلة الطاعة والمعصية) والإسلام بذلك يقطع الطريق على الفردية والوصولية وفرض الوصاية المغشوشة على الناس «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»²، فطاعة الله سبحانه وتعالى عندما تتحقق على الأرض تتجلى ثمارها وتؤدي حتما إلى تحقيق العدل الاجتماعي في المجالات التي يعيشها الإنسان ويحيها، وتؤدي حتما إلى بلورة أدب قوي عظيم يمجّد الحق والخير والعدل

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، ط1، مؤسسة البلاد للنشر والإشهار، الجزائر، 2011، ص22.

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم: 893، 2/5، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فُضِيلَةَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةَ الْجَائِرِ، وَالْحُتُّ عَلَى الرَّفِيقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، رقم: 1829، 3/1459.

والأمان والسلام ويحث الإنسان على أبواب الخير وعلى النبل والجدية والاجتهاد، ويكرّس حقوق الإنسان التي أعطاها له ربه وبيّن له دينه ومن ذلك قضية العدل الاجتماعي والأمن الغذائي والسلام والطمأنينة والرخاء¹.

لقد سعى بعض أعداء الدين إلى تشويه الدعوة وصرف معناها ومفهومها الحقيقي وتأويله إلى معان ومقاصد يريدونها هم لخدمة أهدافهم ومصالحهم وضربا للدين وطعنا فيه، ومن المصطلحات التي ربطت بالدعوة والدعاة كلمة الأصولية وهي عبارة يطلقها عادة العلمانيون ضد الإسلاميين ويقصدون من وراءها حاملي الفكر الإسلامي وبعضهم يصفها ويربطها بالظلامية والرجعية والإرهاب، والحقيقة أنّ مصطلح الأصولية في دلالاته اللغوية له بعد أصيل وحسن، يقول أحمد الرفاعي في ذلك: "عبارة الأصولية في العرف الفكري والعلمي تعني تأصيل الفهم والمنهج في معالجة القضايا، وذلك بربط الفهم والمنهج بالمبادئ الشرعية والفكرية الصحيحة، توخيا للموضوعية والنزاهة في العرض والتحليل والاستنتاج وتفاديا للذاتية والتحامل والتعصب وغيرها من منزلقات الفكر وسلبياته، فالأصولية في العرف الفكري والعلمي سمة ايجابية تخفى على الرأي السمة العلمية، والمنطقية المطلوبة"².

والمأمول في الخطاب الدعوي أن يكون ذا لب حضاري ولو كان منمقا شكلا فهذا حسن وجميل والأحسن منه والأجمل التركيز على المضامين، والمؤسف ما نراه من الإنتاجات الطيبة التي كانت ردة فعل للمحن من مقالات وأشعار وكتابات، وإصدارات إعلامية متنوعة وتوجهات شعوبية، وفي الحقيقة لا تخرج عن كونها كلمات رنانة بعيدة عن الروح الإسلامية والمعاني الربانية وغياب سمة العبودية والتجرد لله تعالى وحده³.

فالدعوة إلى الله ليست تشبه دعوة أخرى مضمونا، وخطابها لا بد أن يكون متميزا شكلا وجوهرا، وصدق من قال "الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه الإسلام: علم، فن، وتقوى، وإخلاص"⁴. ونستنتج أنّ الخطاب الدعوي يجب أن يكون خطابا قضائيا وواجبات ومسؤولية، خطابا للمسلم والإنسان للإنسان في إطار التعايش الإنساني والتفاعل الحضاري المميز بالأخلاق والمبادئ والمثل الإسلامية والإنسانية، ويكون ممنهجا ومتأصلا وواضحا بعيدا عن كلّ تسييس، خالصا لله صوابا⁵.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر، 2009م، ص52.

² أحمد الرفاعي شرقي، هل "الأصولية" خطر على الإنسانية؟ مقال بجريدة النور الجديد، العدد02، قسنطينة، فيفري 2001، ص12.

³ ينظر: مهدي قاضي، كلمة للدعاة والمصلحين المآسي والخطاب الدعوي ونحن، ط1، دار الطرفين للنشر والتوزيع، جدة-السعودية، 2003م، ص14.

⁴ همام عبد الرحمن سعيد، قواعد الدعوة إلى الله، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1985م، ص87.

⁵ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص84.

الفرع الثاني: منطلقات الخطاب الدعوي عند أحمد الرفاعي.

01- المنطلقات الواقعية:

أهمية معرفة الواقع

تمثل المنطلقات الواقعية في فكر أحمد الرفاعي شرفي رافداً إضافياً مهماً، حيث كان الواقع ملهماً ومحفزاً للرجل، ومعروف عن أحمد الرفاعي حرصه الشديد على الأمة ومستقبلها، فعمل على تشريح التاريخ وبيان جراحه، لاعتقاده الجازم لذلك من تأثير قوي على حياة الناس وواقعهم، كما أنه كتب وحاضر وخطب في جلّ المواضيع التي يعيشها المجتمع، وعبر كثيراً عن ذلك الواقع، وقد طبق نصيحة العلامة البشير الإبراهيمي الذي قال: "من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية. فإذا استقام له ذلك استقام له العمل، وأمن الخطأ فيه، وضمن النجاح والتمام له؛ فإن تصدى لأيّ عمل يمسّ الأمة من غير درس لآثارها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل"¹.

إنّ عمليات التغيير والتجديد والإصلاح التي نادى بها أحمد الرفاعي على غرار بقية المفكرين والدعاة، لا يمكن أن تتحقق وتؤتي ثمارها دون التعمق في فهم الواقع. يقول عمر عبيد حسنة في ذلك: "إنّ فهم الواقع، والوقوف على سنن التغيير، والتجديد، والنهوض، والوقاية الحضارية بالنسبة لأمة الإجابة: "مجتمع المسلمين"، كما أنه مطلوب أيضاً لإيصال الرسالة الإسلامية لأمة الدعوة: "غير المسلمين"، لأنّ ذلك يمكن من معرفة مداخل الشعوب، وخصائص وصفات خطابها، وعوامل استنفارها واستفزازها، أو استنقاعها الحضاري، على حدٍ سواء"².

وبدراسة الواقع بعمق وتمعن وروية، يمكن للباحث أن يعرف الأدواء ومكمن النقص والخلل، بعيداً عن الاتكالية وإلصاق كل مصائبنا بالقضاء والقدر لتبرئة أنفسنا، فالحقيقة أنّ إدراك الأسباب ومعرفة المسببات تؤدي إلى الطريق السليم لمعرفة الحلول السليمة. يضيف عمر عبيد حسنة: "ذلك أنّ سنن الله لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحداً، وأنّ الذي يدركها هو القادر على التغيير والتجديد ومغالبه قدر بقدر، والفرار من قدر إلى قدر، وأنّ الذي لا يدركها يصبح مسخراً بدلاً أن يكون مسخراً لها، الأمر الذي يؤكد لنا أنّ دراسة المجتمعات في واقعها وتاريخها وثقافتها ومعادلاتها الاجتماعية هو الذي يوضح

¹ محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ص209.

² عمر عبيد حسنة، من كتاب منصور زيد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدعوي والإمكان، كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية، ط1، قطر، 1413هـ. ص10.

لنا كفاءات وآليات التعامل معها، ومواصفات خطابها، والفقهاء الذي يمكننا من التدرج في الأخذ بيدها إلى تقويم سلوكها بشرع الله¹.

والدارس للسيرة والتاريخ يدرك كيف أنّ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - هم أيضا فقهوا واقع شعوبهم ومنها انطلقوا في نشر دعواتهم بتأييد من الله - عزّ وجلّ- الذي فطر الناس على فطرة خاصّة، وهي تمثّل جزءا مهما من الواقع الذي هو فوق طاقة الإنسان فلا يمكن تجاوزها ولا تجاهلها. وأيضا مراعاة الواقع الخاص في تلك البيئة الخاصّة. وبذلك يظهر أنّ الواقع نوعان، يقول محمد زرمان: "يتكون الواقع الانساني من بعدين أساسيين هما: (البعد الفطري والبعد المعيش) أما الواقع الانساني في بعده الفطري فنعني به الطبيعة التي خلق الله عليها الإنسان. أما الواقع الانساني في بعده المعيش فنقصد به الأساليب التي تجري عليها حياة مجتمع ما في سبيل تحقيق أغراضه، عن طريق مجموعة من التقاليد والأعراف والأفكار والسلوكات والنظم السياسية والاقتصادية التي تتفاعل فيما بينها، لتكون العلاقات التي تربط أفراد المجتمع وتحكمهم وتوجههم نحو سلوك معين. وهذا الواقع الانساني على عكس الأول متغير باستمرار، يتطور حسب العصور والأزمان، ويتبدل بتبدل البيئات والبلدان، لأنّه يخضع للفعل الانساني الذي تحكمه سنّة التطور، وتتحكم فيه عوامل البيئة والطبيعة وتتداخل فيه معطيات كثيرة"².
وبذلك يمكن القول إنّ معرفة الواقع أمر مهم جدا ولا يمكن بحال تجاوزه. وهكذا انطلق الرفاعي محلا ومفسرا ومعللا للأحداث وأيضا مشرحا وواصفا للعلاجات بما أوتي مع بيان وعلم وحرص.

02- المنطلقات الثقافية والتربوية.

يرى أحمد الرفاعي أنّ تنوع أزماننا (والتي تصنف جميعها ضمن الموروث الفاسد) توسعت وتنوعت وهي تتمثل في الجوانب السياسية والاجتماعية، وتتجلى بصورة مخيفة أكثر في الجانب الاجتماعي الثقافي والفكري، حيث صارت الفرقة والخلافات المذهبية وغيرها، هي الأصل، وصارت الوحدة والتكتل والتعاون ومعانيها هي الخطأ والانحراف، وليست تلك أمور يسيرة أو هينة بل سببت للأمة المزيد من الفرقة والتشردم وكانت لها تداعيات خطيرة وبرز تأثيرها على المصلحة الاجتماعية والوطنية، وكلّ ذلك يعود إلى عراقة ظاهرة الخلافات المدمرة بسبب فقدان الثقافة بمفهومها الواسع³.

¹ المرجع السابق، ص 12.

² ينظر: محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي، أطروحة دكتوراه في الفكر الإسلامي الحديث، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، سنة 1994/1995، ص 98.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 88.

وقد أشار الرفاعي أنّ المجتمع الجزائري يعاني من أزمة ثقافية وحضارية مزمنة، سببها الفراغ الكبير في المفاهيم الأساسية للحياة الاجتماعية من جهة، والافتقار إلى القيم التي يتطلبها الظرف من ناحية أخرى، ومن أهمّها مفهوم الدين، مفهوم السلطة، مفهوم المجتمع، مفهوم الإنسان وحقوقه، مفهوم المال، مفهوم العدل والحق والعديد من المفاهيم الأخرى التي لم تجد لها تعريفاً يتفق عليه الجميع، فتلك أساسيات ثقافية لازمة¹.

إنّ ما نراه اليوم من ركود وجمود ثقافي مؤسف للغاية وخاصّة فيما تعلق بالثقافة الإسلامية، رغم وجود هيئات رسمية تُعنى بالفعل الثقافي مثل وزارة الشؤون الدينية ووزارة الثقافة والمراكز الإسلامية الموزعة عبر الوطن إلا أنّها عجزت عجزاً كلياً عن رعاية الجانب الثقافي في حياتنا الاجتماعية، ممّا جعلها تتحول عملياً إلى مراكز للبطالة والتسلية والجمود وهذا كلّهُ بدلاً من القيام بدورها المنوط بها، وهو الفعل الثقافي الجاد والمؤسس من محاضرات وندوات وأيام دراسية ومناظرات مفيدة وغيرها. لكن الحقيقة والواقع يدلان على أنّ تلك الهيئات غلب عليها الجانب الإداري الجاف، وهو ما انعكس من صور الجمود والفراغ الثقافي في واقعنا².

هذه الفهم القاصرة والمعاني المغلوطة التي تشكلت في الذهن الجمعي منذ أمد بعيد هي التي تسهم في بقاء الحال على ما هو عليه، بل تكون عائقاً أمام أيّ فكر اصلاحي ونهضوي، فالواجب إذاً هو بناء الفكر الحرّ بغرس الثقافة الصحيحة بكلّ أبعادها، ومن هذا المنطلق كان أحمد الرفاعي شرفي يكتب ويعبر ويمارس الدعوة.

03- المنطلقات الاجتماعية.

أزمات واقعنا الاجتماعي المعاصر عميقة وشاملة، وأسبابها في نظر أحمد الرفاعي عديدة ومتنوعة تاريخياً وواقعياً، وكلّ ذلك تمثله حالة الفراغ الشامل والواقع السليبي الذي تعاني منه حياتنا الاجتماعية. يوضح أحمد الرفاعي السبب الرئيس في ذلك بقوله: "بعد ترك ثقافتنا الإسلامية، وهجر القيم الربانية لحضارتنا. وبعد تقليدنا لغيرنا تقليداً جامداً ومدمراً، وأعني بحالة الفراغ إنّهيار البنية العقدية الصحيحة، وتآكل البنية الفكرية المعرفية لدى عامّة المسلمين إلا قلة قليلة جداً، وحلول المصالح والشهوات والأهواء محل القيم والمبادئ، ممّا جعل مجتمعنا المعاصر يفتقر إلى القيم والروابط القائمة على قيم: الحق، والعدل، والخير، وعلى نبذ الظلم والفساد، ممّا جعل الإنسان المسلم يتطبع ويتسم بسمات: السلبية، والتعصب،

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، أزمة الجزائر وفراغات الواقع، جريدة النور الجديد، العدد 15، بتاريخ 17 ماي 2001، الجزائر، ص 08.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مقال فراغات الواقع، جريدة البرهان، العدد 06، الجزائر، نوفمبر 1999م، ص 10.

والجمود، وضعف الأهلية وغير ذلك مما نعاني منه، بالأخص من سوء أخلاقنا الاجتماعية وهو ما يشكّل في مجمله صورة الفراغ المشار إليه¹.

ومع مرور الزمن وتسارع الأحداث وارتفاع الأماني الصادقة بقيت الأمور على حالها بلا تحسن، بل أحيانا تسوء، ومثال ذلك ظاهرة الفساد التي صبغت جزءا من ماضيها وتشكل كثيرا من حاضرنا. وعن ذلك يقول الرفاعي: "والفساد المشار إليه بكل جوانبه وأنواعه، وأشكاله هو معظم تاريخنا، كما هو واقعنا المعاصر بكلّ مظاهره وجوانبه ومكوناته من فرقة إلى خلافات وصراعات مزمنة، وفساد أنظمة، وقمع وإهدار لحقوق الإنسان والأجيال، وتخلف وفقر وحروب أهلية، تلك هي مفردات تاريخنا الاجتماعي الحضاري، وهي نفس مفردات واقعنا المعاصر بما في ذلك مرحلة ما يُسمى بالصحة لكونها في الحقيقة أبعد ما تكون عن معاني ومقتضيات الصحة بمعانيها القرآنية والحضارية، وبخاصة معاني: الاعتبار والتغيير، والتطور، والتجديد، والإبداع، فكلّ هذه المعاني كانت غائبة ومغيبية ومغطاة بمفردات التعظيم والتهويل، والمبالغة مثل: عبارات: العلامة، صاحب الفضيلة، حجة الإسلام، آية الله وغير ذلك من مفردات المحاملات الاجتماعية والفكرية، والمذهبية الشبيهة بمفردات عصر الانحطاط التي حولها الموروث الفاسد إلى ثقافة وموازن مزيفة، يتوارى خلفها الجمود والتخلف والفساد، والضياع والاستبداد"².

هذه المظاهر الإسلامية لا تغني عن الحقيقة الشرعية لها، فليس الدين بالمظهر الخارجي، وفي الواقع كل الأفعال والتصرفات تناقض الأصول والمقاصد الشرعية، وبالتالي أفرغت الشعائر الدينية من لبها الحقيقي وبعدها الحضاري. يضيف أحمد الرفاعي: "فقدت كل ذلك، وصارت مجرد عادات اجتماعية عاجزة عن أداء الوظيفة الإيمانية المتمثلة في تجسيد معاني الأخوة الإيمانية، وولاء المؤمن للمؤمن، وذلك ما جعل الظواهر الشكلية السابقة لا توفر الأمن الاجتماعي للمسلم، حيث صار المسلم يقتل المسلم، ويظلمه، ويفسد في الأرض، ويتولى الظالمين والمفسدين من الصهاينة والمستعمرين والظالمين المعتدين، وكلّ ذلك صار في الحقيقة صدا عن سبيل الله، وسلاحا في أيدي خصوم الإسلام"³.

كان أحمد الرفاعي ابن مجتمعه يعيش نفس المعاناة معه ويشعر برغباته المشروعة وبجسوته بكل ألم وحرقة، وكان يدرك كيف أنّ هذا الواقع البائس حرم الشعوب الإسلامية من التفكير في المسائل الحضارية

¹ أحمد الرفاعي شرفي، رسالة إلى الشيخ جاب الله، كتاب: ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 238.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 81.

³ المرجع نفسه، ص 86.

والفكرية والثقافية، كما كان يرى القيم والمصالح الاجتماعية وهي تتهاوى فكتب وعبر ونظر ومارس الدعوة، فكانت تلك عوامل ومنطلقات اجتماعية في فكره.

04- المنطلقات السياسية.

عرفت الساحة الإنسانية صراعات دامية بين المجتمعات المتباينة، وبين شرائح المجتمع الواحد، وأغلب تلك المعارف والحروب والأزمات كانت في الأساس تخدم مصالح الأنظمة الحاكمة في الغالب الأعم لأغراض سياسية، أو بهدف خدمة مجموعات نافذة وليس خدمة للشعوب المغلوبة عن أمرها. وفي العالم الإسلامي كانت الأزمات على الأمة تأتيها من خارجها ومن داخل أسوارها، فلقد سقطت دول العالم الإسلامي الواحدة تلو الأخرى في يد المستعمر، ولم تحرك بعض الدول ساكننا تجاه الدول الشقيقة، وكانت تعتقد وهي المؤجلة إلى حين أنّها في أمان ومنأى عن الخطر، وسرعان ما التهمت النيران تقريبا جميع أقطارنا، وحكام الأمة في غيهم غائبون لاهون.

يصف أحمد الرفاعي كيف سقطت دويلات المسلمين ومعها قيمهم: "فمع بداية الحركة الاستعمارية كانت أوطان المسلمين في المغرب والمشرق تؤكل وتغتال وطنا بعد وطن، والسلاطين والملوك لا يعين بعضهم بعضا، والمجتمعات لا تحرك ساكنا إلا بعد حلول النكبات، كل ذلك يؤكد عمليا وواقعا أنّ الكيان الإسلامي الواحد زال من الوجود، وحلت محله كيانات بعضها عرقي وبعضها سياسي، لا سلطان للعقيدة الإسلامية (القرآن السنة) فيها إلا في إطار أركان الإسلام الخمسة، وما سوى ذلك السياسة والاقتصاد والمال والثقافة فيخضع فيه الواقع الاجتماعي للمسلمين إلى تبعية تامة للقوى الاستعمارية الغازية"¹.

إنّ حالة الانفصام وتباعد اللحمة بين الشعب والسلطة كان له تداعياته الخطيرة على العموم، إذ أصبحت السلطة وكأنّها مكلفة أو مفوضة فوق العادة بأن تفعل ما تشاء ولا أثر للشعوب في كل ذلك. يقول الرفاعي: "إنّ مسؤولية الانسان المسلم ومنذ الانحراف الأموي تحددت عمليا وسياسيا في كونه مجرد سبب شكلي لوجود السلطة كما تدلّ على ذلك أحداث التاريخ ونتائجه، والسلطة بعد ذلك لا تسأل عمّا تفعل، و لا تعاقب أو تعاتب عمّا فعلت، يدلّ على ذلك أنّ ملوك المسلمين وسلاطينهم وأمرائهم لم يقرؤوا أحداث ضياع الأندلس القراءة الأمنية الحضارية الصحيحة والمتمثلة في كون ضياع الأندلس مجرد بداية لضياع أجزاء أخرى من الكيان الإسلامي، وذلك ما حدث بعد سقوط بغداد، والجديد الوحيد الذي ظهر بعد ضياع الأندلس غرض شعري جديد هو فن رثاء الممالك في الشعر العربي يا

¹ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 46.

للعجب، أو ذلك يعني أنّ الأمة الإسلامية عامّة فقدت الإحساس بذاتها ومسؤوليتها وحققها ودورها في الحياة¹.

وفي هذا الخضم بدأت أفكار الغرب تغزوا أوطاننا ولهم جنود وعملاء لتجسيد ثقافة الأكاذيب والهدف الكبير من مبادرات ومقترحات ودعوات أصحاب التيار العلماني والتنويري كما يزعمون، إبعاد المسلمين عن سياستهم الشرعية، والادعاء بتجسيد الديمقراطية وحقوق الإنسان، فلا الديمقراطية تحققت ولا أيّ من تلك الشعارات قدمت للوطن والمواطن وللمسلم والمسلمين شيئاً يذكر.

أمام هذه الصور الكئيبة للوضع السياسي المتدهور في الأمة، والمتمثل أساساً في التكالب الغربي على المسلمين، وما سلطه عليهم من استعمار وغزو، ثم لاحقاً سوء العلاقة بين الشعوب والحكام وما خلفته من صراعات دامية، كل ذلك دفع بأحمد الرفاعي أن يكتب ويعبّر ويناضل لتصحيح المفاهيم وبيان ضوابط السياسة وممارستها، بعيداً عن كل تلفيق وتزوير.

05- المنطلقات الحضارية.

لقد كان يأمل في أمة الشهادة أن تكون في مقدمة الأمم، خاصة في ظلّ التيه الحضاري المفرع الذي تعيشه الإنسانية في فترة سيطرة موجة الحياة المادية الطاغية على كل جوانب حياة الناس، ولكن للأسف بقيت الأمة الإسلامية في آخر الركب، بل وكأَنَّها ليست موجودة أصلاً بين الشعوب، وهي من كانت تقود الأمم قروناً.

وقد عاش أحمد الرفاعي على وقع أحزان التاريخ ونكباته متأسفاً ومتأثراً ومتطلعاً، ولذلك سعى لقراءة حركة التاريخ بتمعن وبروية ودعا للمزيد من إعمال الفكر وإثارة العقل بأدوات وآليات فعالة، مثل النقد المتفحص والتحليل والتعليل والمقارنة وما إلى ذلك.

إنّ ما عاشته الأمة من فراغ أسهم في حصول هذه الفجوة الفكرية، وصار المسلمون في الاتجاه غير الصحيح. يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الفراغ الفكري والمعرفي، والزهد في القيم والمبادئ عامّة لأسباب عديدة، كل ذلك جعلنا في الواقع أسرى السطحية والفراغ ولا نكلف أنفسنا عناء اكتساب المعرفة أو البحث، أو التأصيل أو التجديد والتطور وغير ذلك ممّا توصل إليه للمعرفة الصحيحة"².

واقع مؤسف حقاً يقيي الحليم حيراناً، ويُدمي القلوب الحيّة، كيف لأمة وصفها الله بالخيرية تتحول إلى ضنك العيش، وتلاحقها الشرور المتتالية. يضيف أحمد الرفاعي: "شرور وشرور لا يمكن أن تغطيها البرامج الإعلامية التجارية للفضائيات، لكونها واقعا يعيشه المسلم يوماً، جوعاً وكرباً، وظلماً

¹ المرجع السابق، ص 45.

² أحمد الرفاعي شرقي، الجزائر مريضة.. مريضة، جريدة النور الجديد، العدد 06، تاريخ 17 مارس 2001م، الجزائر ص 24.

اجتماعيا وحرابا أهلية، وذبحا لحقوقه وكرامته ومقومات شخصيته، كل ذلك هو الواقع بجذوره التاريخية وملايساته المعروفة، وما تعاني منه فلسطين والعراق وباكستان والسودان والشيشان وغيرها، ما يعاني منه من تزوير الانتخابات والرشوة المحسوبة والجهوية والعرقية والطائفية والمذهبية الضيقة وغيرها"¹.

إنّ واقع المسلمين المتري اليوم، لم يعد يعكس صورة حضارة الإسلام والتي تستمد جذورها وأصولها من أعظم شريعة ربانية، وعلى النقيض من ذلك صارت الصور القائمة من القهر والظلم والبطش والإرهاب، هي الصور الرائجة اليوم.

يشرح أحمد الرفاعي ذلك بكلّ حسرة وأسف وألم فيقول: "إنّ صورة إسلام الواقع بجذورها التاريخية وملايساتها من قهر وزيف وفساد هي التي صارت علما على الإسلام في الواقع، فالمسلم في عصرنا هو: المتخلف والإرهابي الراض للحضارة والتقدم، الراض للتطور، والتجدد، والإبداع، والمعروف بالخلافات والصراعات، وعبادة الحكام من دون الله، والتمسك بالتربير والترقيع والإقصاء وغير ذلك، من مفاهيم وقيم واقعا المفلس بعد إهدار الشورى، والجماعة وكلّ حقوق الإنسان المنصوص عليها في القرآن والسنة منذ صودرت حرية وإدارة الأمة منذ فرض ولاية العهد بالسيف، ولاية الاستبداد والقهر، وتعميد المجتمع الإسلامي لمسيريه المنحرفين والنضاليين إلا من رحم الله"².

يشير المفكر أحمد الرفاعي إلى التبدل الذي أصاب شعور المسلمين وفقدوا به الوعي الحضاري، لتتوالى النكبات والصدمات "إذ بعد سقوط بغداد وضياع الأندلس تزايدت وتيرة غارات الصليبيين الممهدة للمرحلة الاستعمارية المباشرة، ولم يتعظ المسلمون مرة أخرى إذ ظلّ الأمر أمر الملوك لا أمر الأمة أو المجتمع، ووقع المسلمون في كلّ أوطانهم باستثناء قسم من الجزيرة العربية فريسة سهلة في أفواه المستعمرين، فحلّ الخراب والدمار بأوطان المسلمين، وأذلوا وأهينوا، وسفكت دماؤهم، ونهبت ثرواتهم وارتكبت في حقّ أوطانهم ومجتمعاتهم جرائم مروّعة، كلّ ذلك لم يغير من واقع الانقسامات والخلافات والتخاذل، والخيانة شيئا سواء قبل بداية الاستعمار أو أثناء الاستعمار أو بعده"³.

والحقيقة أنّ أخطاء التاريخ ما زالت تداعياتها مستمرة، وهو ما يسميه أحمد الرفاعي بالموروث الفاسد الذي سبب فراغا رهيبا للمسلمين مسّ كلّ مجالات الحياة. يوضح أحمد الرفاعي هذا بالقول: "إنّ فساد الموروث عامة عبر تاريخنا شكّل البنية الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية وغيرها للمسلمين، وذلك ما جعل الإنسان المسلم منذ العهد الأموي - إلا من رحم الله - يولد في فراغ عقدي

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 85.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 86.

³ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 46.

إيماني وحضاري، ويعيش في فراغات الواقع ويموت في فراغات الضياع، يتمثل ذلك في مفاهيمه وقيمه وثقافته، الفردية الموروثة عن الأسرة وعن المحيط الاجتماعي الجاهلي، والإدارة، والمدرسة والجامعة، والسياسة ونظام الحكم، والاقتصاد وغير ذلك، حيث صار محيط الإنسان المسلم في مجموعته، وبمختلف جوانبه يشكل الصورة المشوهة، للإسلام والإيمان، كما هي في القرآن والسنة- النص المقدس - باستثناء ظواهر: المسجد، الصلاة، الصيام، الحج، الآذان، وهي ظواهر فقدت حقيقتها الإيمانية القرآنية المتمثلة في كونها تعبر بصدق عن تعظيم الله - عزَّ وجلَّ- وعظيم محبته وتقديره، والخوف من غضبه وعقابه¹.

وهذا التخلف الحضاري والذي شكّل فراغات كبرى في حياة المسلمين، وترك الأمة تنن تحت سياطه منذ قرون خلت، هذا التخلف ومعه الفراغات ما زال عقبة في طريق التغيير، ولا يمكن الخروج منه سوى بنهضة فكرية. يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ الفراغ الثقافي والحضاري وضع اجتماعي عام وشامل وعميق وخطر، تعاني منه المجتمعات والأفراد في ظروف وملابسات معينة، وهذا يبين أنَّ الفراغ شعور أقسى على النفس من الصدمة، عندما يشعر الفرد أو المجتمع بدون قيم مشتركة وبدون مفاهيم واحدة. فهل آن لعقولنا أن تستيقظ على هذه الصدمة المرة، وهي أننا بالرغم من ما مرَّ بنا من محن الاستعمار وغيرها، لم نستخلص بعدُ العبر اللازمة لحياتنا الاجتماعية الوطنية الواحدة"².

وهذا الوضع البائس لا يمكن تغييره إلا بإصلاح الفكر، ومن ثمَّ تحقيق الوحدة، وعليه فوسائل العهد الجديد تتمثل في الوعي العميق والوحدة الاجتماعية الشاملة ونبذ الفرقة مهما كانت أسبابها، لأنَّ الفرقة أدت لفشل الشعوب وتشتت قوتها وفي الوقت نفسه سهلت تغوّل واكتساب قوة للأنظمة المستبدة للاستمرار في غيِّها وقهرها وجبروتها، وعليه فالوحدة هي الضمانة الأساسية للحفاظ على العهد الجديد وديمومته. ومن هذا المنطلق يجب تكريس تلك الوحدة حتى تضمن الأجيال القادمة الولاء للمجتمع لا للأفراد ولا للأنظمة الحاكمة المستبدة، وكل ذلك يتأتى بإحياء الفكر³.

ترك أحمد الرفاعي تراثاً مهماً في سبيل إحياء الفكر وعودة الحضارة الإسلامية للوجود، دفعه لأجل ذلك الأوضاع المتردية التي عاشتها الأمة منذ قرون وما زالت تعيش الركود الحضاري والتخلف الفكري.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 85.

² أحمد الرفاعي شرفي، أزمة الجزائر وفراغات الواقع، جريدة النور الجديد، العدد 15، قسنطينة، 17 ماي 2001.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق ص 107.

المطلب الثاني: أهمية الدعوة عند الرفاعي ومجالاتها.

الفرع الأول: أهمية الدعوة.

إنَّ من أشرف وأنبل المهمات العمل في الدعوة إلى الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت. الآية: 41]. فبها يعرف النَّاس دينهم وبها يبشرون بالخيرات والجنان وينذرون من الشرور والنيران، وبالدعوة تنال البركات والأجر العظيم. يقول أحمد الرفاعي في فضل الدعوة وأهميتها وحكمها: "الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - المتمثلة في الدعوة إلى الإسلام، بعقائده، وشرائعه ومبادئه، وثقافته، وقيمته، وحضارته وإنسانيته قضية من أعظم وأكبر قضايا الإنسان وأهمها في هذا الوجود منذ وُجد الإنسان إلى نهاية وجوده، وقضية بهذه الجوانب العظيمة تحتاج إلى من يُعنى بها، ويتولى أمرها، تعريفًا بها، وترغيبًا فيها، ودفاعًا عنها من خصومها وأعدائها، وحماية لها من التشويه والتزييف، والتحريف، وقتالًا دونها عند الضرورة، ولذلك كلُّه يشير قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « بلغوا عني ولو آية »¹ وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 103] فالتبليغ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - واجب على كل من توفرت فيه الشروط، وبكلِّ الكيفيات الممكنة قولًا وعملاً، ووسائل ومناهج"².

وأمرُ الله - عزَّ وجلَّ - بأن تقوم أُمَّةٌ بالدعوة إلى الله يتجاوز معنى الإبلاغ لوحده، فهو يعني أيضاً التفرغ لأمر الدعوة وجعلها قضية هامة لا يشغل عنها شاغل أو عارض، ولا بد من اجتماع أنصار حولها مؤمنون ومقتنعون بما ينصرونها ويبلغونها أحسن تبليغ حتى تبقى قائمة ولا يجف نبعها ولا ينطفئ شعاعها، وبذلك تُحفظ العقيدة في نفس المسلمين ويتوب عصاتهم ويرغب المقصرين منهم ويرهب المصرين ويعلم بالدين الكفار والمشركين ويدعون إلى الإسلام دين الله الحق وكلُّ ذلك يكاد يغيب في واقع النَّاس اليوم من مهام سامية للدعوة إلى الله الكريم³.

وأمام التجارب المحلية والحلول المستوردة لم يبق أمام الأمة وحكامها سوى الرجوع إلى الحضن الطبيعي شريعة الله، والدعوة مفتاح لكلِّ ذلك فالدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - في الحقيقة البديل للحكم والطبيعي لواقع الافلاس الحضاري الذي تعاني منه الإنسانية عامه والمسلمون خاصة، ويمكن أن تؤتي ثمارها بالبعد عن كل حزبية ومذهبية وتحرير الدعوة من كل الوصايات واحمايتها من كل استغلال⁴.

¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، رقم: 3461، 170/4.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 03.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 05.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 338.

ومقام الدعوة بمكان مهم وجليل حتى عدّها بعض العلماء قضية الحياة الأولى، يقول محمد أمين حسن: "فالدعوة في حقيقة أمرها هي قضية الحياة، وقد جاء بها الوحي ليستقيم أمر الناس، ويأمنوا العثار، وهم يحاولون التقدم الصحيح والرقي المنشود، ومن أجل ذلك عظم أمر الدعوة وجل شأنها وقد جاء في كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - ما يوضّح أهمية الدعوة"¹.

وليس هدف الدعوة حماية المسلمين فقط بل يمتد هذا الخير لكل الأمم والشعوب والبلدان فدين الله رحمة للجميع، ومعلوم أنّ الدعوة إلى الله تعالى تشمل المسلمين وغير المسلمين، وتتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كلّ أعمال البرّ والخير، وحتى تتحقق تلك الأهداف السامية لا بد من كيان قوي ليس كحال وكأمر الجمعيات الوهمية أو الأحزاب المسيّسة ولا التيارات المتنافرة، يرى أحمد الرفاعي أنّ الأمر يتحقق بتكوين جماعة المسلمين التي تتشكل عن طريق الشورى، وهي خطوة مرحلية لينتقل الأمر إلى الأمة الإسلامية قاطبة، وعن الجهد الموالي لتلك الخطوة يقول أحمد الرفاعي: " وبعد ذلك تستأنف الأمة الإسلامية الموحدة الكيان سياسياً، واجتماعياً، وعقدياً، تستأنف واجبها الدعوي في إيصال دعوة الإسلام إلى الإنسانية كلّها دون قهر، أو استغلال، أو وصاية، أو مراعاة مصالح غير مرضاة الله - عزّ وجلّ - ومصالحة عقيدة الإسلام، ومصالحة الأمة الإسلامية وهي ضمن الأسرة الإنسانية"².

إنّ الدعوة إلى الله تبارك وتعالى عبادة سامية يجب أن يُعاد لها الاعتبار، وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلّ ما يؤدي إلى المزيد من الفرقة والتفكك والتشرذم وسفك الدماء وبالمختصر كلّ ما حرم الله تعالى، فالدعوة نظام عالمي قائم على العدل بين البشر في الحقوق والواجبات ولا تمييز بينهم في إطار عبادة الله تعالى التي تتضمن فعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه في شتى المناحي من الأسرة والمجتمع والإنسانية قاطبة³.

الفرع الثاني: مجالات الدعوة عند أحمد الرفاعي شرفي.

كتب أحمد الرفاعي شرفي في مجالات عدة، وإن كان تخصصه العلمي الأكاديمي في مجال الأدب العربي، فهذا لم يمنعه من الخوض في المجال الدعوي الذي كان يشغل باله أكثر من أيّ موضوع آخر، ولم يكن رحمه الله يحصر الدعوة في مواضيع الفقه والتفسير والسيرة فحسب، بل كان يكتب في جميع المجالات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بفكر دعوي.

¹ محمد أمين حسن، أساليب الدعوة والإرشاد، د ط، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م، ص 21.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 79.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 78.

لقد كان أحمد الرفاعي متعدد المواهب والاهتمامات، وقد وصفه أحد المقربين منه وهو الأستاذ حسن خليفة بالمشعل الوضيء "من أين يمكن أن يبدأ الكاتب . أيّ كاتب . حين يريد الكتابة عن مشعل وضيء مشعّ الأنوار، متعدد الاهتمامات متنوع الرؤى والمواهب والكفايات، تدريسا، وتربية، وكتابة وتأليفا، ومتابعة وتأسيسا وتنظيرا.. كالشيخ الدكتور أحمد الرفاعي شرفي . رحمة الله عليه . وهو متعدد العطاءات متنوع الاهتمام بشؤون وشجون الوطن الصغير: الجزائر والوطن الكبير: العالم الإسلامي .. مهموم بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة في نسيج الإنسان المسلم الممتدة أوطانه، المتعددة مشكلاته ومآسيه، لقد اشتغل الشيخ الدكتور أحمد الرفاعي شرفي . رحمة الله عليه . في المجال الثقافي والفكري والديني على مدار حياته الطويلة، وكان يدرّس في المساجد ويحاضر في الجامعات والنوادي الثقافية ودور الثقافة في المناسبات المختلفة¹.

هذه الشهادة ومثلها شهادات متشابهة تعطينا الصورة الواضحة على موسوعية الرجل، فقد كان فعلا يهتم بجميع المجالات الثقافية والعلمية والدعوية وحتى الاقتصادية والفنية، وهذه الشمولية في الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي متأية من شمولية الثقافة الإسلامية التي يتمتع بها الرجل وقد اكتسبها من خلال التجارب والأسفار وواسع الاطلاع والتفكير، وتفصيل ذلك ممّا سنأتي عليه في طيّات وثنايا هذا البحث عند الحديث عن مجالات الفكر الدعوي والمضامين المعرفية للفكر الدعوي عند الرجل.

إنّه وأمام المد العالمي للعولمة والتيارات الوافدة لتغيير ثقافات المجتمعات والسيطرة عليها من كل النواحي وحب تفعيل دور الدعوة الإسلامية فلم تبق خدمة للإسلام عقيدة وتشريعا ولغة وحسب، بل أصبحت ضرورة سياسية دفاعا عن العرب والمسلمين في كل بلاد، ومصالوة لأعدائهم الكثيرين الذين يتربصون بها منذ أزمنة بعيدة ونشرا للغة القرآن الكريم، كما أنّها أصبحت ضرورة اجتماعية، وضرورة ثقافية، وقد اعترف حتى أعداء الإسلام بأنّ معتنقي الدين الحنيف يرتفع مستواهم اجتماعيا وثقافيا، الأمر الذي يشجع على تفعيل دور الدعوة².

وقد عمل أحمد الرفاعي شرفي بالليل والنهار، كدّ وجدّد حاضر وناظر، ولم يمل من الدعوة إلى الله، ترك إرثا ثقافيا هائلا وبذلك فهو يُعد "قطبا من أقطاب الحركة الإسلامية في الجزائر، وهو أحد المريرين بالقدوة وليس بالكلام فقط، وبالنظر إلى فكره ومنهجه ودعوته وجهوده بالقلب واللسان، نجد أنّ الرجل باطنه متطابقا مع ظاهره، فقد كان يقول ما يفعل ويفعل ما هو مقتنع به وما هو ميسر له، ولو يتاح لنا أن نحصل على ما خلفه من آثار ومخطوطات وما كتبه بيده سنجدّه آلاف ممّا يفاجئنا ربما من سنة

¹ ينظر: حسن خليفة، أحمد الرفاعي.. مفكر زاهد القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

² ينظر: محمد شيت خطاب، أهمية الدعوة الإسلامية، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية، دت، ص09.

1943م أو 1944م بداية تشكّل عقله إلى أن عاد إلى الجزائر في بداية الاستقلال.. إلى تدريسه.. إلى أن توفاه الله - عزّ وجلّ، أمر كبير وكبير جدا¹.

ويتضح من خلال هذه الشهادة الأخرى أنّ أحمد الرفاعي كان وينافح عن قضايا الأمة وكان يكتب في شتى القضايا، وكانت له البصمة الواضحة في الشأن الفكري والأخلاقي والثقافي والاجتماعي والتربوي، فلم يكن الخطاب الدعوي عنده محصورا في باب دون غيره بل كان واسعا وشاملا مستمدا تلك الصفة من الدين نفسه. والذي آسف له عدم تمكّني من الوصول - رغم المحاولات المتكررة- إلى بيته والاطلاع على رصيده المخطوط وهو بحجم معتبر وفيه أسرار وكنوز كثيرة حسب ما توصلت إليه من خلال مقربين منه وأقارب له.

المطلب الثالث: منهجه وأسلوبه في تحليل القضايا وطرح المواضيع.

الفرع الأول: منهجه في تحليل القضايا وطرح المواضيع.

أقرّ الكثير ممّن قرأ لأحمد الرفاعي سواء من خلال ما دوّنه في الصحف أو خطّه في الكتب في أنّ الرجل كان يتميز بفكر ثاقب ويكتب ببصيرة ووعي وتميّز، فلا يغلب العواطف ولا يلغيها، ويوظف العقل ولا يفرط في الاستدلال به.

يستطيع المهتمون أن يراجعوا أمثال مقالاته (إذا جاءك المنافقون) أو (البطل المنسي)، أو (واجب الوقت)، أو (إنسان القضية وإنسان الشهوة)، أو (من الموقع) أو (من نحن وماذا تريد؟) أو (الذين كذبوا على أنفسهم)، أو (التوبة إلى الله عز وجل.. قبل...). وعشرات من مقالات أكثر ما نشره وما لم ينشره من كتابات سجلها قلمه السيل وهو يتابع وقائع الحياة يوميا في بلدنا وفي بلدان إسلامية كثيرة، وهذا في الفترة الأخيرة فقط، وهو مريض طريح الفراش².

من يطلع على ذلك سيجد ولا شك منهج الرجل واضحا بسيطا متاحا، متمثلا في الكلمة الصادقة بكل شجاعة وبعيدا عن كل تهوّر، لا يجب التزييف ولا يبالغ في الطرح ويمقت المثالية والتبرير والتسويف وعدم الاعتبار، يطرح القضية للنقاش ويحيط بجوانبها ويدلل على صوابها أو خطئها ثم يبرهن على ذلك بالدليل الشرعي ثم بالدليل العقلي والمنطقي.

وفي المواقف التي تتطلب تحريك المشاعر والعواطف يتخير أحمد الرفاعي الأسلوب الملائم لذلك، فالقلوب في حاجة من حين لآخر لتحريكها واثارتها. يقول حسن كاتب في وصف أحد كتب أحمد

¹ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

² حسن خليفة، أحمد الرفاعي: مفكّر زاهد القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

الرفاعي الذي يتحدث فيه عن القرآن الكريم: "وما أحوج الأمة الآن إلى خطاب القلب، الخطاب الموقظ لنوازع التعلق بالحق والارتباط بالخير، فإنَّ خطاب القلب هو المفتاح الموصل إلى انطلاق العقل لارتياح آفاق العطاء الرباني غير المحظور على أيِّ من النَّاس، فجزى الله أستاذنا خيرا على مسعاه هذا، وأجزل ثوابه كِفَاء حرصه على النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"¹.

لقد كانت رغبة أحمد الرفاعي بيان معاني وأهداف القرآن الكريم وفهمها كما فهمها الجيل الأول، يضيف حسن كاتب في تقديمه لكتاب أحمد الرفاعي القرآن نور وهداية وبصائر: "إنَّ هذه الصفحات التي خطها قلم أستاذه الدكتور أحمد الرفاعي شرفي تخاطب في المقام الأول قلب القارئ المسلم لتدعوه إلى تجديد صلته بالقرآن الكريم، بفهمه على الوجه الصحيح، كما فهمه الجيل القرآني الأول الذي تشرب روح القرآن وعاشه وعاش من أجله متأسبا في ذلك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - المبيِّئ للقرآن كما أمره بذلك منزله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل. الآية: 44]"².

كما أنَّ القارئ سيجد ضالته في ما يكتُب أحمد الرفاعي، أو شيئا مهما من ضالته، فهو يتعامل مع نص، مع كلمة، مع حكمة رجل خبير ذي دين وروح تواقة، عرف الدنيا وجربها، وعرف الرجال وخبرهم، وصاحب المؤمنين وعرف أدواءهم. وهو بجرقة المؤمن الغيور على دينه يكتب الكلمات، وبصدق المؤمن يريد أن يهدي قومه إلى سبيل الرشاد³.

لقد أبانت مقالات الرفاعي وكتاباته على أنَّه خبر وعرك الحياة، واغترف من مناهل شتى بكفيه ما شاء له أن يغترف من معهد ابن باديس إلى الزيتونة إلى القاهرة إلى بغداد وهو بذلك متعدد الثقافات ولا يعالج القضايا معالجة الفقيه الجامد على النصوص، ولا معالجة العقلاني المعتمد على العقل الصرف الذي لا يخلو من الذاتية والمؤثرات البيئية والاجتماعية مهما ادعى صاحبه النزاهة، وما النَّاس إلا أبناء بيئاتهم وصدى لمذاهبهم التي نشأوا عليها ومجتمعاتهم، فالرجل كان يجمع بين المعقول والمنقول ويتخذ من التاريخ مرآة يحلل بها الحاضر والمستقبل ويحدد به اتجاه المجتمعات والحكومات⁴.

وبالنظر إلى الإرث الكبير الذي خلفه الرفاعي يمكن استخلاص جزءا مهما من الحلول الحقيقية الواقعية لكثير من المشكلات التي يتخبط فيها مجتمعنا في ميادين كثيرة: تربوية، أخلاقية، ثقافية،

¹ حسن كاتب مقدمة كتاب أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 06.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: مراد زعيبي تقديم كتاب أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص ب.

⁴ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

سياسية، كل ذلك بأسلوب ومنهج واضح وبسيط ومتاح، ذلك بما كان يتميز به الرجل من حرص وإيمان بقضية كبرى كما كان - رحمه الله - صادقا مخلصا مبادرا ومبادئا إلى كل ما فيه خير الدين والوطن، وسريع الاستجابة، لا ينتظر الإملاء من أحد ليقول كلمته ويقدم رأيه في أيّ شأن من الشؤون المجتمعية العامة¹.

الفرع الثاني: أسلوبه في الدعوة.

اعتمد أحمد الرفاعي في مجلّ خطاباته اللغة العربية البسيطة السهلة والميسورة والتي يمكن أن يفهمها الجميع، وكان أسلوبه أيضا سهلا وبسيطا، يضرب الأمثلة كثيرا، ويشحذ الهمم، ويعتبر الجمهور شريك أساسي في كل عملية تغيير، وكان مؤمنا بأنّ التغيير إنّما يبدأ بالنفس منطلقا من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] ولذلك كان يرى أنّه لا بدّ من محاسبة النفس ومراجعتها في كل حين، وكانت أغلب دروسه ومحاضراته جوهرها الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة.

لم يكن رحمه الله همّة جلب القراء أو لفت انتباههم، بل كان يُعبّر عمّا يجول بخاطره وما يشعر به من آلام وما يطمح إليه من آمال، يتحدث عن نفسه في ذلك فيقول: "فأنا لا أحاطب المسلمين ككاتب، ولا أكتب عن الإسلام كمفكر، ولا أستخدم الأساليب التقليدية المحنطة، لكنني أتنفس آلامي وآلام أمّتي من خلال القلم والكلمات بصفتي مسلما يلاحظ سقوط حضارته ولا يملك إلا أن يصرخ في وجه جميع أبناء جلدته بالخطر الداهم، لأنّ الانتماء واحد والجرح واحد والدم واحد وأملنا في الله - عزّ وجلّ - واحد"².

كان له أسلوب تخصص فيه، وهو أنّه لا يتفرع كثيرا أثناء التدريس في الأقوال والشروح والفقهاء وسوى ذلك، كان يأتي بآية قرآنية يحاول أن يشرحها بالقرآن ويعززها بالأحاديث إن صحت عنده، فكانت دروسه جاذبة للناس على أساس أنّه لا يتدخل كثيرا في الجانب السياسي، ولا يتدخل في الشأن الحزبي يضرب فقط أمثلة ببعض المفاسد الاجتماعية، ولكن يردّها باستمرار إلى القصص القرآني الذي يشير إلى ما صار عليه المفسدين ونهايات الطاغين وسوء حظوظ المنافقين، فدروسه كانت شبيقة في

¹ ينظر: حسن خليفة، أحمد الرفاعي، مفكّر زاوّه القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

² أبو جرة سلطاني - فقدنا رجلا من جيل الصحابة، جريدة الشروق اليومي الموقع الإلكتروني الشروق اليومي

المساجد والمحاضرات وفي أي فضاء يُتاح له أن يلتزم أكثر ما يلتزم برد الناس إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة¹.

وعن تأثره فهو كان يستشهد كثيرا بابن باديس ومهتما بتراث جمعية العلماء، كما كان متأثرا كثيرا بصاحب المنار رشيد رضا² يرى أنّ الإصلاح الاجتماعي يأتي مباشرة بعد إصلاح النفس، يعني هناك معركة نفسية ينبغي أن تحسم على مستوى الوجدان، وينتقل بعد ذلك المصلح إلى خوض المعركة على مستوى المجتمع، فكانت أكثر دروسه ومحاضراته وكتاباته تحاول أن تلفت أنظار المجتمع إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، تحاول أن تخلص المجتمع مما يعتقده الناس أنّه دين ولكنه ليس دين، هي مجرد عادات وتقاليد توارثها الناس حتى صارت عندهم كأثما دين، كان هذا من المواضيع التي تؤرقه كثيرا وكان يرى كذلك أن تضييع الوقت مع المسؤولين الكبار لا يأتي بنتيجة، كان يرى بأنّ المعركة تكون على مستوى الجماهير وعلى مستوى عامة الناس ولاسيما الطلبة، فكان يركز كثيرا على طلبة الجامعات وعلى طلبة العلم وعلى العاملين في الإعلام والصحافة وفي المساجد، وكان يرى بأنّ الثمرة يمكن أن تثمر في القريب هي التركيز على التربية والتعليم والإعلام³.

إنّ الدعوة عند أحمد الرفاعي كان يتمثلها سلوكا ويطبقها واقعا، يلتزم بالوسطية في الطرح وإقامة الحجة العقلية في النقاش، بعيدا عن كل تعصب وعداوة، يدعو للحوار ويمارسه محبا للوطن، وحريصا على سلامته ونمائه، وفي شهادة رفيقه الشاعر عبد الله عيسى لحيلج نجد هذه المعاني " كان أحمد الرفاعي في منهجه الدعويّ وسطياً بامتياز، وكان في هذه الوسطية جزائرياً صرفاً، كان صاحب حجّة إن خاطب العقل، وصاحب تأثير إن خاطب العاطفة والوجدان، لم يكن عدائياً اتجاه أولئك الذين كانوا متموقعين في خانة اليسار، إنّ أساتذة أو طلاباً، بل كان محبوبهم وأبوهم، كما أمره ربّه، كان هادئ الصوت صادقاً، من حين لآخر يرتجّ عليه الكلام حين يريد أن يقول كلاماً كثيراً في أقصر مدّة من الوقت. وحين يغلب عقله عاطفته أو عاطفته عقله، فيختلط منطق الوجدان الحريص مع منطق العقل الموضوعيّ المحايد، كان ينظر إلينا نظرة من يتوسّم خيراً أو يشيم مستقبلاً واعداءً، وكان وطنياً مؤمناً

¹ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق

² محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، ولد في القلمون من أعمال طرابلس الشام سنة 1865م، ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ فلام الشيخ محمد عبده وتلمذ له، وهو أحد رجال الإصلاح الإسلامي، ومن العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي رحمه الله سنة 1935م، من أشهر آثاره: مجلة المنار، وتفسير القرآن الكريم لم يكمله، وتاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. ينظر: الزركلي، الأعلام، 6/126.

³ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بالجزائر بأبعاد هويتها، التي يمثّل فيها الإسلام قطبَ الرحي. كان غيرَ صداميّ في الحوار، وغير مجادل في النقاش، وكان معرضًا عن اللغو أو عمّا يراه لغوًا من اللهو البريء¹.

لم يكن الحوار لديه شعارًا يرفع فحسب، فقد كان يجب النقاش ويقارع الحجة بالحجة، لا يجب الصدام، ولا يحمل الحقد، كما كان حسه حسب العديد من مقريه مرهفًا، فلطالما غلبته دموعه ولطالما كانت الحكمة رفيقته.

ومن أساليبه المعتمدة الحرص على الصراحة، يجب في الله ويبغض في الله، يقول الطيب برغوث عن هذه الصفة في أسلوب أحمد الرفاعي الدعوي "أشهد بما علمت ووعيت عنه، بأنّه رحمه الله كان يجب في الله ويبغض في الله، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، رغم دماثة أخلاقه ونبل تعامله مع الناس، وكان يتقرّب بذلك إلى الله، كما كان يرّد ذلك كثيرًا على مسامعنا. وفي الحديث أنّ من فعل ذلك، فقد ارتقى ذروة سامقة من ذرى الرسالية، كما جاء في سنن أبي داود رضي الله عنه: «من أحبّ الله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»². - رحمه الله -³

¹ عبد الله عيسى لحيلح، مقابلة ولقاء عبر البريد الإلكتروني، مرجع سابق.

² رواه ابو داود في سننه، كتاب السنة، بابُ الدليل على زيادَةِ الإيمانِ ونُقْصَانِهِ، رقم: 4681، 4/220. وهو حديث صحيح.

³ الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعّالة، مرجع سابق.

المبحث الثاني: المنهج الدعوي ومراحل وسائل الدعوة عند

أحمد الرفاعي شرفي

مدخل:

بالنظر إلى أهمية الدعوة ومكانتها فإنه من الواجب أيضا في طريق ممارسة العمل الدعوي الإمام بالقواعد المنهجية التي تُسهم في تحقيق نتائج أطيّب وثمار أنضج، ولعل من الأخطاء التي عرقلت المسيرة الدعوية العمل دون تصورات منهجية وقواعد سنينة واضحة ممّا خلق الارتباك والفوضى على المشهد العام للدعوة المعاصرة خاصة، وهي القواعد التي أشار إليها أحمد الرفاعي وركز عنها في حديثه عن مناهج الدعوة.

والحركة الإسلامية التي حملت على عاتقها أمر الدعوة إلى الله ومعها الدعاة المستقلون ملزمون جميعا باتخاذ منهج سليم وقويم لتحقيق القضية المرفوعة والهدف المنشود يقول أحمد الرفاعي: "إنّ المنهج في الحقيقة عنصر من الرؤية الكاملة لقضية ما من حيث المبادئ والأهداف والوسائل والمنهج، أي كيفية التطبيق والممارسة للصورة النظرية ولوازم ذلك ومتطلباته الزمنية والبشرية والمادية وغيرها، فالمنهج إذن ثمرة طبيعية للتخطيط، والتخطيط ثمرة طبيعية للمؤسسة المرجعية النظرية، وهذه المستلزمات في معظمها غير متوفرة للحركة الإسلامية في الجزائر، وذلك ما جعلها تتأثر بالفردية والارتجال والتخبط في الرأي والموقف، سواء في صراعها مع خصومها ومناوئها أو في قضاياها الداخلية الخاصة، ومن ذلك ما حدث في إطار (الرابطة) وممّا سبق يتبين أنّه رغم الحديث المسهب عن المنهج فإنّ الصحوة الإسلامية في الجزائر ما زالت بدون منهج واضح و أصيل"¹.

حزب أحمد الرفاعي على الأداء الجيد للدعاة وللحركة الإسلامية تجلّى في النصائح المقدمة وفي أولوياتها قضية المنهج، لأنّه في ظلّ انعدام المنهج تصبح الفوضى سيدة الموقف والارتجال والتخبط والصراعات والمصالح هي الأقرب والأبرز عن الهدف الأسمى من الدعوة.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص728.

المطلب الأول: المنهج الدعوي.

الدعوة الإسلامية لها مناهج خاصة تتمثل في النظم والخطط المرسومة لها، وقد اعتبر أحمد الرفاعي الدعوة الإسلامية المعاصرة رغم أهميتها وعلو مكانتها وشأنها، إلا أنها دعوة مفتقرة إلى مناهج واضحة لدى أكثر الدعاة والقائمين على المؤسسات الدعوية، وبالنسبة له فهو يستمد منهجه وفكرته من القرآن الكريم حيث يقول: "علمنا أن منهج الدعوة إلى الله ووسائلها موجودة في القرآن والسنة فالتمسناهما، فوجدنا المنهج مجملا في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل. الآية: 125]، ووجدناه مفصلا في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة. الآية: 02] ففقهنا عن الله تعالى ما قاله لنا"¹.

ومن خلال استدلال أحمد الرفاعي بالآيتين الكرمتين يتضح جليا المنهج المقصود والمتمثل في أساليب الدعوة ومراحلها، مضيفا إليها الشرط الأساس في الدعوة، وفي الحقيقة هو شرط في كل أعمال العباد ألا وهو الإخلاص لله تعالى، يضيف الرفاعي: "وفقهنا أن الله قد بين أن مصداقية الدعوة لا تتحقق إلا بإخلاص العمل لله، وبترك حظ النفس، ومراعاة غير الله، وبترك المجاملة في الحق، وبترك السيطرة على الناس باسم النصيحة أو غيرها، وبين الله تبارك وتعالى أيضا أن الإخلاص له في العمل يقتضي إتباع الحكمة في الدعوة منهجا وأسلوبا، وتبين أن من الحكمة: إخلاص النية والتجرد والتبصر والصبر وتدبر العواقب ونبد العجلة والتسرع، فكل ذلك هو مقتضى الحكمة، ذلك هو مجمل المنهج"². إن الحكمة في الدعوة لها أهمية قصوى، فالله تعالى يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْرِكُهُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة. الآية: 269] والحكمة رديفة العلم النافع والعمل الصالح، وفي باب الدعوة فالحكمة تشمل الكلام اللين والترغيب والحلم والرفق والعفو وغير ذلك من مكارم الأخلاق، وتشكل مع كل ذلك إتقان الأمور وإحكامها وإنزال الأمور منازلها ومواضعها من قول حكيم، وموعظة حسنة، ومجادلة بالتي هي أحسن كل في موضعه"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، ما هو منهجنا، مجلة الإرشاد، العدد 04، الجزائر، أفريل ماي 1990، ص: 15

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د ط، مطبعة سفير، الرياض - السعودية، د ت، ص 16.

ولسنا نبالغ إن قلنا أن أغلب ما ركّز عليه أحمد الرفاعي في بيان منهج الدعوة هو الإشارة إلى إصلاح النفس أولاً وتركيتها وهو المنهج الزهدي كما كان يصفه دوماً وله قواعد وشروط ومرتكزات، وقد أوضحه مفصلاً في ما كتب من خلال تعريفات وقواعد وشروط وتوجيهات تتعلق في مجملها بموضوع تزكية النفس وبيانها كما يلي:

الفرع الأول: تزكية النفس عند أحمد الرفاعي.

عُرف عن أحمد الرفاعي شرفي أنه كان يميل إلى المنهج الزهدي، فهو يتبنى مسألة تزكية النفس كأولوية حيث كان يرى تزكية النفس مسألة أساسية، وينبغي أن لا نبتعد كثيراً عن الثائرين الذين ثاروا ضد البدع والخرافات والأباطيل وردوا الناس إلى النبع الأول وكانوا صوفيين في أنفسهم ولكن مصلحين في مجتمعاتهم، لذلك يمكن القول أن منهج الرجل كان منهجاً صوفياً له عمق فكري ولكن بخلطة اجتماعية، ليس منهجاً معزولاً أو منكفئاً على نفسه بل زاهداً في الدنيا، ولم يكن زاهداً فكرياً فقط أو زاهداً مذهبياً بل كان زاهداً اجتماعياً وحياته قائمة على الزهد، وحقق كتب كثيرة لهؤلاء الزهاد الكبار الذين ردوا الأمة لما شردت واختلطت بالحياة وابتعدت عن دينها ردهم إلى منبع الإسلام الأول وهو الكتاب والسنة، منهجه كان هادئاً كان صوفياً فكرياً وفي نفس الوقت كان اجتماعياً¹.

ولم يكن رحمه الله يتكلم عن التزكية ومحاسبة النفس من باب التنظير فحسب، بل كان يسعى لتطبيقها على نفسه ويسعى لغرسها كمبدأ أساسي في نفوس المؤمنين، يقول الطيب برغوث في هذا: "لقد كان كثيراً ما يمضي قدماً في مشاريع التزكية والتربية والتغيير والإصلاح والتجديد الذاتي والاجتماعي، ثم ما يلبث أن يتوقف فجأة ويعتكف ويشرع في محاسبة نفسه بكل صرامة وقسوة، مثيراً لأسئلة تربوية كثيرة وعميقة ومؤثرة في نفوس جلّ من يحيطون به من تلامذته الروحانيين، ثم ما يلبث أن ينطلق بقوة ومثالية رسالية غير عادية مرّة أخرى، مؤثراً في محيطه التربوي والدعوي والاجتماعي ومجدداً له"².

تلك الروح الراقية كان يراها آخرون بأنها روح متشائمة ومحبطة، وعلى العكس من ذلك فقد كانت نفسه تواقة وذات أبعاد عميقة يضيف الطيب برغوث: "وقد كان بعض من لا يعي الأهمية التربوية لهذه الرسالية المتميزة في حياته، يصفه بالتشاؤم والتقلب والقابلية السريعة للانقباض والإحباط، بينما كان ذلك يشكل منهجية شعورية ولاشعورية بعيدة الغور في سياسة نفسه ومن يحيطون به من شباب الصحوة وقادتها، حتى يأخذوا أنفسهم بالجدية والروحانية والأخلاقية والسلوكية والفعالية

¹ ينظر: مقابلة شخصية مع أبي جرة سلطاني، مرجع سابق.

² الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعالة، مرجع سابق.

الرسالية اللازمة، وأن يتخلصوا قدر الإمكان من أسباب وعوامل ومؤثرات الازدواجية الفكرية والنفسية والسلوكية والحركية والاجتماعية.. التي تبدد طاقاتهم وإمكاناتهم العقلية والنفسية والروحية والاجتماعية، فيما لا طائل من ورائه، وتحرمهم وتحرم مجتمعهم من خدماتها وبركاتها"¹.

لم تكن إذا تزكية النفس عنوانا براقا ولا فكريا نظريا عند أحمد الرفاعي، بل كان منهجا خالصا ينصح به الأمة ويعمل على تطبيقه على نفسه، شهد له بهذه الخصلة كل من عرفه، وتشهد له نصائحه وتوجيهاته المدونة في كتبه إلى ما شاء الله من الزمن.

الفرع الثاني: أهمية تزكية وإصلاح النفس.

تعد تزكية النفس من القواعد الأساسية لأية عملية تغيير فلا يمكن الانطلاق في إصلاح الغير مع ما في النفس من هفوات وسقطات، وتعرف تزكية النفس على أنّها "تطهير القلب وتنمية الإيمان"².

إنّ المتعمّن في أحداث السيرة النبوية يدرك تمام الإدراك أنّ الإصلاح الحقيقي لا بد أن يبدأ من إصلاح الفرد نفسه بتزويده بالعقيدة الصحيحة وترسيخها، وكذا فعل النبيّ - صلى الله عليه وسلم - حيث بدأ بإصلاح العقيدة، والهدف من ذلك حتى تعود الصلة بين الإنسان وربّه - عزّ وجلّ - وبذلك تعود للإنسان صلاحيته وأهليته، وعندئذ يمكن أن يبني به الواقع، تبني به الأسرة الصحيحة، والدولة العظيمة، والمدرسة المربية حقا للعلماء والمفكرين والصالحين والتجار الأمناء والحكام والأقوياء المحافظين لعهودهم³.

والواجب أن يُولى إصلاح النفوس بالعقيدة الصحيحة المزيد من الاهتمام في بنيتها الصحيحة الواضحة السلمية بالدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - وتصحيح المفاهيم العقدية والشرعية والاجتماعية التي طالها الكثير من التحريف والتزييف بفعل ما تعرض له المسلم من هزّات وقهر عبر تاريخه، والهدف تحرير عقل الإنسان من قيود الجمود والتقليد والتعصب والأنانية الجاهلية والمادية المدمرة، لينطلق في رحاب التفكير الواسع المشكّل للمستقبل الأفضل⁴.

وخيار التطوير والتغيير عند أحمد الرفاعي يقتضي من كل مسلم ومسلمة نبذ المفاهيم الوراثية المرتبطة بثقافة التفكك والجمود والانحيار والتبعية واستبدالها بمفاهيم القرآن والسنة وممارسة مسؤولية الوعي الذاتي، بتغيير كل القنوات والمفاهيم المغلوطة ورفض كل أشكال الفساد والمعاصي وكل ثقافة وافدة لا

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² محمد نصر الدين محمد عويضة، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ج02، الموسوعة الشاملة، الموقع الالكتروني،

<http://islamport.com/>، ص04

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القضية، مقال بجريدة البرهان، العدد02، الجزائر، 1999.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، رسالة إلى الشيخ جاب الله، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص239.

تعكس الشخصية الإسلامية وإحلال بدل ذلك الإيمان العميق النظري والعلمي التطبيقي الضامن للحرية بمفهومها الواسع فيما يرضي الله تعالى¹.

إنّ الدعوة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق بأفراد يحملون فكرة الإصلاح بعواطف جياشة وأفكار حماسية أو بنظرات فلسفية جوفاء بعيدة عن الواقع والإيمان الحقيقي، فالإيمان هو وحده من يشيع الخلق الإسلامي ويعطي الطاقة الكاملة للأفراد على البدء ومواصلة التغيير الجذري وتحدي الصعاب في سبيل ذلك، وعليه فالواجب تكوين الفرد المسلم تكويناً عقدياً عميقاً يحرره من قيود الجاهلية من ناحية، ويتيح له استئناف صلاته بربه من خلال العمل بالكتاب والسنة من ناحية أخرى ويمكن به لهذا الدين من جديد إن شاء الله².

والمأمل في سنة التغيير المشار إليها في الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] يتبين له بوضوح أنّه في هذه الحياة لا يغير وضع فرد أو أمة من الخير إلى الشر أو من الشر إلى الخير إلا إذا غيروا هم أولاً (يعني تغيير النفس وإصلاحها في المقدمة وقبل الحديث عن التغيير العام) ويكون ذلك بالتماس أسباب ما يريدون فإنّهم أرادوا الخير وقدموا التوبة والاستغفار كان لهم التغيير نحو الخير والأفضل، وإنّهم قدموا المعصية وتركوا العبادة وابتعدوا عن الإيمان فستكون النتيجة حصول الشر، وهكذا مع بقية شؤون الحياة المختلفة لا يمكن أن يكون التغيير من الخارج بل يبدأ من تغيير الذات والنفس بالبحث عن الأسباب، وعليه يجب أن يمارس المرء التغيير قبل أن يطلبه من غيره وذلك هو شرط الله - عزّ وجلّ - في العون، وفي ذلك من الحكم الجمّ الغفير للمأمل الواعي³.

وبالإضافة إلى إصلاح العقيدة لا بدّ أيضاً من تعليم الإنسان أكبر قدر ممكن من الحرف والمهن التقليدية والحديثة المعاصرة حتى تكون سبباً في كسب الرزق الحلال ويتعد عن كل الآفات ويحفظ نفسه من ذل السؤال والمهانة ويتحقق له الاستقرار النفسي والعقلي لينطلق نحو التغيير الجاد والفعال على أرض الواقع.

ومعلوم أنّ النفس الإنسانية تضعف وتعجز وتنحرف وقد تغلب عن صاحبها وتصبح المتحكمة في كل حركاته وتصرفاته، ومن ثمّة يكون المنهج الخاطيء هو المنهج المتبع، وهو ما سار عليه المسلمون أزمنة طويلة حيث تأليه النفوس وشهواتها وترك محاسباتها كان هو المشهد السائد والمسيطر على حساب

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 78.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مجلة الإرشاد، العدد 04، مرجع سابق، ص 16.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 84.

عبادة الله وطاعته و طاعة رسوله والالتزام برعاية المسلمين ومصالحهم، الأمر الذي سبب فشل كل المحاولات الاصلاحية وقد ضاعت فرص كثيرة وأهدرت جهود كبيرة وبقِيَ المسلمون في حلقات مفرغة وبقيت معها الانكسارات والتخلف والجمود¹.

الفرع الثالث: مرتكزات التزكية.

إنَّ التزكية تحظى بأهمية كبرى في شرعنا الكريم، ولذلك ركّز عليها العلماء كثيرا، وقد بين أحمد الرفاعي مرتكزاتها حيث قال: "ولها منزلة عظيمة حيث بين الله - عزّ وجلّ- للأمة الإسلامية خاصة في القرآن الكريم أنّ التزكية التي بعث بها الأنبياء عموما، وهي في الوقت نفسه الربانية البديل عن الجاهلية وظلاميتها لها منهج فكري وثقافي يقوم على مرتكزات أساسية وهي:"

- "إنّ موضوع إصلاح النفس مهم للغاية فهو من مقاصد الشريعة الأساسية والدعوة إلى الله تعالى وهي بذلك عقيدة وشريعة وسلوك وأخلاق واستقامة وبرّ.

- التزكية من فضل الله على عباده فهو سبحانه يزكي من يشاء ويضل من يشاء وقد تولى أمر التزكية والهداية والرزق إتماما لرحمته التي وسعت كل شيء.

- لا تتحقق التزكية بالوسائل المادية ولا بغيرها إنّما هي من فضل الله يمد به من يشاء، وهي بذلك من أسرار الله تعالى في هذه الحياة، وعليه فهي تتحقق بمشيئة الله لا بالإنسان².

وللوصول إلى التغيير المنشود لا بد من غرس وعي الذات في الفرد المسلم ولن يتحقق ذلك إلا بالدعوة الصادقة، ولا يمكن أن تحقّقه حسب ما يراه أحمد الرفاعي لا القنوات الفضائية التجارية ولا الأحزاب، ولا التيارات الأيديولوجية ولا خطب الجمعة أو المناسبات ولا تحقّقه الأنظمة الفاسدة العاجزة، وعليه فالواقع يشهد أنّ المسجد المسيس والمدرسة المسيسة عجزت عن بناء الفرد المسلم الرسالي كما عجزت الأحزاب التي ترفع شعارات الاصلاح، ولكن ما ظهر وما طغى عليها سوى المصالح والشهوات. وعليه فالواجب الذي لا بد منه إعادة الاعتبار للعمل الميداني الدعوي الرصين لبناء الإنسان الصادق، وأول الخطوات يكون بإصلاح علاقته بربه وتقوية إيمانه به وتمسكه به وبشرعه القويم وعبادة الله حقّ العبادة وبذلك فقط يمكن تحقيق خيرية الفرد المسلم وينقذ من الضياع والانحراف³.

إنّ وعي الذات يجب أن يتضمن أيضا معرفة المسلم لنفسه وقيّمته وكرامته وحقوقه وواجباته، وأنّ من يظلمه من الساسة والحكام هو من يحتاج إليه وأنّه لا فضل لأحد عليه سوى ربّه الكريم وادارك

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص16.

² أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص186.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص50.

الحقيقة الربانية في أنّ التغيير يبدأ بالذات النفس بتغيير المفاهيم والقناعات وتصحيح المبادئ المغلوطة أو المحرفة، وما لم تتحقق هذه بذات الفرد فلن يحققها له غيره، وعليه فلا بد من إيلاء الأهمية القصوى لقضية تصحيح الوعي بمراجعة الموروث نقدا وتحليلا وتعليلا واستنتاجا¹.

الفرع الرابع: خطوات التزكية.

ذكر أحمد الرفاعي أنّ التزكية وحتى تتحقق في نفس الإنسان لا بد أن تمر بخطوات أساسية دلت عليها الآية الكريمة التي تشير إلى وسائل الدعوة، وهي قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 164] وهي الخطوات تتمثل في:

الزاد المعرفي: إنّ التزكية تقوم على وسيلة أساسية وهي المعرفة بالله تعالى ومعرفة حقوقه وكل ما أمر به ونهى عنه، ومعرفة النفس ومعرفة سنن الله تعالى في كل المجالات، وبالمجمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان، وهذا متضمن في قوله تعالى (يتلوا عليهم آياته).

التربية العملية: وهي تعني الممارسة بعد التكوين والعمل برسالة الإسلام بعد معرفة معانيها وعقائدها وشرائعها وقيمها وثقافتها، وذلك يحصل بقوله تعالى (وزكّهم).

تعليم الكتاب: وهي إرشاد الرسول عليه الصلاة والسلام وبعده العلماء والدعاة بالسنن القولية والإقرارية وبالقدوة الحسنة إلى سبل ومناهج فهم مقاصد الكتاب وتحكمه في حياة الناس جميعها².

الفرع الخامس: رسالة عامة في تزكية النفس.

كان أحمد الرفاعي يولي أهمية كبرى لموضوع تزكية النفس وفي شرحه لكتاب رسالة القدس لابن عربي حيث بين أنّ تلك الرسالة تقول للمسلمين كل المسلمين بضرورة محاسبة النفس بوعي وحرية ومنهج وبرهان فالداء من الإنسان والدواء سيكون منه ومن رسالة ابن عربي استخلص أحمد الرفاعي رسائل ودعوة عامّة للجميع لمحاسبة النفس يقول أحمد الرفاعي: "أيها المسلمون عامّة، حاسبوا أنفسكم، أيها الحكام من معاوية بن أبي سفيان إلى حكامنا وملوكنا المعاصرين، حاسبوا أنفسكم في سياساتكم، وانظروا ما أدت إليه في الواقع من مظالم وتخلف، وما جرته على أوطانكم ومجتمعاتكم من سوء الأوضاع وترديها، أيها العمال والمثقفون، حاسبوا أنفسكم وراجعوا مفاهيمكم وقيمكم وآراءكم، أيها التجار حاسبوا أنفسكم، أيها النسوة حاسبن أنفسكن، أيها المقلدون لليهود والنصارى حاسبوا أنفسكم، أيها الدعاة إلى الله حاسبوا أنفسكم، أيها الوزراء حاسبوا أنفسكم، أيها النواب حاسبوا أنفسكم، أيها الأزواج حاسبوا أنفسكم، أيها الأبناء والبنات حاسبوا أنفسكم، أيها القضاة والمحامون حاسبوا أنفسكم،

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 49.

² ينظر: أحمد الرفاعي شربي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 187.

أيها النَّاسُ أيها المسلمون إنّ الله بالمرصاد وهو وحده المحاسب على مثقال ذرة من الخير أو الشر، أيها المسلمون أيها النَّاسُ إننا جميعاً سنموت وسنلقى الله -عزّ وجلّ- فماذا أعددتنا ليوم الموت وما بعد الموت؟¹

هذه الرسالة الجامعة التي توجه بها أحمد الرفاعي لجميع الشرائح حكاما ومحكومين، رجالا ونساء، شبابا ورجالا كلّ في موضعه وكلّ في مسؤوليته تدعوهم إلى تزكية نفوسهم ومحاسبتها قبل أن تحاسب من الله القدير، غير أنّ التساؤل الذي يطرح في منهج أحمد الرفاعي وفي خطابه لتزكية النفس ورغم أهمية الموضوع كيف يمكن تحقيق ذلك، والإعلام الموجه يفعل دوره السليبي بتحطيم ما تبقى في النفوس من إيمان؟ والمسجد مغيب، ودوره بات محدودا، والمناهج التعليمية أفرغت من محتوياتها ومضامينها أصلا لا تهتم كثيرا بالتربية الروحية، وحتى كتابات الرفاعي نفسها ونصائحه هل وجدت من يقرأها ويطبّقها في واقع النَّاسِ؟ ليبقى التساؤل مطروحا عن وسائل تثبيت العقيدة وتهذيب النفوس وتزكيتها واقعا وعملا في حياة المسلمين المعاصرين مع التغيرات الكثيرة المحيطة بإنسان اليوم.

المطلب الثاني: مراحل المنهج الدعوي في تصور أحمد الرفاعي شرفي.

لقد اختار أحمد الرفاعي منهجا دعويا يستمد قواعده من القرآن الكريم بالأساس ومتأسيا بسيرة النبيّ - صلى الله عليه وسلم- ولم يكن منهج الرجل الدعوي متشددا فوق اللزوم ولا لنا أكثر مما يجب بل كان بين ذلك وسطا.

يقول رفيقه عبد الله عيسى حليح: "كان الرفاعي في منهجه الدعويّ وسطياّ بامتياز، وكان في هذه الوسطية جزائريّا صرّفًا، كان صاحب حجة إن خاطب العقل، وصاحب تأثير إن خاطب العاطفة والوجدان، لم يكن عدائيّا اتجاه أولئك الذين كانوا متموقعين في خاتمة اليسار، إنّ أساتذة أو طلابًا، بل كان محبوبهم ويأبوهم، كما أمره ربّه"².

وقد صرح أحمد الرفاعي بالمنهج المتبع والمعتمد بالنسبة لديه انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 164] وحدد لذلك أربع مراحل:

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص 24.

² عبد الله عيسى حليح، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

أ- المرحلة الأولى:

وتشمل في (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) وتعني التذكير بالله والنصيحة للمسلمين بمخاطبة العقلاء والمؤمنين وتوجه الفكر السليم إلى الملاحظة الدقيقة والاستنتاج الواضح والاعتبار مع تجاوز قيود الخوف والطمع والأنانية والخضوع لغير الله تعالى. يضيف أحمد الرفاعي في معنى المرحلة الأولى: "وتتمثل في التذكير وتبليغ دينه وآياته لإقامة الحجة ودفع الضلالات والشبهات، إذ ليس المقصود من التلاوة ما نفهم نحن ويعني قراءة النص لإبلاغ مضمونه إلى المستمعين، وإنما تعني التلاوة: حركة انتقال النص من إنسان لآخر، وما تثير تلك الحركة -التبليغ- من تساؤلات حول واقع الحياة ومصيرها"¹.

ب- المرحلة الثانية:

وهي في قوله تعالى (وَيُزَكِّيهِمْ) حيث أن التراكم الجاهلي والموروث الفاسد المتنوع والمتشعب تغول في حياة الناس وأوهم عوامهم وكأنَّ الفساد هو المتحكم فيهم، ومع الوقت تحوّل الوهم إلى أخلاق وممارسات جاهلية في شتى ميادين حياة الإنسان، سواء العلمية أو التجارية أو المعاملات الاجتماعية والأسرية... ومن هنا يتضح دور التزكية وهي تعني "الممارسة الدائمة والمتواصلة للإيمان وطاعة الله تعالى، ومراقبة النفس، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كلُّ ذلك يتكامل أثره في النفس، وتتولد عنه حركة إيمانية دائمة باللسان وباليد وبالقلب وبالجسم كلّه، تنفي وتهدم أسس الفساد والظلم وترسي بدلها دعائم الخير، وعندئذ يصبح تغيير الواقع أمراً ممكناً"².

إن تراكم صور الفساد في واقع الناس لا يمكنه أن تزيله خطب حماسية في فترة وجيزة وفي ظرف وجيز، ذلك يعني أن الأمر يتطلب إعداداً دقيقاً وتنظيماً محكماً وجهداً معتبراً حتى يؤدي التغيير المنتظر ثماره وتلك توجيهات القرآن العظيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة. الآية: 50]³.

وواضح أن الجاهلية والفساد عندنا لم يعودا مفاهيم نظرية يمكن أن تزولا بنواقضها الفكرية، وإنما أصبحتا واقعا سلوكيا وإداريا واجتماعيا له وسائله ومؤسساته، ومعظم الناس ارتبطوا بالفساد وتورطوا في الشرِّ في ظرف تغييب الحق وأنصاره، وإنَّ ما رسخ في أذهان الناس في هذه المرحلة من رواسب متراكمة عبر السنين لا يمكن أن تزيله من أذهانهم خطب حماسية في ظرف وجيز، وإنما يتطلب الأمر

¹ أحمد الرفاعي شرفي، ما هو منهاجنا، مجلة الإرشاد، مرجع سابق.

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جهدا ووقتا للعلاج كما بين لنا ذلك ربنا في النهج القرآني. لذلك اطمأنت نفوسنا إلى ما جاء به القرآن وعلمنا أنه الحق ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة. الآية: 50].

ت- المرحلة الثالثة:

يشملها قوله تعالى (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) وتعني ضرورة الانتقال من إعداد الفرد المسلم والأسرة المسلمة إلى المجتمع المسلم، وهذا مما اسخضه أحمد الرفاعي من فهم الآيات وقراءة السيرة النبوية، بعد الأصول المتعلقة بالعقيدة وخاصة مواضع الشرك ومظاهره وعلوم الدعوة ومناهجها، وكل ذلك موجود في قصص الأنبياء، ثم علوم أخرى تتعلق بالظلم الاجتماعي وأشكاله وأشكال التسلط والجبروت والطغيان وأسبابه وأشكاله¹.

ث- المرحلة الرابعة:

وهي مشمولة في قوله تعالى (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) وتعني حسب أحمد الرفاعي ممارسة الخيرية التي امتازت بها الأمة الإسلامية، وذلك يكون بعد الإعداد لها والثبات على تلك الخيرية وما يتطلبه من عبادة الشهادة على الناس، كما تتطلبه العزة الإيمانية أيضا وذلك ما تجلّى في سيرة النبي - عليه الصلاة والسلام- يضيف أحمد الرفاعي في بيان المعنى قائلا: " فبأمر الله تبارك وتعالى عرض آيات الله ومعجزاته المذكورة بوحدايته وجلاله، وبذلك صحح العقائد والمفاهيم والتصورات السائدة قبل الإسلام، وقد انعكس كل ذلك تلقائيا على السلوك والممارسة، فظهر الخلق الإسلامي في التجارة وفي الإدارة وفي الأبوة وفي البنوة وفي الحياة الزوجية وفي العلاقات الاجتماعية"².

المسلم الرباني أثناء ممارسته فعل الدعوة مطالب أن يمتلك حسًا حضاريا، ولا بد من أن تأخذ الدعوة إلى الله طريقها الصحيح المتجدد بعد سُبَات فإنّ التقصير في الدعوة إلى الله تعالى - حسب أحمد الرفاعي - سواء في أوطان المسلمين أو خارجها باستثناء جهود فردية غير منظمة ومشوبة بقدر غير قليل من النقائص، أدى إلى جهل المسلمين أنفسهم وصاروا يجهلون دينهم جهلا كبيرا، ولا يعرفون منه إلا شكلية تقليدية جامدة تدور في حلقة مفرغة من الجمود والتبرير والترقيع، والتنازع والخلافات، وعليه فالمسلمون اليوم "في أمس الحاجة إلى صوت إسلامي وخطاب إسلامي جديد، غير مذهبي، ولا سياسي، ولا حزبي، مستقل عن الأنظمة وعن قوى الواقع الفاسد ينطلق من القرآن والسنة وحدهما، وأنّ الآخرة قبل الدنيا، وعبادة الله - عزّ وجلّ- وطاعته قبل المصلحة والشهوة، وأنّ الإسلام سلطة والدين سلطة، وأنّ كل شيء لله النفس والمال، ذلك ما يتعلق بما يصلح حياة الإنسان وسبله ومناهجه

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومفاهيمه بصورة عامة وموجزة أما ما يتعلق بأسباب فساد حياة الإنسان وهلاكه وسبل ذلك ومفاهيمه فقد أورد القرآن الكريم ذلك في أشكال عديدة وخاصة ما ورد في قصص الأنبياء¹.

المطلب الثالث: وسائل الدعوة ومتطلباتها في فكر أحمد الرفاعي.

الفرع الأول: وسائل الدعوة.

اشتغل أحمد الرفاعي كثيرا في معالجة موضوعات الدعوة المختلفة والمتعددة، ومن أهم ما فصل فيه وتكلم عنه بعد موضوع المنهج الدعوي يأتي موضوع وسائل إبلاغ الدعوة، وقد لخص بيان ذلك انطلاقا من الآية الكريمة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل. الآية: 125] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة. الآية: 02]

ويتحدث أحمد الرفاعي عن استدلاله بالقرآن الكريم في استخراج وسائل الدعوة فيقول: " لقد رجعنا إلى كتاب الله تبارك وتعالى وإلى سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - نلتبس فيهما وسائل الدعوة ووجدنا الله تبارك وتعالى يقول عن الكلمة الطيبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة ابراهيم. الآية: 24] ويقول الله عن القدوة الحسنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 21] وسمعناه يقول عن الحوار: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل. الآية: 125] ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت. الآية: 34]².

كما كان أحمد الرفاعي موفقا في إسقاط الكثير من النصوص الشرعية عن واقعنا الدعوي، فما زال يسرد النصوص التي يستند عليها موضحا وشارحا للوصول للوسائل الدعوية يضيف الرفاعي: " وسمعناه تعالى يقول عن مراقبة النفس: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف. الآية: 53] ويقول تعالى عن جماعية العمل الدعوي، وقبول النقد والنصح: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة. الآية: 02] ويقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر. الآية: 03] ووجدنا النبي - صلى الله عليه

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن نور وهداية وبصائر، مرجع سابق، ص 219.

² أحمد الرفاعي شرفي، ما هي وسائلنا، مجلة الإرشاد، العدد 02، الجزائر، بتاريخ 02 فيفري 1990، ص 30.

وسلم- يقول لأصحابه: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»¹. ويقول: «يسروا، وسكنوا ولا تنفروا»² ويقول: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها»³. فلما وجدنا ذلك وغيره من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم- تبين لنا أنّ الله الذي أنعم علينا وله الحمد بتوضيح منهج الدعوة وأسسها لطف بنا وله الحمد، وبين لنا وسائلها التي لا تصلح بغيرها ولا تقبل عند الله كعبارة يُرجى ثوابها إلا بما بين من هذه الوسائل في كتابه أو أهم به النبي - صلى الله عليه وسلم- في سنته⁴.

ويتضح جليا من خلال هذا مصادر الفكر الدعوي مرة أخرى عند أحمد الرفاعي المتمثلة أساسا في الكتاب والسنة وكيف أهما أوضحا وبيننا مناهج الدعوة ووسائلها وما يتعلق بتفصيل ذلك كله. وفيما يلي بيان لتلك الوسائل بالترتيب:

01- الكلمة الطيبة.

يرى أحمد الرفاعي شرفي أنّ الدعوة إلى الله تعالى تقوم في الأساس على الرحمة وحبّ الخير للناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء. الآية: 107]. ولذلك كانت وسائل الدعوة أيضا رحمة وخير، بعيدة عن كلّ سيطرة وغش وإكراه، وهي كالشجرة الطيبة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن الله، وتحقق الكلمة الطيبة في الواقع بشروط وضحتها الرفاعي كما يلي:

- الإخلاص لله تعالى بحيث لا تكون تسعى لتحقيق مصلحة بل تعبر عن حبّ صادق ورغبة في إيصال الخير.

- أنّ تكون صادرة عن علم شرعي أساسه كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم- لأنّها إن لم تكن علم فهي بالضرورة عن جهل، وقد تكون مبتدعة أو فيها ضلالة.

- أنّ تكون مبنية على الحسن والكمال في أبهى صوره في معناها ومبناها، وذلك لن يتأتى إلا بمعرفة الناس وأحوالهم وواقعهم وظروفهم⁵.

- تبليغ رسالة الله - عزّ وجلّ- "القرآن الكريم" إلى الناس بكل الوسائل، لغاتهم، وثقافتهم من غير عنف أو إكراه أو قهر أو وصاية أو تبعية أو غير ذلك من وسائل المستعمرين⁶.

¹ رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم: 69، 1/25.

² رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا»، رقم: 6125، 8/30.

³ رواه بهذا اللفظ ابن المبارك في "الزهد"، باب فضل ذكر الله عزّ وجلّ، رقم: 1375، ص484.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، ما هي وسائلنا، مجلة الارشاد، مرجع سابق.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص79.

لقد وضع أحمد الرفاعي شروطا وقواعد واضحة حتى تصنف الكلمة ضمن الكلم الطيب، وأول تلك الشروط أن تكون بإخلاص وتكون على علم، فإن تحققت شروطها يقابلها بالضرورة العمل الصالح، ويكون العمل حينئذ ترجمة للكلام الطيب، يقول ابن القيم: "فلا ريب أنّ هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى الله كل وقت؛ فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلى الربّ تعالى، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلّما كثيرا طيبا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر. الآية: 10] فأخبر سبحانه أنّ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أنّ الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كلّ وقت¹.

02- القدوة الحسنة.

إنّ مبدأ القدوة الحسنة ونظرا لأهميته فهو واجب في كلّ المجالات الدعوية، وقد ضرب الله لنا مثلا في جميع شؤون حياتنا بالافتداء بالنبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 21] وعلى الداعية أن يكون متمثلا بالرسول الكريم الذي كان خلقه القرآن كما وصفته أمنا عائشة - رضي الله عنها- والقدوة الحسنة تؤثر في الإنسان أحيانا أكثر من الكلمة.

وقد بيّن الرفاعي أهمية القدوة وخطأ بعض الدعاة المعاصرين في عدم تبني هذه النقطة المهمة كثيرا، فقال في معنى القدوة الحسنة ومجالاتها: "إنّ القدوة الحسنة اليوم من أهم الوسائل، ومن المؤكد الواجبات والقدوة الحسنة تعني بإيجاز ووضوح: أن يتحول الإسلام من جديد إلى طاقة مؤثرة في الواقع، ولا يكون ذلك إلا بالقدوة والسلوك، فالسلوك الإسلامي اليوم أجدى وأقوى وسائل الدعوة، وينبغي أن ينشر في الإدارة والمتجر والمخبر والحوار ومختلف مرافق حياتنا، فالناس قبل أن تبهرهم البلاغة وغزارة العلم يؤثر فيهم السلوك الذي يؤثر في حياتهم بالأمانة والوفاء والإيثار"².

ومن معاني القدوة الحسنة أن يكون الداعية المسلم قدوة صالحة فيما يدعو إليه فلا يناقض قوله فعله، ولا فعله قوله، وبذلك فهي تعطي المثال الحي للرجل المسلم الرباني، ويثير في نفس البصير العاقل الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة فيميل إلى الخير، وتبيّن إمكانية الوصول لتلك الرتبة من خلال

¹ ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن ربّ العالمين، ط 1، شركة دار الأرقم، بيروت- لبنان، 1997، ص 130.

² ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، ماهي وسائلنا، مجلة الارشاد، مرجع سابق، ص 31.

فاعليها القدوات الجليلة في الميدان، وتأثير الرؤيا قوي أكثر من السماع لتفاوت أفهام النَّاس وتساوي رؤاهم البصرية، فقد يؤثر المنظر العملي على الكلام النظري¹.

وقد أشار الرفاعي أيضا إلى أنَّ القائمين بالدعوة حديثا (الإسلاميون) أدركوا بعد فترة من الزمن أهمية هذه النقطة بعدما قيل عن أبناء أمتنا مسلمون بلا إسلام، وأنَّ الإسلام تحول إلى شعائر نظرية بعيدة عن الواقع، وهذا ممَّا نفر الكثير من الإسلام ومن دعائه وكان سببا في الصدِّ عن الدين بدلا من الترغيب فيه.

03- الحوار بالتي هي أحسن.

يُعد الحوار أحسن وسيلة لتبادل الآراء والاستماع للرأي الآخر وتبادل وجهات النظر، ومن ثمَّة دفع الحجَّة بالحجَّة، وقد كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مفتاحا للخير مغلاقا للشر باستعماله فنونا عظيمة في الحوار لكسب ودِّ النَّاس وترغيبهم في الإسلام، وكما هو معلوم فالنَّاس ليسوا على قدر سواء في الفهم والعلم والمستوى والمكانة والرتبة والمسؤولية فلكل ظروفه وأحواله ونفسيته، وعليه فلا سبيل أفضل من الحوار بالتي هي أحسن².

لقد جاء أمر الله تعالى بالمجادلة بالتي أحسن قال الله تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل. الآية: 125] أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت. الآية: 46] فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون - عليهما السلام - حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه. الآية: 44] فقولا له قولا ليئا لعله يتذكر أو يخشى³.

وبيَّن أحمد الرفاعي طبائع النَّاس وحالاتهم وأهمية الحوار الحسن، حيث قال موضحا بعض التفاصيل في هذا الشأن: "ولكلِّ فردٍ ظروفه وطبيعته وكل هؤلاء من حقهم أن يجاوروا حوارا حسنا يقوم على احترام عقولهم ومفاهيمهم وقيمهم، وأن يدعو إلى الله بالحسنى. وقد يكون من هؤلاء المتعنت، والغليظ الطبع، والشارد، وغير ذلك، ومع ذلك يظلُّ الأمل في رجوعه إلى الحقِّ قائما وذلك ما يجعل حبال التعامل معه لا تنقطع، بل يجعل الإحسان إليه أمرا طبيعيا، إذ المشكل معه ليس صراعا من أجل

¹ ينظر: سعيد بن علي القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د ط، مطبعة سفير، الرياض - السعودية، دت، ص 47.

² ينظر: ما هي وسائلنا، مجلة الإرشاد، العدد 02، مرجع سابق، ص 31.

³ ينظر: إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج 4، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1419 هـ، ص 526.

مصلحة أو منفعة أو شهوة متنافس عليها وإتّما الأمر: توضيح الحق. وقد صبر النبي - صلى الله عليه وسلم - على الفسوق والغلظة والجفاء وكسب بذلك الناس وأنقذهم من النار¹.
ومن الواجبات والأهداف في نفس الوقت "إقامة الحجج بالدليل الشرعي على وجود الله - عزّ وجلّ -، وعلى وحدانيته، وحكمته المطلقة وتصرفه في الكون كله دنيا وآخرة، وكون الإسلام هو خلاص الإنسانية وسعادتها"².

وفي هذه المعاني الواضحة دلالة على أهمية الحوار وتوصية للعاملين في الدعوة إلى معرفة أحوال الناس ومخاطبتهم بعد ذلك بحسب ظروفهم باللين واليسر، مع بيان أنّ الهدف هو إظهار الحقّ وما أدراك ما الحقّ.

04- التيسير والترغيب دفعا للخرج.

التيسير ورفع الحرج من خصائص الإسلام السمحة وقد نصت آيات كثيرة على ذلك ومثّلها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة. الآية: 185) وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج. الآية: 78] وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا»³ وعليه فهذه دعوة الإسلام العامة فكذلك يجب أن تكون الدعوة إلى الله بنفس الفكر ونفس المنهج.

إنّ التيسير هدفه حماية الناس من أخطار اليأس كما يسميها الرفاعي، ويقتضي ذلك مضاعفة جهود الدعوة وغرس الإيمان في النفوس، والمؤسف أنّ الاهتمام بذلك الأمر نقص بشكل كبير، ممّا نتج عنه فقدان المسلمين للكثير من القيم وانتشرت المعصية وحبّ الشهوات والدنيا، وأصبحت الدعوة محاصرة ومضيق عليها من طرف أعداء الدين ومن طرف الأنظمة الإستبدادية⁴.

ومن الظلم الذي طال أجيال اليوم تجاهل ظروفهم وهم مقيدون بأغلال الشهوات، ومن أهداف ذلك إبراز أنّ الإسلام تشدد ورهبانية وأنّ الاختيار للمسلمين لا يعدو أن يكون إمّا حرمان في الدنيا أو جهنم في الآخرة! ولعل من أسباب هذه النظرة أيضا الجهل بالإسلام وليس بالضرورة معصية ومجاهرة بها، ودليل ذلك الإقبال على الإسلام كلّما أُتيحت فرصة الالتفاف حول المشروع الإسلامي⁵.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، ماهي وسائلنا، مجلة الارشاد، مرجع سابق، ص 31.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 79.

³ رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا يتنفروا، رقم: 69، 1/25.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، ماهي وسائلنا، مجلة الارشاد، مرجع سابق، ص 31.

⁵ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الفرع الثاني: متطلبات الدعوة.

حتى تؤتي الدعوة ثمارها وتتجسد أهدافها على أرض الواقع، فإنه يلزم توافر شروط ولوازم معينة تساعد على الأداء الحسن وتسهل المهمات وتميط العقبات ومنها:

01- الاهتمام اللازم بالدعوة:

اهتم المسلمون عبر الأزمان بالعلوم الشرعية اهتماما واضحا ومتفاوتا، غير أن علم الدعوة لم يحظى بالاهتمام اللازم، رغم ما للدعوة من أهمية كبرى ومكانة عليا فهي مرتكز كل القضايا، والجهود التي بذلت لم تصل إلى مستوى ما يقوم به أهل التبشير والتنصير لغير المسلمين من كل النواحي خاصة التخطيط والتنظير البعيد، وما تحظى به أيضا من دعم مادي وتكوين طاقات علمية، وتكمن أهمية الموضوع في اعتبار أن جهود العاملين في الحقل الدعوي عادة ما تتلوث أيديهم بالسياسة وتفتقر إلى الدفء الاجتماعي وإلى الكثير من التنسيق والاستفادة من التجارب السابقة¹.

والحقيقة أن قلة الاهتمام بأمر الدعوة جعلت العمل الدعوي يتحجر في قوالب خاصة وكأنه لا يوجد غيرها ولا بديل عنها، وهذا ضيق في الأفق والتصور، وبقي يراوح مكانه يدور في حلقة مفرغة، ومع تراكم ذلك أدى إلى الخلافات والانشقاقات بسبب العجز المسجل على مواكبة الواقع، يقول الرفاعي عن تفكير أهل الصحوة وما يجب عليهم من تجديد الفكر.

"الساحة تعاني من سيل إعلامي جارف زرع الكثير من القناعات الإسلامية لدى جماهير المسلمين، والدواء أتصوره لهذه الظاهرة المؤسسة هو أن تبادر فصائل الصحوة إلى مراجعة معمقة ومنهجية لتقويم سلبياتها وتحديد مناهجها وأساليبها وتلتزم بالإعداد والتخطيط بدل الارتجالية والتسرع وقصور النظر والتورط المتزايد في الصراع العقيم، إن المرحلة تفرض على الجميع تقدير المسؤولية التاريخية أمام الله - عز وجل - وتجاوز حظوظ النفس"².

الاهتمام بالدعوة ليس أمرا يسيرا، بل هو بمكان عال ومهم للغاية، فالدعوة إلى الله شرف، وبالدعوة تتحقق أهداف عظيمة وتنال البركات، ويتحقق وعد الله باستخلاف عباده الصالحين والتمكين لهم في الأرض.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص13.

² أحمد الرفاعي شرفي، جريدة النور، حوار صحفي مع زين الدين بوحنيكة، العدد52، الاثنين 03 شوال 1412 الموافق ل06 أبريل 1992، ص8.

02- ثقافة الداعية.

معلوم أنّ قيادة المركبات يلزمها تكوين مكثف وعميق، ثمّ رخصة قانونية مؤشّرة، والدعوة أهم وأكثر مسؤولية من قيادة آلة، ومع ذلك نجد الكثير من الدعاة بلا تكوين أكاديمي ولا ثقافة دينية ولا زاد معرفي. وحتى وفرة المعلومات لوحدها لا تكفي ولا تغني عن الداعية شيئاً. إنّ الواجب يقتضي تكوين الدعاة بدءاً من إعداد النفس تكويناً عميقاً يقول أحمد الرفاعي في موضوع اعداد الداعية وتكوينه بزيادة ثقافي دعوي: "وبعني ذلك نجاح الداعية أولاً في إعادة بناء نفسه، والتدليل على أنّ ما يدعو الناس إليه ليس مجرد تصورات، وإنما هي قناعات وممكنات بشرية، ذات نتائج إيجابية عملية مادية، ومن البديهي أنّ التجربة والممارسة أقوى في التأثير من أيّ قول بلغ ما بلغ من البلاغة والفصاحة والتشويق، ذلك أنّها تفتح القلب، من خلال العين والأذن، والجسم كلّه بينما الكلمة النظرية عرضة لأكثر من عائق يفرغها من محتواها، أبسطها العجز عن الفهم، أو الشك في حجة الرأي"¹.

إنّ الدعوة إلى الله وهي من أجلّ العبادات تمثّل قضية هامة للمسلم الرباني، وهذا عند أصحاب الفكر الصحيح والمنهج القويم، ويقوم بها الخاصة ممن لهم باع وتكوين في حقل الدعوة ولهم تصور صحيح وبعد حضاري في رؤية الأشياء قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 23] وقوله - عزّ وجلّ - ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [سورة النور. الآية: 37] ومما سبق يتبيّن أنّ الدعوة إلى الله تعالى قضية كبرى ولل قضية يلزم فكر سليم².

ودين الإسلام أمر رباني عظيم وليس مكاناً أو ميداناً ثقافياً شاغراً، بل هو علوم متميزة بخصائص العلم من دقة ومنهجية ووضوح، يرى أحمد الرفاعي أنّه كما يجب احترام الطبيب في تخصصه ويحترم بل ويسخر الناس من غيره إذا تكلم في الطب وزعم أنّه يمكنه إدراك المرض وتشخيصه ووصف العلاج، فكذلك الحال بالنسبة للإسلام يجب أن يكون الموقف متشابهاً فلا يجرؤ على الحديث في شأن من شؤون الإسلام دون دراسة لعلوم الإسلام³.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ج3، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص41.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص197.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ص18.

وحتى وإن كان الداعية ممارسا للدعوة لفترة من الزمن طالت أو قصرت، لا يمكن الجزم بكونه داعية على المدى، فالحيُّ لا يؤتمن، وتبقى صفة (داعية) عارضة للعلماء والمنشغلين بالدعوة، يوصف بها من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ونشر العلم، والتزم بالآداب والأخلاق الإسلامية، ونصح وجاهد بالكلمة سواء بالخطب أو المحاضرات أو التأليف. وتكون تلك الصفة لازمة (دائمة) للأنبياء والمرسلين وحدهم - عليهم الصلاة والسلام- بحكم النبوة والرسالة التي هي في جوهرها تجديد للدعوة بعد فترة الانحراف¹.

وبناء على ما سبق فإنَّ الداعية مطالب بأن يكون مُلمًّا بقدرٍ وافٍ من العلوم والمعارف والثقافة وحتى اللغات إن كان مع أجناب ومعرفة البيئات والعادات والتقاليد، يلخص أحمد الرفاعي بعض تلك الواجبات في شخصية الداعية من خلال ما جمعه من قراءات سابقة ومن ممارسته للدعوة في واقع النَّاس وبيان ذلك في النقاط التالية:

- الثقافة الإسلامية الكاملة كما ونوعا وخاصة فهم مقاصد القرآن والسنة.

- الفهم المعمق للحياة الاجتماعية ومشاكلها وقضاياها.

- القدرة على التمييز بين مستويات النَّاس، وعدم تجاهل الفوارق العقلية والاجتماعية وغيرها.

- الترتيب المنطقي لأولويات الدعوة حتى يتسنى لها الاستمرارية، وتنجز عملية إعادة البناء.

- تكييف الأفكار بما يُرغب النَّاس وييسر عليهم الفهم والاقتناع والعمل².

من الأمور الهامة للداعية أن يكون واسع الاطلاع كثير القراءة يبحث عن كلِّ جديد، ومن ذلك الكتب الجديدة والنشرات الخاصة بالدعوة، فإنَّ الاطلاع على الكتب، وخاصة كتب العلماء الذين لهم باع طويل وتجربة مديدة في الدعوة، جديرة بالقراءة والاستفادة منها، فسيجد فيها القارئ بغيته وضالته، وسيجد بعض الحلول لمشاكله وتساؤلاته، كما أنَّه سيجد فيها الأسلوب الأمثل والطريقة الصحيحة للدعوة، وخاصة إذا كانت هذه الكتب قد صدرت من عالم موثوق بعلمه وعقيدته، كما أنَّه لا بدَّ من الاطلاع على كلِّ ما يصدر من الجهات المسؤولة عن أمور الدعوة، والوعظ والإرشاد بين فترة وأخرى من تعاميم، ونشرات وبحوث ومجلات وكتيبات، وتعليمات خاصة بالدعوة والدعاة³.

ويبيِّن الرفاعي الفرق الواضح والجلي بين من يحمل الدعوة كقضية ومن يمارس الدعوة لأجل المصلحة يقول الرفاعي: "هناك فرق كبير وواضح بين من يحيا ويتحرك في إطار قضية كبرى تملأ عليه

¹ ينظر: أحمد الرفاعي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص102.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، مرجع سابق، ص49.

³ ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، ط1، دار طيبة الخضراء، السعودية، دت، ص159.

حياته وعقله وتتحول عنده إلى منهج كامل لحياته، منها يستمد مفاهيمه ورؤاه وتقديراته ونظراته وموازينه، بل هي المعنى الوحيد لحياته، ذلك كان شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين "المهاجرون والأنصار في قضية الدعوة إلى الله وطاعة الله"¹.

إنّ الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - وظيفة من اختار عن قناعه ويعلم أن يكون من أنصار الله من واقعه وممارساته، أما من له قناعات ومعالم وخيارات غير مناصرة الله - عزّ وجلّ - فهو في الحقيقة والواقع عبء على الدعوة وعائق من عوائقها، ينبغي أن تتخلص منه الدعوة لتستعيد مصداقيتها، وذلك هو واجب كل مؤمن صحيح العقيدة والإيمان².

ومّا سبق يتبين أنّ الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - قضية مهمة يجب أن تولى المزيد من العناية والاهتمام وأن يُحضر الدعاة تحضيرا جيدا، وأن يهتم أعدادهم إعدادا دقيقا، فهؤلاء سيكونون على ثغرات كبيرة وتنتظرهم جهود شاقة ومتعبة لا بد لها من عزيمة قوية وإرادة صلبة وثقافة شاملة، ولن يقدر على ذلك إلا من تشبع بالثقافة الواسعة والقراءة العميقة للواقع الاجتماعي، وبالنظر إلى أنّ أنبياء الله - عليهم الصلاة والسلام - لم تكن دعواتهم لتنجح وهي مؤيدة بجهد السماء فقط، وإنما اقتضت حكمة الله أن يكون للإنسان جهد وبصمة واضحة وتأثير واقعي جلي، ويحدث التوفيق أيضا عندما يتبنى الداعية القضية ويعيش لأجلها وينتصر لها لتتصر في الأخير وينال الأجر كاملا³.

03- الجانب العملي.

إنّ التنظير المبتور عن الواقع أضرّ بالدعوة كثيرا، هكذا كان يصف أحمد الرفاعي من يجلس في مكتبه للتأليف والتنظير وإعداد الصياغات الجميلة بالإضافات والتعديل والتنميق وهو منشغل بالدعوة إلى الله، كلّ ذلك بعيدا عن الأرض والميدان، ممّا شكّل عقبة كؤودة أمام العاملين في حقل الدعوة، لأنّ المفاهيم والمدارك والحوافز والغايات تختلف بجلاء ووضوح بين العامل في الميدان والمنظر على الورق⁴.

والداعية العملي هو الذي يعطي الصورة الحسنة للداعية القدوة وليس الذي يتكلم من برج عال أو من خلف الزجاج، بل هو الرجل الميداني الذي يضرب أروع الأمثلة وأحسنها فالتّاس ينظرون إلى الداعية بمنظار دقيق، فهو تحت المجهر، يلاحظون أفعاله وأقواله، ومعاملاته الخاصة والعامة، كما ينظرون إلى مظهره فهو المرأة لمخبره "فكل إناء بما فيه ينضح"، فيجب أن يكون المظهر موافقا للمخبر، فإن

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص191.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص338.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص63.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص11.

الداعية في نظر الناس قدوة يقتدى بأفعاله وتصرفاته، فجدير بالداعية أن يكون على المستوى اللائق في عمله كما في خطابته مقتدياً بالأنبياء، وأئمة الهدى، في سيرهم وفي منهجهم في الدعوة والسلوك¹. وعن الفرق بين من يمارس الدعوة ميدانياً ومن يمارسها نظرياً، يضيف أحمد الرفاعي موضحاً: "ومن المهم الممارسة الميدانية والواقعية لعبادة الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - وعدم الاكتفاء بالتنظير والتأليف في المتابعة الفكرية النظرية، فهذا المنهج الواقعي من أقوى المناهج إلى سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنفعها للنَّاس، وهو ما جسده كلُّ من الشيخ عبد الحميد - رحمه الله - في الجزائر، والشيخ حسن البنا - رحمه الله - في مصر، والفرق كبير بين من يمارس الدعوة، ويباشرها ميدانياً وواقعياً، وبين من يجلس في مكتبه للتنظير والتأليف"².

كما أنَّ الواقع يثبت أنَّ الصحوة الإسلامية تأثرت بالواقع أشدَّ التأثير وانعكست عليها كل سلبياته، وكاد الفرق بين تيار الصحوة والواقع الاجتماعي أن ينحصر في الظروف النظرية دون غيرها، وعليه فالواجب الانتباه لهذه النقطة الحساسة والمهمة كثيراً³.

04- الصبر والاحتساب أمام سنة الابتلاء في طريق الدعوة.

الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - محفوفة بالمخاطر وفيها من التبعات والعقبات الشيء الكثير، وقد نال الأنبياء والرسل الكثير من التعب والنصب في سبيل إبلاغ دعواتهم لأمتهم، بل وتعرض بعضهم للقتل وآخرون للضرب والجرح والسجن.. وهكذا توالى سنة الله مع الدعاة الربانيين.

لقد تبنى مشروع الدعوة عبر الأزمان والأمكنة رجال ونساء جعلوا الدعوة قضيتهم الأهم، وهي نشر الإسلام في ربوع المعمورة، ولعل المطلع على سيرة الرعيل الأول للدعوة الإسلامية خاصة في مرحلتها العلنية، يدرك بوضوح ثبات المعذبين والمستضعفين في سبيل نصرته الدين، وهذا سببه بلا شك الإعداد المحكم من النبي - صلى الله عليه وسلم - لجيل الصحابة الكرام، مبيناً لهم أنَّ الابتلاء سنة جارية وأنَّ الثبات واجب وأنَّ النصر والتمكين لا بد له من توضيحات جسام وجهود مضيئة⁴.

إنَّ الابتلاء سنة عامة من سنن الله تعالى يتلي بها عباده جميعاً، وليس الدعوة في منأى من ذلك، فالله تعالى يقول: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت. الآية: 02] وهذا ممَّا يدل على أنَّ الابتلاء والفتنة من سنن الله الثابتة، والفرق بينهما أنَّ

¹ ينظر: ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، مرجع سابق، ص 27.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 11.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، حوار مع زين الدين بوحنيكة، جريدة النور، مرجع سابق، ص 10.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 64.

الابتلاء مُسلَّط على عباد الله الصالحين، وعاقبة الابتلاء خير كثير في الدنيا والآخرة، ومن شواهد ذلك ما تعرض له أنبياء الله أيوب ويوسف عليهما السلام ونبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمَّا الفتنة فهي خاصة بالظالمين والفاستقين والمفسدين حيث يفتنون ويختلط عليهم الحق بالباطل والخير بالشر وتكون عاقبتهم في الدنيا والآخرة، ومثالم المنافقين ومثالمهم ما وقع للأمم الهالكة مثل قوم لوط وفرعون وقارون¹.

ومن حكمة الله العلي القدير أنه بيّن لعباده خاصة ممن يشتغلون بالدعوة أن الابتلاء قائم حتى يرفع عنهم الحرج والانزعاج والتوهم بغضب الله منهم أو عند الرضى، فقد بيّن الله - عزَّ وجلَّ - أن من سننه التي لا تتبدل أن يُستقبل الأنبياء والرسل وورثتهم من العلماء والريانيين خاصة بالاستهزاء والسخرية من طرف الجاهلين والمشركين، والمصحون في كل زمان يستقبلون بالمزيد من الاتهامان والسجون والعنت، وهذه سنن يعرفها الداعية حتى لا يتفاجأ ولا ينزعج، وبعد ذلك يفكر ويُعدّ العدة لمواجهتها وتجاوزها بالحكمة والتبصر والأخذ بالأسباب النافعة².

وقد عدَّ بعض العلماء والمفكرين (الابتلاء) مدرسة وعامل مهم في البناء الإيماني الذاتي والاجتماعي والانساني خاصة للمسلم حامل القضية الكبرى تماما كما حصل للنبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام في المرحلة المكيّة حيث كان الإعداد الرباني المتميز لجيل الدعوة الفريد³.

والابتلاء مدرسة الصالحين، يزيد المؤمنين ثباتا وينقيهم ويطهرهم، يقول رؤوف شلي: "وقد جعل الله ابتلاء الدعوة في كلّ عصر تدريبا تربويا ليخلصهم إلى طاعته وينقيهم من كلّ شبهة ويمحصهم من كلّ آفة. ﴿الم، أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت. الآية: 02] توجد هذه المظاهر كقانون إلهي. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 62] وهي اختيار يصفى الله به العاملين والمبلغين رسالاته، ولقد كان من معالم هذا الطريق⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 86.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 85.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 61.

⁴ رؤوف شلي، الدعوة الإسلامية في عهدها الملكي: منهاجها وغاياتها، دار القلم، دمشق، د ت، ص 262.

وقد اتخذ أعداء الدين قديما وحديثا أشكالا وصنوفاً شتى من صور الابتلاء، ومن ذلك ما تعرض له النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة الكرام، ومن صور البطش الاتهام والتعذيب يجملها أحمد الرفاعي في نقاط منها:

- اتهامات تتعلق بالقرآن الكريم، وإشاعات كاذبة عنه، وتشكيك وتحريف وتزييف، وما زالت نفس الأفعال مستمرة إلى يوم الناس هذا.

- إتهام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالسحر والجنون وغير ذلك، رغبة في إبعاده - عليه السلام - عن أهله وعشيرته وقومه خاصة، لتبقى الجاهلية في موقع القيادة والزعامة.

- التنكيل بالمسلمين وتعذيبهم، وحرمانهم من حقوقهم، والاستيلاء عن أموالهم وممتلكاتهم.

- ضرب حصار شامل في شؤونهم المالية، وما في ذلك من تخويف للاتباع في مسألة الرزق والوقت¹.

إنّ هذا الأسلوب والمتمثل في سياسة القمع والترهيب تلجأ إليه الجاهلية عندما تغيب الحجة والإقناع، فتستعمل بدلا عن ذلك شتى أنواع التعذيب والاضطهاد والتشريد، وهي نفس الوسائل المستعملة في الجاهلية الحديثة في مواجهة الدعوة الحديثة، فقد امتلأت السجون بالدعاة وتحولت إلى مراكز للدعوة ولا ملجأ إلا إلى الله العليّ القدير كما قال سيدنا يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [سورة يوسف. الآية: 33] وهذا العنف إنّما مرده الفكر الجاهلي لأنّ الإسلام أمر عقدي فكري وليس جيش همّه الحرب ورفع السيف، بل هو فكرٌ وعقيدةٌ وعلمٌ ووعيٌ يواجه بالحجة والدليل وبالعلم والفكر أيضا².

إنّ المزيد من القهر والتسلط لم يزد الدعاة إلا ثباتاً وبقينا وتمسكا بالحق، وكلّما تفوّق المشركون في العهد الأول بقوتهم وأسلحتهم، وما فعلوه من اضطهاد وإرهاب وتشريد وتنكيل كلّها كمجموعة ومتفرقة، لم تحقق لهم نصرا ولم تمكّن لهم فوزا، والمتمثل عندهم أساسا في وقف الدعوة الإسلامية بصورة نهائية وتامة، ونفس المصير ستلقاه الجاهلية الحديثة، لأنّ الضربات القوية وإن هشمت الزجاج فإنّها تزيد الحديد صلابة وثباتا³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص70.

² ينظر: المرجع نفسه، ص72.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص88.

المبحث الثالث: جهود أحمد الرفاعي في الدعوة.

المطلب الأول: جهوده الوعظية في العمل الدعوي.

كان أحمد الرفاعي شريفي من الدعاة إلى الله - عزَّ وجلَّ - بالكلمة المسموعة خطيباً ومحاضراً، وبالخرف المقروء كاتباً مؤلفاً وصحفيًا مبدعاً، وبالقدوة سلوكاً وسمتاً، اتخذ من مهنته الطويلة في التدريس والتعليم سبيلاً للنصح والتوجيه، وقد ساعده على نجاحه في عمله الدعوي تكوينه الشرعي، وسفره للخارج، وكثرة اطلاعه على كتب التاريخ، وتعمقه في فهم المصادر الشرعية برؤى حضارية.

ومشاركة أحمد الرفاعي شريفي في الحقل الدعوي بدأت في سنوات شبابه المبكرة، فهو ابن جمعية العلماء وكان ممن حمل لواء الدعوة والإصلاح مبكراً، وأمّا البدايات الفعلية كما يظهر من خلال كتاباته وشهادات مقريه فتكون مع استعادة الجزائر حريتها 1962م، وهي السنة التي بدأ في التعليم الثانوي بقسنطينة، ومن هذه الفترة بدأت علامات الحرص وبثُّ الوعي تبدو واضحة في مسيرة الرجل.

واستطاع بعد ذلك أن يشق طريقه في اتجاهين: التدريس كرسالة حضارية وأدبية وبيداغوجية، وطريق الدعوة كونه عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ أن كان طالباً، ثم عمَّق فكره في هذا الاتجاه واكتسب ثقافة دعوية جديدة من دراسته بالعراق من معاهد الدعوة ومعاهد التربية، وعمق فكره أيضاً في الثقافة والأدب لاسيما أنه كان يعمل على أن يوائم بين الإسلام التقليدي الذي كان عليه الآباء والأجداد في ظل الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال وبداية النهضة التي قادها ابن باديس سنة 1931م بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين¹.

ومع هذه المسيرة الحافلة بالعطاءات، لم يصنف نفسه في زمرة الدعاة تواضعا منه - رحمه الله - يقول أحمد الرفاعي عن نفسه: "يعلم الله تبارك وتعالى أنني ما اعتبرت نفسي أبدا داعية ولن أفعل ذلك، لأنَّ الداعية حقا هو الذي يحقق قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة. الآية: 207]، بحيث يبذل جهد النفس والمال في سبيل الله وأنا أحاول فعل ذلك - إن شاء الله - وأرجو أن يوفقي الله، أما الآن فإني مجرد جندي أعمل في سبيل الله بجهد المقل"².

وفي هذا التصريح الواضح يبرز تواضع العلماء والدعاة وزهدهم في حبِّ الظهور والشهرة، واحتساب أعمالهم عند الله العلي القدير.

¹ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق

² أحمد الرفاعي شريفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 680.

الفرع الأول: العمل الدعوي في الوسط الجامعي.

لقد كانت الدعوة تسكنُ فكر أحمد الرفاعي، وكانت تعتبر أولى اهتماماته، فبعد خروج الاستعمار الفرنسي وقد ترك خلفه أثارا سيئة في المجتمع، حيث انتشرت مظاهر كثيرة للتفسخ والبعد عن الدين، وأيضا التوجه الذي اتخذته السلطات الجزائرية في بعض المواقف مثل اعتماد النظام الاشتراكي وغيره، هذه الأسباب وأخرى دفعت بالرجل إلى التفكير العميق في مستقبل الدعوة الإسلامية في الجزائر، فكان يبادر إلى تكوين نواة لمجموعات دعوية من الطلبة الجامعيين خاصة، وكان يحفزهم ويغرس فيهم حبَّ الدعوة إلى الله.

وفي الجامعة كان يعمل على أن ينتقي مجموعة من الطلبة الذين يتوسّم فيهم قدرة على أن يكون فيهم شيئا مذكورا، ويوجههم سواء في الجامعة أو المكتبة، وأحيانا يلتقي بهم في بيته ليحدثهم عن الثورة وعن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكيفية إحياء الثورة، وكان مسكونا بفكرة تشريح التاريخ وألف كتاب (جراح التاريخ)¹ يبرز فيه بأنّ أزمنا بدأت عندما تحوّل الملك من خلافة راشدة إلى ملك عضود، ويقول أنّه ينبغي أن نعود للنبع الأصيل، كان يساير هؤلاء الطلبة في الجامعة أو في بيته ويقول لهم إنّ الجزائر في حاجة لأبنائها وشبابها وأنّ رجال جمعية العلماء قاموا بالنهضة وهم في سنّ الشباب يعني من سن 18 إلى سن 30 ويخبرهم بأنهم مأمولون أن يستكملوا هذا المسار².

وعن أهم محاور دعوته في الوسط الجامعي يضيف أبو جرة سلطاني: "وأستطيع أن أقول أنّه كان من الذين عرفونا بجمعية العلماء المسلمين وبالمراجع التي كتبوها، سواء عبد الحميد بن باديس أو محمد البشير الابراهيمى أو العربي التبسي أو مبارك المليلى.. لم تكن له علاقات واسعة بالجامعة باستثناء معاملات محدودة من الاساتذة وكان أغلبهم من الخارج، كان يهتم بالأساس أن يُطعمَ محاضراته في الأدب الجزائري أو غيرها بالبعد الأخلاقي والبعد الروحي وكان يعمل أن يُوطد علاقته بأبناء التيار الإسلامي أكثر، ثم بعد ذلك لما أذن له أن يدرس بالمساجد وكان أكثرها في قسنطينة مسجد أبو أيوب الأنصاري ومسجد الفتح"³.

استغل أحمد الرفاعي منابر الجامعة للدعوة وأيضا منابر الحزب الواحد حينئذ، فكان عندما تقام نشاطات ثقافية بالمناسبات الوطنية أو الدينية أو الأسابيع الثقافية المنوعة يبادر للمشاركة فيها بمدخلات

¹ جراح التاريخ: كتاب من الحجم المتوسط يقع في نحو 100 صفحة، طبع سنة 2011. تكلم فيه أحمد الرفاعي عن أخطاء التاريخ العميقة وجراحها الدائمة، مشيرا إلى التصحيح المطلوب والاعتبار المفترض من تلك الأحداث.

² ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ المرجع نفسه.

ذات بعد ديني وفكر حضاري، يتحدث أبو جرة عن مسيرة الرجل الدعوية فيقول: "بعد الاستقلال كان الحزب الواحد عندما ينظم نشاطات كالأُسبوع الاقتصادي التجاري يستغل الموقف لإلقاء محاضرات وينظم ندوات وسهرات، وكان يشارك بمحاضرات في السياسة والثقافة والاقتصاد والإصلاح الاجتماعي في مختلف الولايات التي يُدعى لها، كان يؤمن بأن الإصلاح ينبغي أن يكون شاملاً لا يكون في الأدب فقط أو الشعر أو الدعوة وإنما يشمل الاقتصاد والثقافة والسياسة وكل المجالات"¹.

كما كان في الجامعة يُرشدُ الصحوة ولما يُعقد أيُّ لقاء من ملتقيات الفكر الإسلامي كان يعمل جاهداً أن يكون حاضراً لأنه كان يرى أن هذه الملتقيات بعدما تطورت من الحديث عن التاريخ القديم والروماني وسوى ذلك إلى الحديث عن القرآن والسنة².

ومن الشهادات حول أثر أحمد الرفاعي شرفي في الدعوة في الوسط الجامعي يقول عبد الله بوفولة: "لا ننسى فضل المرابي العظيم الدكتور أحمد شرفي الرفاعي الذي قام بجهد كبير في تكويننا، وأعني في تكوين جيل كامل في معهد الآداب بجامعة قسنطينة، جيل أصبح فيهم الوزير كأبي جرة سلطاني نفع الله به في الموقع الذي هو فيه، وفيهم الصحفي وفيهم الباحث الكبير والأستاذ وفيهم وفيهم"³.

الفرع الثاني: إسهاماته الدعوية من خلال الخطب المنبرية والدروس المسجدية.

كان أحمد الرفاعي ينتقل بين المساجد لإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات، وكان يستجيب لأيِّ دعوة توجه له حتى قبل ظهور ما عُرف فيما بعد بالصحوة الإسلامية، وقد زار عدة ولايات مع رفيقه آنذاك أبو جرة سلطاني حيث يقول أبو جرة في شهادته المسجلة: "رافقته في عشرات إن لم أقل المئات من الأسفار التي كان يُلقني فيها محاضرات في مختلف ولايات الجزائر وبلدياتها، وانتهى به الأمر إلى قرار تجسيد فكرة مبدعة كان يسميها مجالس الأنبياء، كان يستصحب فيها اثنين غالباً كنت أحدهما ينظم ندوة من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب، ثم بعد صلاة المغرب تكون الأسئلة عن الموضوع نتكلم عن نبيٍّ من الأنبياء من آدم عليه السلام إلى نوح إلى إبراهيم، كان في تصوره أننا إذا استطعنا أن نستفرغ كل هذه الجهود من جميع الأنبياء المذكورين في القرآن (25 نبياً) سوف نفهم التاريخ، وسوف نفهم حركة النفس كيف تتطور، وسوف نفهم كيف يغير الله أحوال الناس من خلال إرسال الأنبياء، كل نبيٍّ

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ عبد الله بوفولة، الشيخ الغزالي يتحدث عن ابن باديس، الموقع الإلكتروني الجزائري أونلاين <http://jazaironline.net> تاريخ الزيارة 2019/08/20 في الساعة 11.00.

لظروفه وزمانه وبالفعل أنجزنا 14 أو 16 جلسة لا أذكر...أنهينا عدّة حلقات وكانت فكرة رائعة، واستقطبت عددا كبيرا وقد تتحول من مسجد لآخر¹.

وقد حدثنا كلّ من التقينا به ممّن عرف أحمد الرفاعي أنّ الرجل كان ينتقل إلى المساجد عبر الولايات المختلفة متى وجد فرصة أو وجهت له دعوة، مدرسا ومحاضرا وناصحا موجها، ومن خصال أحمد الرفاعي شرفي أنّه كان بعيد النظر، له رؤية استشرافية للأمر وتوقع مآلات الأحداث، وقد صدق الكثير منها على أرض الواقع، وهذه شهادة مسعود فلوسي بيان لهذه الحقيقة حيث يقول: "عرفتُ الشيخَ الدكتور أحمد الرفاعي شرفي - رحمه الله- عندما كان يأتي إلى مدينة باتنة في الثمانينيات من القرن الماضي، ويلقي دروسا ومحاضرات، ويشارك في ندوات في مساجد المدينة، وقد لفت انتباهي تميز تدخلاته بالنظرات الثاقبة والتحليل العميق لواقع الأمة عامة، وواقع المجتمع الجزائري بصفة خاصة"² ومّا يأسف له المرء عدم تدوين تلك المحاضرات والخطب والمداخلات، مع أنّه أدرك في سنواته الأخيرة وفرة وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي- ولربما كان بعض خطبه ومداخلاته مسجلا - وقد سعت حثيثا للعثور على أي مادة فلم أجد، وأرجو من أهله وأصحابه إبراز تراث الرجل المسموع والمرئي، كما أبرز - رحمه الله- جزءا هاما من تراثه الفكري المكتوب والمدوّن في كتب مطبوعة مشهورة.

الفرع الثالث: إسهاماته في توحيد الجهود الدعوية.

حرص أحمد الرفاعي أيّما حرص على توحيد الجهود الدعوية، وسعى لأجل ذلك كثيرا وبذل جهودا مضيئة، وكتب الرسائل والتوجيهات والنصائح، وأسهم في تكوين رابطة الدعوة الإسلامية وقد توفّي رحمه الله وفي قلبه غصّة ولم جراء تفرق التيارات الإسلامية وتشتت الجهود الدعوية. وكان من مساعيه محاولة توحيد صفوف مختلف التوجهات والتيارات الإسلامية، وكان من المشاركين في تكوين رابطة الدعوة الإسلامية مع الشيخ أحمد سحنون - رحمه الله- والذي كان يعرفه مسبقا بعد الاستقلال، كان عنده توفيق كبير إلى أن تكون لذوي التوجه الإسلامي كلمة واحدة، ولكن ذلك لم يتحقق، وادركته المنية وهو متألم كثيرا لهذا الواقع، عاجلته المنية ولم يتمكّن من تحقيق ما كان يشغل همّه وما كان يعتبره في رأسه³.

¹ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق

² مسعود فلوسي، مع التراث الفكري للشيخ أحمد الرفاعي شرفي، الموقع الإلكتروني الشاملة - <http://shamela.net/?p=590>

dz.net/?p=590 تاريخ المقال: 2017/09/08 تاريخ الزيارة: 2018/02/25 م في الساعة 10.43

³ حسن كاتب، مقابلة شخصية، مرجع سابق

وقد بدا واضحا من خلال كتابات أحمد الرفاعي تأثره مما آلت إليه الصحوة من خلافات ومصالح وأفق ضيق، يقول عن المال السيء لتيار الصحوة: "والصحوة الإسلامية صارت خلافات وصراعات وشعارات ومصالح خاصة، وتبريرات تقسم المسلمين بشعارات الإسلام والإيمان، وتكرس الواقع بكلّ سلبياته بفتاوى غير صحيحة، لا تخدم إلا مصالح الأحزاب والتيارات والجماعات المتصارعة غير قلّة قليلة مهمشة ومنعزلة"¹.

وأمام الوضع الآخذ في التفكك بين أبناء الحركة الإسلامية والصحوة، سعى لإيجاد ميثاق عمل بين الجماعات الدعوية والأحزاب السياسية الإسلامية، وكل المنشغلين بالدعوة، بشرط أن يكون هذا الميثاق ينبذ نزعة الهيمنة والرغبة في الانفراد بالساحة، ويرسي في الوقت نفسه قواعد التعاون والتكامل على أساس التمثيل المتكافئ لكل الجماعات والأحزاب الإسلامية .

ومن الأسس التي فصل فيها أحمد الرفاعي انطلاقا من هذا الميثاق ، ضرورة تنازل كل الجماعات الدعوية والأحزاب ذات التوجه الإسلامي عن بعض مواقفه خدمة للتوافق العام، احترام حرية الفكر والمناقشة والمعارضة وهو أساس التنوع والتنسيق بين التعاون والتعددية، الفصل بين المواقف السياسية والدعوية، وضرورة الالتزام ببنود الميثاق لتكون مرجعا عند أيّ اختلاف، اعتماد الشورى ورأي الأغلبية في المواقف الحاسمة، إنشاء هياكل ومؤسسة وصادر لوائح وتعليمات ترسخ وتشرح الميثاق على الواقع، ومع كل ذلك تحديد أهداف العمل الإسلامي الدعوي².

والمؤسف حقا أن ترى قادة التيارات الإسلامية يُهرعون للاتفاق والاجتماع بسهولة مع التيارات الوطنية والعلمانية وربما بحجة التفتح في حين يستصعبون ذلك أو يمتنعون تماما مع إخوانهم في نفس التيار، يقول جمال زواري: "وللأسف الشديد إنبنى على فشل هذه المبادرة - يقصد رابطة الدعوة الإسلامية بقيادة الشيخ أحمد سحنون رحمه الله- فشل كلّ المبادرات التي تبعتها رغم قلتها، وإلى الآن يعاني المسلمون من هذه العقدة، فتراهم ينجحون في التنسيق مع الجميع من وطنيين وقوميين وحتى علمانيين ولائكيين، ولكن يفشلون في التنسيق فيما بينهم، وإن كنا بدأنا نرى بعض المؤشرات المشجعة في الآونة الأخيرة لمحاولة تدارك الأمر، فبدأنا نلاحظ اللقاءات المشتركة"³.

وبعد المداد الذي سال من قلمه والصحائف التي امتلأت نصحا وتوجيها والأصوات التي تعالت منه خطابة ومحاوره، وكأنّ جهد أحمد الرفاعي ذهب أدراج الرياح فلا الميثاق تجسد، ولا الوحدة

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 14.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 755.

³ جمال زواري أحمد، الحركة الإسلامية في الجزائر: قراءات ومراجعات، ط 1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص 73.

الإسلامية تحققت، ولا كلمة الدعاة تجمعت، ولا الحركة الإسلامية تمكنت. توفي أحمد الرفاعي وهو حزين على الفرقة بين التيارات الإسلامية، وكان واقع حاله، يعبر عنه لسان مقاله: متى تتوحد أمة التوحيد؟.

المطلب الثاني: المؤلفات الدعوية والمقالات الصحفية.

الفرع الأول: الكتب المؤلفة.

عُرف عن أحمد الرفاعي شرفي أنه صاحب قلم، يكتب الكثير سواء في المجلات والصحف أو من خلال تأليف الكتب، ولأن الرجل كان صاحب فكر ودعوة فقد استغل فرصة الطباعة ليدون علمه وفكره مسطوراً للأجيال. ومن الكتب المطبوعة والتي ناهزت الثلاثين كتاباً نجد أغلبها تتعلق بالجانب الدعوي والفكري الحضاري، وفي ما يلي إشارة إلى بعض تلك الكتب المطبوعة (القائمة الكاملة لمؤلفات أحمد الرفاعي وضعت في الفصل الأول من الباب الأول عند الحديث عن رصيد الرجل ونتاجه العلمي).

1. القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين.
2. السيرة النبوية الشريفة: دلالات وعبر
3. قضايا إسلامية: مراجعات ومناقشات.
4. جراح التاريخ وعاهاته.
5. الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات.

هذه بعض العناوين التي طبعها أحمد الرفاعي شرفي في حياته والتي تُعنى بالدعوة الإسلامية، (وبقية الكتب المذكورة في نتاجه العلمي في الفصل الأول) وحسب بعض المقربين والمعارف فإن أغلب هذه الكتب المشار إليها والمطبوعة كتبها في سنوات عمره الأخيرة يعني بعد تجاوز السبعين سنة من عمره، وتشير بعض المصادر إلى أنه ترك مخطوطات كثيرة تنتظر النشر والبيان للناس.

الفرع الثاني: إسهامات أحمد الرفاعي شرفي الصحفية في خدمة الدعوة.

عُرف أحمد الرفاعي شرفي بمقالاته التحليلية الكثيرة، فقد كتَبَ في الصحف الوطنية المختلفة وفي المجالات المتنوعة، حيث أنه أدرك باكراً أهمية الصحافة ومالها من دور في نشر أفكاره وتوصيلها بأسهل الطرق وأسرعها لأكبر عدد ممكن من القراء عبر القطر الجزائري، كما كان للصحافة دور كبير في نشر أفكار وأراء واصلاحات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وفي أعوامه الأخيرة اتجه إلى الكتابة، وكان له قلم دائم الحضور يكتب مقالات يومية، وكتب في عدة صحف، وكان يرد على بعض الأمور التي يراها جديدة بالرد، هذا بالتزامن مع الدروس التي كان

يلقيها في مسجد الفتح بقسنطينة، ثمّ مسجد أبي أيوب الأنصاري بسيدي مبروك وأحيانا مسجد حمزة بقسنطينة أيضا¹.

أحمد الرفاعي وبشهادة مقربيه كان صاحب قلم سيّال يكتب في الشؤون الثقافية والدينية والفكرية والأدبية، كما كان دائم المساهمة بمقالات ودراسات في الميادين المختلفة، والكتاب الذي صدر عن مؤسسة الرجاء بعنوان (آلام في الصحوة والدعوة)² كان الرجل قد اقترحه بنفسه قبل وفاته³ جمع فيه الأستاذ علي بن الطاهر الكثير من هذه المقالات والمساهمات، ومثله كتاب (مراجعات في زمن الوهن)⁴ الصادر عن دار ابن خلدون والذي جمع فيه الأستاذ أبو أسامة عمر خلفه ما نشر في الصحف والمجلات لأحمد الرفاعي وما أجراه من مقابلات وحوارات صحفية.

والمتمعن في تلك المقالات وبعض العناوين يجدها تشي بالمضامين والأفكار التي كان يهتم بها - رحمه الله - بما ويعنى ببيائها والإفصاح عنها في كتاباته، فانظر إلى هذه العناوين كأمثلة: (أوراق في المستقبليات: (المسلم الواعي رهان المستقبل)، (صناعة الإنسان)، (وطن الجميع)، (ماذا نريد؟)، (نهاية عصر الرؤية المزدوجة)، (أزمات المسلمين ودلالاتها)، (قيمة الكلمة)، (نصيحة لولاة الأمور)، (المزيد من السجون ليس حلا)، (حقوق وواجبات المواطنة) وعلى هذا النحو القيم كان أحمد الرفاعي شرفي -رحمة الله عليه- يتخيّر موضوعاته، ويكتب في الشأن الأهم وبالطريقة المناسبة وفي الوقت المناسب، وكان ذلك جزء من منهجه في العمل والدعوة والإيقاظ؛ حيث كان تقديره للكلمة لا حدّ له⁵.

ومن المسؤوليات الإعلامية التي تقلدها أحمد الرفاعي منصب مدير ورئيس التحرير لمجلة الإرشاد الشهرية التي أنشأتها جمعية الإرشاد والإصلاح سنة 1989م، يقول الصادق سلامية: "كنت أحد كتاب مجلة الإرشاد وأحد صحفييها وأضطرّ في غياب التكنولوجيا الحديثة في ذلك الوقت كالفاكس والانترنت، وحتى لا أزعج الدكتور من خلال الإملاء الطويل الممل عبر الهاتف إلى ركوب القطار من

¹ حسن كاتب، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

² آلام في الدعوة والصحوة، كتاب يجوي مجموعة من المقالات التي كتبها أحمد الرفاعي شرفي، جمعها علي بن الطاهر، يقع الكتاب في 375 صفحة من الحجم المتوسط، صادر عن مؤسسة الرجاء للنشر بقسنطينة، 2018م.

³ علي بن طاهر، مقابلة شخصية، مقر جريدة الجمهور، قسنطينة، بتاريخ: 2019/12/12م، في الساعة 11.00.

⁴ مراجعات في زمن الوهن، كتاب يجوي مجموعة من المقالات التي كتبها أحمد الرفاعي شرفي والحوارات الصحفية معه، جمعها أبو أسامة عمر خلفه، يقع الكتاب في 802 صفحة من الحجم المتوسط، صادر عن دار ابن خلدون، الجزائر، 2020م.

⁵ ينظر: حسن خليفة، أحمد الرفاعي.. مفكّر زاوّه القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

العاصمة إلى قسنطينة لأخذ الافتتاحية التي يكتبها الدكتور للمجلة يدا من يد وأعود إلى العاصمة في اليوم نفسه"¹.

إنَّ ما نشر لأحمد الرفاعي شرقي من مقالات هو نزر يسير من مجموع كم هائل من مقالات ابداعية تتعلق أغلبها بالشأن الجزائري، وتخص جميع شؤون الحياة التي تهم المواطن الجزائري "وكأنه كان يقرأ الواقع الجزائري ويعبر عنه في كثير من الكتابات تأييدا أو رفضا أو توجيهها، نشر أقلها وما تزال المثات من المقالات تنتظر النشر في أرشيفه الخاص في بيته، وبعضه ربما كان عند زملائه، منها الكثير من المقالات التحليلية عن الواقع والحاضر المتشعب المركب، سياسة وفكرا وثقافة ودينا واقتصادا واجتماعا تربية وسياسية وخلقاً².

وممارسة أحمد الرفاعي للصحافة لم تكن حرفة له أو هواية، بل كان رحمه الله يتخذها وسيلة ورسالة، يعبر من خلالها عما يجول في خاطره ويبلغ ما يريد إبلاغه لجمهوره ولعامّة القراء بأسلوب سهل وميسور وبلغة فصيحة بسيطة وإيجاء كبير.

لم يكن أحمد الرفاعي شرقي صحفيا بالمعنى الإعلامي المعهود، لكنه كان يتعامل مع الصحافة في مجال متخصص ليس في الأخبار، فهو لم يكتب شيئا في الأخبار إطلاقا ولم يكن مراسلا صحفيا لأي جريدة باستثناء عمله بإذاعة صوت الجزائر في العراق، كان كاتباً متعاوناً مع مختلف العناوين الصحفية المتاحة له في مجالين اثنين فقط، المجال الأول مجال دعوي بحت، حرص فيه على تعليم الكتاب والسنة، لاسيما في رمضان الكريم والثاني هو المجال الاجتماعي من خلال الكتابات الاجتماعية التي تحاول أن تُصلح الواقع الاجتماعي على كل الصعد³.

وما زال الكثير من يتذكر ما كانت تنشره الجرائد والمجلات لأحمد الرفاعي شرقي، خاصة في سنوات بداية التسعينيات من القرن الماضي، حيث بدأت التعددية الإعلامية مع التعددية السياسية، يقول مسعود فلوسي عن هذه المرحلة: " كانت مقالاته تحذر من المخاطر التي يمكن أن تقع فيها البلاد جراء الأزمة التي دخلت فيها حينئذ. ولا تزال ترد إلى خاطري جملة قالها في إحدى الحوارات التي أجريت معه، وهي قوله: (ديمقراطية الحكم شكلية، والمرشح لوراثة هو المال والسلطان، وليس العلم والأخلاق)، وقد تحققت هذه المقولة بكل تفاصيلها في واقع المجتمع الجزائري، كما هو مُشَاهَد"⁴.

¹ ينظر: الصادق سلامية، مرجع سابق.

² ينظر: حسن خليفة، أحمد الرفاعي.. مفكرٌ زاهد القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

³ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مصدر سابق.

⁴ مسعود فلوسي، مع التراث الفكري للشيخ أحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق.

ومواضيع أحمد الرفاعي لم تكن ذات توجه أو تخصص واحد فهي عامة شاملة لكلّ القضايا التي تمّ الوطن والأمة الجزائرية والمواطن المسلم حيثما كان، يقول أحمد الرفاعي عن مقالاته: "أيها القارئ الكريم إنه لا يمكنني أن أحدثك عن قصة كل مقال أو خاطرة على حدى، وحسبك ما أمكن تسجيله، و هو أن هذه المقالات في مجموعها كانت همي بالليل والنهار، وبعد كل حدث سلمي أقول لا بدّ من كلمة وكلمة وكانت هذه المقالات"¹.

وقد تحدث أحمد الرفاعي عن مقالاته والهدف من ورائها، ومما جاء في وصفه: "هذه المقالات في مجموعها جملة مشاعر، وخواطر تتعلق بالدعوة وبالصحوة أو التيار الإسلامي كما كنت أحلم به وأتصوره، وما كان ينبغي أن يكون عليه لا كما هو في الواقع، والفرق بين واقع الصحوة أو التيار الإسلامي كالفرق بين الحقيقة والواقع الذي قد يكون نقيض الحقيقة"².

وبخصوص الكتابة الصحفية لأحمد الرفاعي فقد نشرت مقالا أكاديميا بعنوان: (الكتابة الصحفية عند أحمد الرفاعي شرفي) في مجلة المعيار بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المجلد 24 العدد 02 الصادرة بتاريخ جوان 2020م.

المطلب الثالث: معالم دعوية من السيرة النبوية.

كان اهتمام أحمد الرفاعي بالدعوة الإسلامية جليا في كلّ ما كتب، وفي باب السيرة استخلص الكثير من الدروس والعبر والعصائب البليغة، وانتقد بعض كتب السيرة بسبب الإخلال الواضح - كما يراه- في بيان تفاصيل دعوة النبيّ - صلى الله عليه وسلم- سواء في حجمها أو في تفاصيلها. وممّا عاب أحمد الرفاعي عن كتب السيرة خلوّها من الكثير من الحقائق والتفاصيل خاصّة في المرحلة السريّة وكلّ ذلك ممّا يحتاج إليه الدعاة الى الله في كلّ زمان ومكان. يقول الكاتب الرفاعي: "إنّ كتب السيرة النبوية، وكتب التاريخ عامّة لا تكاد تذكر شيئا من تفاصيل الأعمال الدعوية للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- في هذه المرحلة التأسيسية الحاسمة في تاريخ الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ- ولو أحصينا ما ذكر عن هذه الفترة الممتدة على مدى ثلاث سنوات لوجدناه لا يكاد يغطي أحداث أشهر معدودة من السنة الواحدة، أما ما بقيّ من أحداث المرحلة السرية وقضاياها وأنشطتها الدعوية والتربوية والتنظيمية فهو ما زال سرا لم يفتح الباحثون ولا الدعاة إلى الله أفقه بعد"³.

¹ أحمد شرفي الرفاعي، آلام في الدعوة والصحوة، مؤسسة الرجاء للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2018م، ص 03.

² المرجع نفسه، ص 01.

³ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 58.

كما يشار أيضا إلى ما أدخل للسيرة وهو ليس منها، وما وضع من اسرئيليات أو ما وضعه المستشرقون تلفيقا وتزويرا غير خاف على الدارسين، وعليه فواجب الثبوت والتحقق مطلوب، وأيضا القراءة الواعية للسيرة بأدوات التحليل والتعليل مطلوبة لاستهتام المزيد من دروس الدعوة. "إنَّ سيرة محمد - صلى الله عليه وآله - كسائر العظماء أضيف إليها ما ليس منها، إمّا عن حبّ وهوى وحسن نية وطويّة، وإمّا عن حقد وسوء قصد متعمد، ولكنها تمتاز عن سيرّ جميع العظماء بأنّ شيئا كثيرا منها ضمه الوحي الإلهي وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيرا منها مروى على لسان الحفاظ الثقات من المحدثين. فعلى هذه الأسس الصحيحة يجب أن تبنى السيرة، وأن تحلل التحليل العلمي النزيه بملاحظة ظروف الوسط وحال البيئة وجوانبها المختلفة من عقائد ونظم وعادات وتقاليد وطقوس، وأن لا يبنى الأساس على المعجزات والكرامات وخوارق العادات إلا ما خرج بالدليل بل يبنى على أساس أنّ الله أبي أن يجري الأشياء إلا بأسباب اللهم إلا ما خرج بالدليل الثابت المعقول"¹.

وتسبب ترك غياب التفاصيل عن بعض أحداث السيرة فراغا في مسيرة الدعاة يضيف أحمد الرفاعي: "ولعل ذلك من أسباب إخفاق الكثير من الجهود الدعوية قديما وحديثا لكونها بدون أسس واضحة وبدون مناهج محدّدة، وبدون مرجعية علمية معروفة كما رسم النبي - صلى الله عليه وسلم - للمسلمين، كلّ ذلك في سيرته الزكية ومنذ أول وهلة حتى لا تختلط الدعوة والقضية بالمصالح أو الطموحات أو الصراعات الجاهلية على زعامة أو رئاسة أو غير ذلك، وكلّ هذه المعاني ينبغي تجديده الاهتمام بها تصحيحا للمسار والمفاهيم، والغايات في واقع الصراع المعاصر بين الجاهلية والإسلام"².

تتجلى من خلال هذه العبارات دعوة أحمد الرفاعي لتجديد المسار والمفاهيم، بالقراءة الواعية والمتفحصة لأحداث السيرة النبوية، وإحداث إسقاطات عن واقع النّاس المشوب بكثير من الاهتمامات، وبالبصيرة الثاقبة المدركة لفقه السيرة، يمكن الوصول إلى حلول جذرية لشتى المشكلات وهكذا يمكن أن تواكب الدعوة الخالدة مسيرة الانسانية بصورة واقعية وليست شكلا فقط أو ادعاء دون واقعية في الطرح.

إنّ الدعوة إلى الله أمر جليل وشأنها عظيم يبيّن أحمد الرفاعي في الكثير من المواقف: "أنّ أمر الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ - ليس أمر تصريحات، أو شعارات ترفع، أو خطب تلقى، أو كتب تؤلّف، وإنما هي مواقف وممارسات حقيقية وواقعية، تجسد العبودية والولاء له وحده، ولا أثر فيها لشهوة أو مصلحة. إنّ النبوة من هذا المنظور مثلها مثل الدعوة الأصلية الصادقة إلى الله - عزّ وجلّ - تتمثل في

¹ محمد الهادي اليوسفي الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج1، ط1، أضواء الحوزة، لبنان، 2012، ص32.

² أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص58..

عدد من الواجبات التي يؤديها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويؤديها الدعاة الصادقون، وهي بالنسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة تتمثل في:

- تلقي الوحي من الله - عزَّ وجلَّ - عن طريق جبريل عليه السلام.
- التبليغ عن الله - عزَّ وجلَّ - بأمانة وعلم وعزم.
- التبيين لما أنزل الله تبارك وتعالى، والإرشاد إلى مقاصد والتعليم والتذكير والإفتاء والقضاء فيما يحدث المسلمين أو بينهم من مشكلات¹.

وهذه المهام لها قدر كبير وشأن عظيم فتبليغ رسالة الإسلام واجبة والعمل على بيانها للناس واجب أيضا، ومن تلك الواجبات التي يسهب أحمد الرفاعي في بيانها وشرحها: التذكير والموعظة لتثبيت جديد الإسلام والإيمان، ومواجهة جديد الواقع وتحديد الموقف منه، ومواجهة خصوم الإسلام والرد على مكائدهم ومقالاتهم، إرشاد المسلمين وتوجيههم إلى ما يقتضيه الإيمان من أخلاق وآداب وحماية المسلمين من عدوان الجاهلين وخاصة المستضعفين، والجهاد وإقامة سلطان الدين².

وتتحلى من خلال هذه الواجبات التي بينها أحمد الرفاعي معالم فكره الدعوي، والمتمثل في إبلاغ رسالة الإسلام للناس بحكمة وروية، وإرشادهم للخير والفلاح، وحماية المسلمين من كلِّ عدوان، والردَّ على كلِّ الشبهات، وفي حال العدوان الغاشم إحياء الفريضة الغائبة الجهاد في سبيل الله.

والمتمعن في أحداث ومراحل السيرة، يدرك أيضا وسائل الدعوة ومناهجها بعيدا عن الأهواء والمصالح الضيقة والاعتبارات الشخصية والميولات، فالدعوة اتصال بالناس وللاتصال بالآخرين فنون وآداب وقواعد يفصل أحمد الرفاعي في بعض تلك المواصفات الواجبة في الداعية: "إنَّ كيفية الاتصال بالناس بدورها قضية تحتاج إلى منهج وتحديد وضبط ومقاييس إذ ليس من الحكمة ولا من العقل مباغثة النَّاس حتى الأصدقاء بالحديث عن النبوة والرسالة بدون إعداد وتمهيد وتقدير لردود أفعالهم، ومن كلِّ الاعتبارات السابقة وغيرها اقتضت حكمة الله - عزَّ وجلَّ - أن تبدأ النبوة أو الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بمرحلة سرية تتاح فيها الفرصة للداعي والمدعو للدرس والتأمل قبل تحديد الموقف"³.

إنَّ بداية الدعوة بالمرحلة السريّة تتضمن حكما بالغة الأهمية، ولعل من أبرزها عدم فتح باب المواجهة مع من سيعارض الدعوة حينما يراها لا تخدم مصالحه الخاصة، ومن الحكم الجلييلة أيضا كسب وجوه محبة وخيرة يُرجى منها الخير لتكون عوننا في المرحلة التالية، وكلّ ذلك يعطي دعما وسندا للمرحلة

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 51.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 54.

القادمة الحاسمة، فالأمر القادم ليس هينا ولا يسيرا ولذلك كان واجب الاعداد أمرا محتوما. يقول أحمد الرفاعي شرفي عن هذه المرحلة وخصوصيتها:

"إنَّ الأمر ليس أمر مصلحة معروفة في النمط الجاهلي وعاداته وتقاليده، وليس أمر شهوة كذلك بأنواعها ودواعيها وغير ذلك، وإنما هو أمر جديد تماما على ذلك الواقع، إنَّه أمر دين جديد وإيمان وكفر وجنة ونار، جملة كبيرة من المفردات والمصطلحات الجديدة التي تكون في مجموعها نقلة نوعية للعقل البشري في تصوراته ومدركاته ومجالات فاعليته، وكل ذلك يحتاج إلى وقت للإعداد والدرس، والفهم، والافتناع، كل ذلك تقتضيه حكمة الله -عزَّ وجلَّ- وقد تمثل ذلك كلَّه وتمَّ في دار الأرقم"¹.

وهكذا يجب على الداعية أن يكون كيِّسا فطنا مبدعا، بدون التخلي عن معين السيرة العطرة مستلهما منها الدروس من خلال ما بذله النبيُّ الكريم -صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام من جهود مضيئة وجهاد كريم لنشر عقيدة الإسلام، فضلا عن تبليغ الوحي. يصف أحمد الرفاعي تلك الجهود في التبليغ والبيان بالقول:

"في السيرة النبوية عامَّة يتبين الجهد الكبير الذي بذله النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- ومعه السابقون من المهاجرين في نشر عقيدة الإسلام وبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وهذا الجانب من السيرة يصحح ظنا شائعا وغير صحيح، وهو أنَّ النبوة تتمثل في التبليغ والبيان دون غيرها من مقتضيات الدعوة، بينما الحقيقة تتمثل في كون النبوة جهدا بشريا رساليا غير عادي يبذله الأنبياء عامَّة وبذله رسول الله أمام الأنبياء وأولي العزم خاصة يتمثل في رعاية كل من آمن بالله ورسوله إيمانيا ونفسيا واجتماعيا وماليا وأمنيا"².

وبتمام الدعوة المحمدية بين مكة والمدينة كانت صورة المجتمع الاسلامي المنشود قد اكتملت معالمها وجسد المسلمون بقيادة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- صورة الدين الرباني المتكامل الذي ارتضاه الله لعباده لتسير حياة النَّاس وبه يعبدون ربهم، يقول أحمد الرفاعي عن تلك المرحلة المثالية والنموذجية من الإسلام والتي يجب أن تكون وتبقى للمسلم أنموذجا يحتذى.

"كلَّ ذلك تمَّ في عهد النبوة بما تمثله من رعاية الله -عزَّ وجلَّ- ورحماته وكونها الشاهد المصدق على أنَّ حقيقة الإسلام (القرآن والسنة) تجسدت في الواقع، وتطابق فيها الجديد الرباني مع الواقع أو الإسلام، أو الجديد الرباني في أحسن وأفضل صورة يمكن أن تتشكل فيها المعاني السابقة وتتجلى في نطاق الفطرة وقدرات الإنسان واستعداداته للرقى والتطور في اتجاه الاستقامة باعتبارها الميزان الرباني

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص54.

² المرجع نفسه، ص217.

لتقويم الجهد البشري، وذلك ما عبّر عنه القرآن بقول الله - عزّ وجلّ-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 110]¹.
إنّ حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - من الميلاد إلى الوفاة تعطينا ملحمة عظيمة وهي سيرة
عطرة لا مثيل لها، وليست دروسها من المستحيل بمكان، فرائدها - عليه الصلاة والسلام - كان بشرا
وسيرته تدل على كل ذلك. ويبقى الواجب على كل مسلم الاقتداء بها في كلّ شؤون حياته - صلى الله
عليه وسلم - قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 21]

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 58.

خلاصة الفصل:

من خلال مادة هذا الفصل المتعلقة بقضايا الدعوة، تبين لنا أنّ أحمد الرفاعي كان يحمل خطاباً دعويًا متميزًا متمثلًا في الدعوة إلى الله وكلّ ما يقرب إلى الله، ويشمل ذلك خيرى الدنيا والآخرة، ودفعت الظروف السائدة في الأمة الإسلامية ومنذ أزمنة بعيدة وإلى اليوم، دفعت بأحمد الرفاعي لأن يستلّ قلمه ويعبر بلسانه عن واقع الأمة، فكانت تلك هي المنطلقات الفكرية للرجل، وهي متعددة ومتنوعة بين الواقع والثقافة والسياسة والتربية والفكر والحضارة والمجتمع وقضاياها.

لقد عمل أحمد الرفاعي كثيرًا على توضيح تلك قضايا الدعوة وبسطها للنقاش والإثراء والتحليل والنقد الموضوعي، كما أبرز الرجل أهمية الدعوة إلى الله، ويكفيها شرفاً أنّها مهمة الأنبياء والمرسلين ومجالاتها واسعة، ولا تقتصر على باب واحد، فكما أنّ الإسلام شامل فكذلك الدعوة بابها واسع وشاملة، وكان لأحمد الرفاعي منهج وأسلوب متميز في تحليل قضايا الدعوة. كلُّ ذلك سطره في منهج الدعوة كما كان يراه في مراحل متتالية وبوسائل مختلفة ومتطلبات لا بد منها.

إنّ ممارسة أحمد الرفاعي الدعوة إلى الله استمرت ردحا من الزمن في مواقع ومواضع شتى منها منابر المساجد وقاعات المحاضرات ومدارج الجامعات، وكل مكان تتاح له فيه الفرصة لا يتوانى في استغلال الفرصة، لممارسة الدعوة وكان يعتبر ذلك واجباً، وهو الذي يعلم أهمية الدعوة إلى الله وأهدافها وأسبابها وأساليبها ومراحلها وقد بيّن كلّ ذلك، وكان له خطاب دعوي متميز فكانت له البصمة والأثر الواضح الجليّ في الميدان من خلال الممارسة الدعوية، خطابة وتأييلاً وجهوداً اصلاحية مختلفة، وقد خلّد رحمه الله بعض ذلك في محاضراته ومؤلفاته المتنوعة.

لقد كان لأحمد الرفاعي جهد ملموس في ميادين الدعوة: كتابة وخطابة وفي الصحافة، وفي باب النصح والتوجيه، وكانت له مبادرات لتوحيد الصفّ الإسلامي والحركي الدعوي، مستمداً من السيرة النبوية كأفضل منهج تاريخي على الإطلاق في الدعوة إلى الله - عزّ وجلّ -.

تلك هي الجهود الدعوية للرجل، وتلك هي المحطات التي شكلت مضمون:

القضايا الدعوية في فكر أحمد الرفاعي.

الفصل الرابع

رؤية أحمد الرفاعي شرفي

لمسألة الصحة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي حول الصحة

المبحث الثاني: أهمية وأهداف ومرتكزات الصحة

المبحث الثالث: واقع الصحة الإسلامية وجهود الرفاعي

في ترشيدها

مدخل الفصل:

عاشت الأمة الإسلامية في مجد وسؤدد ومكانة مرموقة فترة طويلة من الزمن، كانت بداياتها مع التمكين للدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة بقيادة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم الخلافة الراشدة، ورغم ما حدث بعدها من هزات، إلا أنّ المجد كان لا يزال قائما والتوسع لا يزال مستمرا والحكم الراشد لا يزال ماثرا، وظلّ الحال على ما هو عليه ما شاء الله من الزمن، ثمّ بدأت علامات الوهن والضعف تدب إلى جسد الأمة لينتشر الداء رويدا رويدا، وتبدأ الجراح النازفة والآلام الحادة تنهك الجسم الضعيف، فسقطت الأندلس بعد عزّ وتمكين، وبعدها بقرون فُقدت أراضي المسلمين الواحدة تلو الأخرى وبلدانهم لمستعمرات طاغية، وضاعت في الخضمّ فلسطين ومعها العراق وأفغانستان، وأصبحت أمتنا هي الأضعف بين الأمم.

أمام هذا الوضع والذي لا يليق بأمة الإسلام قام رجال ومصلحون ودعاة عبر الأزمنة المذكورة بالعمل على إعادة قاطرة الأمة إلى مسارها الصحيح، فكانت محاولات جادة، وكانت نهضة للشعوب من حين لآخر تبشر بالخير.

وفي عصرنا انطلقت مسيرة الصّحوة الإسلامية وبدأ نجمها في البروز والتصاعد، كان الكثير يراها بعث دعوي جديد لأجل نهضة قويّة للأمة، لكن القليل من المفكرين من تساءل بعمق وجد عن حقيقة ودلالة الصّحوة وماذا تعني عبارة الصّحوة؟ هل هي مسألة فكرية وتعني النهضة أو اليقظة؟ أم هي بدالاتها الحضارية تعني التطور والتغير؟ أم أنّها قضية إيمانية وتعني التوبة الى الله - عزّ وجلّ -؟ أم هي سياسية وتعني معارضة الأنظمة الحاكمة أو ارشادها وتصحيحها؟ دلالات كثيرة تتوارد إلى الذهن عند ذكر عبارة (الصّحوة) الأمر الذي أعطى للعبارة أكثر من مفهوم ومعنى، وقد سبّب ذلك بعض التناقض والتنافر في المعاني والأهداف والغايات، وسبّب هزاتٍ وارتداداتٍ للصّحوة وجرّ إلى حالة من عدم الاستقرار، وربما جرّ أيضا إلى مشكلاتٍ وأزماتٍ تحسّر بها الطاقات وتهدر بسببها الجهود على المستويين الوطني والدولي¹.

تساؤلات كثيرة طرحها أحمد الرفاعي بنفسه، ونعيد نحن طرحها، ومعها تساؤلات أخرى تتمثل جميعها في بيان مفهوم الصّحوة وأهدافها ومرتكزاتها، وسبب اخفاقاتها، ومعوقاتنا الحالية، وجهود الرفاعي في ترشيدها. تلك التساؤلات ومن خلال مادة الإجابة عنها، تعطينا مضمون:

مسألة الصّحوة الإسلامية في فكر أحمد الرفاعي شرفي.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 09.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي حول الصحوة.

المطلب الأول: تعريف الصحوة.

الفرع الأول: تعريف الصحوة لغة.

صَحْوَةٌ [مفرد]: ج صَحَوَاتٌ وصَحَوَاتٌ: اسم مرّة من صحا: وعى وشعر وأدرك "صَحْوَةُ المريض/النائم- الصَّحْوَةُ الإسلاميَّة"¹.

والصَّحْوَةُ من صحو، الصَّحُو: ذهاب الغيم، تقول: السماء صحو، واليوم صحو، وأصحت السماء فهي مصحية ويوم مصح. والصحو: صحا الرجل وصحا قلبه يصحو². وتأتي الصحوة ويراد بها: ارتفَاعُ النهارِ، قال ابن منظور في لسان العرب: والصَّحْوُ: والصَّحْوُ: ذهابُ السُّكْرِ وتَرْكُ الصَّبَا والباطل³.

وعليه فالصحوة في اللغة لا تخرج عن معاني اليقظة والوعي والشعور، والانتباه والفتنة بعد غفلة أو غفوة.

الفرع الثاني: تعريف الصحوة اصطلاحاً.

تعددت تعاريف الصحوة الإسلامية لكنها لا تخرج في أغلبها عن المعنى الموحد والذي لا يتعد عن المعنى اللغوي في الدلالة عن معاني اليقظة والوعي التي شعر بها المسلمون بعد غفلة طويلة وسبات عريض.

ومن أشهر التعاريف ما ذكره مهدي العطار: "الصحوة الإسلامية الظاهرة الاجتماعية التي تعني عودة الوعي للأمة وإحساسها بذاتها، واعتزازها بدينها وكرامتها واستقلالها السياسي والاقتصادي والفكري، وسعيها للنهوض بدورها الطبيعي في بناء حضارة الإنسان باعتبارها خير أمة أخرجت للناس"⁴. وفي هذا التعريف ربط الصحوة بالظواهر الاجتماعية، وقد كان أنصار الصحوة غالبيتهم من أبناء المجتمع.

¹ أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ط1، عالم الكتب، السعودية، 2008، ص1273.

² ينظر: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، ج3، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، د ت، ص268.

³ ينظر: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 14، ص453.

⁴ مهدي العطار، مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة الإسلامية وتلبية حاجاتها الفكرية، الموقع الإلكتروني: الحوار اليوم

http://www.alhiwartoday.net/، تاريخ الزيارة: 2020/02/22م، في الساعة: 14.00

وعرفها محمد عمار بقوله: "ذلك التيار العريض المتعدّد الفصائل والمستويات الذي يسعى إلى تجديد الدّين الإسلامي لتتجدد به دنيا المسلمين"¹.

والصحوة الإسلامية تتعلق بالمسلمين وبأحوالهم التي أصابها الوهن والضعف، أما الإسلام فهو صاف محفوظ من ربّ العالمين يقول محمد بريش من رابطة العالم الإسلامي: "الصحوة الإسلامية نريد بالموصوف المجتمع الإسلامي وليس الإسلام. فالإسلام لا غفوة له، ولا نوم يعتريه، فهو نور وهاج يشع على الدوام، وقلب نابض يخفق باستمرار إلى ما شاء الله. والغفوة التي اعترت المجتمعات الإسلامية كانت غفلة من تلك المجتمعات عن الإسلام، وليست بأي حال غفوة الإسلام"².

وعليه فالصحوة الإسلامية نهضة فكرية وعودة حميدة للدين: دعوة وتحكيما وتطبيقا في واقع الناس، بعد غفلة من المسلمين وعجز وضعف وهوان، والإسلام من هذه الغفلة براء.

الفرع الثالث: مفهوم الصحوة عند أحمد الرفاعي شرفي.

تعريف الصحوة الكثيرة والمتنوعة لم تكن أحمد الرفاعي عن الخوض في بيان كنهها، وطرح تعاريف خاصّة به، وفيها التميّز أيضا، فالرجل ومن خلال اطلاعه وتجاربه ومعايشته للأحداث شعر بحاجة الأمة للصحوة، وكان أحد أقطاب الصحوة الحديثة ببلاد الجزائر.

إنّ الرغبة في الوصول إلى تحديد معنىً لعبارة الصحوة يجب أن يكون معه أيضا تحديد معنى كونها (إسلامية) فهذه الكلمة كما يقول الرفاعي رغم وضوحها وجلالها وبيان معناها إلا أنّها مع الصراع المذهبي والطائفي المحتدم، صارت تدل على معان متداخلة أحيانا ومتضاربة في أحيان كثيرة، فهل هي تعني عامّة المسلمين وبخلافاتهم المعاصرة وانقساماتهم التاريخية المعروفة؟ هل المقصود إسلام المذاهب الفقهية؟ أم إسلام الطرق الصوفية؟ أم إسلام الفرق الكلامية؟ أم إسلام الملوك والرؤساء؟ أم إسلام الأغنياء؟ أم إسلام الشيوعيين والعلمانيين؟ أم إسلام المثقفين والأكاديميين؟ أم إسلام عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين؟ أم إسلام من سقطت بغداد في عهدهم؟ أم إسلام من ضاعت الأندلس في عصرهم؟ أم إسلام عهد الاستعمار والقهر الصليبي؟ أم إسلام الاشتراكيين؟ أم إسلام الجماعات المتصارعة؟ أم إسلام الأحزاب المتناحرة؟ أنواع وأنواع من الإسلام في الواقع والتاريخ؟ والمسلمون على مشارف المستقبل، فأين أنواع الإسلام تتبناه الصحوة وتدعو له؟³.

¹ محمد عمارة، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، الموقع الإلكتروني للموسوعة الشاملة، <http://islamport.com/>، تاريخ الزيارة: 2020/01/20، في الساعة: 12.00.

² بريش محمد، أمراض الصحوة الإسلامية، الموقع الإلكتروني شبكة الألوكة، <https://www.alukah.net/>، تاريخ الزيارة: 2020/03/12 في الساعة: 09.33.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 09.

إنَّها فعلا تصنيفات كثيرة، حتى أصبح الوافد للإسلام تتقاذفه أمواج التيارات والمذاهب والجماعات وكلُّ يدعي وصلا بالإسلام، فكيف لهذا الوافد الجديد وللكتير أن يعرف أيُّ إسلام هو الأصل، وأيُّ صحوة إسلامية نريدها من بين كلِّ ذلك؟

والحقيقة أنَّ الصحوة لا يمكن أن تصنف لتيار دون آخر أو مجموعة دون أخرى فهي عامّة شاملة، وهي تفاعل مباشر مع الواقع بكلِّ مكوناته، لا يمكن حصرها ولا فرض الوصاية عليها من أحد، شأنها شأن موضوع الدعوة الإسلامية التي لا تقبل إلا وصاية الله وحده وستة النبيّ -صلى الله عليه وسلم - عدا هذا فهو تزييف للدعوة وتشويه لها¹.

إنَّها صحوة عامّة للمسلمين ليست صحوة الملوك والرؤساء ولا صحوة الأحزاب والتيارات، ولا صحوة الاختلاف والانقسام والصراع والتفكك، فكلُّ ذلك ليس من الصحوة ولا من الإسلام وإنَّما هو تيه وضلال، إنَّما الصحوة الإسلامية المنتظرة هي صحوة العودة إلى القرآن والسنة، صحوة وحدة المسلمين وتحرير الدين من الوصاية السياسية، وتحرير الإرادة المجتمع الانساني من قيود السياسة².

وبالإضافة إلى تحديد معنى كونها إسلامية لا بدّ من بيان وتحديد وضبط دقيق للمرحلة الزمنية التي سبقت الصحوة، يتساءل أحمد الرفاعي عن الفترة التي سبقت الصحوة وكيف يمكن تسميتها "هل نسميه عهد الجمود؟ أم الغفلة؟ أم انعدام الوعي؟ أم عهد المعاصي والذنوب؟ أم عهد الانحرافات؟ أم عهد الخيانات؟ أم عهد القصور و التقصير؟ أم عهود الطغيان والاستبداد؟ أم عهد الرذّة؟ أم عهد كلِّ ذلك وغير ذلك؟ احتمالات عديدة وهواجس وشكوك وظنون تنتاب ضمير كلِّ مسلم من حين لآخر"³.

وأمام هذه التعريفات المتنوعة والتساؤلات المسبقة يقدم أحمد الرفاعي رؤيته للصحوة بالقول: "عبارة (الصحوة الإسلامية) مفهومها الصحيح: أن يعود المسلمون إلى العمل بالقرآن والسنة، لكون ترك العمل بالقرآن والسنة بدءًا بتغيير نظام الحكم أدى إلى غياب الوعي العقدي الصحيح وإحلال الوعي المزيف محلّه ممثلا في تسييس الدين والخلافات والفرقة والانقسامات وتفكك الكيان الإسلامي"⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص336.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص74.

³ المرجع نفسه، ص12.

⁴ المرجع نفسه، ص73.

ولم يقتصر أحمد الرفاعي عن هذا التعريف للصحة، والذي ربط فيه مضمون الصحة بضرورة العودة إلى الكتاب والسنة، فذكر أيضا من جملة التعاريف الأخرى معنى آخر للصحة وهو مرتبط بالقائم بالصحة.

ولأنّ الصحة إنّما هي وعي أصيل وعميق وشامل لا بد أن يقوم بها رجال همّهم الإسلام، هو عندهم قضية كبرى تنطلق من منظور وقيم وأسس القرآن والسنة، ومن وفقه الله للقيام بذلك فهو الإنسان المسلم الصاحي الواعي¹.

هذا التصور لمعنى الصحة هو ما كان أحمد الرفاعي يأمل أن تكون عليه الصحة الإسلامية، وما يجب عليها، وأول تلك الواجبات وأهمها العودة الجادة إلى كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - لأنه بسبب ترك الأمة الاحتكام للكتاب والسنة غاب الوعي العقدي وتششت كيائها وضعفت وهانت، وبالرجوع إليهما تستعيد المجد وتكون صحة حقيقية من جديد.

المطلب الثاني: لمحة عن بدايات ومسيرة الصحة الإسلامية.

لقد حاول المسلمون إصلاح أوضاعهم منذ بدايات تفجر الأزمات في الأمة الإسلامية، وعلى عدة جبهات كانت محاولات الإصلاح والتغيير، يعتقد أحمد الرفاعي أنّ أكثر تلك المحاولات لم تفلح ومن ذلك محاولات العباسيين، والتي أدت إلى اسقاط دولة بني أمية، ومحاولة الأدارسة في المغرب التي عمّقت الجراح ولم تجد حلولا لما كان قائما من مشكلات، وعلى جبهات أخرى محاولات أخرى للإصلاح، فقد ظهرت حركة ثقافية واسعة ومتعددة المجالات من محدثين ومفسرين ولغويين ومؤرخين وأدباء وغيرهم كما ظهرت تيارت فكرية عديدة من معتزلة ومتصوفة وسلفية وفلاسفة وعلماء الكلام، ومع كلّ التنظير والرؤى إلا أنّ أزمات المسلمين بقيت عالقة وانقسامات المسلمين واختلافاتهم في تزايد واستمرار، وقد ظلّ الوضع كما هو عليه وأحيانا أكثر سوءا، وفي ذلك الوقت سقطت بغداد مرتين، وسقطت الأندلس، وسقطت فلسطين، وانقسمت الكثير من البلدان الإسلامية عن نفسها، ورغم ظهور عشرات المصلحين في كلّ دولة إسلامية إلا أنّ الانقسام طال حتى التيارات الواحدة والتوجهات الواحدة ذات المنطلق الواحد، لتبقى الأزمة لا تفارق المسلمين².

وفي العصر الحديث وبعد سقوط الخلافة الإسلامية بدأ الأفراد والجماعات في محاولات لاستعادة ما يمكن استعادته فجاءت حركة الإخوان المسلمين في مصر، وقد تميّزت بقوّتها وتأثيرها وانتاجها

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، سلبيات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور الجديد، العدد 02، قسنطينة، 14 فيفري 2001، ص 09.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، ط1، دار الهدى عين مليلة- الجزائر، 2013، ص 60.

وتوسعها وتغلغلها في المجتمع، وكان من الزعماء المصلحين حسن العطار¹، ثم جاء تلميذه رفاة الطهطاوي² يطالب بالتجديد للذات الإسلامية بالإحياء والمستفادة من العلوم الغربية، ثم جاء جمال الدين الأفغاني³ بمشروع الجامعة الإسلامية مع الإمام محمد عبده⁴، وتولى نشر هذا الفكر الإمام محمد رشيد رضا في مجلته الشهيرة - المنار - ثم جمعية العروة الوثقى، وجمعية أم القرى في نهاية القرن التاسع عشر، ثم تشكلت في الكثير من البلاد الإسلامية الأخرى تيارات وجماعات مماثلة مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر وغيرها، ممن كان له انتماءه الوطني والإسلامي، ولم تقتصر الصحوة الإسلامية على الحركات والتنظيمات الإسلامية، فكانت هناك مؤسسات رسمية ترعى نشاطات ثقافية وفكرية هامة مثل الأزهر الشريف وملتقيات الفكر الإسلامي من تنظيم وزارة الشؤون الدينية بالجزائر⁵.

لقد بذل الدعاة المسلمون جهودا طيبة في سبيل إعلاء كلمة الله، ونشر هذا الدين بين الأمم والشعوب، وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة، وإرجاع الهيبة للقيم المهدورة التي حلت بدلا عنها موارث فاسدة، ومع كل هذا الجهد المبارك إلا أنه يجب الاعتراف بأن أخطاء وقعت في خلال المسيرة الإصلاحية تلك، وحدثت زلات كبرى كان لها الأثر السيء على مسيرة الدعوة وعرقلتها، يرى أحمد الرفاعي شرفي أنه لا يمكن الحديث عن أخطاء الصحوة دون النظر في أخطاء التاريخ عامة لأن الأخطاء الحديثة هي انعكاس وامتداد لتلك القديمة يقول أحمد الرفاعي في هذا: "والدارس للتاريخ يلاحظ أن

¹ حسن العطار ولد بالقاهرة سنة 1182 هـ (وهو مغربي الأصل)، عالم وفقه وأديب، تولى مشيخة الأزهر ولديه مؤلفات كثيرة، توفي سنة 1250 هـ. (ينظر: الزركلي، الإعلام 2/220)

² رفاة رافع الطهطاوي (1801-1873) ولد بمصر وتعلم بها ثم سافر للخارج وتعلم بفرنسا وتأثر بالانفتاح وبالفكر الغربي حينما من الزمن، له إسهامات كثيرة في إصدار المجالات وانشاء دور الترجمة، ترك آثار متنوعة منها المرشد الأمين في تربية البنات والبنين. (ينظر: جمال الدين الشيال، رفاة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي)

³ جمال الدين الأفغاني: محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفاضل الذين قامت على سواعدهم نخبة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد بأفغانستان سنة 1838م ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وكان عارفا باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، كان واسع الاطلاع، كريم الأخلاق، كبير العقل، قصد مصر فنفع فيها روح النهضة الإصلاحية في الدين والسياسة، وتلمذ له الشيخ محمد عبده وكثيرون. توفي بالآستانة سنة 1897م. من مصنفاته: تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين. ينظر: الزركلي، الإعلام، 6/169.

⁴ محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ومن دعاة تحرير الفكر من قيد التقليد، تولى منصب القضاء، ثم مفتيا عاما للديار المصرية، ولد عام 1849م وتوفي بالأسكندرية سنة 1905م، ترك عدة آثار منها: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد، وشرح نوح البلاغة. ينظر: الزركلي، الإعلام، 6/252.

⁵ ينظر: حسين بن سعيد الحسنية، مقالات في الصحوة الإسلامية، موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/>، تاريخ الزيارة: 2019/07/14 في الساعة 22.00.

أخطاء المسلمين عامة ليست حديثة فحسب، وإنما هي أيضا قديمة قدم تاريخهم الحضاري باستثناء عهد النبوة والخلافة الراشدة، بل إنَّ مجمل سلبات واقع المسلمين العقدي والفكري السياسي والثقافي الاجتماعي والاقتصادي، إنما هي نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية لم تعالج بعد. ومما سبق يتبين أنَّ التساؤل ينبغي أن يكون عن كلِّ أخطاء المسلمين، وعبر كلِّ تاريخهم باستثناء عهد النبوة والخلافة الراشدة فهي امتداد له في قيمه ومفاهيمه ومبادئه وموازينه¹.

وتتضح رؤية أحمد الرفاعي من خلال التساؤل عن الخلل في مسيرة الصحوة الإسلامية في الجزائر وغيرها إذ يعتبره تساؤل غير منهجي ومنطلق غير صحيح في طرح اشكاليات الواقع الإسلامي فهو يرى أنَّ الصحوة الإسلامية ماهي سوى امتداد تاريخي لمحاولات الإصلاح السابقة بما لها وما عليها، وبما مرَّ عليها من ظروف ومحنٍ وإحزٍ ورزايا فهي في الحقيقة حلقة إضافية من سلسلة طويلة بذات المفاهيم والقيم والأهداف العامة المرجوة².

إنَّ بدايات الصحوة - كما تمَّت الإشارة إليه سابقا- كانت قديمة وأسبابها كانت متعددة، منها ما كان داخليا مثل شعور المسلمين في مرحلة ما أو مراحل مختلفة بأنهم خلفاء الله في الأرض مطالبون بالقيادة والريادة والإصلاح، ليس لأوضاع المسلمين فحسب، بل حتى للإنسانية جمعاء بما تضمنه الدين الحكيم من تشريع قويم صالح لكلِّ الأزمان الأمم والشعوب، ومن الأسباب الخارجية افتتان الأمة المسلمة بالحضارة المادية الغربية، الأمر الذي أدى إلى انحسار الإسلام في حياة المسلمين وانبهارهم بالحضارة الغربية، لكن سرعان ما تبين زيف تلك الحضارة الغربية وما تحمله من أخطار للمسلمين ولل البشرية ككل، هذه الحقائق فتحت عيون كثير من الضحايا المغلوبة المقهورة ممَّا دفعها للبحث عن منقذ، فانبهر خير العلماء والمصلحون ونتيجة لردود الفعل الحاصلة من الاحتكاك الحضاري والمواجهة العنيفة بين الإسلام والحضارة المادية، لمقاومة الهيمنة الفكرية والسيطرة الأجنبية باسم الإسلام واحساساً بمسؤولية الأمر المعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ممَّا مهَّد لهذه الصحوة انطلاقتها في عصرنا الحاضر³.

ومع فترة حرب الخليج الثانية حيث كانت الصحوة المعاصرة في أوجها في أغلب البلاد الإسلامية وفي الخارج أيضا، إلا أنَّ احتلال العراق وما تلى ذلك من تصدعات وتداعيات، بدأت الحركة الإسلامية في التملل والارتباك، في تلك الفترة لم يكن أحمد الرفاعي يرى أنَّ هذه عقبة وخسارة للحركة الإسلامية وعلى النقيض من ذلك يعتقد أنَّ الخاسرين هم من انكشف زيفهم وذلك وقرَّ على الصحوة جهدا

¹ أحمد الرفاعي شرفي، سلبات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

² ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ ينظر: مهدي العطار، مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة الإسلامية وتلبية حاجاتها الفكرية، مرجع سابق.

ومعارك ووقتا، حينها كانت الصحوة أمام امتحان مصيري يقول الرفاعي: "والأولوية مرة أخرى أننا أمام امتحان مصيري فإمّا أن تكون الصحوة في مستوى مرحلة ما بعد حرب الخليج، أعني مرحلة الرفض الحاسم لقيّم ومفاهيم النقد والتجديد الواعي، وإمّا أن تستمر الصحوة بمفاهيم وأخطاء ما قبل الحرب، وحينئذ سيضعها التاريخ في خانة واحدة مع من تجاوزه الزمن من أنظمة وأوضاع بالية لا قدر الله ذلك"¹ وكأنّه يتكلم عن واقعنا اليوم حيث لم تستفد الحركات الإسلامية من تلك التجربة وصرنا كمن تجاوزه الزمن كما قال - رحمه الله-.

ومع هذا الوضع الكئيب بلغ الحال بأحمد الرفاعي مبلغا كبيرا من الأسى، إلى أن وصل إلى درجة اليأس أو يكاد، وقد كتب يتساءل عن حقيقة الخطاب الإسلامي المعاصر وكأنّه ينطلق من مجهول، خاصّة بعدما رأى من سلوكيات وتصرفات بعيدة عن أخلاق الإسلام فلم يعد يستصيح أنّ أشخاصا عقيدتهم صحيحة ويؤمنون بملاقاة الله وأيديهم ملطخة بالدماء أو يرضون لأنفسهم منزلة التمني على الله أو بموضع الخزيّ والذلّ أمام الله بما اقترفت أيديهم من أخطاء، وهنا تساءل عن مصداقية الشعار الذي يرفعه الإسلاميون وكأنّه كلمة حقّ أريد به الباطل².

لقد تأثر أحمد الرفاعي كثيرا بالتجربة الحزبية للإسلاميين، ورغم الشعارات الإسلامية المرفوعة إلا أنّ الواقع يخالف ذلك في الكثير من المواقف يقول الرفاعي: "ذلك أنّ الذي يرفع شعار الإسلام تبقى مرجعيته الوحيدة إلى أن يموت هي مرجعية القرآن والسنة فقط بمعايير ثلاث فقط وهي مرضاة الله - عزّ وجلّ- وما ينفع عقيدة الإسلام وما يصلح أمر جميع المسلمين، وما لم يتحقق شيء من هذا فباطل باطل وما هي إلا شعارات وأسماء يتاجر بها القوم ما أنزل بها من سلطان، إن هي إلا حيل حزبية وسياسية لأكل أموال الناس بالباطل"³.

وفي المقابل لا يمكن إنكار ما قدمته الصحوة للأمة من فضائل وإيجابيات، من أعظم المكاسب التي حققتها الصحوة نشر العلم الشرعي، وبثّ الوعي بين العامّة والخاصة، حيث قادت الجامعات الإسلامية والمساجد نهضة علمية واسعة الانتشار، وقد ساعد الدعاة والعلماء في أداء رسالتهم عددٌ من الوسائل المتاحة في ذلك الحين؛ كالشريط والكُتبيات والإذاعة، كما أسهمت الجامعات الإسلامية في نشر التراث الإسلامي وإخراجه بأفضل صورة من خلال الرسائل والبحوث الجامعيّة⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، حوار مع زين الدين بوحنيكة، جريدة النور، العدد52، قسنطينة، 06 أبريل 1992م، ص08.

² ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ ينظر: إبراهيم بن عبدالعزيز الخميس، هل ستغفو الصحوة، مقال بالموقع الإلكتروني شبكة الالوكة،

<https://www.alukah.net/>، تاريخ الزيارة: 2020/12/12م، في الساعة:12.00.

وما زالت آثار الصحوة بارزة وشاهدة رغم الاخفاقات المسجلة، فالوضع الحالي رغم ما فيه من صعاب وحصار أحسن بكثير من وقت المد الشيوعي وحصار الشعوب من طرف الأنظمة التي تتبع الاستعمار الذي خرج قريبا من الكثير من الدول المسلمة بجيوشه، لكنه بقي مسيطرا بسلطاته على الكثير من شؤون الحياة العامة للشعوب.

المطلب الثالث: مواقف الرفاعي من مسألة الصحوة الإسلامية.

الفرع الأول: اهتمام أحمد الرفاعي.

لقد كانت الصحوة الإسلامية الحديثة من أبرز المحطات في تاريخ الجزائر المعاصرة، وكان أحمد الرفاعي -بحسب مقريه والمهتمين بالدعوة- واحدا من قادة هذه الصحوة، وإن غيبه الإعلام وتجاهلته التيارات الحزبية ذات التوجه الإسلامي، فهو واحد من أبرز قادتها - وربما تميّز عن الكثيرين - باعتباره كان شخصية علمية مرموقة يعمل بفكر حضاري بعيد المدى وبنظرة استشرافية طموحة، كان موجهها ومرشدا وناصحا لقادتها ولزعماء الأحزاب والجمعيات والمنظمات الإسلامية، يقول أبو جرة سلطاني: "وفي كل أسفاري معه رغم بعد المسافات كان يحدثني عن كيف نهض بالصحوة الإسلامية وأنه لا بد لها من تأليف الرجال، ولذلك كان معجبا بشخصية ابن باديس في ذلك"¹.

اهتمام أحمد الرفاعي بأمر الصحوة نابع من اهتمامه بقضية الدعوة المأمور بها شرعا، ولافت جدا اهتمامه أيضا بفكر ابن باديس وهذا مما يشير إلى التأثير الكبير بمنهج وفكر جمعية العلماء عموما وابن باديس خصوصا، وأثر ذلك في تكوينه الدعوي والفكري.

إن إسهامات أحمد الرفاعي وبشهادة أقرانه ومتابعيه كانت واضحة في الصحوة، وقد تجلت أيضا في النصائح التي كان يُقدمها لترشيد عمل الحركات الإسلامية حتى لا تكون عرضة للتيهان والضياع والانحراف عن المنهج.

عندما جاءت الصحوة الأولى في الستين 1978م/1979م، ساهم فيها مساهمة واسعة جدا، وكان يقوم بدور كبير من خلال المحاضرات التي كانت تُلقي في التجمعات والملتقيات والجامعات الصيفية والدروس التي كان يلقيها في مسجدي أبي أيوب الانصاري ومسجد الفتح بقسنطينة، والمحاضرات التي كان يلقيها في الجامعة كأنشطة مكتملة، والكتابات التي كان يكتبها في مختلف الجرائد والمجلات التي كانت في ذلك الوقت، المؤلفات التي كتبها تدور كلها حول هذه الفكرة التي تدعو إلى أن يُشرح التاريخ

¹ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

وأن نعلم صلتنا بالكتاب والسنة، وأن نربي أنفسنا أولاً على ما ربي به ربنا رسوله عليه السلام عندئذ يمكن أن نُخْرِجَ للنَّاسِ¹.

إنَّ عدم انتماء أحمد الرفاعي للأحزاب جعله بعيداً عن قيادتها، ومع ذلك فقد كان يسعى لتوصيل أفكاره للقادة والأتباع، عبر مختلف القنوات خاصة الصحافة الوطنية، فكان قلمه لا يتوقف عن النصح والتوجيه والإرشاد، فكتب عشرات المقالات التوجيهية والتحذيرية، والتي كانت - حسب المهتمين - تتميز بالواقعية والشمولية، وقد وصف - رحمه الله - تلك المقالات بالقول: " هذه المقالات في مجموعها جملة مشاعر وخواطر تتعلق بالدعوة وبالصحوة أو التيار الإسلامي كما كنت أحلم به وأتصوره، وما كان ينبغي أن يكون عليه لا كما هو في الواقع، والفرق بين واقع الصحوة أو التيار الإسلامي كالفرق بين الحقيقة والواقع الذي قد يكون نقيض الحقيقة، فواقع الصحوة أو التيار الإسلامي بما وقع فيه من أخطاء، هو نسخة طبق الأصل من المسيرة التاريخية للمجتمع الإسلامي بكل ما عرفته من مآسي وانكسارات، بينما كان المؤمل أن يكون تيار الصحوة هو المرهم والدواء الذي يعالج كلَّ جراح التاريخ وعاهاته، لولا أن أجهضته الصراعات والخلافات التي لا مبرر لها غير حبِّ الزعامة وحبِّ الرئاسة، وإيثار الدنيا على الآخرة"².

ورغم أنه لم يكن منتبهاً سياسياً إلا أنه كان يؤمن بالعمل المؤسساتي المنظم والمهيكل حتى لا تضع الجهد هدراً وتذهب سداً، يقول الطيب برغوث أن أحمد الرفاعي " كان يراهن على الصحوة أن تتمثل هذه المآثر، وتستعيد روحيتها وأخلاقيتها ورسالتها في حياتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولم يكتب بالمرهنة العاطفية، بل انخرط بكلية في عمق الصحوة، ومضى أبعد من ذلك فانضوى في مؤسسة من مؤسساتها الحركية، باحثاً عن المزيد من فعالية الأداء الاجتماعي له وللصحوة، لإيمانه الراسخ بأنَّ الجهد الجماعي المؤسساتي، القائم على الإخلاص والصواب والتراكمية التكاملية المطردة، هو أساس التغييرات والنهضات الكبرى في التاريخ"³.

لقد أشار الأستاذ الطيب برغوث إلى مسألة جوهرية هامة متمثلة في العمل المؤسسي القائم على أساس الإخلاص والجدية، وحقيقة لا بد من استفادة الدروس والعبر والتجارب وعدم الرجوع إلى الوراء، وعدم اليأس من العودة القوية، فالحديث عن المستحيل لا قيمة له حسب أحمد الرفاعي ولذلك أقترح على أبناء الصحوة في الجزائر وغيرها على ضوء أحداث أكتوبر 1988م، أن يسارعوا إلى تأسيس حركة

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرفي، هذه المقالات، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 01

³ الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعالة، موقع وجريدة الشروق، مرجع سابق.

دعوية علمية، تُعيد الاعتبار إلى الدعوة تجديدا وتأصيلا شرعيا وفكريا، وبذلك يحققون الكثير والكثير الطيب للإسلام و لأنفسهم عند الله -عز وجل- وبدون ذلك سيظلون في حلقة مفرغة لا يستطيعون الخروج من سجنها أبدا¹.

ومما حرص عليه أحمد الرفاعي في كتاباته حول الصحوة، قضية مراجعة المفاهيم وتصحيح القناعات التي شكلت منطلقا مهما لكلّ القائمين والفاعلين وأتباع الصحوة، حتى لا يختلط التاريخ بالمستقبل ويصبح التاريخ فصل قديم يجتر فيه الأتباع الأخطاء، ذلك مع وجوب نبذ التبرير والترقيع والتسييس ووصايات المرجعيات التقليدية المسيسة غير المجدية تاريخيا وواقعا وعمليا، وقد أثرت كثيرا على مسيرة الحركة الإسلامية².

الفرع الثاني: جهود أحمد الرفاعي في ترشيد الصحوة.

إنّ ترشيد الصحوة الإسلامية عمل جبار، وتكمن أهمية ذلك في أهمية الصحوة ذاتها، وليست الصحوة نزوة عابرة أو فكرة شكلية بل هي مستقبل دين، ولسنا نقصد حفظه وضياعه فهو محفوظ من ربّ العالمين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر. الآية: 09]. وإتّما نقصد التمكين لهذا الدين، وأن يرجع له مجده وأن يطبق في حياة الناس.

ونظرة أحمد الرفاعي للصحوة مثلها من خلال ما كتب وألف بقوله: "إنّ هذه المشاعر أو الخواطر هي التي طرحت فكرة تشريح التاريخ بعد أن تبين أنّ مشروع الصحوة عند البعض مقال بليغ أو خطبة جمعة حماسية، أو تذكير المسلمين بأمجادهم التاريخية الوهمية أو الحقيقية، أو فتوى، أو سباب وشتيم إلى غير ذلك ممّا سبقت الإشارة إليه، بينما مشروع الصحوة في الحقيقة وبأبعادها الحضارية يطرح على المسلمين قضايا جوهرية تختلف جذريا وكلية عن المفاهيم العامّة لمشروع الصحوة ومن ذلك: لماذا نحن المسلمين في حاجة إلى الصحوة وقد كنّا خير أمة أخرجت للناس بشهادة ربّ الناس سبحانه وتعالى؟ بماذا تسمي ما قبل الصحوة؟ هل هو جمود أم ردة أم انحراف"³.

ويتساءل أحمد الرفاعي شريفي: ماذا نريد من عودتنا إلى ربنا أو ديننا أو هويتنا؟ هل نريد أن تكون قوّة استعمارية جديدة؟ هل نريد أن نتقم ممن ظلمونا؟ وسفكوا دماءنا؟ ونهبوا ثرواتنا؟ هل نريد السيطرة على غيرنا اقتداءً بغيرنا من اليهود والنصارى؟ هل نريد استغلال غير المسلمين؟ ونهب ثرواتهم وتدمير مصالحهم كما فعل الاستعمار الأوربي؟ هو اجس وخواطر شتى، بل مخاوف واشاعات وتهم يُعبر عنها

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق. ص 731

² ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 12.

³ المرجع نفسه، ص 15.

بصراحة أعداء المسلمين من اليهود والنصارى لتخويف غير المسلمين من المسلمين إن عادوا إلى دينهم، وهو كما يصوره الإعلام الصليبي هو محض ارهاب، كلّ هذه القضايا كما سبق القول ترتبط بمشروع الصحوة كما ينبغي أن يكون لو توفرت للصحوة قيادة راشدة تنطلق في مشروعها من أحداث التاريخ كأساس وحيد لفكرة الصحوة أو لماذا نحن المسلمين في حاجة إلى الصحوة؟¹.

إنّ جهود أحمد الرفاعي في ترشيد الصحوة لم تكن نظرية فقط. فقد انخرط أحمد الرفاعي في جمعية العلماء الجديدة بعد بعث نشاطاتها، فكان موجهها وناصحا وكان يضع الخطط والبرامج والمناهج "وفي عهد عبد الرحمن شيبان كان حريصا أن يكون حاضرا، وأن يساهم بقدر ما يستطيع على ترشيد الصحوة، فقد كان موجهها ومرشدا ومثبنا في عمق الصراع في التحولات التي حصلت ولكن كان موجهها ومرشدا ومثبنا لهذا التيار الذي كان يرى فيه قدرة على أن يصل بالإصلاح إلى نقطة مهمة"².

والتساؤل المطروح هو لماذا لم تلق الجهود التي بذلها أحمد الرفاعي في ترشيد الصحوة آذانا صاغية من لدن أغلبية المهتمين بالصحوة والعاملين فيها؟ ومع العمل غير الممنهج وغير المدروس لمآلات القضايا، انفلتت بعض الأمور وتميّعت وضاعت أو تكاد جهود حصاد السنين من عمل الدعاة والخيرين "وعندما اندلعت الصحوة كان يرى أنّها طفرة، وإذا لم تكن لها أصول ثابتة ومتجذرة في الكتاب والسنة، وفي النفس البشرية سوف ينتهي أمرها إلى أن تنحرف أو تتبدد جهودها أو تحترق وبالفعل كانت نظريته صائبة حسب مقريه وقد كشف الزمن بين 1988م و1995م أنّ الرجل كان ينظر بنور الله تعالى وأنّ الصحوة الإسلامية إذا لم تستند إلى قاعدة عميقة في النفس، وأن تستمد قوتها من الكتاب والسنة تكون طفرة جماهيرية واسعة ربما ولكن تنتهي إلى السقوط"³.

تجلى حرص أحمد الرفاعي في أمر الصحوة من خلال ما كان يوجهه من نصح وعتاب للقائمين على أمرها والمتصدرين للمشهد الدعوي، معبرا بأنّ الصحوة حادث جديد لا بد أن يلقي الاهتمام الكبير، وأنّه لا بد أن ترجع إلى أصولها المتمثلة في نصوص الوحي، وإن هي أخلت بالسنن فمصيرها الاحتباس أو الإفلاس.

إنّ هذه النظرة الثاقبة التي كان يتميز بها أحمد الرفاعي والاستشراف القوي -حسب مقريه- لم تكن لدى الكثير من أبناء الصحوة وقادتها، فبعد أن كان يحذر من بعض التصرفات والتصريحات والمخاطر المحدقة بالتيار الإسلامي لم يكن يُصغى إليه، وبعد سنوات عجاف وقد تأكّدت رؤى الشيخ

¹ ينظر: المرجع السابق، ص16.

² المرجع السابق، الصفحة نفسها.

³ أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق

وتوقعاته تراجع الكثير وأدركوا قيمة ما كان يرمي إليه أحمد الرفاعي. وبعد سنوات طوال وبعد تجارب سياسية مريرة أدرك بعض المنشغلين بالسياسة بعدما كان همهم الأول هو الدعوة إلى الله، أدرك هؤلاء ما كان يرمي إليه أحمد الرفاعي شرقي بنقده للممارسات السياسية والبعد عن الدعوة وما سببته عليه مستقبلا من خيبات متكررة وبُعد عن المنهج القويم، يقول أبو جرة سلطاني بعد سلسلة الأحداث التي أوصلت الوضع إلى ما عليه الآن: "لقد سببنا الصحوه فاختلفنا، وحرزنا الدعوة فجمدنا، ونقلنا الإسلام من القيادة إلى الاقتراح فضاع شعارنا، وتحولت وسائلنا إلى غايات، فانخفض سقفنا وصغرنا في عيون الناس وصرنا أضيق من الأيتام في مأدبة اللثام ونحن اليوم بين خيارين، إمّا أن نكون أهلاً لإعادة بعث الصحوه وإمّا أن نرتقب حالة استبدال بقوم غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا، كذا كان يعتقد الرفاعي - رحمه الله-¹.

وحدث أنّ المصير الذي انتهت إليه الصحوه من التفكك، والتمزق والانحيار والأزمات، والخلافات، والصراعات، وذلك ممّا كان ينبه عليه أحمد الرفاعي ويحذر منه، وكلّ ذلك كان النتيجة الحتمية لحركة لم تنطلق من تحليل التاريخ بعمق ودراسة مستفيضة، وتعليل أحداثه المختلفة السلبية منها والايجابية، وتقويم نتائجه بعلم وبموضوعية، وأمانة ومسؤولية علمية حضارية².

و حدث ارتكاب جملة من الأخطاء من طرف أهل الصحوه وقادتها جعلها تنتهي إلى ما انتهت عليه من انحيار وانحسار، ومن تلك الأخطاء استمرار مفاهيم الاقصاء ورفض حقوق المعارضين، وتبني العنف من طرف فئة من أبناء الصحوه واعتباره حلاً لمشكلات المسلمين أو اعتباره الوسيلة الوحيدة الأنبج والأنبج. وذلك في مجموعه جعل مشروع الصحوه يقع في خطأ إرادة علاج مشاكل وقضايا ق 15هـ بذهنية ومفاهيم وقيم ق 01 هـ معتبرا الصحوه ماهي سوى امتداد للحقبة الأموية وما بعدها في قيمها ومفاهيمها دون المرور بالتاريخ تحليلاً، وتعليلاً، واستنتاجاً، لاستخلاص عبر الأحداث، وبخاصة حدث تفكك الكيان الإسلامي، وانحيار الحضارة الاسلامية، وعليه فالصحوه لم تكن سوى مجرد مظاهر جزئية وظرفية مكانية خاصة³.

والذي يتأسف له أهل الحركة والدعوة أنّ الحركة الإسلامية الجزائرية على مدار تاريخها، لم تستطع أن تؤسس لمرجعية شرعية وفقهية وفكرية ودعوية، تساهم في ضبط البوصلة كلما حدث الشطط، وتوفر

¹ ينظر: أبو جرة سلطاني، فقدنا رجلاً من جيل الصحابة، جريدة الشروق، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، دار الهدى، عين مليلة، ط1 الجزائر، 2012، ص82.

³ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحصانة الفكرية والشرعية لعموم الساحة الدعوية والحركية بمختلف مكوناتها وتفرض حالة من الوعي والاتزان الفقهي والعلمي والفكري والدعوي وحتى السياسي داخل الساحة الإسلامية¹.
ومن الواجب على المهتمين بالحركات الإسلامية الدعوية من القادة والمفكرين إيلاء الاهتمام بالتكوين الشرعي للقائمين بالدعوة على الخصوص، وبأنصار الدعوة عموماً، يقول محمد البيانوني: "أهمية تعميق الدراسات الشرعية عامة والأصولية والفقهيّة خاصة عند أبناء الدعوة الإسلامية، ولا سيما دراسة القواعد الشرعية، بجميع أشكالها وأنواعها، لتكون دعوتهم إلى الله عز وجل على بصيرة وعلم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف. الآية: 108]².

هذا ليس من نافلة الدعوة، بل هو من عزائمها وواجباتها التي لا يمكن أن تقوم إلا بها، فالدعوة علم وفن وممارسة، ولا يمكن لمن لا يملك تلك الوسائل والأدوات أن يأتي بها.

القادر للعلوم الإسلامية

¹ ينظر: جمال زواري أحمد، الحركة الإسلامية في الجزائر: قراءات ومراجعات، مرجع سابق، ص 21.

² محمد ابو الفتح البيانوني، القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، ط 1، دار إقرأ للنشر والتوزيع، الكويت، 2011، ص 165.

المبحث الثاني: أهمية وأهداف ومرتكزات الصحوة.

المطلب الأول: أهمية الصحوة.

بعد فترة طويلة من الركود والمآسي عرفت فيها الأمة سباتا وضعفا وهوانا وتأخرا، مسّ مختلف جوانب حياة الإنسان المسلم حتى صار وجوده كعدمه على هذه البسيطة، لا وزن له في الساحة الدولية ولا كلمة له ولا موقف مؤثر، وبعد هذا السبات العميق كان لا بد من استفاقة قوية، ونهضة بعد موات، وإقلاع بعد ركود وطول قعود، وهو ما عبّر عنه الكثير من أعلام الفكر والدعوة والحركة بالصحوة الإسلامية.

والحقيقة أنّ هذه الصحوة المرجوة في ظلّ العجز الإنساني القوي عن إصلاح الفساد والطغيان المنتشران في العالم، وبالنظر في التاريخ الإنساني المثخن بالجراح الحافل بالفساد وخلفياته وآثاره المدمرة وغير ذلك، يمكن أن تكون الصحوة الإسلامية علاجا وأملا للإنسانية جمعاء وليس للأمة الإسلامية فحسب¹.

وبهذا المنظور فهي تعدّ ضرورة إنسانية يستوجبها الواقع الإنساني الفاسد، والتاريخ الحافل بالفساد بخلفياته وآثاره المعروفة، ويبررها كذلك عجز قوى الواقع الإنساني عامّة والإسلامي خاصة عن إصلاح الفساد أو إيقاف مده وطغيانه وفشل التجارب العديدة، كلّ ذلك يجعل الصحوة الإسلامية هي أمل الإنسانية كلها².

لقد كان للصحوة فضل كبير في تعليم الناس فضائل وآداب شتى، وقد عدد علي الصلابي في مقال له حول (علمتني الصحوة الإسلامية) الكثير من المزايا التي تدلّ على أهمية الصحوة. ففي الصحوة تعرف الاعتزاز بالانتماء للإسلام، وأهمية طاعة الله ورسوله، وتدرك عظمة الأمة المكافحة والمجاهدة عبر السنين حتى انتشر الإسلام في أصقاع الأرض، وأنّ الاختلاف بين المدارس الفكرية في أصله للتكامل والتناصح، وفيها تتعرف عن الحرية والكرامة والعدالة والصبر على الابتلاء، وأهمية السلم، وضرورة الدعوة وأهميتها وأساليبها من خلال تجارب الدعاة والعلماء عبر أجيال مختلفة، وأنّ ارادة الشعوب ستنتصر بإذن الله، وأنّ الصحوة الإسلامية شرف يتسامى وغرس رباني يُؤتي ثماره في كلّ حين بإذن ربه³.

¹ ينظر: أ حمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص74.

² ينظر: المرجع نفسه، ص73.

³ ينظر: علي الصلابي، علمتني الصحوة الإسلامية، الموقع الإلكتروني علي الصلابي، <https://alsallabi.com/>، تاريخ الزيارة:

2020/05/08 م في الساعة: 11.15.

والواقع الإسلامي اليوم يختلف تماما عن المجتمع الإسلامي الأول وعن المجتمع الإسلامي المأمول والمرتبجى، إذ لا مجتمع ولا دولة للمسلمين بالمعايير الإسلامية المحكمة، وإنما المسلمون اليوم مجرد أفراد تستضيفهم القوة غير الإسلامية، والأنظمة غير الإسلامية، حلولهم مستوردة ومشاكلهم مصدرة إليهم من الخارج، وضعهم مزري مثخن بالجراح، دماء ودموع، حقوقهم هدر، وطاقاتهم معطلة أو مسخرة في خدمة الغير، أو مستغلة من طرف أعدائهم، يرى أحمد الرفاعي أمام هذا الوضع أنّ الصحوة الإسلامية وحدها هي الأمل والدواء، فلا يجب أن تضيع الفرصة هدرا وتضيع معها فرصة الإقلاع الحضاري الجديد¹.

المطلب الثاني: أهداف الصحوة.

يتساءل الفرد المسلم الواعي: لماذا هذه الصحوة؟ و هل الواقع الذي أعيشه وأعاني منه واقعا إسلاميا؟ أم غير إسلامي؟ وما هو الحل؟ من تسبب في كل هذا؟ ولماذا؟ هذه التساؤلات المشروعة تجعله يرسم الأهداف الحقيقية من الصحوة المرجوة².

ولاشك أنّ الصحوة إنّما جاءت لتحقيق أهداف شتى، وتريد الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى وضع أحسن من الوضع القائم ومن الأوضاع البائسة التي مرّت على الأمة، يرى أحمد الرفاعي أنّ الهدف الأسمى للصحوة يتمثل في إقامة سلطان الدين بعيدا عن كل أشكال وصور الحكم والتسلط.

يقول أحمد الرفاعي في بيان هدف الصحوة: "وأما هدف الصحوة فهو إقامة سلطان الدين (القرآن والسنة) في النفوس، وبعد ذلك أمر المسلمين شورى بينهم، فهدف الصحوة ليس إقامة حكم، ولا تسلط على غير المسلمين، ولا الانتقام ممن ظلموا المسلمين، كلّ ذلك تمم باطلة يُرَوِّج لها خصوم الإسلام تنفيرا من الإسلام، الصحوة ليس إجبارا للناس على الإيمان بالله - عزّ وجلّ - حتى بالنسبة للمسلمين، فمن أصرّ على ضلاله وفجوره فحسابه على الله إلى أن تتأسس السلطة الشرعية الشورية المقيمة لحدود الله - عزّ وجلّ - من غير إكراه و لا تزوير"³.

إنّ الصورة التي يرسمها غير المسلمين للمسلمين قائمة للغاية، حيث يسعى الإعلام الغربي الصليبي إلى وسم الإسلام بالإرهاب والظلامية وأنّ من مبادئه قطع الأيدي والجلد والرجم وإكراه الناس على الدخول فيه، وبعضهم يصور المسلم على أنّه رجل شهوة ومتعة وتعدد، وفيما يخصّ قضية السلطة والحكم والمعارضة فهي قضايا كثيرة مشهورة وتحتاج إلى بيانها في صورتها الحقيقية وكل هذه القضايا ترتبط

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن لأحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق، ص24.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص12.

³ المرجع نفسه، ص73.

بمشروع الصحة كما ينبغي أن يكون لو توفرت للصحة قيادة راشدة تنطلق في مشروعها من أحداث التاريخ كأساس وحيد لفكرة الصحة، أو لماذا نحن المسلمين في حاجة إلى الصحة¹ ؟

وتعد أهداف الصحة عند أغلب الدارسين هي نفسها أهداف الإصلاح المنشود، يقول محمد بكار: "أهداف الإصلاح يجب أن تكون دائما واسعة ومتعددة، حتى يجد أي مسلم خير المجال الذي يلائم إمكانياته وظروفه، وسيكون حشر أعداد كبيرة من الناس في مجال واحد كالوعظ أو التربية أو السياسة أو تعليم الناس الفقه شيئا غير جيد؛ لأنه سيذكي روح الخصومة والمنافسة بينهم، والأهم من هذا أن مجالات أخرى عديدة ستكون شبه مهملة، ومن هنا فإن فتح كل ما يمكن فتحه من مجالات الإصلاح والتغيير يظل شيئا جيدا ومثمرا، وعلينا دائما أن نتذكر قوله -صلى الله عليه وسلم-: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»²؛ حيث إنه يشير على نحو خفي إلى أهمية أن يجد كل مسلم قادر على العطاء المجال الذي يشره الله تعالى له، وهذا يكون من خلال إنشاء وتأسيس أكبر عدد ممكن من الأطر والبرامج والأنشطة والمؤسسات ذات النفع العام والمركز والمراعي للأولويات"³.

والصحة الإسلامية ليست ملكا لفرد أو جماعة ولا تيار ولا مذهب، ولا هي صحة ملوك وأمراء ورؤساء ولا هي صحة اختلاف وانقسام، فكل ذلك بعيد عن فكرة الصحة، بل هو بعيد عن الإسلام أصلا وهو علامة التيه والضلال، وخلافا لكل ذلك فالمؤمل أن تكون صحة العودة للقرآن الكريم والسنة النبوية ووحدة المسلمين وتحرير الدين من كل وصايا سياسية أو سلطوية. وحتى تكون كذلك لا بد للصحة أن تتعرف وفق منهج علمي دقيق على أخطاء التاريخ وتقدر أضرارها من غير تسييس، ومن ثمّة يمكن تحديد هدف الصحة ومركزاتها ليكون ذلك بمثابة برنامج عمل، ومنهج في الوقت نفسه على أساسه يتحدد موقف كل مسلم من قضية الصحة⁴.

وعكس تلك الأهداف السامية التي بينها أحمد الرفاعي فإنّ هناك مهام أخرى ليست من ضمن الأهداف، وهي بعيدة كل البعد عن الأهداف الحقيقية للصحة ومن ذلك: "إقامة الحدود على عصاة المسلمين وقطع أيدي السارقين ورحم الزناة وجلدهم، كل ذلك لا يتم إلا بعد إقامة سلطان الدين عن علم ووعي وحرية ودون إكراه وبرضا ممن يقيم عليه الحد اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء

¹ ينظر: أ حمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص16.

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب { فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل:10]، رقم:4949، 6/171.

³ عبد الكريم بكار، الصحة الإسلامية صحة من أجل الصحة، د ط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص180.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص73.

الراشدين، وهدف الصحة ليس المشاركة في الحياة السياسية الفاسدة، والمنحرفة، فتلك شهادة زور يسأل عنها من اقتربها"¹.

إنَّ الخلط الواقع بين أهداف الصحة والتمثلة كما سبق الذكر في الرجوع إلى الكتاب والسنة وبين تطبيق الشريعة التي هي من مهام الحاكم بعد الرجوع للوحيين، هذا الخلط أحدث فوضى في المفاهيم وقوّض مشروع الصحة في المهد.

المطلب الثالث: مرتكزات الصحة.

الصحة شأنها كبقية القضايا المهمة التي تبنى على أسس متينة وقواعد سليمة ومرتكزات قويّة، وهذه المرتكزات جمعها أحمد الرفاعي شرفي في نقاط متفرقة وهي:

الأول: تصحيح مفهوم "لا اله الا الله": الذي يعني أنّ العبادة والطاعة حقُّ الله - عزَّ وجلَّ - وحده لا يشاركه فيها أحد سواه، وإن تحقق ذلك فالمعنى تطبيق شرع الله في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية والتجارية وغيرها على مستوى الأفراد والأسر. والملاحظ أنّه بغياب ذلك المفهوم الصحيح ردحا من الزمن غابت أحكام الشريعة عن النَّاس وغابت معها القيم والأخلاق الإسلامية وأصبحت كلمة بلا مدلول، فالواجب إعادة إخضاع الحياة الاجتماعية للمسلمين لمقتضى لا إله إلا الله².

وتصحيح معاني كلمة التوحيد في نفوس المؤمنين لا بد أن يرافقه تصحيح معاني أخرى لا تقل أهمية، أشار إليها محمد قطب في بيان واجبات الصحة لتستعيد قوتها: "ويركز محمد قطب على خمسة مفاهيم رئيسيّة من مفاهيم الإسلام يجلي جوهرها وينفي عنها ما لحقها من تشويه وانحراف، وهي: لا إله إلا الله، والعبادة، والقضاء والقدر، والدنيا والآخرة، والحضارة وعمارة الأرض، الأوّل، والتوسع في بيان مفهومه بوصفه الركن الأوّل والأكبر من أركان الإسلام، لأن الانحراف الأخطر والأكبر في حياة المسلمين هو الذي وقع في مفهوم لا إله إلا الله، وكذلك مفهوم العبادة. مع التركيز على المفهوم وإذا تمّ تصحيح المفاهيم وإعادة صورتها الصّحيحة والفاعلة في نفوس المسلمين فسيصبح الطريق ميسراً بعون الله لتصحيح كل ما أصاب من انحراف، وما ترتب عليه في حياتهم من آثار."³

¹ المرجع السابق، ص73.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص74.

³ حلمي محمود القاعود، أعلام في الظل، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، الأردن، 2019م، ص147.

لقد أصبح ظاهراً للعيان بُعد الكثير من أتباع الحركة الإسلامية عن الجانب الروحي والتربوي، ولا يمكن أن تنطلق عملية التصحيح دون إصلاح النفس أولاً بالمزيد من غرس الإيمان في النفوس ويتحقق ذلك بتصحيح معاني التوحيد والعبادة.

الثاني: ويتمثل في نبذ كل ما يتناقض مع القرآن والسنة، وخاصة الموروثات من عادات وتقاليد بالية وشركية وبدع وخرافات ومعها القيم الوافدة من البيئات غير الإسلامية، وإحلال بدل كل ذلك الأخلاق والقيم الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة، وبذلك تتحقق خيرية الأمة الإسلامية وتتحقق معها الشهادة على بقية الأمم، وللأسف الشديد فواقع المسلمين من انشقاقات وانقسامات وصراعات وأنظمة سياسية مستبدة وجماعات سياسية تسعى للملك والسلطة كل ذلك لا يعكس خيرية الأمة ولا حقيقة أمة الشهادة، وعليه فلا بد من التنصل من كل تلك السلوكات والأفكار ونبذها من حياتنا وعقولنا¹.

الثالث: يرى أحمد الرفاعي أنَّ المرتكز الثالث أساسه نبذ كلِّ ما ترتب عن تغيير النظام السياسي من حكم راشد إلى ملك عضوض إلى يومنا هذا، من تسييس للدين والذي جلب الكثير من النكبات والكوارث والعلل، وما حلَّ بالأمة من انقسامات وتعصب وسفك للدماء وفرقة وتخاذل وتراخ². ولطالما تكلم أحمد الرفاعي عن قضية تسييس الدين ويعني به الرفاعي جعل الدين مطية لتحقيق أغراض سياسية وما ألحقه الأمر من كوارث على الأمة، ونريد أن نوضح هنا أنَّ أمر السياسة ليس فساداً مطلقاً، ولا يمكن الجزم بأنَّ الدين يوحد والسياسة تفرق، فهذا مرهون بنوعية السياسة المتبعة، والتي تفرق هي تلك البعيدة عن الأخلاق والقيم والمبادئ والفضائل، أمَّا التي تعتبر الدين مرجعيتها فهي ولا شك توحد وتصلح ولا تفرق، تجمع ولا تشتت³.

إنَّ كلَّ الأمم والمجتمعات البشرية والتي تسعى للبقاء تعتبر دياناتها مقومها الأساسي في حين بقيت الأمة الإسلامية مقلدة لغيرها خاضعة للقوى الخارجية.

الرابع: ويتمثل في نبذ كلِّ ما يؤدي إلى الفتن، ونبذ كلِّ ما يؤدي إلى الفرقة المدمرة والخلاف وإضعاف وحدة المسلمين وأخوتهم، وتضامنهم وتكافلهم، فهذا وحده من يضمن حقوق المسلمين،

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص75.

² ينظر: المرجع نفسه، ص75.

³ ينظر: عبد المجيد الشاذلي، الحكومة الإسلامية رؤية تطبيقية معاصرة، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2012،

وعليه فيجب نشر الأخلاق الإسلامية التي تنهى عن كلّ الأخلاق السيئة من غيبة ونميمة وتنازب وشكوك وجفاء بين المسلمين، وفي المقابل يجب إحياء الإخوة الإسلامية بمعانيها القوية والصادقة¹. ومن الواجب على المسلمين عموماً العمل على النهوض بالأخوة الإسلامية في زمن توحد فيه الجميع وبقي المسلمون في تشتت وتفرق مذموم، والأخوة من شأنها أن تخدم الوحدة الإسلامية المنشودة ومنها تنطلق الأمة في العمل على النهوض الحضاري المأمول، يقول اسماعيل علي محمد: "إنّ للعلماء والدعاة إلى الله تعالى دوراً عظيماً في تعزيز الإخاء بين المسلمين، والقضاء على ما يعترض سبيله ويؤهّن قوّته؛ ذلك أنهم ورثة الأنبياء في التغيير والإصلاح، وهم دائماً حملة مشاعل الهداية، وصمام الأمان للخلق من الضلال والهلاك، بما يقومون به من جهود البيان والبلاغ، والنصح والإرشاد، والأخذ بأيدي الناس إلى صراط الله المستقيم"².

إنّ الخلافات والنزاعات لم تجر الأمة إلا إلى المزيد من الهزائم، فسقوط بغداد الأول والثاني وضياع الأندلس وضياع فلسطين والكثير من الأقاليم المسلمة، وأيضا الفتن في البلاد الإسلامية الواحدة من حروب وانقسامات عن بعضها كما حدث في السودان وتقسيم دولة باكستان وتقسيم دولة اندونيسيا وهي التي تهدد تركيا وإيران ومصر وسوريا والسودان والجزائر والمغرب وغيرها كل ذلك كان نتيجة الضعف والهوان والتخلي عن مفاهيم القرآن والسنة الموحدة والجامعة والممانعة والحفاظة لبيضة المسلمين وسيادتهم³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص76.

² اسماعيل علي محمد، الأخوة الإسلامية: فريضة شرعية وضرورة عصرية، ط 2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص144.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص79.

المبحث الثالث: واقع الصحوة الإسلامية الحديثة وجهود أحمد

الرفاعي شرفي في ترشيدها.

المطلب الأول: واقع الصحوة الإسلامية.

الفرع الأول: إخفاقات متتالية.

لقد حاول المسلمون عبر أزمنة عديدة إصلاح أوضاعهم المتردية والآخذة في السوء والتأزم، ولم تكَلل الكثير من تلك الجهود بالنجاح والتوفيق، ولعل أبرز أسباب ذلك يتمثل في أنّ المسلمين نسوا الله - عزّ وجلّ - ولم يعودوا يعرفونه كما تنبغي معرفته، فكانت نتيجة ذلك سلبية على كلّ الصعد وخيم الظلام على أرواح المسلمين وعلى قلوبهم، فلم يعد هناك مقوم النجاح وأساسه المتمثل في صلاح الفرد نفسه، وعليه يتساءل أحمد الرفاعي كيف نصلح بغير الصالح؟ وكيف نصلح حكما فاسدا بإنسان فاسد، كيف نصلح تجارة فاسدة بتاجر فاسد. كيف نصلح مدرسة فاسدة بمعلم وبإدارة جامدة؟ وكيف؟ وكيف أسئلة كثيرة ذات أهمية وذات بال¹.

وقد بدت مظاهر الفشل في الجهود الإصلاحية في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية واضحة بشكل بارز، كما كان تأثيرها بالفكر الفلسفي غير الإسلامي واضحا أيضا، وقد حاول بعضهم إصلاح الحال بالتقليد المطلق للأوروبيين سياسيا واجتماعيا وثقافيا وتربويا مع الفروق الجوهرية بين أصول الحضارة عندنا وعندهم وخصوصيات كلّ أمة، الأمر الذي أدى إلى تكريس الأزمة وتبريرها واستبدال فشل بفشل أو فساد بفساد لتبقى المآسي كما هي والأمة في تخلف وتقهقر مستمرين، رغم حجم الشعارات التي يتغنون بها والتناقض الكبير بين القول والوعود والواقع².

وفي الواقع الذي عايشه أحمد الرفاعي وبعدهما خبر الصحوة خاصّة في الجزائر وخالف رجالها ومرّت عليه أحداث كبيرة، سجّل الرجل ملاحظات جديدة ووقائع جديدة غير تلك التي كان يحلم بها ويدعو إليها، وهي تحول الصحوة إلى شعارات، وقد ضعفت صلتها بالإسلام العقيدة، والشريعة، القرآن والسنة، وصارت تلك الصلوات شكلية، وقد تأثرت بالموروث الفاسد والجاهد وبالواقع المنحرف أيضا، كلّ ذلك كان أكثر من تأثرها بالقرآن والسنة، والسبب أنّ عمّامة المسلمين وخاصتهم لم يراجعوا أخطاءهم القديمة، ولم ينتقدوها، ولم يصححوا مفاهيمهم وعقائدهم، وأخطر من كلّ ما سبق أن يتصور

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، أوراق الأمم وأوراقنا، جريدة البرهان عدد 08، الجزائر، 28 نوفمبر 1999، ص 09.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 25.

المسلمون بكلّ سلبياتهم أنّهم على الجادة وأنهم أتباع السلف الصالح! وهم بعيدون كثيرا عن الجيل الإسلامي الأول¹.

والمؤكد أنّ الصحوة الإسلامية قطعت أشواطاً مهمّة، ومع ذلك يرى أحمد الرفاعي أنّها لم تكن في المستوى المطلوب أو المؤمل في أن تصله، ورغم ما حققته من مكاسب ونتائج طيبة إلا أنّ بعض الاختلالات كانت تطفوا على المشهد الدعوي، والسبب الأساس برأي أحمد الرفاعي وقع ظلّ غياب تحديد دقيق لمعاني وأهداف الصحوة، حتى تعددت المعاني وتداخلت فيما بينها حتى أصبحت وكأنّها في سجن كبير، ولن يتأتى لها الخروج من هذا الوضع إلا بتصحيح المفاهيم، وبخاصة موضوع السلطة والمعارضة وعلاقة الجمهور بكلّ ذلك، وتمكين الشورى ومقتضيات العدل والحرية للوصول لكشف حقيقة وجوهر وأهداف الصحوة التي تمثّل قضية هامة لكل مسلم ومسلمة².

كما أنّ مرجعية الصحوة الإسلامية ومع مرور الوقت شابها الكثير من الغموض والتناقض، فهي إسلامية في المظهر، غير أنّ الواقع ومن خلال التفاعل والتلامس يُظهر أنّ هناك بُعداً واضحاً عن قيم الدين ومرجعياته المتمثلة بالأساس في الكتاب والسنة، لتتخذ من الموروث الفاسد أو الأفكار الغربية أنموذجاً وقدوة في بعض المحطات والمواقف والتصرفات، وعن هذا الواقع المشتبه يقول أحمد الرفاعي: "الصحوة الإسلامية إعلامياً وسياسياً، ليس في الحقيقة صحوة، وصلتها بالإسلام: العقيدة والشريعة، القرآن والسنة، يشوبها الكثير، ممّا ينبغي توضيح ذلك... إنّ الذي يتبادر إلى الأذهان من عبارة الصحوة إنّما هو الوعي الأصيل، العميق الشامل للإنسان الصاحي من منظور وقيّم القرآن والسنة، وكل من واكب ما سميّ بالصحوة الإسلامية يدرك أنّ صلتها بالقرآن والسنة كانت شكلية ومحدودة جداً، وتأثرها بالموروث الجامد والفاسد وبالواقع المنحرف أكثر بكثير من تأثرها بالقرآن والسنة، بل إنّ أثر القرآن والسنة في واقع شرائح واسعة من جماهير ما قيل عنه أنّه صحوة إسلامية لا وجود له، لذلك فإنّ اعتبارها صحوة أمر مبالغ فيه"³.

ويتساءل المتابع لفكر أحمد الرفاعي إن كانت هذه الصحوة منقوصة وفيها من الخلل والزلل ما فيها، فكيف يجب أنّ تكون، وما تصور الرجل للصحوة الأصلية وما شروطها وأهميتها؟ وكل ذلك ممّا سعى الرجل إلى بيانه وتوضيحه وتفصيله.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، سلبيات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور الجديد، مرجع سابق، ص 09.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 71.

³ أحمد الرفاعي شرقي، سلبيات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

يمكن اعتبار الحركة الإسلامية مرّت بتجربة فريدة من نوعها عانت فيها الكثير ويمكن لها أن تستفيد من المزيد من الدروس والمواعظ وتبتعد عن الغرور الذي أضع حصاد السنين "ومن ناحية أخرى فإنّ الحركة الإسلامية في الجزائر وإن كانت صورة حقيقية عاكسة للمجتمع يصدق عليها ما يصدق على أيّ تشكيلة إصلاحية في العالم، فإنّها كانت تستحق نجاحا باهرا لو فهمت التوقيت المناسب وموازين القوى والتحديات والمحيط الذي كانت تتحرك فيه، وليس مستحيلا أن تعود الحركة الإسلامية السياسية في الجزائر كحركة لها مكانتها ضمن الخريطة السياسية للبلاد، وبالمقابل من الصعب بل من المؤكد أن تحصل هذه الحركة بكل أطيافها وتوجهاتها على تلك المكانة التي كانت تملكها في التسعينيات، وهذا ما فرضته الحتمية التاريخية والحضارية بسبب ما طرأ على المجتمع الجزائري من تغيرات مرتبطة على وجه الخصوص بتداعيات العشرية السوداء"¹.

عمل أحمد الرفاعي شرقي طويلا على بيان حقيقة الصحوة وأهميتها ومكانتها وعلاقتها بالسياسة والأحزاب، وأيضا إبراز المفوات والزلات التي وقعت فيها الحركة الإسلامية أو قادة الصحوة.

الفرع الثاني: مآل الصحوة في الجزائر.

إنّ المحاولات المتنوعة لم تُفض لأيّ إصلاح وتغيير بسبب غياب الشروط اللازمة، وأهمها التشخيص العملي الواقعي للوضع وعدم تحديد المنهج اللازم المنبثق عن التحليل والتعليل والاستنتاج والنقد الموضوعي لعلاج واقع الأزمة الآخذ في الاتساع، والمتمثل في ظاهرة التفكك في كلّ جوانبها وأبعادها، والتي هي في الحقيقة ليست أزمة سياسية أو إدارية وإن كان يبدو ذلك في جانبها الشكلي الاجتماعي، بل هي فكرية حضارية بالدرجة الأولى، ومنها تنبثق جميع القضايا².

لقد توهم بعض قادة الصحوة أنّ فعل الصحوة هو مظهر شكلي تحلي فيه نشاطات من معارض وحلقات وندوات وبعض المخيمات والسمر، وأيضا الالتزام بالصلوات في المسجد وخطب بليغة وكلمات فصيحة، واستدكار أمجاد الأمة والتاريخ الزاهر ورغم ما لذلك من أهمية، فهو لا يغني عن جوهر الصحوة لتثبيت ذلك وضمّان بقائه واستمراره. يضيف أحمد الرفاعي في بيان ما يجب: "الحقيقة الصحوة تشمل في الاجابة عن تساؤلات جوهرية أبرزها وأولها لماذا نحن المسلمين في حاجة إلى الصحوة وقد كنا خير أمة أخرجت للناس بشهادة ربّ الناس سبحانه وتعالى؟ بماذا نسمي ما قبل الصحوة؟ هل هو جمود أم ردة أم انحراف؟ ماذا نريد من عودتنا الى ربنا أو ديننا أو هويتنا؟ هل نريد أن نكون قوة استعمارية

¹ عماري ابراهيم، جزار مصطفى، الحركة الإسلامية في الجزائر بين الصعود والأفول، مجلة أكاديميا، العدد 04، الجزائر، 2016م، ص368.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص14.

جديدة؟ هل نريد أن ننتقم ممن ظلمونا؟ و سفكوا دماءنا؟ و نهبوا ثرواتنا؟ هل تريد السيطرة على غيرنا اقتداءً بغيرنا من اليهود والنصارى؟ هل تريد استغلال غير المسلمين؟ ونهب ثرواتهم وتدمير مصالحهم كما فعل الاستعمار الأوربي؟¹.

وبالرجوع إلى استقراء أحداث التاريخ وتجارب الشعوب والأمم ندرك يقينا أنّ ما حققته من مكاسب وانتصارات بفضل الإنسان الواعي الذي تحول فكره من ثقافة ما ينبغي إلى ما يمكن وما يجب بكل المقتضيات والمعطيات وبذلك عرفت طريقها الصحيح، بعيدا عن الشعارات والأمانى يقول الرفاعي عن تجربته في بدايات الصحوة التي عاشها: "في بدايات فجر الصحوة الإسلامية سمعتُ . كما سمع غيري . الكثير من الخطب الحماسية وقرأت ما أمكن من الآراء عن ما ينبغي أن يكون، فقرأت عن الخلل وأين يتمثل؟ وعن فقه المرحلة، وإعادة تشكيل العقل المسلم وغير ذلك كثير من أمهات القضايا، ووجدتُ نفسي أزايد مع المزايدين وأتفصح، وأتحدث عن المشروع الإسلامي والقرية الإسلامية والدولة الإسلامية، والأخوة الإسلامية إلى حين هبوب رياح العواصف التي بينت أنّ مفردات الخطاب الإسلامي كانت ومازالت . للأسف . كلمات ورقية تصلح لبناء الألعاب فوق الرمال، وقبل العواصف، أما بعد العواصف والزلازل، فقد قال الكثيرون: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون)"².

هذا الاعتراف الآخر من أحمد الرفاعي يدلّ على أنّه كان يشعر بالذنب والحسرة على ما آلت إليه الأمور، وربّما كان بالإمكان أفضل ممّا كان، لعلّ العاطفة كانت غالبية، ولعلّ التخطيط كان ضعيفا، ولربّما كان التربص بالحركة الإسلامية أقوى من التنظير الذي كان يسطّره قادتها وينفذه أو ينفذ أهواء أنفسهم أتباعها وبعض قادتها أيضا؟

يواصل أحمد الرفاعي سرد ما حصل للصحوة في الجزائر وهي في المهد: "لقد امتد طوفان الأهواء والهدم وإغراق الواقع بالمزيد من الماسي بدل تضميد الجرح، ولا أدلّ على ذلك من ظاهرة تأليف الكتب في التنفير من بعض العلماء والتشهير بهم ونبزههم في أعراضهم، واستحلال ما حرم الله - عزّ وجلّ- على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- من سمعتهم وكرامتهم بدل الحوار العلمي فيما بينهم بالكلمة الطيبة، والدليل، وحسن الظن، والبعد عن الهوى، وتركية النفس، كل ذلك وغيره يبعث على الأسى واليأس التام إلا من الله - عزّ وجلّ- مادام الداء يأتي على يد الطبيب"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 15.

² أحمد الرفاعي شرفي، مسافات المعاني، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 360.

³ أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحج الدين بن عربي، مرجع سابق، ص 04.

لقد نادى أحمد الرفاعي عبر القنوات المتاحة في بداية العقد الأخير من القرن الماضي، نادى قادة الصحوة وحذرهم من الاختلاف المذموم ومن التسرع في المواقف ومن الانقسام المدمر، فكان يرى أنّ "انقسام القادة لاعتبارات تاريخية ومذهبية أو شخصية دون النظر إلى أخطاء الواقع وآلامه، وحاجة الجماهير الإسلامية المعديّة للخروج من واقع الظلم والفساد، فإنّ الخلاف الظاهر في هذه الحالة قد يصبح اغتيالاً متعمداً للمستقبل الإسلامي الذي يتطلع إليه المسلمون، ذلك أنّه من غير المعقول ولا المقبول أن يكون قادة الصحوة رجعيين فعلاً بالمعنى الكريه لهذه التهمة الملققة بالإسلام والمسلمين، ويشغلوا أنفسهم والجماهير الإسلامية معهم بتاريخيات مؤسفة أصبحت في حكم الخيال؟ إذ أين هي الخلافة التي اختلف حولها السنة والشيعة والخوارج؟ وأين هم الأئمة المختلف حول عصمتهم؟ و أين هي قبيلة قريش التي يشترطها البعض في المرشح المنصب الخلافة؟ بل أين نحن من الواقع، واقع كلّ الشعوب؟ وأين منا المستقبل؟ المستقبل الذي اختلف حوله قادة الصحوة الإسلامية؟¹

كما حذر الرجل من اغتيال المشروع الإسلامي من طرف أتباعه قبل أعدائه، ومع نشوة الانتصارات الآنية، كان البعض يعتقد أنّ قيام الدولة الإسلامية على مرمى حجر، لكنها على الأرض خيال وأوهام، لقد كانت لأحمد الرفاعي رؤية ثابتة للأمور - بوصف مقربيه- ففي كلّ صولة وجولة نكتشف المزيد من توقعاته وتحذيراته وكيف وقعت للأسباب نفسها التي ذكرها وحذر منها، وللأسف بقيت الحركة الإسلامية تراوح نفسها ولم تستفد من أخطائها بل لم تعط الاهتمام لمفكرها ومنظريها ومخططيها.

الفرع الثالث: الصحوة تفشل في تكوين كيان عالمي موحد.

ورغم جهود بعض الدول الإسلامية في تنظيم كيان إسلامي يراد له أن يكون جامعاً، وهو ما تمثل لاحقاً في منظمة المؤتمر الإسلامي إلا أنها تحولت حسب ما عبّر عن أحمد الرفاعي بمنظمة النوم الإسلامي وكان يؤمل في الصحوة الإسلامية أن تشكل بديلاً عن تلك المنظمة التي أصابها الفشل، يقول أحمد الرفاعي: "وكان بإمكان الصحوة الإسلامية أن تكون البديل عن منظمة النوم الإسلامي خاصة وأنها صحوة شباب وافر الفتوة والعزائم والطاقات، وتجدد العهد بأمجاد الإسلام ومآثره، لولا أنّها اجترت العهد الأموي والعباسي وعهد ملوك الطوائف في الأندلس، وتحوّل بعض رموز الصحوة وقادتها إلى ملوك التيارات ورؤسائها وأمرائها واندلعت الصراعات على الساحة واستباححت الأعراس، وتفككت القيادات،

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 24.

وتفتت وانقسمت وانقسم المنقسمون، وضاعت المصداقية ومعها الساحة والمستقبل ورجعت أوضاع المسلمين إلى ما قبل فجر الصحوة وقبل تشكيل منظمة النوم الإسلامي¹.

إنَّ أحداث سوريا والعراق وباكستان وأفغانستان وغيرها هي دليل على ذلك حيث لا حديث في الواقع يعلو على أيام قتل المسلم للمسلم، و تدمير مصالح المسلمين وأجياهم. يحدث ذلك في ظلّ غياب شبه تام للمسلمين وخاصة للعلماء والقادة والزعماء وهذا ما يدعو إلى ضرورة مراجعة النفس والاعتبار بما حدث ونبذ الفرقة والخلافات التي شتت الصفّ الإسلامي وحرّبت وحدة المسلمين فالأمة في حاجة لهم جميعاً، ولكلّ طاقات أبنائها فهل تكون تلك الأحداث سببا في استفاقة المسلمين من نومهم التي فاقت نومة أهل الكهف، بقي الرفاعي متسائلاً!².

الفرع الرابع: أهمية الاعتراف بالأخطاء.

رغم ما بذله دعاة الصحوة الحديثة من جهود واضحة وما لاقوه في سبيل ذلك من عنت وسجون وخسائر وسباب - وكلّ ذلك يحسب لهم- في سبيل تحقيق قضيتهم والوصول إلى أهدافهم، رغم كلّ ذلك فقد وقع قادة الصحوة وأعلامها في أخطاء فادحة أكثرها غير مبررة وهم مطالبون بوقفة جادة مع أخطائهم وعدم التهرب أو التنكر لتلك الأخطاء بدافع الغرور أو التعنت والإصرار في غير الحقّ، يقول أحمد الرفاعي مبتدئاً بتحميل نفسه بعضاً من المسؤولية: "إنَّ الإسلاميين في أمسّ الحاجة إلى قدر وحدّ معين من الصراحة والشجاعة للاعتراف بالأخطاء، وأبدأ بنفسي فأنا أحد المخطئين لكن علم الله - عزّ وجلّ- أنني لم أبرر أيّ خطأ وكنت وما زلت أقول أنّ أخطاء الإسلاميين هدايا مجانية لخصوم الإسلام، وأنَّ الإسلاميين في حاجة إلى تغيير رؤاهم ومقاييسهم ومفاهيمهم لمواكبة الواقع، وبغير ذلك سيحدث الاجترار، وسيسقط السقوط مرات ومرات إلى أن يغير النَّاس ما بهم، وهذه هي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير"³.

لقد كان لعجز الصحوة عن إحداث التغيير المنشود أن يعطي الصورة المشوهة عن الإسلام وعن الحركات الإسلامية، وعجر كلّ هؤلاء عن تقديم البديل الصحيح وعن القيام بدور التصحيح، وقد بلغ الأمر بأحمد الرفاعي في إحدى المواقف إلى أن يصف الصحوة بأنّها مجرد تلفيق اجتماعي "عجزت الصحوة الإسلامية التي ليست في الحقيقة لا صحوة ولا إسلامية؟؟ إنما هي تلفيق ثقافي اجتماعي غريب قال عنه خصوم الإسلام أنّه صحوة إسلامية وهم يعلمون أنّه ليس صحوة إسلامية وهم يعلمون أنّه

¹ أحمد الرفاعي شرقي، منظمة النوم الإسلامي، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص362.

² ينظر: المرجع السابق، ص362.

³ أحمد الرفاعي شرقي، هذه المقالات، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص03.

ليس صحوة ولا إسلامية ليقولوا لمن خدعوهم وانخدعوا لهم: الإسلام أيضا لا يصلح ومثله مثل أي مذهب سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي ولا بد من التحول عنه إلى محاولة أخرى¹.

والحقيقة أنّ هذا الموقف من أحمد الرفاعي كان متشددا للغاية، حيث نفى صفة الإسلامية وصفة الصحوة عن الصحوة الإسلامية؟ ولا ينكر عاقل ولا منصف أنّه رغم الأخطاء والزلات، فقد كان للصحوة المباركة الفضل في الكثير من الأمور المفيدة والنافعة، ومنها عودة التدين والمعاملات الإسلامية في الحياة العامّة والخاصّة التي كادت تفقد من حياة الناس، ومنها التوسع الهائل للمساجد والمصليات، وبروز جلي للمظهر الإسلامي خاصّة فيما تعلق بالحجاب الشرعي وبعض السنن التي كانت ممنوعة أو ممتنع عنها، ولعل الرفاعي كانت نيته طيبة وهي عدم تحميل الإسلام أخطاء الصحوة، ولأجل ذلك قال كلمته تلك، ويثبت هذا التبرير مواقف أخرى كثيرة يمتدح فيها الرجل الصحوة ويصفها بالمباركة والميمونة والأمل، ولا ينفي هذا التبرير الأخطاء الفادحة التي وقع فيها قادة وأتباع الصحوة.

ومن أسباب فشل الحركات الإسلامية وعدم استفادة الدروس بحيث سرعان ما تقع في نفس الأخطاء، عدم الاعتراف بالخطأ إذا وقع وكأنّ في الأمر مكابرة أو عزّة نفس في غير موضعها، يقول محمد إلهامي في مقاله حول: ما الذي ينقص الحركات الإسلامية لتنجح: "أن يُعترف بالخطأ والفشل إذا حصل لأنّ الاستكبار عن هذا يحرف اتجاه الحركة الإسلامية عن أهدافها وغاياتها ويضيع طاقات أتباعها والأجيال التي تحبها، فليس الاعتراف بفشل جولة أو بفشل بعض القادة بأكبر أو أعزّ من صناعة انحراف في فكر الحركة وغايتها"².

قد أبدى أحمد الرفاعي شرفي في أكثر من موضع امتعاضه من سلوكات قادة الحركات الإسلامية، حتى أنّه قال بصريح العبارة إنّّه كره أولئك القادة أشدّ الكره!! فهم في نظره شوهوا الدين وقاموا بممارسات وسلوكات مخالفة للدين الإسلامي؟ يقول الرفاعي: "حين كنت غير مطلع على الفجاعة في داخل منظومة هذه الحركات، كنت أعتقد أنّ حاملي ذلك المشعل هم امتداد لعصر الصحابة الميامين، كرهتهم كراهية لا حدود لها! لأنّهم شوهوا الحقيقة شوهوا الإسلام شوهوا الدين، بسلوكات وممارسات لا علاقة لها بالإسلام، وأسوأ من كلّ هذا بعد أن سالت الدماء وضلت الدهماء وتشابهه البقر على الرعاة، بعد أن تحول الدعاة إلى سعاة! أنّه لا أحد بعد هذه الكوارث طلع من صحيفة أو من شاشة تلفزيون ليقول للناس وللأمة لقد أخطأت ساحوني ودموع التوبة تسيل على خدي، الأدهى والأمر أنّه لا أحد

¹ أحمد الرفاعي شرفي، سلبات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور، مرجع سابق.

² محمد إلهامي، ما الذي ينقص الحركات الإسلامية لتنجح، الموقع الإلكتروني الجزيرة- <https://www.aljazeera.net/>، تاريخ

الزيارة: 2019/05/18 م، في الساعة: 14.00

منهم بقول أخطأت! بل يطلّون علينا في صورة المظلومين ويتحدثون باسم الأمة التي أوصلوها بطيشهم إلى المرتع الوخيم، أفلا يدعوننا كلّ ذلك إلى التوبة إلى الله¹.

إنّ ما تعيشه الأمة من نكبات وأحداث دامية خاصّة في افغانستان والعراق وفلسطين وسوريا وليبيا واليمن وغيرها من البلاد الإسلامية، ورغم جهود الاصلاح المبذولة فكّلها تقريبا باءت بالفشل والخيبة والخسران، ولم تفلح في الحد الأدنى من وقف نزيف الدماء وهدر الطاقات، كلّ ذلك بسبب معالجة المظاهر دون التعمّق في معرفة مكمّن الداء، والعمل على الصعيد النظري دون العملي، وإن وجد فهو في إطار ضيق ومحدود وموجه، وهذا ممّا يراه أحمد الرفاعي سبب لعدم اكتمال شروط التغيير كما حددها المولى تبارك وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] وأهم قواعد تغيير ما بالنفس يتمثل في عدم الفصل بين القول والعمل بجذوره وعناصره، والملاحظ أنّ أغلب الجهود الاصلاحية كانت نظريات وأفكار وتوجيهات دون ممارسات عملية ميدانية تطبيقية، والقلة التي اجتهدت في الربط بين العملي والنظري سرعان ما احتواها الواقع الاجتماعي الجارف وحوله إلى جهد نظري، والنتيجة في كلّ الأحوال بقاء تلك المحاولات كعناوين براءة وأراء ممتعة ولكنها بلا عمل، فهي كالجسد بلا روح، وعليه فلا ينتظر منها التأثير والتغيير والإصلاح المنشود².

إنّ من قواعد التربية الإسلامية الواقعية أنّها لم تفصل بين القول والفعل، كما أنّها لم تفصل بين العلم وتطبيقاته، وبين ما هو نظري وما هو ميداني، فالثاني كأنّه ظلّ الأول لا انفصال بينهما، بل إنّ التكامل والتلازم لا بدّ من حصوله لتكتمل الصورة، ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة فقد كان منهجه التكامل بين القول والفعل³.

المطلب الثاني: أسباب القصور في أداء الصحوة.

إنّ التخلف الواقع في الأمة بكل مظاهره وعاهاته تسببت فيه أمراض كثيرة عبر حقب الزمان المتعاقبة، وقد شهدت الأمة خلالها الكثير من المحاولات الاصلاحية المتعاقبة أيضا، وللأسف لم توفّق تلك الجهود رغم ما بذله المصلحون من تشخيص وتحليل لأمراض الأمة، تماما كما يجب أن يفعل الطبيب مع مرضاه، وهنا يبرز أحمد الرفاعي الاحتمالات الممكنة فيما الطبيب لم يكن مؤهلا بمعنى أن من عاجلوا الأزمة عامة تاريخيا وواقعا لم يكونوا في المستوى المطلوب من حيث فهم الحالة المرضية

¹ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 25.

³ ينظر: خليل محمد الخالدي، التنظيم الاجتماعي في الإسلام، ط1، جامعة الموصل - العراق، 2012م، ص 198.

وأسبابها، وإما أنّ المريض لم يتقيّد بالوصفة فلم يحترم الموازين والمقادير ولا الأوقات، والمعنى في هذه الحالة تمرد الشعوب، والاحتمال الثالث هو أنّ المسؤولية مشتركة بين الأطباء والمرضى، فبالنسبة للأطباء اختلطت عليهم الاعتبارات العلمية الموضوعية بالاعتبارات الشخصية، وبالنسبة للمريض انعدمت عنده الثقة بالطبيب عندما تيقن أنّه لا يؤدي وظيفة الطبيب الذي له وحده حق الأمر والنهي بالنسبة للمريض، وعندما تزول الثقة تعذر معالجة الأزمة وبقيّ حال الأمة كما هو¹.

وإنّه لمن المؤسف والمريب أنّ نرى خطابنا الدعوي وهو مترهل وقد أفرغ من محتواه، وصار قاصرا حتى على استيعاب فكرة أنّ الأمة تعيش مأساة كبرى، وجب على الجميع التحنّد وقوّة التخطيط لتدارك ما يمكن تداركه، فلقد أصبحت الأمة عبارة عن أعداد بشرية متزايدة، وكأنّ هذ الكمّ مملوك للغير مستعبد مطيع للحكام الأكثر قوة وحاله أنّه مهيض الجناح مهضوم الحقوق، وأمتنا في أصلها أمة حرّة ذات رساله ربابية وحضارية وانسانية، فكيف كنا وكيف أصبحنا؟².

وأخطاء الخطاب الدعوي أو بالأحرى حاملي الخطاب الدعوة تنوعت وتعددت، ومن أهم هذه الأخطاء التي أبرزها أحمد الرفاعي شرفي ما يلي:

الفرع الأول: ضعف التخطيط.

إنّ غياب التخطيط عند حاملي لواء التغيير وقادة الصحوة برز في صور وأشكال مختلفة من ذلك وقوعهم في الازدواجية، ممّا جعل الخطاب الاسلامي في جهة والواقع في جهة مخالفة تماما، يضاف إليها سياسية التبرير والارتجال والتي صارت أعرافا في العمل الإسلامي، وكلّ ذلك جعل أحمد الرفاعي يصف الإسلاميين بأنهم دون مستوى المرحلة في المفاهيم والرؤى والمناهج والأهداف، والكلام موجه للقيادات أكثر منه للقواعد³.

وليس عيبا الاعتراف بأنّ رصيدنا التاريخي من المعارف والتجارب الإصلاحية - رغم ما نراه نحن أنّه ضخم- هو في الحقيقة مقارنة مع تجارب الأمم والشعوب الأخرى ربّما يظهر قليلا ومحتشما، يضيف عبد الكريم بكار موضحا في هذا الشأن: "والحقيقة أنّ ما لدينا على الصعيد الإسلامي العام وعلى صعيد الصحوة من رؤى ومفاهيم أصيلة وعميقة ومتقدمة في مسألة الإصلاح، أقلّ بكثير مما لدى

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص 08.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 338.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، أوراق في المستقبلات، جريدة النور الجديد، العدد 18، قسنطينة، 10 جوان 2001، ص 24.

غيرنا، وهذا يعود أساسا إلى قلة أعداد الباحثين والكتّاب في مسألة النهضة، كما يعود إلى ضعف تأهيلهم العلمي وتدريبهم العملي، وهذه حقيقة واضحة وضوح الشمس¹.

ولعل الواقع يدلّ على أنّ دعاة المرحلة لا يميزون الفترة التي يعيشونها مع التي سبقتهم، ولا يفرقون بينها وبين فترات سابقة، مع ما في الأمر من تغيرات كبرى، فمهما كان لنا من ماضٍ تليد ومجد سابق أو حتى مشكلات عويصة سابقة، فلن تكون بالضرورة هي نفس الحال، والواقع الذي نعيشه الآن وربما لا يشبهه في شيء "إنّ انطلاق الدعوة عامّة من فرضيات خيالية لكوّهم يوجهون خطابهم إلى الخيال لا إلى الواقع، ذلك أنّهم يواجهون خطابهم الدعوي بذهنية تاريخية لأمة يحسبون أنّها لا تزال قائمة، بينما هي في الواقع مجرد بقايا أمة كان لها وجود وتاريخ عندما كانت أمة بدولة واحدة، والمسلم أخ المسلم، والكلّ يعمل بالقرآن والسنة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتعاونون على البرّ والتقوى، ذلك كان تاريخ الأمة الإسلامية وتلك كانت حقيقتها، بينما واقع المسلمين شيئا آخر يباين التاريخ ويتناقض معه المسلمون في الواقع بخلافاتهم وفرقهم وانقساماتهم مجرد بقايا أمة، لأن ما وقعوا فيه من الأخطاء والمفاسد والمظالم والمناكر أدى بهم إلى السقوط المريع، ومنذ 132هـ لم يستطيعوا النهوض منه بعد، وكل ما فعلوه أنّهم دأبوا على اجترار أخطائهم فقط"².

إنّ المحاولات الإصلاحية المختلفة شابتها نقائص عديدة، أدّت بها إلى الفشل المعروف، وقد عدد أحمد الرفاعي تلك الأسباب في مقالات ومواضيع مختلفة ومن تلك النقاط:

- أنّها كانت محاولات مرتجلة، ولم تسبقها دراسة ولا تقويم موضوعي ومنهجي لواقع المسلمين ومسيرتهم التاريخية، ومن ثمّ رصد أخطائهم وتحديد أسبابها ونتائجها. وهذا ما ينبغي تفاديه اليوم.

- عدم التمييز في تلك المحاولات الإصلاحية السابقة بين الأسباب والمظاهر والمضاعفات، ممّا أهدر الكثير من المحاولات الجادة وإهدار الطاقات والجهود والأوقات، دون أن يكون لذلك أيّ أثر إيجابي على واقع الفساد.

- غياب التخطيط والعمل المدروس والآجال الممكنة والتوقعات والحلول³.

وبالتدقيق في فكر أحمد الرفاعي يظهر لنا بوضوح نظرة ثابتة وبعيدة في التحذير من تكرار نفس الأخطاء السابقة لأنّها ستفضي إلى نفس النتائج وهو ما عبّر عنه بأخطاء الربيع العربي فبعد أحلام جميلة وتطلعات وأمان سعيده إلا أنّ المفاجأة كنت سيئة للغاية فنفس الأخطاء تؤدي إلى نفس

¹ عبد الكريم بكار، الصحوة الإسلامية : صحوة من أجل الصحوة، مرجع سابق، ص 45.

² أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 336.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، رسالة إلى الشيخ عبد الله جاب الله، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 239.

التائج، يقول أحمد الرفاعي: "وفيما يتعلق بالربيع العربي، فقد بدا لي والناس كلهم في نشوة، أنهم واهمون وحالمون حلما عن قريب سينقلب إلى كابوس رهيب، وقد كان ما توقعته وسجلته في مقال بعنوان إخفاقات لا مبرر لها، ذكرت فيه أخطاء القيادات في تونس وفي مصر خاصة، حيث اجترت القيادات نفس أخطاء الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وحركة الإخوان في سوريا في عهد حافظ الأسد في حماه، بينما كان المنطق والعقل يقتضي تفادي اجترار الأخطاء"¹.

إنَّ التخطيط الذي كان يقصده أحمد الرفاعي ينطلق من نقطتين أساسيتين وعليهما يتوقف مستقبل الحركة الإسلامية:

1- "فهم الواقع فهما كاملا وشاملا وفهم إبعاده الزمانية والثقافية والاجتماعية والسياسية الاقتصادية، وأيضا فهم امتدادات هذا الواقع الدولية لأننا جزء من هذا الواقع.

2- أن يفهم المسلمون دينهم فهما معاصرا لأنه صالح لكلّ زمان ومكان، وأصبح حتمية أن نقرأ القرآن والسنة انطلاقا من مشكلاتنا وعلى ضوءها، ونحن الآن في حاجة إلى اجتهادات فقهية وسياسية واقتصادية، وإذا كان الإسلام بمصادر تشريعه صالح لكلّ زمان ومكان فإنّ أيّ نقص أو خطأ فهو بسبب قصورنا ونقص فهمنا وسوء إسقاطنا واستنباطنا لأحكام الشريعة على واقعنا"².

لقد أبرز الرفاعي أهمية فهم الواقع وأهمية فهم الدين الإسلامي الرباني الخالد بروح عصرية انطلاقا من واقعنا، وليس ذلك يعني ترك أصول الدين ومقاصد الشريعة فذلك الأصل الذي لا يمكن تجاوزه، وإنما المقصود فتح باب الاجتهاد واسعا أمام الاجتهادات التي لا تتعارض مع أصول الشريعة ولا تتجاهل واقع الناس ومتطلبات معيشتهم، وليبقى الدين صالحا لكلّ زمان ومكان.

ومن الأخطاء غير المبررة عدم الاعتبار بتجارب الحركات الإسلامية السابقة، خاصة تجربة جمعية العلماء، بل وربما اعتقد بعض القادة أنّ تلك التجارب تجاوزها الزمن، والمبالغة في التوصيف بأنّ هذا الوقت يختلف تماما عن الوقت السابق، في حين نجد السباق لتبني أفكار هي أيضا سابقة ومن خارج الجزائر على غرار تجربة جماعة الإخوان والحركة الوهابية. يوضح الرفاعي هذه النقطة بالقول: "أما خطأ قيادات الصحوة فيتمثل في تجاهل تجربة جمعية العلماء واعتبارها تجربة تجاوزها الزمن، لذلك تبنت الصحوة تجربة حركة الإخوان والحركة السلفية ممثلة في تجربة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الخيارات غير الناضجة وغير المجربة اندلاع الصراع بين تيار الإخوان والتيار السلفي، والتيار الإسلامي التقليدي المنتمي في أغلبه إلى خريجي جامع الزيتونة، ثم تعددت التيارات بعد

¹ أحمد الرفاعي شرفي، أخطأت يا فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، جريدة الدعوة نيوز، العدد 8، جوان 2013.

² أحمد الرفاعي شرفي، حوار صحفي، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 80.

ذلك إلى أجنحة مختلفة كانت في مجموعها وبالأخص التيار الإسلامي لما ألت إليه من الفرقة والصراعات المفرقة لرموزه وقياداته، ثم قواعده الاجتماعية بعد ذلك"¹.

وقد أثبت غير واحد من الدارسين للحركة الإسلامية الجزائرية تجاهلها الكبير لتجربة جمعية العلماء المسلمين، فقلما تجد الاستشهاد بتجارب أقطاب الجمعية مقارنة بالشخصيات الأجنبية من أمثال حسن البنا ومحمد بن عبد الوهاب² والمودودي والسباعي وإقبال³ وغيرهم، يقول جمال الزواوي متحدثاً عن تجربته في هذا الشأن: "وقد درست أكاديمياً التجربة الباديسية في النهضة والإصلاح مقارنة بتجارب تماثلها في الإصلاح في العالم الإسلامي، فوجدتها من العمق العلمي، والأصالة الفكرية، والإبداع العملي، ما يخولها أن تضاهي أو تفوق الكثير من التجارب الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي، ويمكنها من أن تكون زادا فكرياً كبيراً لأبناء الحركة الإسلامية الجزائرية، لو اهتموا بابن باديس كما اهتموا غيره، ولو تداولوا الفكر الباديسي في محاضرتهم وحلقاتهم ونقاشاتهم كما يتداولون غيره، لكن هذا لم نراه"⁴.

يحاول أحمد الرفاعي كثيراً توجيه الفكر الدعوي نحو تجربة جمعية العلماء الجزائرية والتي يعتبرها رائدة، ورغم ما للتجربة من فوائد جمّة تعتبر فعلاً رائدة وإنجاز عظيم نظراً للظروف التي مرت بها الجزائر حينئذ، رغم ذلك فإنّ الدعوة الإسلامية واحدة، ولا يمكن حصرها في توجّه إقليمي واحد، يعني أنّ تجارب الحركات الإسلامية في البلدان الإسلامية الأخرى هي أيضاً يُستفاد منها المزيد من الدروس والعبر، وربّما وجدنا فيها الاضافة المفيدة، وحقيقة أنّ تجربة جمعية العلماء انطلقت من خصوصية الجزائر

¹ أحمد الرفاعي شرقي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وواجب تفعيلها، جريدة الشروق، العدد 4060، الجزائر، 28 جوان 2013، ص10.

² محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النحدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، ولد سنة 1115هـ ونشأ في العيينة بنجد، ورحل إلى الحجاز، وزار الشام، ودخل البصرة وغيرها، نصح منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبد البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، وكانت وفاته في الدرعية سنة 1206هـ، وحفداؤه اليوم يعرفون ببيت (الشيخ) ولهم مقام رفيع عند آل سعود، ترك عدة مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، وتفسير الفاتحة. ينظر: الزركلي، الأعلام، 257/6.

³ محمد إقبال شاعر الهند العظيم وُلد ببلدة سيالكوت بإقليم البنجاب سنة 1877م حفظ القرآن الكريم في موطنه وسافر لعدة بلدان حتى نال الدكتوراه من جامعة ميونخ ببلندن سنة 1905 وبعد عودته إلى بلاده اشتغل بالسياسة والفلسفة، وانتخب عضواً بالمجلس التشريعي بالبنجاب، وأخيراً رئيساً لحزب مسلمي الهند، دعا محمد إقبال إلى تجديد الفكر الديني وفتح باب الاجتهاد، وترك تراثاً فكرياً وأدبياً، تُرجم معظمه إلى اللغة العربية من أبرزها تجديد الفكر الديني في الإسلام ودواوين شعرية أخرى، تُوفي سنة 1938م. (ينظر: كامل محمد محمد عويضة، محمد إقبال - شاعر وفيلسوف الإسلام)

⁴ جمال زواوي أحمد، الحركة الإسلامية في الجزائر: قراءات ومراجعات، مرجع سابق، ص246.

ووضعها، لكن الأمور الآن تغيّرت ونحن في عصر الرقمنة والتكنولوجيا والتحديث المستمر ممّا يستوجب الاستفادة من الدروس أيًا كانت والتجارب المماثلة حيثما تحققت الثمار الحسنة.

الفرع الثاني: أخطاء تتعلق بقيادة الصحوة وضعف تكوينهم.

ومن الأسباب المؤدية إلى عدم نجاح محاولات التغيير ما يتعلق بالقائمين بأمر الصحوة والدعوة والإصلاح أنفسهم، حيث اعتبر أحمد الرفاعي أنّ الكثير من أعلام الصحوة المعاصرين، ونجوم الدعوة البارزين صارت لديهم المظاهر الشكلية بديلا عن تقوى الله! فتشبهوا بالملوك والأمراء والزعماء، وفي خطبهم العصماء ودروسهم الوعظية تشبهوا بالأتقياء البررة أصحاب الورع والزهد، وهذا الأمر جعل الكثيرين لا يصدقون من يخالف واقعه فعلة وما زالت هذه الفوضى والجهل بحيث يرى الإنسان من يحدثه عن الآخرة وكلّ حاله ولباسه وهيئته تدل على خلاف كلامه، وكلّ هذا مما يخرم المرؤة ويُلغي الثقة ويحطم أمر القدوة¹.

إنّ من أهم المشكلات التي وقع فيها أبناء الصحوة هي تلك المتعلقة بالجانب الإيماني الذي غفل عنه الكثير حيث انعكس ذلك عن الممارسات والأخلاق الفردية والاجتماعية، كما بينته نصوص القرآن والسنة وإحياء السنن التي أماتها البدع وما حلّ بالأمة من استعمار بغيض وحروب شتى، لكن الذي حدث غير ذلك تماما حيث غاب الوازع الإيماني وارتفعت حدّة الخلافات والنزعات وأهدرت القيم وصار الحزبيات والانتماءات السياسية أقرب من المنهج الإسلامي ومن النصوص الشرعية عند الكثير². وفي خضمّ اهتمام الناس بهموم الدنيا ومتطلباتها واختلاط ذلك بالمصالح الخاصة والشخصية، أصبح الخطاب الدعوي يغلب عليه الجانب المادي، وحتى التنظير لحلّ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وابتعد الكثير من الدعاة عن الخطاب الموجه لبناء الجانب الروحي والإيماني في الإنسان وهو الأساس والأصل الأول، يقول فريد الأنصاري: "إنّ تجديد الدين قائم أساسا على تجديد علاقته بالناس؛ بإحياء التداول الإنساني للقرآن الكريم وحقائقه الإيمانية والخلقية، ولا يكون ذلك كلّه إلا بإحياء تربوي لعلوم الدين، إحيائها في النفوس البشرية، وإشاعة ما أصله أن يكون معلوما منها بالضرورة، وبيان أحكام (ما لا يسع المسلم جهله) على حد تعبير الفقهاء، في زمن بلغ تجهيل النّاس بالدين من الدركات أن يكون بعض العاملين له في الصف الإسلامي مع الأسف لا يحسن صلاته ولا وضوءه!"³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص38.

² ينظر: المرجع نفسه، ص04.

³ فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، ط1، الكلمة للطبع و الإشراف، المغرب، 2007، ص30.

وفشل الحركات الإصلاحية يعود أيضا إلى الإنسان المسلم الذي طالما عاش في فراغ فكري وعقدي وعجزت كل البدائل عن سدّه بعد ترك القرآن والسنة، فلا المذاهب الفكرية ولا التيارات الحزبية ولا التجارب المستوردة استطاعت إصلاح الفرد المسلم، أما الصحوة فقد عجزت هي الأخرى عن تكوين قادتها فضلا عن إصلاح العباد والبلاد.

إنّ من أخطاء قادة الصحوة ربط القضايا بالرجال رغم أنّ من شعاراتهم الحديثة القول المأثور (أعرف الرجال بالحقّ ولا تعرف الحقّ بالرجال) إلا أنّ الواقع عكس ذلك، فقضايا الأمة المختلفة سواء كانت قضايا إيمانية أو غيرها تعرف عندهم بالقادة (زعماء التيارات) وهذا ولا شك مظهر من مظاهر الجمود والتحصّن والجهل المتناقض مع الإسلام قرآنا وسنة، ومع ذلك فهو أمرٌ شائع في أوساط الإسلاميين المشخصين للإسلام في قادتهم إلى درجة التقديس وادعاء العصمة، رغم أنّ هؤلاء الأشخاص غالبا ما تثور عليهم قيادات أخرى من أتباع لهم ويتحولون عليهم ضدا وندا، وهو ما بات يسمى بالانشقاقات الحزبية والحركات التصحيحية وتأسيس تيارات موازية، ويصبح فيها الزعيم السابق المعصوم من الأخطاء.. كلّ أخطاء وزلات!!، إنّ المبالغة في تقديس الزعامات تسببت حسب الرفاعي في الأزمات التي عرفتها الحركة الإسلامية المعاصرة، حيث صار الحقّ يعرف بالرجال ولا يعرف بذاته، وذلك هو سبب الجمود والخلافات والتفتت والتشتت، وبذلك أيضا صارت القضايا والواجبات مجرد مصالح ومكاسب¹.

والحقيقة أنّ الشخص تذكره أعماله، يتحدث علي الصلابي الليبي عن ابن باديس الجزائري، فيقول: "كلّ الأعمال الكبيرة التي كان يقوم بها ابن باديس تدل على نفس كبيرة، فقد كان يكره المديح ولا يسعى إليه بل يرفضه، ولو كان من الجماعات الحزبية أو الجماعات الهشة لامتلأت الصحف بمدحه في حياته، ولعل مقياس الزعامة الحقّة ليس ما يكتب عن الشخص أو القائد وهو حيّ بل بعد موته، وما كتب عن ابن باديس بعد موته يفوق ما كتب عن جميع الشخصيات الجزائرية مجتمعة"².

وزيادة عن تلك الأخطاء التي وقع فيها قادة التيارات الإصلاحية وأتباعهم من تقديس الشخصيات وتركيز التيارات اعتبار ذلك من المبادئ التي لا يجب الحياد عنها، يقول أحمد الرفاعي: "في واقع المسلمين صارت تزكية النفس وتزكية التيار والجماعة من أركان الإسلام عندهم، وإن أنس فلا أنس أحد دعاة التيارات وهو يحكم لنفسه بنفسه ليس بالمشيخة فحسب، وإمّا بما هو أكبر وأهم، وحسب

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص104.

² علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: سيرة عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية، ط 1، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2017، ص160.

التيار الصوفي فضلا أن يعتبر هذه الظاهرة ضلالة وبدعة فينتزه عن العامة من المسلمين، فضلا عن العلماء والدعاة"¹.

كما حمل قادة التيار الإسلامي مسؤولية جمود الدعوة "الشيخ محفوظ نحناح"² والشيخ جاب الله وغيرهما ممن ترك الساحة الدعوية وتحول إلى الساحة الحزبية لغير ضرورة مسؤول أمام الله - عز وجل - عن هذا الفراغ الذي تعاني منه الساحة الدعوية، وهما مسؤولان أيضا عن حرمان الأمة من كثير من علمائها ودعاتها الذين استهلكتهم الصراعات الحزبية وابتلعتهم الخلافات العقيمة، دون جدوى بينما ساحة العلم الشرعي، وساحة الدعوة إلى الله، وساحة إصلاح ذات البين بين المسلمين عامة، تُركت كلها دون راع في الجزائر"³.

لقد أدى الوضع القائم ببروز ما يسمى "التطرف الديني" ولعل أهم أسبابه الجهل والتقصير من طرف العلماء والدعاة، وغياب القدوات في الطريق، يقول يوسف القرضاوي في كتابه الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: "يجب أن نكون شجعانا ونعترف بأن كثيرا من تصرفاتنا هي التي دفعت هذا الشباب دفعا إلى ما نسميه: «التطرف»، فنحن ندعي الإسلام ولا نعمل به، ونقرأ القرآن ولا نطبق أحكامه، ونزعم حب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا نتبع سنته، ونسجل في دساتيرنا أن دين الدولة هو الإسلام، ولكننا لا نعطيه حقه في الحكم والتشريع والتوجيه"⁴.

برز حرص أحمد الرفاعي على الدعوة واستمرارها من خلال تأسفه وحسرتة على ما آلت إليه أمور الحركة الدعوية، من فراغ واضح في الساحة، غير أن تحميله المسؤولية لأقطاب الحركة أمثال عبد الله جاب الله ومحمود نحناح - رحمه الله - فيه نوع من القسوة تجاههما، فلربما كان لهؤلاء وغيرهم نظرة اجتهادية بخصوص عدم ترك الساحة السياسية للعلمانيين والتيارات الأخرى غير التي تحمل الخطاب الإسلامي، وهذا الأمر لطالما حذر منه مفكرون آخرون وهو عدم ترك الميدان وتطبيق سياسة الكرسي الشاغر التي تركت الآخر يتغول ويسيطر ويقرر لوحده، ومهما يكن فليس هذا مبررا لترك الدعوة إلى الله، فالحقيقة المرة أن الحقل الدعوي يعرف جمودا وركودا وجب مدارس الموضوع للوصول إلى الأسباب الحقيقية وطرق العلاج، وبالعلاج أمر الدعوة يمكن معالجة الكثير بالدعوة نفسها.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، مرجع سابق، ص 45.

² محفوظ بن محمد نحناح داعية جزائري ولد سنة 1942م بالبيدة، درس بالجزائر ونال عدة شهادات، يعد من أبرز الدعاة في الجزائر عقب الاستقلال، أسس حركة المجتمع الإسلامي حماس (حمس فيما بعد) ترشح للانتخابات الرئاسية، توفي سنة 2003م. (ينظر: أحمد المسلماني، حريف الثورة)

³ أحمد الرفاعي شرفي، دفاعا عن لعلماء المسلمين، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 243.

⁴ يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط 3، كتاب الأمة، دولة قطر، 1402 هـ، ص 18.

الفرع الثالث: الرغبة في المكاسب والمناصب والزعامة الحزبية:

من العوامل الأساسية لسقوط الحركات الإسلامية السياسية وعدم التوفيق في تحقيق أي مكاسب تذكر، اشتداد التنافس للوصول إلى السلطة بين بعضهم في الصف الواحد، ويُنظر إلى المواقع التي سيصل إليها أحدهم على أنها غنائم يمكن الاستفادة منها بصورة شخصية، مع أن الواجب هو الاعتبار، والعلم بأن تلك المكانة التي وضعوا أنفسهم فيها أو وضعوا فيها هي في الحقيقة رتب عالية ومواقع كبيرة تلزم لها كفاءات قديرة ونفوس كبيرة ومفازات خطيرة لا ينجح في قطعها إلا الراسخون في العلم والأخلاق وبكثير من التخطيط النظري والعملي، وصل الحال بأحمد الرفاعي إلى أن وصف من يحتل تلك الأمكنة ولم يقدم شيئاً في تلك المواقع للأمة إنما هو في حكم المختلس للمال العام الذي يشملته حديث صاحب الشملة الذي أخبر عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه سيحترق معها في النار¹، نسأل الله العافية².

ومن الأسباب المفضية إلى فشل جهود الإصلاح والتغيير هو العمل الانفرادي السلطوي، بمعنى تحكم القيادات في زمام الأمور، وكأن القائد هو وحده الرجل الملهم، مع تجاهل دور الجماعة في الحياة الاجتماعية للمسلمين، رغم ما في العمل الجماعي من ضمانات القوة والتصحيح والتناصح، ووصل الأمر إلى تجميد وتعطيل كل صفة للعمل الجماعي وترك كل ذلك لأمر الساسة يقررون بأحادية مقبولة³. وهذا الأمر سمّاه أحمد الرفاعي بالاستبداد السياسي الذي جعل العمل الدعوي عامة يقوم على الفردية والسرية، والأصل أنه عمل جماعي تشاوري مشترك، وتلك الانفرادية أودت بالعمل الدعوي إلى المزيد من القصور والخلل وارتكاب للمزيد من الأخطاء الدعوية والمنهجية والفكرية والتي استمرت إلى يومنا هذا لأنها لم تعالج في حينها، ومن نتائج ذلك أن الدعوة في مرحلتها السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي لم تكن تتجاوز المسجد وقضايا تصحيح العقيدة باحتشام وكذا التصدي للمد الشيوعي

¹ أخرجه مسلم حديث (115)، وأخرجه البخاري في "كتاب المغازي" "باب غزوة خيبر" حديث (4234)، وأخرجه أبو داود في "كتاب الجهاد" "باب تعظيم الغلول" حديث (2711). (عن أبي هريرة قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر. ففتح الله علينا. فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً. غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادي. ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له، وهبه له رجل من جذام. يدعى رفاعه بن زيد من بني الضبي. فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمل رخله فرمي بسهم. فكان فيه حنفة. فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلاً. والذي نفس محمد بيده! إن الشملة لتلتهب عليه ناراً. أخذها من العنائم يوم خيبر. لم تصبها المقاسم» قال فقزع الناس. فجاء رجل بشارك أو شراكين. فقال: يا رسول الله! أصبت يوم خيبر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شارك من نار أو شراك من نار».

² ينظر: الصادق سلايية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، جريدة النور، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 29.

والاشتراكي حينئذ، والواجب يقتضي وقفات جادة للتقييم والمراجعة وحصر الأخطاء والسلبيات لتحديد الرؤى والمناهج ومعها تجديد العزائم والإرادة¹.

لقد شاع عند قطاع كثير من الناس، وكتب الكثير من الدارسين والمحللين عن ظاهرة استغلال الأحزاب الدينية للوصول إلى السلطة، واستغلال العامة لتحقيق مآرب خاصة "هذه الحركات التي استغلت الإسلام للوصول إلى أطماعها ومكاسبها وتحقيق مصالحها بعد أن سُلمت الحكم غيرت وشوهت صورة الإسلام السياسي عند أهله وفي العالم أجمع، وقد كان وصولها للحكم ضمن خطة غريبة خبيثة لضرب الإسلام وجعله ديناً كهنوتياً فقط، ولا علاقة له بالسياسة وأنظمة الحياة من اقتصادي واجتماعي وثقافي، وإظهاره بمظهر النظام المتخلف الذي لا يصلح للبشرية في العصر الحديث والتقدم العلمي والتكنولوجي، حتى إذا فشلت هذه النماذج في السياسة وفي الحكم، اعتقد البعض أن السياسة إذا دخلت في الإسلام أفسدته وسلبت منه طابعه الروحي! إلا أن فصل الإسلام عن الحياة وعن أنظمة المجتمع، إنما هو وأد للإسلام وأنظمتها وأحكامها، وسحق للأمة وقيمتها وحضارتها ورسالتها"².

والمؤكد أنّها ليست تلك هي كلّ الحقيقة، فهناك من يزهد في أيّ منصب ومهما كانت المغريات، ومن الإسلاميين من انسحب من تلقاء نفسه، ويبقى الاحتياط واجبا وأخذ المخاذير مطلوباً لبقاء حركة الدعوة في مسارها السليم، خدمة للإنسان والأمة لا المصالح والأشخاص.

الفرع الرابع: الخلاف بين التيارات ذات التوجه الواحد.

الصورة الناصعة للإسلام، والصورة الطيبة للدعوة الإسلامية، والصورة الجميلة المفترضة لحركات الدعوة الإسلامية، هذه كلها أفسد بريقها وجمالها الاختلافات المدمرة بين الجماعات الإسلامية الدعوية، والتي ضمن مشاريعها عبارات الوحدة والتجمع ولم الشمل؟ لكنها في واقع الحال مشتتة مقسمة مسببة للخلاف والتشردم والتفرق، يقول أحمد الرفاعي موضحاً قضية الخلاف وامتداداته التاريخية وضرره على الحركة والصحة: "إنّ هذه الملاحظات تحتاج إلى مثال يوضحها للقاري ليتأتى له بذلك ربطها بالواقع، والمثال الذي أسوقه لذلك هو قضية الخلاف بين المذاهب و«الجماعات الإسلامية» قديماً، ومدى تأثيرها السلبي على الصحة الإسلامية المعاصرة في إطار التأثير بفهم التاريخ، أعني التاريخ المشوه والذي تحول في جانب منه إلى «إرث كريه» له افرازات مسمومة ومؤلمة ومؤثرة في واقعنا، حتى أنّها تغلبت في

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، أوراق في المستقبلات، جريدة النور الجديد، مرجع سابق

² علي البدري، كلمة العدد حيتان الأحزاب "الإسلامية" بتلع العراق، الموقع الإلكتروني <https://www.alraiah.net/>، تاريخ

الزيارة: 2020/06/10م، في الساعة 14.00

أذهان الكثيرين منا علي متطلبات المرحلة ومقتضيات الإيمان ووحدة العقيدة والأخوة الإسلامية وواجب الوحدة"¹.

لقد كان يؤمل في تعدد المدارس الفكرية أن تكون روافد جديدة للفكر الحرّ الذي يسعى لتفعيل الطاقات وشحذ الهمم لايجاد حلول لمشكلات الأمة، فإذا بالأمر يتحول إلى صورة عكسية حيث أصبحت تلك التيارات عبئا إضافيا على الحركة الإسلامية.

إنّ الاختلاف المستشري بين الحركات الإسلامية مرض يتزامن مع مسيرة البشرية على وجه الارض وهو ناتج عن الفهم الخاطئ أو حبّ الذات أو النظرة السطحية أو عدم التمييز بين الالهم والمهم من الامور وغيرها من العوامل كما يوضح مهدي العطار في مقاله حول مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة، مضيفا: "وقد بلغت ظاهرة الفرقة ذروتها في هذا العصر فتحوّلت الخلافات الفكرية إلى معارك دموية تمزّق أوصال الأمة إلى أشلاء متفرقة، والمسلمون يكفر بعضهم البعض الآخر، كلّ ذلك يجري في إطار الجزئيات والأمور السطحية في الوقت الذي تحوّلت أمهات الأمور والمسائل المرتبطة بمصير الأمة ومستقبلها إلى أمور هامشية"².

إنّه من المحزن أن يكون أعداء الأمة من الخارج، وأعداء من الداخل أيضا، فقد ساد التناطح وانتشر التقاتل الحاصل بين الإخوة الأعداء، يقول يوسف القرضاوي في وصف الحال: "فلا يزعجني أن يكون للصحوة الإسلامية المعاصرة أعداء من خارجها يتربصون بها، ويكيدون لها، فهذا أمر منطقي اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر، التي أقام الله عليها هذا الكون الذي نعيش فيه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الفرقان. الآية: 31]، وقد قال تعالى في شأن أعداء الملة والأمة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [سورة البقرة. الآية: 217]. إنّما الذي يزعجني ويؤرقني ويذيب قلبي حشرات: أن تعادي الصحوة نفسها وأن يكون عدوها من داخلها، كأن يضرب بعضها بعضا، ويكيد بعضها لبعض، وأن يكون بأسها بينها"³.

والمؤسف أن تصبح صورة الصحوة الإسلامية خلافات مستمرة وصراعات تطفو على السطح بمناسبة وبدون مناسبة، وشعارات جوفاء ومصالح خاصة، وتبريرات تقسم المسلمين بشعارات الإسلام والإيمان، وليس الإسلام كذلك بل هو دين الوحدة والتوحيد كما أنّه دين التوحيد.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق. ص.22.

² مهدي العطار، مسؤولية العلماء في ترشيد الصحوة الإسلامية وتلبية حاجاتها الفكرية، مرجع سابق.

³ ينظر: يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ط1، دار الشروق، مصر، 2001م، ص.05.

الفرع الخامس: مؤثرات خارجية.

ليس من الحقّ ولا من المنطق إتهام الحركات الإسلامية بأنهم المتسببون وحدهم فقط في فشل المحاولات المتعددة للإصلاح، فهناك عوامل أخرى لا تتعلق بهم ولم يكونوا سببا فيها، بل وعلى النقيض من ذلك هم الضحايا، فقد طاهم الاستبداد والظلم والقهر والسجون، وأيضا تدخلت عوامل خارجية وتغيرات دولية متلاحقة، لتخلط عليهم الأوراق في عالم أحداثه متسارعة لا تعرف الانتظار.

إنّ القوى الخارجية أدركت بعد جملة من التجارب والملاحظات عن مسيرة الحركة الإسلامية وأهدافها وطموحاتها والتي قد تلغي عاجلا أصحاب المصالح وتنزع عنهم الترف الذي يعيشون فيه سواء الداخليين أو الخارجيين فأدرك هؤلاء أنّه لا بدّ من تأمين مصالحهم، وذلك يقتضي بالضرورة إجهاض الصحة وعرقلتها أو اختراقها واحتوائها وتوجيهها الوجهة التي يريدونها الأعداء¹.

وقد لاحظ المتابعون للشأن الدعوي الاهتمام الدولي بموضوع الصحة، وكيف أنّه تزايد بشكل لافت مباشرة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران وما تبعها من مدّ وتداعيات في العالم الإسلامي، وسبب كلّ ذلك الاهتمام هو العمل على دراسة الصحة من جذورها لتفكيكها وإرباكها، يقول أحمد الرفاعي موضحا المشهد: "إنّ المتتبع لمسيرة الصحة الإسلامية منذ انخيار حكم الشاه في إيران سنة 1979م يلاحظ أنّها حظيت باهتمام دولي واسع، ففي سنة واحدة وفي بلد غربي واحد انعقدت أكثر من 400 ندوة دراسية عن الصحة الإسلامية المعاصرة، من حيث جذورها التاريخية وملابسات ظهورها، وطاقاتها الفكرية والبشرية وآفاقها المستقبلية، وعلى ضوء ذلك رسمت خطط التصدي لها على مختلف الأصعدة وبكلّ الوسائل قبل أن تستكمل بناءها الفكري وتحدد أهدافها ومناهج تحقيقها، وقد أدى ذلك بالفعل إلى إرباك الصحة الإسلامية ودفعها إلى أوضاعها الحالية"².

ومن أسباب ذلك الاهتمام أيضا الرغبة في تفادي كلّ خطر يهدد مصالحهم التي هي في الأساس حقوق الآخرين خاصّة الشعوب المقهورة، لأنّ الصحة تعني أيضا صحة العقل والضمير ومن صحى عقله لم يخضع لغيره.

ولذلك نجد المهجوم على الصحة بدأ يتزايد خاصة من الغرب وأتباعه في الداخل "فالدعوات الخبيثة التي ملأت الساحة الفكرية خلال القرن الأخير، تتهم الصحة الإسلامية المعاصرة بأنها (تطرف ديني)، و (ظاهرة عابرة ودخيلة)، ويرون أنّ إحياء الماضي وإلباسه الحاضر والمستقبل أمر يتنافى مع طبائع

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، حوار مع زين الدين بوحنيفة، جريدة النور، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرقي، هل الأصولية خطر على الإنسانية؟ كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 118.

الأشياء، فقوانين التاريخ البشري كقيلة باحتواء الماضي حتى لو كانت ولم تكن بالفعل عصرًا ذهبيًا، فللحاضر معطياته الخاصة والكامنة في بنيتها"¹.

لقد سعى الغرب لتشويه الإسلام طوال قرون عديدة فكانت بعض معارك التنصير والاستشراق والتغريب والعلمنة والعمولة تهدف لتقويض الإسلام، ولما جاءت الصحوة وبرزت قوبلت بنفس الفكر والتصدي، ومن صور ذلك وصفهم الإسلام بدين العنف ووسمه بالإرهاب والتطرف تحت مسمى الأصولية.

وأوضح الرفاعي أنَّ الأصولية هي في أصلها الرجوع إلى الأصل لكن أعداء الإسلام أعداء الصحوة يربطونها بمفاهيم العنف والتشدد. يقول أحمد الرفاعي: "أمَّا الأصولية في عرف الإعلام غير النزيه، وفي عرف خصوم الصحوة الإسلامية، ومنهم وزير فرنسي سابق فتعني التطرف، التعصب، العنف، الإرهاب، التخلف، الجهل الظلامية وغيرها، وهي المعاني التي تعنيها صحف التيار الشيوعي واللائيكي في الجزائر، ومما سبق يتبين أنَّ وصف الصحوة الإسلامية من طرف خصومها بالأصولية لا يعني الشهادة لها بالأصالة وسمو المبادئ، وإمَّا يعني إتهام عقيدة الإسلام دون غيرها بالتناقض مع الفكر والعلم والحضارة"².

ومن الأسباب التي عرقلت عملية الإصلاح ظاهرة الانقلابات العسكرية، رغم أنَّها كانت تنادي وتزعم برفع قضية الإصلاح، ولكن في الحقيقة تلك الانقلابات لم تكن إلا امتدادا لظاهرة التفكك، ومنذ انفصال الأندلس عن الخلافة العباسية، وما تلاها من تفشي الظاهرة لأسباب أغلبها مطامع شخصية وانتقامات، فالانقلابات العسكرية عامَّة وإن تبنت كما سبق القول قضية الإصلاح والتغيير، إلا أنَّ تلك العمليات طالما تحولت وانتهت إلى اجترار الأخطاء نفسها، وتكرارها وتكريسها سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا، وتركت دماء ودموعا وجراحا غائرة في ركن الأمة، وذلك ممَّا كرَّس التخلف والمزيد من الأزمات التي عانى ويعانى منها المجتمع الإسلامي³.

إنَّ أسباب هذه الأزمة التي وقع فيها الدعاة المعاصرون تتمثل بالأساس في إهمال تقدير جوانب من حقائق الواقع وإبعاده، ولعل سبب ذلك الاستعجال الواضح بسبب التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية المتسارعة والتي فاجأت الجميع، مع أنَّ الحركة الإسلامية بالغت في التخوُّف من تلك المخاطر الخارجية وخاصة ما صار يسمى المؤامرات المرصودة، وهنا يرى أحمد الرفاعي أنَّ الخطر لا يمكن أن يكون من

¹ محمود إسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط1، دار الشراع العربي، الكويت، 1993م، ص123.

² أحمد الرفاعي شرفي، هل الأصولية خطر على الإنسانية؟ كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص118.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص100.

الخارج، ومهما خسرت جولة فهي لن تحسر الحرب ولا تتأثر بالضجيج الإعلامي من طرف ماجورين، إنَّما الخلل الحقيقي يكون بالأمراض الداخلية ومنها العمليات والنشاطات التي يغيب عنها التخطيط، وبالانحراف عن المبادئ وخيانة الأمانة وغيرها¹.

المطلب الثالث: السياسة والحزبية مكبلات للصحة.

الفرع الأول: تأثير السياسة على الصحة.

لقد اهتم أحمد الرفاعي كثيرا بشأن الصحة الإسلامية المعاصرة، وكان أكبر موضوع يشغل ذهنه قضية (تسييس الدين) فقد كتب لأجل ذلك مقالات شتى، تحليلاً ونقداً وارشاداً وإصلاحاً وإنقاذاً، مبيناً ممكن الخطأ في كون أن الأصل هو إخضاع السياسة للدين وما حدث هو العكس، يقول الرفاعي عن مقالاته في هذا الشأن وسبب تدوينه لها: "هذه المقالات شهادة على مدى ما ألحقه الإسلاميون بالدعوة والصحة من أذى شوه الدعوة والصحة، وفي بعض الحالات تحوّل إلى صدّ عن سبيل الله، وكلّ ذلك يعود إلى تسييس وتحزيب الدين واعتباره من المصالح السياسية العليا، بينما السياسة هي التي ينبغي أن تخضع لسلطان الدين وذلك المخرج من المتاهة التاريخية والواقعية"².

لقد اعتبر أحمد الرفاعي أن الضرر الذي لحق بالصحة كان من أسبابه الإسلاميون أنفسهم، وكلّ مرّة يعتبر أن التسييس الذي طال الدين والتحزب الذي طغى على حساب الدعوة هو الضرر الأكبر والخطر الأعظم.

كان الرفاعي يحلم بمشروع نهضوي كبير، يضيف أبو جرّة سلطاني عن فكرة هذا المشروع وما آل إليه هذا المشروع: "وكان لا يترك فرصة تمرّ دون أن يذكر بالأمانة وتكاليها ويحمل كل من يتحدث إليه مسؤولية الإسلام والدعوة، وظلّ كذلك حتى في لحظاته الأخيرة. قبل أن يلفظ أنفساه فقد كان يتحدث عن عظمة هذا الدين وعن قدرته على تحقيق الانتصارات حتى لو انهزم المنتسبون إليه جميعاً، فهو صاحب فكرة "عصر الإسلام الثاني" إسلام القرآن والسنة وليس مزاعم قشور المسلمين الذين يقول عنهم إنهم سيسوا الدين ولم يسلموا السياسية، ففسد الدين وفسدت السياسة"³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، حوار مع زين الدين بوحنيكة، جريدة النور، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، هذه المقالات، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 03.

³ أبو جرّة سلطاني، فقدنا رجلاً من جيل الصحابة، جريدة الشروق، مرجع سابق.

ومما نتج عن تسييس الدين والعلم والفكر من سلبيات، تعطيل الدور المجتمعي والفكر الابداعي الحرّ، وثالثة الأثافي إهدار حرية المجتمع وتسييره بقبضة حديدية منذ قرون ماضية وإلى يومنا هذا، وكلّ ذلك أنتج المزيد من الفرقة، والتخلف، والفساد، وتكريس الانحراف عبر التاريخ¹.

ورغم تنوع الخطاب الدعوي بين المدارس الفكرية، وبين مستويات الخطباء والدعاة والمفكرين إلا أننا نسجل قصورا في الخطاب الدعوي المعاصر الذي لم يستوعب بعد قضية تأثير تسييس الدين والفكر والثقافة وما أحدثه كلّ ذلك في البنية المعرفية والاجتماعية للمسلمين من تدمير وتزييف جعل الانسان المسلم في الواقع عديم الوعي وعدم الارادة، تتحاذبه وصايات شتى: المال، الشهوات، الحزبية، القمع، السلطة، التبعية الحضارية، الفقر الأمية².

ويرى أحمد الرفاعي أنّ أكثر أخطاء المسلمين عامّة وقادة الصحوة خاصة هو الفعل المتمثل في تسييس الدين وذلك بإخضاعه لاعتبارات سياسية مرجعا القضية إلى أول الانحرافات، حيث تحوّل الحكم الإسلامي من خلافة راشدة إلى ملك، وحينها تمّ إلزام أئمة الجمعة بسب الإمام علي - رضي الله عنه- والقيام بلعنه على المنابر في كلّ المساجد، مع أنّ نصوص الإسلام تنهي صراحة عن السباب، ومن تلك الفترة بدأ الانحراف والفساد والظلم ولم تعمر الدولة الأموية طويلا وخلفت تلك الأحداث العديد من العاهات شوّهت الإسلام وبقيت إلى اليوم³.

ومن خلال الملاحظات السابقة فإنّ أحمد الرفاعي يرى أنّ أبرز الأخطاء التي وقعت فيها الصحوة وأيضا جمعية العلماء هو تحزيب الدعوة وتسييسها بعدما كانت قرآنية سنية، وكانت الأولوية لديها وحدة الكيان ووحدة المنهج أيضا، ففي فترة سابقة تولى رئيس جمعية العلماء منصب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى المعين بقرار سياسي وهو يتبع السلطة مباشرة، وبالنسبة لرواد الصحوة تحوّلهم إلى أحزاب معارضة، وكلّ ذلك أدى إلى تفكيك الصحوة وتراجع الدعوة، والأصل حسب الرفاعي أن يقام الدين في النفوس وليس إقامة الأنظمة السياسية بصراع مع الأنظمة القائمة، ولم يتحقق من ذلك إلا المزيد من الفرقة والفساد⁴.

كما يعتبر أحمد الرفاعي أنّ من الأخطاء الكبيرة التي تورّط فئة العلماء خاصة هي دخول معترك السياسة، حيث المكر والخداع واختلاط الحق بالباطل والخطأ بالصواب والهداية بالضلال، وعن عواقب

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، رسالة شخصية إلى الدكتور أبو القاسم سعد الله، سنة 2012. وثيقة خاصة، ملحق رقم 02.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مراجعات في زمن الوهن، مرجع سابق، ص 338. بتصرف

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 37.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وواجب تفعيلها، جريدة الشروق، مرجع سابق.

ذلك يوضح الرفاعي: "عواقب الدمار والهلاك للجميع وقد كان وما يزال من حق الله - عزَّ وجلَّ- على فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي وأمثاله من علمائنا أن يزونا الأمور بعواقبها في الدنيا والآخرة وليس بميزان صراع المواقف والمواقع، فتلك بضاعة خاسرة بكل تأكيد ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم¹.

خبر أحمد الرفاعي شرقي الدعوة والدعاة في الجزائر في السرية إبان الحزب الواحد وفي الديمقراطية حين تحول الكثير من رفقاء دربه في الدعوة إلى سياسيين، ومنهم رئيس حركة مجتمع السلم- سابقا- أبو جرة سلطاني، حيث كانا ينشطان جنبا إلى جنب في التوجيه والإرشاد بقسنطينة، هذا يقيم درس الجمعة والآخر الخطبتين ناهيك عن المحاضرات المشتركة والندوات، ويقول عن هذه العلاقة بعد أن فرقت بينهما السياسة إنهما مجرد مجاملات الآن².

وينقل أبو جرة سلطاني وهو الذي كان رفيق الرجل واختلفا بسبب السياسة، ينقل عن زميله موقفه من هذه القضية فيقول: "لقد سيسنا الصحوة فاختلطنا وحزينا الدعوة فجمدنا ونقلنا الإسلام من القيادة إلى الاقتراح فضاع شعارنا وتحولت وسائلنا إلى غايات فانخفض سقفنا وصورنا في عيون الناس وصرنا أضيع من الأيتام في مؤدبة اللثام ونحن اليوم بين خيارين، إما أن نكون أهلاً لإعادة بعث الصحوة وإما أن نرتقب حالة استبدال بقوم غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا"³.

ورغم حبه للعمل الجماعي الخيري، إلا أنه تخلى عنه طواعية وانسحب من جمعية الإرشاد والإصلاح بعدما تشكل من أعضائها حزب حركة المجتمع الإسلامي (حماس حينئذ وحمس حالياً) وعندما سأله الصحفي عياش دراجي عن جمعية الإرشاد وانسحابه منها: أجاب أحمد الرفاعي شرقي: "نعم بكل تأكيد أنه لم يكن راضياً بتحويلها إلى حزب سياسي"⁴.

حدث هذا رغم أن أحمد الرفاعي شرقي كان حريصاً جداً - كما سلف الذكر- على العمل الاجتماعي التضامني، لكنه سرعان ما انسحب من جمعية الإرشاد والإصلاح الاجتماعية، بحجة تحزب الكثير من أعضائها، ولما ولدت -الجمعية- مولوداً حزبياً هو (حركة مجتمع الإسلامي - حماس) لم يكن معترفاً ولم يكن منخرطاً ولم يحمل بطاقة اطلاقاً باسم حماس ولا حركة حماس فيما بعد تكييف تسمية الحزب وفقاً للقانون الجديد⁵.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، أخطأت يا فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، جريدة الدعوة نيوز، مرجع سابق.

² ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

³ أبو جرة سلطاني، فقدنا رجلاً من جيل الصحابة، جريدة الشروق، مرجع سابق.

⁴ عياش دراجي، حوار مع الدكتور احمد الرفاعي شرقي جريدة الحقيقة العدد 34، من 31 أوت إلى 06 سبتمبر 1994م

⁵ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

عندما جاءت التعددية وتوسعت كان غير منتميا لأيّ اتجاه، وأراد جمع هذه التوجهات بطريقة سلسلة وهدوء ودون ضجة، لكن انفجار التعددية أثر سلبا على مساعيه ورأى أنّ الخرق اتسع على الرفاع وأنّ الأمور أضحت من الصعوبة بمكان، حاول في مرحلة من المراحل أن يؤسس كيانا جامعا لكل المشارب مرّة في شكل جمعية، ومرّة في شكل منتدى ولكن هذه المساعي لم يكتب لها النجاح، لم يكن مقتنعا تماما بالكيانات السياسية وكان يجتمع مع الجميع ويسمع للجميع وبالنسبة إليه كان يرى الجميع متنكبًا للطريق، ولما كُلف برئاسة جمعية الارشاد -الفرع الجهوي- في قسنطينة لم يكن راضيا وكان ينصح القائمين على هذه الاتجاهات بتوحيد الكلمة، ومع سيطرة الفكر الحزبي مقارنة بالعمل الاجتماعي كان يراه مناهضا للعمل الدعوي¹.

لقد كان رحمه الله شخصية عامّة جامعة، يؤرقه بشكلٍ حاد ومؤلم حال المسلمين بالعموم، وهم على هذا النحو المعيب من التشرذم والتفرق والتمزق، ولا يرى سببا لذلك سوى استحكام المصلحة أيّا كان نوعها، والمصلحة شهوة في الأساس. وأكثر ألمه متأّت من تفرق أبناء التيار الإسلامي في هذا المجتمع، وقد كانوا أملا كبيرا للمجتمع ورمزا من الرموز الجميلة الجامعة الجاذبة. لذلك كان دائم التحليق فوق فضاءات "الانتماء الضيق" سواء كان حزبيا أو غير حزبي؛ لأنّ الانتماء الحقيقي إنّما هو انتماء للإسلام. ولدعه يعبر عن ذلك بنفسه وقد سئل إلام تنتمي؟ فأجاب: "أنتمي إلى إسلام عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وإسلام عهد الخلفاء الراشدين قبل أن تظهر المذاهب والاختلافات وهو ما تفسره الآية الكريمة ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج. الآية: 22] أنتمي إلى الإسلام الذي يوحد المسلمين ولا يفرقهم².

إنّ تجربة الخوض في السياسة من طرف الجماعات الإسلامية والدعوية أثبتت مع مرور الوقت أنّها لم تكن موفقة إلى الحد الذي كان يرحوه منها قادة تلك الجماعات، بل إنّ بعض الأحزاب اندمجت في المشاركة السياسية وصارت جزءا من الأنظمة الحاكمة مما أفقدها هيبتها ورونقها خاصة مع بقاء الحال دون تغيير واضح، الأمر الذي أسهم في إضعاف الحركة الدعوية، وقد تكلم أحمد الرفاعي هذه التجربة في بعض ما كتب فقال: "تجربة الأحزاب الإسلامية المسموح لها بالنشاط في مناسبات الانتخابات، تبين أنّها مجرد حيلة لتجميد النشاط الدعوي والفكري والثقافي للأحزاب بدعوى عدم استغلال الدين لأغراض سياسية، وفي الوقت نفسه تحرم الأحزاب الإسلامية من التغلغل الشعبي، وتجنيد القوى الاجتماعية الخيرة لعملية التغيير، وفي الوقت نفسه تورط الأحزاب المشاركة للسلطة مشاركة مباشرة

¹ ينظر: حسن كاتب، مقابلة شخصية يوم 2019/02/11م . جامعة قسنطينة، في الساعة 14.00.

² ينظر: حسن خليفة، أحمد الرفاعي.. مفكّر زاؤه القرآن والسنة والتاريخ وإعمال العقل، مرجع سابق.

في الفساد، وتفقدتها مصداقيتها والقدرة على ممارسة أيّ ضغط على السلطة لمواجهة الفساد وذلك ما يجعل الأحزاب الإسلامية أمام خيارين لا ثالث لهما:

- أن تتخلى عن المنهج الحزبي، وتعود إلى العمل الدعوي الفكري قصد نشر رسالة التنوير، والتحرير والتغيير في القاعدة الشعبية الاجتماعية ودفعها إلى استئناف نشاطها في التربية والتوعية الإسلامية الحضارية الشاملة.

- أن تلتزم بنهج المشاركة في السلطة وذلك ما يجعلها في الواقع مجرد شعار بلا مضمون وشريك في الفساد، وتعمل لصالح السلطة، وكل ذلك حدث في الواقع، وذلك ما يجعل الرهان على المشاركة مع السلطة يسير في طريق مسدود¹.

اعتبر أحمد الرفاعي عملية اقحام الدين في السياسة مثل - الجريمة الشنعاء- وهو الأمر الذي أفضى إلى تفجير الصحوة وتعطيلها عن تحقيق أهدافها المرجوة والمنتظرة منها، ولذلك كان دوما يدعو لوقفه جادة للمراجعة والتمحيص "فجرمتنا المشتركة أننا وقعنا جميعا في خطأ تسييس الإسلام وتحزيب الصحوة، فنتج عن ذلك فساد في التصور وتزييف للمفاهيم، وصارت الوصاية السياسية والأساليب الإدارية مهيمنة على الدين والدعوة وبأسطة سلطاتها على حياة الناس ولغتهم وفكرهم وطرق عيشهم لذلك لا بد من تحرير وتقويم"².

ويظهر أنّ نصيحة أحمد الرفاعي حصرت العمل الدعوي في طريقين اثنين، إمّا العمل الدعوي المجرد بعيدا عن السياسة، وإمّا المشاركة السياسية، وكأنيّ به لا يوجد طريق ثالث بينهما أو هو الحكم والجزم بعدم صلاحية المشاركة السياسية والتغيير من داخل السلطة من خلال تولي المناصب السيادية والقيادية من خلال المشاركة سواء بالانتخاب أو التعيين، والحقيقة أنّ هذا الطريق يمكن أن يكون له إيجابياته أيضا كما وقع في تركيا أو تونس وغيرهما.

ومن زاوية أخرى يمكن اعتبار أنّ النهوض بالسياسة - رغم ما فيها من مطبات - يمثل تحديا للأمة الإسلامية عامّة وللصحوة الإسلامية خاصّة، لأنّ العالم أجمع يرى أمتنا في خانة الدوّال الفاسدة سياسيا، وحقيقة فالتيه صار يرافق أمتنا ودولنا الإسلامية، بين ماض لا نعرف كيف نخلّله، ومجدد لا

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مؤسسة البلاد للنشر والاتصال، ط1، الجزائر، 2011م، ص70.

² أبو جزة سلطاني، فقدنا رجلا من جيل الصحابة، جريدة الشروق، مرجع سابق.

نعرف كيف نستعيده، ومستقبل كيف نحققه أو نتلاءم معه، إنّه من الواجب تطويع السياسة للشرع لتصبح سياسة شرعية، وليس النهي والامتناع عن الممارسة السياسية هو الحلّ الوحيد¹.

الفرع الثاني: الممارسة الخاطئة للمعارضة.

وفي الفترة التي انتعشت فيها الصحة الإسلامية وبلغت ذروتها حيث تبنت كلّ فصائل الصحة وتياراتها الرؤية التاريخية للأحداث، رأى الرفاعي أنّ ما رآه الدعاة رؤية جامدة بعيدة عن الصواب والمتمثلة في "الظن بأنّ سبب الأزمة يعود إلى فساد الأنظمة، وذلك ما جعلها تتورط في الصراع ضد الأنظمة بدون جدوى، وتهدر جهود العاملين في الساحة الدعوية بينما فساد الأنظمة مجرد نتيجة، أمّا سبب الأزمة الحقيقي والمباشر فهو الخلل العقدي الناتج عن تغيير نظام الخلافة بمقتضياته الإيمانية إلى نظام سياسي يلغي خصائص المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان المسلم وواجباته بما في ذلك حقه، وواجبه في إيجاد الجماعة بوظائفها الأساسية التي ذكر الإمام أبي يعلى بعضها"².

إنّ المعارضة وهي تحاول التغيير وتسعى إليه - وقد انخرط فيها الكثير من الفصائل ذات التوجهات المختلفة- تتفق فيما تتفق فيه على تحميل السطات كل الخطايا والبلايا، وهي بذلك تبرئ نفسها من أيّ مسؤولية من جهة، وتبرئ الشعوب أيضاً من جهة أخرى، وهذا خطأ كبير فالشعوب والأحزاب والسلطات كلهم شركاء في الأزمات.

"وإنّ بعض هذه الأحزاب المعارضة تعارض الحكم القائم لتحلّ محله، ومن ثمّ تقلده في كلّ شيء؛ ولقد أثبتت التجربة أنّ جلّ الأحزاب المعارضة تتصرف وكأنّها ليست جزءاً من المجتمع المدني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّها تظهر نفسها كمشروع لاحتواء المعارضات الأخرى"³.

وفي الوقت ذاته لا يمكن الجزم بالنوايا السيئة للمعارضين أو من يمارس المعارضة السياسة، فالأصل في المعارضة الاعتراض عن الاختلالات الواقعة، وليس بالضرورة ممارسة الدعوة بعيداً عن ممارسة السياسة، فلو أُتيح المجال سياسياً لربّما كانت النتائج مجدية وفعّالة.

ونجد أحمد الرفاعي في دفاعه عن فكرته بعدم الخوض في السياسة وممارسة النشاط السياسي يصوغ أمثلة فيها بعض الموضوعية وبعض المبالغة كقوله "إنّ أسوأ ما في المعارضة، من المنظور السابق، أنّها تُلقى بمسؤولية فساد الأوضاع عامة على كاهل السلطة وحدها، مع أنّ فساد الأوضاع عامّة وسياسياً

¹ ينظر: عبد الكريم بكار، الصحة الإسلامية صحوة من أجل الصحة، مرجع سابق، ص 182.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 17.

³ محمد جاسم محمد، أخلاقيات المعارضة السياسية، الموقع الإلكتروني الفرات <http://fcds.com>، تاريخ الزيارة:

2020/04/18م، بتصرف.

بالأخص تخطط له السلطة، وعمليا يمارسه المواطنون عامة، فليست السلطة هي التي قالت للمواطنين: أنشروا الرشوة، واذهبوا إلى المخدرات، ومارسوا العنف، وانشغلوا بكرة القدم عن البطالة والفقر والأمراض"¹.

وبنظرة موضوعية ندرك أنّ جانبا من تلك الفكرة صحيحا، فالمتعمن في الفكر الحزبي والسياسي عند أغلب التنظيمات التي اختارت المشاركة أو المغالبة، يدرك جيدا كيف أنّها كانت تعتقد أنّ الخلل في الأنظمة وحدها، وكأنّ الشعوب مغلوبة على أمرها ولا تتحمل أيّ مسؤولية في الأوضاع المتدهورة، ولم يكن أحمد الرفاعي يبرئ هذه أيّ طرف في الأسباب التاريخية التي أفضت إلى الحالة الراهنة.

ومن جانب آخر لا بد من الإشارة إلى موضوع مهمّ حيث احتدم الصراع بين تيارات المعارضة، ونقصد هنا بالأخص تلك المحسوبة على التيار الإسلامي وبين السلطات، ولم يثمر ذلك إلا المزيد من الاعتقالات وحصر الصحوة وغلق المساجد والتضييق على العمل الدعوي أو في أحسن الأحوال دفعهم إلى المشاركة السياسية التي لم يجنوا منها سوى الخسران أو بعض الفتات أو المصالح الشخصية الضيقة، حدث هذا كثيرا.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، الحوار الوطني والخيارات الصعبة، كتاب: آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص 350.

خلاصة الفصل.

لقد كان موضوع الصحوة الإسلامية من أهم المواضيع التي كتب فيها أحمد الرفاعي شرفي، وقد سجل ملاحظاته الكثيرة والمتعددة سواء في مقالاته أو كتبه أو حواراته الصحفية، بين فيها أحمد الرفاعي المقصود بالصحوة، وكيف بدأت مسيرتها، وميرزا لأخطاء الحاضر ولأخطاء الماضي واجترار الأخطاء عبر مسيرة مثيرة.

كما كان اهتمام الرفاعي واضحا بالصحوة من خلال العمل على بيان أهميتها، وأهدافها، وأسسها التي تقوم عليها، مبيّنا الاختلالات الواقعة في كل حين ومرحلة وناصحا بسبل تجاوزها، وكان له شرف الاسهام في ترشيدها بالنصائح والرسائل والنقد المثمر.

لقد عاش أحمد الرفاعي جزءا هاما من حياته في فترة الصحوة الحديثة، حيث عايش الأحداث والتغيرات المتلاحقة، ونبّه لأخطاء واقعة وحذر من وقوع أخرى صادمة، ولم تحب توقعاته في الغالب، حيث أدرك قبل وفاته هزّات عنيفة أصابت الصحوة في الجزائر وفي غيرها من البلاد الإسلامية، لم يكن متحسرا فقط، بل حاول مرة أخرى بيان أسباب الانكسار والانحدار، حيث أبرز الأخطاء المتعلقة بالقيادة ورغباتهم المتناقضة مع أهداف الصحوة، وكذلك الأخطاء المنهجية من قبيل: ضعف التخطيط، وانعدام الاستشراف، والبعد عن قراءة التاريخ والاستفادة من دروسه الكثيرة، ولم يغفل في خضمّ كلّ هذا العنت والظلم المسلط على دعاة الصحوة من الأنظمة ومن القوى الخارجية التي تترصد الإسلام كدين عالمي يحمل الأمن والسلام والحقّ، بديلا عن الأنظمة والشرائع المحرفة وموجهها للإنسانية جمعاء. ولم يغيب عن أحمد الرفاعي كعادته التحذير من تسييس الدين، واعتباره بلوة البلايا ومصيبة المصائب ويقصد به اتخاذ الدين مطيّة لتحقيق أهداف وأغراض سياسية، وفي الأخير لا مبادئ السياسة تحققت ولا الصحوة انتصرت، ولم يبرئ الأنظمة ولا الشعوب من التقصير الحاصل في كلّ أمراض الأمة. وفي الجمل توضح من خلال مادة هذا الفصل حقيقة الصّحة ودلالاتها وأسباب ظهورها وأهميتها وأهدافها ومرتكزاتها، ثمّ النتائج المحققة والإخفاقات المسجلة، وأسباب ذلك، وعلاقة الصّحة بالتغيير وشروطه ليكون ناجحا مثمرا طيبا، وذلك مضمون فصل رؤية أحمد الرفاعي شرفي لمسألة الصحوة الإسلامية.

الباب الثاني

مضامين الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي

شرفي وتنزيلاته الواقعية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: المضمون العقدي والإيماني وتنزيلاته الواقعية.

الفصل الثاني: المضمون الاجتماعي والثقافي وتنزيلاته الواقعية.

الفصل الثالث: المضمون السياسي وتنزيلاته الواقعية.

الفصل الرابع: المضمون الفكري والحضاري عند أحمد الرفاعي.

الفصل الأول

المضمون العقدي والإيماني

وتنزيلاته الواقعية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المضمون العقدي وتنزيلاته.

المبحث الثاني: المضمون الإيماني.

المبحث الثالث: التنزيلات الواقعية للمضمون.

الإيماني

مدخل الفصل

تعتبر موضوعات العقيدة أهم المسائل والقضايا التي جاءت الشريعة لغرسها في نفوس المؤمنين، كما جاءت نصوص كثيرة لتثبيت العقيدة في النفوس وترسيخها، حتى تبقى دوماً يقينا عند أصحابها تصدقها النفوس وتطمئن إليها القلوب لا يمازجها ريب ولا شك.

حرص أحمد الرفاعي في مقالات كثيرة على التركيز على موضوع العقيدة، وقد اعتبر أنّ كلّ أزماننا بسبب البعد عن العقيدة، وأنّه لا حلّ للمسلمين إلا بتصحيح العقيدة، وأن تكون هي المبتدأ والمنطلق ولا إصلاح يحدث بدونها.

والعقيدة تشمل قضايا الإيمان، وعليه طرح في هذا الفصل موضوع العقيدة والإيمان، بتوضيح معانيه وأهميته وتنزيلاته الواقعية، كبيان سبب ضعف العقيدة وضياع الإيمان وطرق الارتقاء بهما من جديد وتصحيح المسار.

فما مفهوم العقيدة والإيمان عند أحمد الرفاعي شرفي؟ وما منزلتهما في فكره الدعوي، وفيم تمثّلت الاسقاطات الواقعية لمضامين كلّ منهما؟ تلك التساؤلات وغيرها تشكل الإجابة عنها مادة فصل: المضمون العقدي والإيماني وتنزيلاته الواقعية في الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي.

المبحث الأول: المضمون العقدي وتنزيلاته

المطلب الأول: تعريف العقيدة.

01- لغة:

كلمة (عقيدة) مأخوذة من العقد والربط والشد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمرابطة، يقال: عقد الحبل يعقده: شده، وعقد الإزار: شده بإحكام، والعقد: ضد الحل¹. وجاء في القاموس المحيط: عَقَّدَ الحَبْلَ والبَيْعَ والعَهْدَ يَعْقِدُهُ: شَدَّهُ².

وعَقَدْتُ الحَبْلَ عَقْدًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ فَانْعَمَدَ وَالْعُقْدَةُ مَا يُمْسِكُهُ وَيُوثِقُهُ وَمِنْهُ قِيلَ عَقَدْتُ البَيْعَ وَنَحْوَهُ وَعَقَدْتُ اليَمِينَ وَعَقَدْتُهَا بالتَّشْدِيدِ تَوْكِيدٌ وَعَاقَدْتُهُ عَلَى كَذَا... وَاعْتَقَدْتُ كَذَا عَقَدْتُ عَلَيْهِ القَلْبَ وَالصَّمِيرَ حَتَّى قِيلَ العَقِيدَةُ مَا يَدِينُ الإنسانُ بِهِ وَلَهُ عَقِيدَةٌ حَسَنَةٌ سَالِمَةٌ مِنَ الشُّكِّ وَاعْتَقَدْتُ مَالًا جَمَعْتُهُ³.

02- اصطلاحا:

تعريف العقيدة لا ينفصل عن موضوع الإيمان، فموضوع العقيدة مرتبط بقضايا الإيمان ورسوخها وانعقادها في النفس، ومن التعاريف المهمة اخترنا تعريف ناصر العقل، حيث يقول: "العقيدة الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره"⁴.

ويرى أحمد الرفاعي شرفي: "أنّ العقيدة الإسلامية في مفهومها الصحيح وفي المنهج العلمي التعبدي، هي سلطة الإنسان المسلم ونظام حياته الفردية والأسرية والاجتماعية، كل ذلك يقتضي أن يكون المجتمع مسلما والدولة إسلامية"⁵.

¹ ينظر: لسان العرب لابن منظور، باب الدال، فصل العين، 296/3، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال، فصل العين، ص383، ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب العين، ص679.

² محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، مرجع سابق، ص300.

³ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج2، د ط، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، د ت، ص421.

⁴ ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض - السعودية، 1412 هـ، ص06.

⁵ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص62.

نلاحظ أنّ أحمد الرفاعي يربط العقيدة بأثرها في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات، ويربطها أيضا بكلّ مناحي الحياة سواء للمحكوم أو الحاكم، ممّا يعني ضرورة انعكاس العقيدة على جميع حياة الناس مهما كانت مستوياتهم ومناصبهم ومسؤولياتهم.

المطلب الثاني: أهمية العقيدة.

لم يكن الإنسان عبر التاريخ يستطيع العيش طوال مسيرته الطويلة بدون عقيدة مهما كانت هذه العقيدة صحيحة أو فاسدة، وقد كانت العقيدة تشكل عاملا أساسيا في دوره ومحيطه الاجتماعي، فالعقيدة مرجعية أساسية لبقية المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأسرية والمادية¹. وأهمية العقيدة تبرز في جوانب شتى، فحاجتنا إلى هذه العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة، ومن تلك المجالات:

- أ- بالعقيدة تتحقق سعادة القلوب، ولا نعيم، ولا سرور، إلا بأن تعبد ربّها وفاطرها تعالى.
 - ب- أنّ العقيدة الإسلامية هي أعظم الواجبات وأكثرها، لذا فهي أول ما يطالب به الناس.
 - ت- أنّ العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة التي تحقق الأمن والاستقرار، والسعادة والسرور.
 - ث- أنّ العقيدة الإسلامية هي السبب في حصول التمكين في الأرض، وقيام دولة الإسلام².
- إنّ العقيدة في القرآن الكريم ليست بمعزل عن واقع حياة الإنسان، ولا بعيدة عن شأن من شؤونه، إنّ القرآن يُرينا قيمتها وأثرها في حياة الناس، في ماضٍ وحاضر ومستقبل، في دُنيا وأخرى، يرينا ذلك في قصص القرآن وحديثه عن الأمم الماضية، لنعرف منه سنن الله فيمن آمن ولم يصر على الباطل على جحود وكفر، ولم يستبصر ويعتبر، والقصص القرآني كلّهُ لإبراز حقيقة العقيدة وأثرها في حياة الناس، تصديقا وإيمانا، أو كفرا وجحودا³.

المطلب الثالث: إصلاح العقيدة أساس كلّ صلاح.

كان أحمد الرفاعي من المفكرين الذين يرون أنّ أساس الإصلاح لا بدّ أن ينطلق من موضوع العقيدة، وأنّ أوّل ما يجب إصلاحه العقيدة، فبها وعلى مدارها يكون الإصلاح الشامل بفتحير العقيدة يكون تغيير الإنسان، يوضح أحمد الرفاعي شرفي هذا بقوله: "العقيدة عندما تكون صحيحة تغيير الإنسان حتما، كما حدث في عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - حيث أخرج الإسلام الناس من

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص22.

² ينظر: عبد العزيز بن محمد، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422هـ، ص32. بتصرف.

³ ينظر: حمد الراوي، العقيدة في حديث القرآن الكريم، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر، 2008، ص62.

ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن القسوة والغلظة إلى اللين والرحمة، ومن الفرقة إلى الإخوة والوحدة إلى غير ذلك، فذلك الفكر أي فكر، اقتصادي، وسياسي، أو اجتماعي أو إداري، أو زراعي، أو صناعي، أو علمي... الخ عندما يكون صحيحا يغير الواقع"¹.

لقد آن الأوان لإحياء الفكر من جديد، لأجل عودة الأمة لمسارها الطبيعي ولتكون أمة الشهادة، ولن يتحقق كل ذلك إلا بالعميقة، وهي فقط من تعطي كلمة المسلمين معناها الحقيقي، أما ما يراه الناس من مسائل تخص الحقوق والواجبات والمصالح فهي أمور مرنة تخضع للشورى وتحتل المزيد من الآراء وقد تشكلت في أكثر من هيكل أو إطار وتبرز في صور مختلفة حب بما تقتضيه مصالح المسلمين، وجميع ذلك يتحقق في إطار الشورى المؤسسة على تعدد الآراء والمفاهيم بعيدا عن كل أشكال الاختلاف المذموم والتنازع المشؤوم مثلما حدث طويلا في تاريخنا وسبب دماء ودموعا وحروب ما زالت آثارها إلى اليوم من فرقة وأحقاد وانقسامات، وأصبح المسلم لا يتورع في قتل المسلم بدم بارد، حدث هذا وما زال يحدث من الإنسان المسلم الذي جعله الله خليفته، وما أستخلفه الله إلا بما جباه من أهلية وكفاءة وعلم، وهي خصائص فريدة خصّ الله بها الإنسان على سائر المخلوقات².

إنّ العميقة الصحيحة ليست خاصة بتنظيم علاقة الإنسان بربه فحسب، بل يتعدى الأمر إلى علاقة الإنسان أيضا بالناس وكل ما يحيط به، وهي بذلك تشكل إطارا إنسانيا حضاريا يؤطر كامل حياة الإنسان في أبعادها المختلفة وجوانبها المتعددة، وعليه فلا بدّ من بدء الإصلاح بالعميقة ليصير لاحقا حضارة ربانية راقية، تنفع المسلمين وتنفع الإنسانية عموما بما جباهها الله من قيم العدل والخير والصالح³.

والاعتقاد بتحصيل ثقافة وفكر وحضارة دون عميقة صحيحة لا يمكن تصوره فضلا على حدوثه، فمهما ارتقى الإنسان ماديا أو برزت في محيطه علامات الحضارة المادية، فستبقى تلك مجرد مظاهر مادية بعيدة عن الفطرة السليمة، ومنه لا يمكن الإحساس بالحياة الطبيعية ولا يمكن أن تدوم تلك الحضارة.

ويؤكد أحمد الرفاعي أنّ العميقة هي أساس الفكر وأساس الثقافة وأساس الحضارة وعليه فعندما تصحّ العميقة وتسلم من الشرك ينعكس ذلك على الثقافة والفكر والحضارة، والدليل على ذلك واقع الحضارة الأوروبية المبنية على الكثير من الشرك والوثنية، فثقافتهم فقدت الكثير من قيم ومفاهيم الثقافة

¹ أحمد الرفاعي شرفي، قراءة في المشهد العراقي : سقوط السقوط، جريدة النور الجديد، تاريخ 05 مارس 2001، الجزائر، ص10.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص77.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للمؤمنين، مرجع سابق، ص222.

ووظيفتها المتمثلة في ترقية الإنسان وترشيده، ففي الثقافة الأوروبية يبيح قانونهم النابع من عقلية مشرقة زواج الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، ويجيز قانونهم أن تمتلك الكلاب الثروات الطائلة، والإنسان يموت جوعاً، وقانونهم الفاسد يبيح مصارعة الثيران وتعذيبها، وقانونهم الجاهلي يبيح إتلاف المحاصيل الزراعية محافظة على الأسعار والإنسان يعاني من الجوع¹.

إنّ أساس الفساد الفكري والعقدي ليس بسبب الفساد الإداري وحده، إنّما الفساد الإداري وغيره هو مجرد نتيجة لفساد الفهم والفكر والعقيدة والثقافة وما يصدر من أفراد الأمة نتيجة للفكر والثقافة المتشبع بها وعليه لا بد من اصلاح الفكر والعقيدة أولاً وبغير اصلاح فساد الفكر وجموده وإصلاح خلل العقيدة، فإنّ واقعنا لن يعرف أيّ تغيير ايجابي صحيح².

كما أنّ فساد الفطرة ينتج عنه فساد السلوك، وأساس ذلك الفساد البعد عن صحيح العقيدة، ففكر الإنسان تؤثر فيه العقيدة بشكل كبير، فمن العقيدة تنبع القيم وتشكّل المفاهيم والمبادئ والموازن التي تميز الإنسان عن غيره "فالعقيدة تشكّل قضايا الغيبات ويتولى الفكر شؤون الواقعات، ولذلك تستهدف الأنشطة الابليسية المعادية للإنسان مجالي العقيدة، والفكر لإفسادها وتحريفها، أما العقيدة فيفسدها إبليس بالشرك بالله - عزّ وجلّ - وبالكفر، وأمّا الفكر فيفسده النشاط الابليسي سياسياً بالاستبداد والقهر والظلم والترويح الكاذب لما فيه من خير وصلاح للناس مع أنّها مجرد مغالطات الغاية منها صرف الانسان عن عبادة الله - عزّ وجلّ -"³.

ولا يمكن بحال بناء حضارة بقوانين يُظن بها الخير والنفعة، وهي في حقيقتها مضادة للفكر وذلك لا يمكن أن تتحقق به على أرض الواقع، فما بنى على الأهواء والشهوات والمصالح الشخصية مصيره إلى زوال، وهنا يبرز دور العقيدة كأساس سليم ومتمين.

وعليه فواجب تكوين العقيدة في حياة المسلمين يكتسي أهمية بالغة، يُبيّن المفكر الرفاعي هذه الأهمية المتجلية عبر العصور بالقول: "الأهمية البالغة لعنصر العقيدة في البناء الاجتماعي امتداداً لعهد آدم عليه الصلاة والسلام أول رئيس للسلطة الإيمانية والإدارية، والهيئة الاجتماعية في آن واحد، وعبر التاريخ والعصور والحضارات تعاقبت الجاهلية والريانية في أكثر من عهد وعصر كما سبق القول، وانتهت إلى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - جاهلية عالمية لا ريانية فيها"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص130. بتصرف.

² أحمد الرفاعي شرفي، إننا في حاجة إلى جديد وعميق وشامل، جريدة النور الجديد، العدد02، بتاريخ 17 فيفري 2001، الجزائر

³ أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص67.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص23.

ورؤية البدء بإصلاح الفكر يبدأ بإصلاح العقيدة التي يركز عليه الرفاعي هي رؤية دعاة فئة من السلفية المعاصرين، وليست محل اتفاق من طرف جميع المفكرين، فيعتقد طه جابر العلواني أنّ هناك مبالغاة في ربط الجانب الفكري المتأخر بقضية العقيدة، حيث يقول: "إنّ هذا الوهم هو الذي دفع البعض إلى أن ينظر إلى الأزمة الفكرية على أنّها مظهر من مظاهر الخلل في العقيدة، وأنّ العمل على إصلاح العقيدة سيؤدي حتما إلى إصلاح ما يسمى بالأزمة الفكرية"¹.

وحسب طه جابر العلواني فليس العيب في دراسة التاريخ والأعاجاد، بل ذلك مطلوب، لكن المشكلة في عدم الوفاء بمتطلبات الشحن والتفريغ الفكري والمفاهيمي، وعدم القدرة على التحليل وفهم سنن الارتقاء والسقوط والبقاء في دائرة التنغي بالأعاجاد، وغياب الفكر الحر الذي هو ثمرة لتحويل العقيدة إلى عمل، وتنزيلها على الواقع في هذه الحالة يصبح التراث سببا معوقا للنهوض المأمول، وليس القصد الانتقاص من قيمة العقيدة كمحور أساسي في عملية البناء والتصحيح، يضيف طه العلواني موضحا: "فنحن لا نقصد من تحليلنا هذا التقليل من أهمية سلامة العقيدة، التي تشكل المحور الأساسي في البناء المعرفي والثقافي الإسلامي، بل نحن واعون تمام الوعي على أن إدراك أبعاد العقيدة وفهمها من طرف جيل القدوة دفع إلى اجتهاد وفكر أنزل العقيدة على حياة الناس وقوم سلوكهم بها، فأنتج بناء معرفيا وثقافيا سليما، رست على قوائمه حضارة لم يشهد التاريخ العالمي لها مثيلا"².

إنّ العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني إنساني، رباني بمعنى أنّه يستمد كلّ مقوماته من توجيه الله وحكمه، ويتجه إلى الله بكلّ شعوره وعمله. وإنساني بمعنى أنّه يشمل الجنس الإنساني كلّ في رحاب العقيدة وتدوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب وسائر ما يميز إنسانا عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان، وهذا هو العالم الرفيع اللائق أن يعيش فيه الإنسان الكريم على الله، المتضمن كيانه نفحة من روح الله³.

لقد كان النصر والتمكين للأمة بنصر الله العزيز الحكيم وكان هذا من الاعتقاد الصحيح السليم الجازم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولما تخلّى المسلمون عن طلب معية الله ونصرته بأسبابها، وأعتقد بعضهم أنّ النصر سيأتيهم من غير الله، نالهم ما نالهم وأصابهم ما أصابهم، يوضح أحمد الرفاعي ذلك بقوله: "ذلك سببه الجرأة على معصية الله - عزّ وجلّ- ومعصية الرسول- صلى الله عليه وسلم- والظنّ

¹ طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، ط5، العهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا -الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م، ص50.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ط 17، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1412 هـ، ص3537.

بأنّ الأسلحة تغني عن الله - عزّ وجلّ - ونصرته، والله يقول ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد. الآية: 07]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 160]، ومن لم ينصره الله فهو مخذول مهزوم دون شك، ولن تغني عنه أسلحته شيئا، وها هي أمريكا بجبروتها وحاملات طائراتها، وصواريخها العابرة للقارات تنهزم أمام شعوب ضعيفة في الفيتنام، وفي العراق وأفغانستان، والصومال إن شاء الله، وفي فلسطين بعون الله¹.

هذه النظرة الإيمانية الخالصة تعطي أملا للأمة بالنصر والتمكين والغلبة بعون الله وفضله ومنته سبحانه وتعالى، بعد تقديم أسباب النصر والتمكين.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 143.

المبحث الثاني: المضمون الإيماني

المطلب الأول: تعريف الإيمان.

01- لغة.

الإيمان مصدر من آمن يؤمن إيماناً وهو مشتق من الأمن، قال الجوهري: الإيمان: التصديق، والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن بهمزتين فأبدلت الهمزة ياء، والأمن ضد الخوف¹. وفي لسان العرب: الإيمان: ضد الكفر والتكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم². ومن خلال التعريفين يمكن القول أن الإيمان في اللغة يعني (الأمن) أي: إعطاء الأمن والأمان والطمأنينة، كما يعني (التصديق) أي: الذي يصدق قوله بالعمل³.

02- اصطلاحاً.

التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام؛ بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئناناً تُرى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه⁴.

المطلب الثاني: أهمية الإيمان للمسلم.

إنَّ أهمية الإيمان تتجلى في آثاره فالإيمان يمثل طاقة روحية وفكرية هائلة، وكلّما كانت تلك الطاقة متوفرة انعدم النفور وزالت العداوات والعنف بكلّ أشكاله، وأيضاً يثمر قيم التعاون والحب والتعايش والالتزام بالحقوق، وعليه فمنسوب الإيمان يؤثر مباشرة في سلوك الإنسان وما نلاحظه اليوم من أزمات الإنسان المعاصر، فبسبب انحسار الإيمان حيث ساد النفور ودبّت الصراعات والخلافات وتوسع العنف. وقد بيّن أحمد الرفاعي أهمية الإيمان واتساع دائرته وضرورة الاهتمام به فقال: "إنَّ الإيمان بالله -عزّ وجلّ- وذكره قضية أكبر وأهم ما يظن، وأتمّ في حقيقتها تستغرق كلّ عمر الإنسان وقدراته وطاقاته، ذلك أنّ ذكر الله -عزّ وجلّ- ليس مجرد كلمة يتحرك بها اللسان، وإنما هي رؤية شاملة للكون والإنسان والحياة، غايتها التعرف على الله -عزّ وجلّ- من خلال الكائنات وسننها ووظائفها، وعلاقتها

¹ الجوهري، الصحاح، مادة (آمن)، 2071/05

² ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (آمن)

³ ينظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ط1، مدار الوطن للنشر،

الرياض- السعودية، 2003م، ص19.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالإنسان ووظيفته ومآله الآخروي بعد زوال الدنيا، وهذه الآفاق غير المتناهية التي لا يمكن التعرف عليها والاهتمام بها مع الاهتمام بالأولاد والأموال في الوقت نفسه، لكون ذلك منهج المنافقين¹.

إنّ الرعاية الإيمانية أمر مهم جداً في حياة المسلمين وهي من صميم عبادة الله تعالى المأمور بها والمؤكد عليها وأيضاً تدخل ضمن واجبات المسلم الرباني القائم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تحدث أحمد الرفاعي شرفي عن أثر غياب الإيمان وحاجة الإنسانية للعودة للإيمان الذي فطره الله الناس عليه، فقال: "إنّ أزمات الحياة الإنسانية المعاصرة عامّة، وأزمات المسلمين خاصّة من حيث المظاهر والأسباب الحقيقية تعود إلى انحسار المستوى الإيماني والعقلي وتزايد سلطان المصالح والأهواء والشهوات بدل سلطان القضايا والقيم والمبادئ الراسخة، قد تطول فترة ضعف الإيمان وضعف العقل ولكنها لا تحل أيّ مشكلة بكلّ تأكيد، لأنّ حلّ مشكلات الإنسان بحسب سنن الله - عزّ وجلّ - يحلّها الإيمان الصحيح، ويحلّها العقل السليم لكونه النسخة البشرية من الهبة الربانية هبة الإيمان. فهل تعود البشرية ويعود المسلمون إلى الإيمان والعقل"².

وغياب الإيمان آثاره كثيرة ومتعددة، ومنها الوقوع في المعاصي والمحرمات، والشعور بخشونة القلب وقسوته، والتكاسل في الطاعات وأداء العبادات المفروضة، ويتبع ذلك ضيق في الصدر وتبرز مظاهر الخوف والفرع والقلق على ضعف الإيمان، ويصبح كثير التعلق بالدنيا حيث تكون هي أكبر همّه، وعدم الاهتمام بالعلم والمعرفة والخير، وعدم الاهتمام بقضايا المسلمين، ولا التفاعل معها لا بدعاء ولا صدقة ولا إعانة؛ فهو بارد الإحساس تجاه ما يصيب إخوانه في بقاع العالم من تسلط العدو والقهر والاضطهاد والكوارث، فيكتفي بسلامة نفسه؛ وهذا نتيجة ضعف الإيمان³.

ويكتسي الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - أهمية بالغة في حياة المسلم؛ لأنّ سعادته في الدارين مبنية على قوة إيمانه بربه - عزّ وجلّ - وقربه منه؛ فمن أطاع الله تعالى في ما أمره، وآمن به إيماناً صادقاً، واجتنب ما نهي عنه، وقال: سمعنا وأطعنا، آمنا وصدقنا؛ فقد فاز فوزاً عظيماً، كما أنّ نجاة العبد من عذاب الله، ومن شديد عقابه تكون بالإيمان الصحيح الذي علّمنا إياه رسوله الأمين - صلى الله عليه

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 120.

² أحمد شرفي الرفاعي، آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 269.

³ ينظر: محمد عبد العزيز اللحيان، ظاهرة ضعف الإيمان أعراضها أسبابها علاجها، موقع مجلة البيان / <http://albayan.co.uk>، تاريخ الزيارة: 20/06/2020م في الساعة: 14.00.

وسلم- قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 185]¹.

ويبقى الإيمان هو الرابط بين الفرد المسلم وأخيه المسلم، وبه تترتب منظومة عظيمة في مجال الحقوق والواجبات البينية، وعليه فالواجب أن يضل الإيمان جامعا وفوق الأهواء والمصالح والاعتبارات الشخصية، لأنّ الصلة المتينة بين المسلمين، وبانقطاعها يحدث الانفصام بين جماعة المسلمين ويبدأ التفكك يصيب الوجود الإسلامي برمته، وقد كان من بين أهم الوصايا التي حملتها خطبة حجة الوداع التأكيد على الحفاظ على العلاقة الأخوية بين المؤمنين².

المطلب الثالث: منزلة تقوى الله.

الفرع الأول: في معنى تقوى الله.

إنّ عبارة تقوى الله من العبارات التي تتكرر كثيرا وتشغل حيزا مهما في قضايا الإيمان، لكن مفهومها صار متغيرا وصارت العبارة لا تعني الالتزام الفعلي والتطبيقي، وكأنّهُ صفة شكلية يمكن أن تطلق على فئة معينة وصفا دون ممارسة أية شعيرة، وأصبحت التقوى مجرد أوصاف توزع هنا وهناك على من له منصب أو مكانة كعبارة (فلان ناس ملاح) وربما كان لا يصلي ولا يزكي وربما يشرب الخمر ويعصي الله، وعند بعض المنتسبين للتيار الإسلامي فتقوى الله هي الخطابة القوية وحفظ غرائب الآثار وفوائد النوادر، وعند بعضهم الحديث عن العذاب والجنّة والنار والترهيب، وعند بعضهم ممارسة المزايدات الفكرية والمذهبية، وهذا كلّهُ أوصل إلى إفراغ حقيقة تقوى الله من معناها الحقيقي، وأصبح عند البعض إلزامية التعامل مع الواقع كما هو، وانتشرت بذلك المفاصد وضاعت الواجبات وانحسرت الطاعات واستمر الموروث الفاسد بصوره البائسة³.

والمؤمنون الريانيون المتقون لله يتورعون عن انتهاك حرّماته وتجاوز حدوده "المتقون هم الذين اتّخذوا وقاية من عذاب الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، هذا من أحسن وأجمع ما يقال في تعريف التقوى"⁴.

¹ ينظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مرجع سابق، ص 08.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 206.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 85.

⁴ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ج 1، ط 6، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ، ص 232.

وقال ابن رجب في تعريف التقوى: "أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويجذره وقاية تقيه منه"¹.

وليس التقوى خاصة بجانب دون آخر، فهي ترافق المؤمن في كل حياته وتشغل كل وقته، "إن تقوى الله -عز وجل- أرق إيماني وثقاني واسع وعميق، يستوعب كل أشكال العبادات والطاعات الظاهرية والباطنية بمختلف شعائرها وجوانبها بصورة عامة يقتضي حفظ النفس من المعاصي سواء كانت معاصي قلبية أو لسانية أو غيرها من معاصي بقية الجوارح"².

تحدث أحمد الرفاعي شرفي بمرارة عن انعدام إيلاء الأهمية لتعليم تقوى الله لدى الناس، وذكر أنه ومن خلال مسيرته في التعلم والتعليم في المعاهد والجامعات داخل وخارج الوطن لم يجد مادة لتعليم الناس تقوى الله، يقول الرفاعي: "إن (تقوى الله) صارت مجرد موضوع لمحاضرة أو حلقة خاصة، أو خطبة جمعة أو تصريح سياسي أو حزبي، ولكنها عند الجميع فقدت معناها القرآني الرباني الذي جعلها هي حبل الله المتين، بعد ذلك تذكرت جمعية العلماء المسلمين، وسنوات المعهد، والزيتونة، والأزهر، وكلية دار العلوم، وجامعة بغداد، والجامعة الإسلامية وجامعة قسنطينة محطات عديدة ومختلفة في ظروفها وملاساتها، ولكنها كلها تلتقي عند نقطة أساسية هي أن عبارة (تقوى الله) فقدت معناها، فلا أتذكر أنه في المعهد تعلمنا شيئاً اسمه تقوى الله، ولا أذكر في تونس أننا تعلمنا شيئاً اسمه تقوى الله، ولا حدث ذلك في الأزهر أو غيره، ولا أذكر أنني درست موضوعاً في الثانويات أو الجامعة اسمه تقوى الله، وكل ما في الأمر أنها كلمات في مناسبات عابرة، وكل ذلك كانت له نتيجة واحدة هي ظهور أجيال متتالية ومتلاحقة محرومة من المفهوم الصحيح لعبارة (التقوى) عامة، وتقوى الله خاصة"³.

ويشهد الواقع الإسلامي من خلال حجم المعاصي والمنكرات والفواحش المنتشرة في جميع البلاد الإسلامية على أن التقوى زالت من نفوس الكثير من المؤمنين أو تكاد تنزل بشكل كبير، فلو وجدت التقوى لما انتهكت حرمة الله ولما أسقطت حدوده، ولما اتبع الناس الشبهوات وتركوا شرع الله الحكيم.

الفرع الثاني: وجوب تقوى الله.

التقوى من أوجب الواجبات، وقد دلّ على ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة النساء. الآية: 131].

¹ زين الدين عبد الرحمن بن رجب، جامع العلوم والحكم، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004م، ص158.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص85.

³ المرجع نفسه، ص88.

وتقوى الله هي وصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصحابة الكرام ومن ورائهم الأمة جمعاء،
عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَدَاةِ مَوْعِظَةً
بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ، فَمَاذَا تَعَهَّدُ إِلَيْنَا
- يَا رَسُولَ اللَّهِ-؟ «قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ..»¹.

إن أوضاعنا السيئة والكارثية التي نحيهاها بشكل يومي، والتي قرأنا عنها من محطات تاريخنا، والتي لا
تعكس حقيقة الإسلام ولا صورته الناصعة، إنما سببها غياب تقوى الله عن جميع الفئات بما فيهم
المعلمون والدكاترة والمتقنون والتجار والمختصون في شتى التخصصات، فلا تكاد تختلف سلوكياتهم
وممارساتهم الآثمة مع غير المسلمين! ووصل الأمر من بعضهم إلى اعتبار أن من يفكر بمثل هذا التفكير
إنما به مس من الجمود والرجعية والتخلف، وما يتحكم في أولئك سوى النفس والهوى حيث لا اعتبار
لمعاني الحلال والحرام والثواب والعقاب².

ويبقى المرء المسلم يتساءل أين تقوى الله من كل أفعالنا وسلوكياتنا وتصرفاتنا؟ والأغرب من كل
هذا أين هي من تصرفات وممارسات الحاملين للمشروع الإسلامي ونحن نرى الاختلافات المقيتة تملأ
الساحة والتناز والتلاسن على أبسط الأمور وأيسرها.

إن الرجوع إلى الله تعالى وتطبيق شرعه وأحكامه وترك نواهيه واجتناب معصيته أمر واجب شرعا،
وهو مكمل للإيمان قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء. الآية: 165] التحكيم يقتضي
الطاعة التامة والتسليم المطلق والانقياد الكامل للرسول - صلى الله عليه وسلم - وسنته الشريفة وهو
مصدق حديثه عليه الصلاة والسلام: « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما
جئت به»³.

أما من يبدأ بعلاج السلوك والجوانب الظاهرية مستبعدا موضوع العقيدة - وتقوى الله - فحاله لا
يختلف عن الطبيب الذي يعالج الأعراض ببعض المسكنات وسرعان ما يعود المرض من جديد، يرى
أحمد الرفاعي أن هذا الذي وقع من الكثيرين، وهو من أخطاء المسلمين الكبيرة، حيث اهتموا بمعالجة
الأزمات من خلال مظاهرها ونتائجها، متجاهلين الأسباب الرئيسية لتلك الأزمات، فكانت النتيجة

¹ أخرجه أبو داود (4604)، وأخرجه الترمذي (2870)، و (2871)، وأخرجه ابن ماجه (44).

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 87.

³ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، رقم: 15، 1/12، قال محققه الألباني: "إسناده ضعيف"

الفشل وضياع الكثير من الوقت والجهد والمال دون جدوى، فالواجب غرس تقوى الله في النفوس والعمل بها واستشعارها في كل الأحوال¹.

إنّ الإسلام دين واقعي ويدعو للتعامل مع الواقع بكلّ مكوناته وبكلّ مجالاته بحكمة وروية، ودون تسرع ولا تهور، سواء أكان في مجال العبادة أو بقية شؤون الحياة، كما يلزم التعامل مع هذا الواقع بنية تثبيته أو تقويمه وتصحيحه أو تغييره، وفي اعتقاد المسلمين الصادقين أنّه لا حلّ أفضل وأيسر وأجدى من تعميق وغرس التقوى في نفوس الناس. وعليه يرى أحمد الرفاعي أنّه يجب إعادة الاعتبار لتقوى الله في النفوس فهي من تضمن الحقّ والعدل ورفض الظلم والاستبداد.

وعن أهمية ومكانة تقوى الله في حياة المسلمين يقول أحمد الرفاعي: "إن تقوى الله -عزّ وجلّ- هي الصحوّة المنشودة، وهي الأمانة الثقيلة، وهي الكفاءة المطلوبة، وهي الوطنية الأصيلة، وهي الحضارة غير المزيفة، وهي أكثر وأكبر من ذلك كلّ، ويكفي لإثبات ذلك أنّ الله -عزّ وجلّ- جعلها في القرآن الكريم هي الميزان وهي الحارس، وهي الضمانة الوحيدة للالتزام بالصرّات المستقيم، وبانعدام تقوى الله -عزّ وجلّ- يفقد العلم قيمته، ويفقد الفكر والحضارة وتفقد الثقافة قيمتها، ويفقد الفقه معناه، بل وتفقد الحياة كلّها معناها كما هو في واقعنا"².

ومن ثمرات تقوى الله حصول الفلاح، لأنّ من اتقى أفلح كلّ الفلاح، وهي تمنع صاحبها من الزيف والضلال بعد الهداية، وتجعل صاحبها في أمن من الخوف والزيف والضلال، وبسببها تثمر البركات من السماء والأرض، وبها تنال الرحمت والتوفيق والسداد، وتكفر السيئات وتغفر الذنوب، وقد دلّ على ذلك آيات وأحاديث كثيرة³.

إنّ ما نراه من معاص ومفاسد ومهلكات لم تفلح السجون ولا العقوبات الرادعة في القضاء عليه أو التخفيف منه بشكل كبير، وهذه المعاصي سببها غياب الإيمان ولو أنّ المسلمين أعادوا إحياء فكرة الروح الإيمانية في النفوس وفي واقع الناس لكانت أغنتهم عن بناء المزيد من السجون وأعاون الأمن وجهودهم المضنية في هذا الموضوع، فالشعور برقابة الله -عزّ وجلّ- إذا تحققت من شأنها إصلاح حالة الإنسان، لأنّ الإنسان خلق على الفطرة ولا يعلم ضعف فطرته إلا الله، ولذلك جعل له عواصم تقيه الأخطاء⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 11.

² أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 88.

³ ينظر: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور التقوى وظلمات المعاصي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، ط 1، 1999م، ص 20.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 137.

الفرع الثالث: استشعار معية الله.

اقتضت سنة الله في عباده الضعف، والضعف البشري لا يسلم منه مخلوق، وحتى يتغلب الإنسان على نفسه الضعيفة، لا بدّ أن يتعلم استشعار مراقبة الله له، ولو كان وحيدا وفي أيّ مكان، فلا تخفى على الله خافية، ومن شأن الشعور بمراقبة الله الدائمة له أن يخشاه ويتقيه، يقول أحمد الرفاعي في بيان أهمية استشعار مراقبة الله سبحانه وتعالى: "إنّ الله -عزّ وجلّ- الذي خلق الإنسان وفطره كما شاء وعلى ما شاء سبحانه وتعالى، ويعلم جوانب الضعف في الإنسان الفطرية والطارئة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء. الآية: 28] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [سورة الروم. الآية: 25]، هو الذي اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يحيط الإنسان الضعيف برعاية الرقابة المزدوجة ليجبر ضعفه، ويشدّ أزره، لذلك كانت الرقابة رقابة الله -عزّ وجلّ- وما تزال، أقوى دعامة إيمانية تقوم عليها عقيدة التوحيد، فهي وحدها التي تحول بين الإنسان وبين الهوى أو المعصية أو الظلم، وذلك ما يشير إليه الحديث النبوي الشريف الصحيح «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»¹، ففي حالة الممارسة لأيّ معصية معنوية أو مادية، لسانية أو قلبية، أو غيرها، فإنّ ذلك لا يحدث إلا في حالة نسيان رقابة الله -عزّ وجلّ- على الإنسان نفسه وعلى محيطه².

واستشعار معية الله وإن كان مطلوبا في كلّ حين فهو في الدعوة أزم وأوجب، لأنّ طريق الدعوة صعب ومحفوف بالمكاره والصعاب ولا يقوى في الاستمرار فيه إلا من وقفه الله تعالى، يقول عبد الرحمن فهمي: "صاحب الدعوة يعيش مع الله في كلّ وقت وأن، وفي كلّ ظرف وحال، وفي السراء والضراء، وفي الشدّة والرخاء، وفي وقت السعة والنعم، وفي وقت الضيق والمحن... وفي كلّ تلك الأحوال يستشعر صاحب الدعوة "معية الله" فتطيب نفسه، ويهدأ قلبه، وتسمو روحه، ويعيش عيشة السعداء، وإن كان في أصعب الأوقات والأحوال، متذكراً دوماً قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

¹ رواه البخاري، كتاب المظالم والعصب، باب التَّهَيُّ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ، رقم: 2475، 3/136، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان،

باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، رقم/ 100، 1/76.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 137.

حَكِيمٌ ﴿سورة التوبة. الآية: 40﴾ وعندئذٍ لا يلقي بالأبصار بما قد يناله في سبيل دعوته من ظلم أو اضطهاد أو أذى، لأن قلبه موصول بالله¹.

إن معية الله -عز وجل- هي ثقل المسلمين في واقع الحياة البشرية، وهي سلاحهم وكهفهم وعندما يفقدونها بذنوبهم ومعاصيهم وانحرافاتهم فإنهم في الحقيقة يفقدون أهم مقومات حياتهم، وأهم خصائصهم كأمة ذات رسالة وقضية ويفقدون أيضاً أقوى وأعظم أسلحتهم لمواجهة المكاره والشدائد كلها ويتحولون إلى الغنائية التي حذر منها النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث المشهور «أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»²، وهو ما تحقق في الواقع، فقد خفت وزن المسلمين في الواقع وزالت الهيبة منهم رغم عددهم وعدتهم³.

وتتجلى أهمية معية الله في كل حياة المسلم، فهي من أهم دعائم الإيمان وأقواها وبها يتم المحافظة على الإيمان الصادق، ولما استشعرها المسلمون الأوائل فازوا وسعدوا ولما تركوها خسروا الدنيا والآخرة معا.

¹ عبد الرحمن فهمي، من ركائز الدعوة استشعار معية الله، الموقع الإلكتروني جماعة الإخوان المسلمون

بالأردن: <https://ikhwanjo.net/>، تاريخ الزيارة 2020/04/26م، في الساعة: 15.00

² رواه أحمد في مسنده، رقم: 22397، قال محققا المسند شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد: "إسناده حسن".

³ ينظر: أحمد الرفاعي شربي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 143.

المبحث الثالث: التنزيلات الواقعية للمضمون الإيماني

المطلب الأول: العقيدة في واقعنا المعاصر.

الفرع الأول: ضعف عقيدة المسلمين.

إنَّ عقيدة الإسلام (القرآن والسنة) تجعل علاقة المسلم بالمسلم علاقة أخوة بكلِّ مقتضياتها ومظاهرها، ومن ذلك مناصرة الأخ لأخيه والدفاع عنه وحمايته، لكن المؤسف والمؤلم أن نرى في واقعنا خلاف ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّ عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام وثقافة الإسلام فقدت قيمتها ومصداقيتها في واقع المسلمين، ما بقيَّ من مُثُلٍ ومبادئ مجرد شعارات ورموز يُتغنى بها، وهذا كلُّه نتيجة الصراعات المتزايدة والتفكك الذي أصاب جسم الأمة منذ قرون خالية إلى يوم النَّاس هذا¹.

كلِّما كانت إساءة للدين أو طعن أو انتقاص، إلَّا انتفض المسلمون بحجة الدفاع عن الدين والغيرة عنه، والحقيقة أنَّهم أول من أساء للدين، يضيف أحمد الرفاعي عن هذه الحقيقة: "الفكر والعقل في حيرة من أمر المسلمين إذا تعامل مع واقعهم المزري قال هذه إساءة لديننا و نسوا أنَّهم أول من أساء إلى دينهم وما زالوا يسيئون إليه، ومن تمسك منهم بالعقيدة والمبدأ قيل عنه من المسلمين أنفسهم: هذا تطرّف؟ هذا تعصّب وجمود؟ بل إرهاب؟ بل عمالة وخيانة إلى غير ذلك من التهم الجاهزة المعروفة، وهذه القضية ما تزال قائمة، على المسلمين أنَّ يجددوا بعلم ووعي ومسؤولية مفاهيم حياتهم العقدية الفكرية"².

لقد حدث للعقيدة زعزعة في النفوس بسبب الخلافات والنزاعات والمؤثرات الخارجية، وتسبب ذلك في اضطراب الإيمان، فلم يعد للعقيدة سيطرة على السلوك، ولم يعد للإيمان سلطان على تصرفاتهم، وتبع هذا الضعف في العقيدة ضعف عام في الفرد والمجتمع والأسرة وفي الدولة وفي كل جوانب الحياة، مما سبب للأمة عجزا على النهوض بتبعاتها والاضطلاع بمسؤولياتها داخليا وخارجيا، ولم تبق الأمة كما أرادها الله أن تكون صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب³.

وبرأي أحمد الرفاعي فإنَّ الحضارة ليست تاريخا فقط وافتخارا بأجداد التاريخ، بل هي أيضا تطلُّع للمستقبل دون التفريط في المقومات الأساسية التي قامت عليها الحضارة الأولى وحصل بها النصر والتمكين، حيث كانت عقيدة التوحيد تملأ القلوب وتملأ المكان، بخلاف واقع اليوم الذي يصفه المفكر

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص10.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: سيد سابق، العقائد الإسلامية، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دت، ص15. بتصرف.

أحمد الرفاعي بالواقع الحزين وأَجَلَّ الأمور قد ضُيعت وهي معرفة كلمة التوحيد يقول عن واقع كلمة التوحيد بين المسلمين: "حيث فقدت عبارة (لا إله إلا الله) معناها وأفرغت من محتواها الحقيقي المتمثل في عبادة الله -عزَّ وجلَّ- وحده، وصارت عبادة غير الله هي القائمة متمثلة في التقاليد، العادات، المصالح، الشهوات، الأهواء... تستأثر بالنصيب الأوفر من طاقات وعبادات وممارسات المسلمين والمسلمات!!". وذلك يقتضي إصلاح مفهوم عبارة (لا إله إلا الله)¹.

وبهذا يؤكد أحمد الرفاعي أنَّ بداية التغيير تكون من إصلاح مفهوم كلمة التوحيد فعليها مدار العقيدة وسلامتها، وأنَّه باستمرار هذا الواقع الذي فقد المسلم فيه إيمانه لن تقوم له قائمة ولن يصلح له حال ما لم يتمكن الإيمان من القلب ولا يبقى مجرد شعارات جوفاء.

الفرع الثاني: أسباب ونتائج ضعف العقيدة.

01- أسباب ضعف العقيدة.

إنَّ ما تعرضت له الأمة الإسلامية من نكبات ومفاسد كان حدوثها مباشرة بعد إصابة العقيدة في مقتل، يؤكد أحمد الرفاعي في غير موضع أنَّ تلك "الأحداث من سقوط دولة الأمويين إلى سقوط بغداد الأول وما واكبه من دماء ودموع وآلام، مسَّت الواقع الاجتماعي في كلِّ جوانبه، وكلَّ ذلك مؤثر كبير على أنَّ ما أصاب الأمة الإسلامية ليس مجرد فساد سياسي، وإنما خلل كبير في العقيدة والفكر والوعي، لم يتمكن المسلمون من تجاوزه بعد وهو سبب تخلفهم وأزماتهم المتزايدة"².

والدارس للتاريخ -القريب منه خاصة- يُدرك يقينا كيف فعلت الآلة الاستعمارية بالمسلمين من محاولات لطمس الهوية وضرب الدين بإبعاد المسلمين عن كلِّ الشعائر، وبذلك يحصل الخواء الإيماني ويتحقق لهم المراد، يوضح أحمد الرفاعي دور الاستعمار في العمل على زعزعة العقيدة: "حيث أنَّ النظام الاستعماري الفرنسي بعد إزالة دولة المسلمين في الجزائر، وتفكيك كيائها، وتدمير مقوماتها المادية والمعنوية أتبع ذلك بتفكيك الكيان الاجتماعي، وتجلى ذلك بتعطيل كلِّ ما له علاقة بعقيدة الإسلام وشريعته في العبادات والمعاملات من أحكام الشريعة الإسلامية، وفرض النظام الاستعماري المعادي للإسلام بدل ذلك، وفي مرحلة تالية تفكيك بنية العقيدة الإسلامية ذاتها ويتمثل ذلك في حركة التنصير، وهدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس، وبعضها إلى مرافق اجتماعية عامَّة: مستشفيات، وبريد... إلخ"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، بل التفكير في التغيير، جريدة النور، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 41.

³ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 37.

وقد تمكّنت السياسة الاستعمارية إلى حد كبير من تحقيق مطالبها بحيث انتشرت آفات كثيرة وصار في واقع المسلمين العزوف الكبير عن المساجد وضعف الالتزام بالآداب والأحكام الشرعية بصفة عامة.

لقد ترك خروج المستعمر الغاشم من بلاد المسلمين آثارا عميقة وجراحا كبيرة وترك أيضا عملاء ربّاهم على الوفاء ومزال أبناء الاستعمار من العلمانيين يعملون جاهدين لإكمال مسيرة المستعمر، وإن كانوا لا يجاهرون بالكفر أو العداء الصريح للإسلام فهم لا يتوانون في الطعن فيه بطريقة أو بأخرى، كادعائهم بأنّ الإسلام دين لا دولة وكذلك دعوتهم لفصل الدين عن الدولة شعارهم الأبدي، والزعم أنّ الإسلام متمثل ومحصور في أركانه الخمسة فقط.

يصف أحمد الرفاعي جهود العلمانيين في ذلك بالقول: "التيار العلماني والشيوعي المنتشر في أوساط المسلمين هو الذي حصر معاني الطاعة والعبادة في أركان الإسلام دون غيرها، وكذلك الأمر بالنسبة لمعنى المعصية ممّا جعل الآثام والذنوب الاقتصادية والثقافية والسياسية والإدارية حسب قيم العلمانيين خارج نطاق العبادة، وخارج نطاق الدين، وخارج نطاق الجزاء يوم القيامة، والحديث عنها تدخل ديني وشأن اجتماعي، إذ الدين عندهم ليس شأنًا اجتماعيًا، وإنّما هو شأن فردي حسب المنحرفين من المسلمين"¹.

ولم يكن لتدريس العقيدة نصيب مهم في المناهج والمقررات الدراسية، وعليه لم يكن الاهتمام بها كما يجب أن يكون، يشرح صالح الفوزان أسباب ضعف العقيدة ويذكر منها: "نصيب العقيدة في المناهج الدراسية -إلا من رحم الله - نصيب ضعيف، ونصيب الأسد لغيرها، فهذا مما أحرّ المسلمون، وأنشأ جيلًا جاهلاً بالعقيدة، يتخرج من الدراسات العليا وهو لا يعرف العقيدة المعرفة اللاتئة، فكيف يرجى حينئذ أن تنتصر العقيدة وتنمو، ولا وجود لها في المناهج، وإن وجد لها ذكر فهو ضعيف، لا يسمن ولا يغني من جوع، لا يوجد لها تفصيل ولا بيان، ولا تركيز عليها، وإن وجد في المناهج حيز للعقيدة فغالب من يدرسونها لا يهتمون بها، ولا يفهمون الطلاب، وإنّما هممهم التحدث مع الطلاب، ومدح الإسلام، ومدح الدين، لكن من غير اهتمام بالعقيدة، ولا فهم لها، ولا معرفة بها، أو همهم أن ينجح الطالب وليس ضروريًا أن يكون فاهمًا للعقيدة"².

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص126.

² صالح بن فوزان الفوزان، مظاهر ضعف العقيدة في عصرنا الحاضر وطرق علاجها، الموقع الإلكتروني منهاج النبوة، <http://www.minhajnobowa.net/> تاريخ الزيارة: 2020/05/20م

ولضرورة العقيدة وأهميتها لا بدّ على الدعاة الاهتمام بها أكثر، وعلى مسؤولي الدول الإسلامية تضمينها في البرامج الدراسية، وعلى الأئمة والمدرسين أيضاً إيلاء الأهمية في تقديم مادة العقيدة بأساليب جديدة ويسيرة ومفيدة.

02- نتائج ضعف العقيدة.

إنّ زوال العقيدة في نفوس المؤمنين يؤدي بالضرورة إلى غياب الكثير من القيم أيضاً، وما حدث للمسلمين من ضعف وهوان عبر تاريخهم إنّما كان سببه الأول الابتعاد عن العقيدة فاستبيحت حرّات الله وضاعت حقوق المسلمين.

يقول أحمد الرفاعي في بيان نتائج البعد عن العقيدة: "انعدام سلطة العقيدة الإسلامية ظهرت أول مرّة في مؤسسة الخلافة التي استبدلت بالملكية الجاهلية، وتجلّت في السياسات المخالفة للقرآن والسنة، ثمّ امتدت إلى الإدارة العمومية من ولاة وقضاة وغيرهم، ثمّ امتدت إلى أوساط التجار والأغنياء، ثمّ شاعت في المجتمع الإسلامي عبر قنوات الخاضعين من المسلمين لغير أهل الإسلام، وكلّ ذلك تسبب في تزايد ظهور المعاصي والمفاسد السياسية وغيرها عبر التاريخ، كذلك يدلُّ على انحسار سلطان العقيدة وتزايد البدع والانحرافات إلى بدايات الاستعمار الأوروبي المسيحي الصليبي لأوطان المسلمين في الشرق والغرب"¹.

كما أنّ جاهلية السلوك والأخلاق المتفشية اليوم بين المسلمين مرتبط بالأساس بجاهلية العقيدة، فبعد أي انحراف عقدي يتلوه انحراف سلوكي وأخلاقي وما يتعلق به من فساد أسري واجتماعي ومادي وتربوي وثقافي، وعليه فأيّ علاج لتلك المظاهر لا يكون إلا بعلاج العقيدة أولاً².

03- إصلاح أحوال المسلمين مرتبط بتصحيح العقيدة.

إنّ الانحراف السلوكي حسب توصيف الرفاعي كان بسبب الانحراف العقدي، وعليه فالعلاج يكون أولاً لموضوع العقيدة ثمّ السلوك يقول أحمد الرفاعي شرفي في بيان هذا: "جاهلية السلوك ترتبط بجاهلية العقيدة وتنشأ عنها، إذ بعد الانحراف العقدي يظهر الانحراف السلوكي، ولذلك فإنّ محاولة علاج الانحراف السلوكي قبل علاج الانحراف العقدي الفكري خطأ جسيم في الفهم والتصور والمنهج، ومثله الواقعي"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 62.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للمؤمنين، مرجع سابق، ص 42.

³ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 10.

وبصلاح العقيدة يصلح حال المسلم، وليست هي أمراً شكلياً أو كلمات تقال، بل يقين في القلب وسلوك على الأرض، فالعقيدة عندما تكون صحيحة تغير الإنسان حتماً، كما حدث في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث أخرج الإسلام الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن القسوة والغلظة إلى اللين والرحمة، ومن الفرقة إلى الأخوة والوحدة.

يشرح الرفاعي دور وأهمية العقيدة في أي عملية إصلاح: "ذلك أنّ العقيدة الصحيحة هي أن تعرف الله - عزّ وجلّ - معرفة صحيحة ليس فيها خرافات ولا بدع وأن تؤمن به بعد ذلك إيماناً يؤدي بك إلى عبادته وحده بطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن يتمثل كل ذلك في معاملاتك وأخلاقك وممارساتك كلها حيثما كنت، ذلك أنّ الدين الصحيح أمر واقعي وعلمي، فهو سلطة تامة على النفس في جميع الحالات وليس مجرد كلمات تقال في المناسبات"¹.

ولنا في بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - خير مثال وكيف حولت العقيدة رجالاً من الشدة والبؤس إلى عالم اللين والإيمان.

ورغم ما بذله المسلمون والدعاة منهم خاصة في سبيل الدعوة والإصلاح إلا أنّ الحال لم يتغير وجراح المسلمين لم تندمل يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الجهود الإصلاحية القديمة والحديثة على اختلاف منطلقاتها ومناهجنا ومفاهيمها ومقاصدها لم توفق من علاج أمراض الواقع الاجتماعي إلا بصورة جزئية فوقية سريعة الزوال، وذلك ما جعل أزمئتنا تتجدد في أعماقنا بصورة رهيبية وما تزال"².

وكلّ المحاولات التي أرادت التغيير بتجاهل الجانب العقدي باءت بالفشل، فالمطلوب البدء بمعالجة الأسباب قبل المظاهر في كلّ الأزمت وكلّ محاولة يكون فيها خلاف هذا من علاج للمظاهر دون النظر للعمق والأسباب، فهو إهدار للكثير من الجهد والوقت من حقّ الأمة ومستقبلها³.

إنّ أول خطوات التغيير في الفكر الدعوي لدى أحمد الرفاعي يجب أن تُعنى بالإيمان أولاً، وذلك بغرس العقيدة، وبتعليم الناس وحثّهم على الاهتمام بالجانب الأخروي، فإنّ الواقع يدل على أنّ الاهتمام بالشأن الدنيوي الصرف شغل كلّ الحيز في حياة المسلمين، يوضح أحمد الرفاعي هذه الفكرة بقوله: "الملاحظ أنّ العلماء المسلمين ودعاتهم عامة، غير قلّة قليلة جداً يهتمون بالشأن الدنيوي خاصة ولا يكاد الشأن الأخروي يذكر عندهم، شأنهم شأن الملوك والرؤساء إلاّ - من رحم الله - وذلك ما يجعل خسران الآخرة عندهم وعند من تفقه عليهم قضية ثانوية، وهذا مظهر من مظاهر النفاق

¹ أحمد الرفاعي شرفي، قراءة في المشهد العراقي: سقوط السقوط، جريدة النور الجديد، الجزائر، تاريخ 05 مارس 2001م، ص10.

² أحمد الرفاعي شرفي، الوثائم، جريدة البرهان، عدد02، بتاريخ: أكتوبر1999م، الجزائر.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص42.

السلوكي! على الأقل إذ المنافق عقيدة هو الذي لا يهمله الأمر الأخروي الذي لا يؤمن به وهمة الدنيا والمال والأولاد، وكل هذا يرد في سياق التأكيد على أنّ المجتمع الإسلامي مجتمع قضية وليس مجتمع مصالح، ومشاريع وصفقات"¹.

وبهذا يؤكد أحمد الرفاعي أنّه لا سبيل لعلاج الأمراض بدون الوصف الصحيح للعلل والأدواء بغرس العقيدة السليمة والفكر القويم.

لقد سنّ الله سننا فطرية من أخذ بها فاز وحصد المرجو منها، ونقصد هنا سنن الآفاق فليس معنى أنّ الإنسان بمجرد إيمانه يكون منتصرا في الحياة وأنّ الإنسان الكافر بمجرد كفره يكون فاشلا في الحياة، بل إنّ يجب الأخذ بالأسباب، أسباب النجاح والفلاح والصعود والارتقاء، أمّا ما حققه الأوربيون من إنجازات باهرة فليس في حقيقته نجاحا ولا فلاحا بالمعنى الصحيح، إنّما هو مجرد ابتلاء من الله - عزّ وجلّ - لعباده من الطرفين².

المطلب الثاني: أسباب ونتائج ضياع الإيمان.

الفرع الأول: أسباب ضياع الإيمان.

لقد اتسعت الهوة بين واقع المسلمين وحقيقة الإيمان، وهذه الهوة في واقع المسلمين آخذة في الاتساع باستمرار، حيث يقول أحمد الرفاعي: "إنّ المسافة الشاسعة بين واقع المسلمين كما يتجلى ذلك في أخلاقهم ومعاملاتهم من جهة، وحقيقة الإيمان من جهة أخرى جعل مفهوم الإيمان بالله - عزّ وجلّ - يتحوّل تدريجيا إلى مجرد شعار بلا معنى وبلا مضمون عملي وواقعي شأنه في ذلك شأن باقي شعارات الحياة الاجتماعية العامة للمسلمين السياسية والاقتصادية والحزبية"³.

والمتتبع للواقع العالمي يلاحظ وبلا عناء كيف أنّ أمة الإسلام بعدما كانت تعيش ولفترة طويلة في سيادة وقيادة قد تحولت إلى التبعية، وبعدما كانت في قوّة وعزّ وتمكين كيف تحولت في كثير من حالاتها إلى ذلّ واستكانة وهوان، والملاحظ للواقع الإسلامي يُشاهد بلا عناء أيضا كيف أنّ مبادئ الإسلام وأخلاق الإسلام وتشريعات الإسلام رُفعت من واقع وأرض المسلمين وهمّشت جانبا، وما بقيّ منها يُراد له أيضا أن يبعد عن كلّ حياة المسلمين.

وواقع المسلمين اليوم لا يسرّ المؤمنين، فقد اتسعت دائرة الخلل العقدي والإيماني وانتشرت عقائد فاسدة بين المسلمين وطقوس شركية، وما زلنا نسمع سبّ الدين والربّ في شوارع المسلمين، والفواحش

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 121.

² ينظر: المرجع نفسه، 122.

³ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 09.

منتشرة بشكل واسع، ولا يتحاكم المسلمون إلى شرع الله في جلّ أمورهم وخلافاتهم، وتغلّبت المصالح الشخصية على مصالح الأمة العامّة، واتسعت دائرة الخلافات بين أبناء الأمة، كلّ هذا وغيره كثير ممّا يندّر بخلل إيماني وتذبذب عنيف في مستوى الإيمان في الواقع، وهو ما يشكّل تحدياً عقدياً صعباً للمسلمين أمام الزحف الإعلامي والتيارات العاصفة للشبهات والفرق والجماعات والأفكار الجديدة¹. وبالربط بين الواقع العالمي والواقع الإسلامي نكتشف أنّ حال الأول من حال الثاني، فمكانة المسلمين العالمية يصنعها المسلمون أنفسهم ولما ابتعدوا عن دينهم وأخلاقهم ومبادئهم ولم يعد الدين مرجعاً لشؤونهم حلّ بهم ما حلّ من محن وإحزن، يصف أحمد الرفاعي عن واقع المسلمين فيقول: "إنّ المتتبع لأحوال المسلمين وأوضاعهم يتأكد أنّ الإيمان بالله -عزّ وجلّ- بموازينته ومقوماته التي حددها القرآن والسنة لم يعد موجوداً في واقع المسلمين الاجتماعي ولا الثقافي ولا الفكري... إذ لم يعد حافظاً يحفز المسلم على طاعة ربه، ولم يعد وازعاً يزعجه عن المعصية، ولم يعد معياراً يزن به الأمور، ولم يعد مرجعاً يعود إليه في شؤون حياته، ولم يعد سلطة لها عليه حقّ الطاعة، باستثناء قلة قليلة جداً ما تزال أسيرة التردد بين ما تحب النفس وما يقتضيه الإيمان"².

وبهذا التوصيف ندرك ما كان يشعر به أحمد الرفاعي من حرقة عمّا وصل إليه حال المسلمين المفتخرين بالماضي لكنهم في غفلة عن واقعهم.

يواصل أحمد الرفاعي سرد دور ومفعول الإيمان وحالهم اليوم معه: "وكلّ ما بقي من الإسلام عند عامّة المسلمين -إلا من رحم الله- مجرد ذكريات قد يصحبها بعض الحنين إلى ما تحقّق للمسلمين في تاريخهم من عزّ وكرامة وتقدم ورفاهية ورخاء أيام كانوا العالم الأول أو رواد الحضارة وقادتها، وهذه المعاني لا تعدوا أن تكون أحد عناصر الموروث التاريخي بصورة عامة لكنها لا ترقى إلى أن تكون ثقافة أو وعياً أو منظوراً أو موقفاً حضارياً، وذلك ما يجعل الموروث عامة ضئيل النفع والقيمة خاصّة بالنسبة للعقائد والقيم والمبادئ وبالنسبة لعقيدة الإسلام بصورة أخص"³.

ويبين الكاتب أحمد الرفاعي أنّ الحديث عن الإيمان فقد قيمته وصار مثله مثل بقية شؤون الحياة وقد يكون أقل من كل ذلك، يضيف أحمد الرفاعي قائلاً: "بحيث صار الإيمان بالله تبارك وتعالى عملياً وواقعياً -أمراً شكلياً وكمالياً يكفي التذكير به في المناسبات التقليدية، والأدهى من ذلك والأخطر يتمثل

¹ ينظر: محمد حسين يعقوب، أجيالنا بين الواقع والأمل المنشود، كتاب الكتروني، موقع مكتبة نور - <https://www.noor-book.com/>، تاريخ التحميل: 2020/03/15م، على اساعة 08.00.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام الوارثي، جريدة النور الجديد، العدد 9: الجزائر، 05 أبريل 2001م، ص 24.

³ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

في الجرأة على الحديث في قضية الإيمان بالرأي والظن غير المؤسس، مثل الحديث عن أيّ شأن سياسي أو اقتصادي أو حزبي أو غيره من القضايا الاجتماعية من السياسيين والحزبيين وحتى العلمانيين والشيعيين، ممّا يدل بوضوح على أنّ الإيمان بالله -عزّ وجلّ- فقد خصوصيته الربانية، فقد قدسيته، وحرمة¹.

وعندما يفقد الإيمان قدسيته وحرمة كيف تقوم للأمة قائمة؟ وهي التي حصلت على العزّة والتمكين بفضل عقيدة الإيمان وشريعة الإسلام لا بغيره.

إنّ الصورة التي يرسمها مسلمو اليوم عن الإسلام قائمة، ولا تعكس بحال من الأحوال صورة الإسلام السمحاء، حتى قال أحدهم متهمًا أو مستغربًا أنّهم (مسلمون بلا إسلام) ويصف أحمد الرفاعي هذا الواقع البائس بالقول: "ومن ينظر إلى واقع المسلمين وما يشيع فيه البدع والضلال والانحرافات والمنكر من استحلال ما حرّم الله وأكل الرّبا وشيوع الفواحش وترك الصلاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك لجعل المسلم الذي مازال على صلة برّبّه سبحانه وبدينه يشعر شعورًا عميقًا بحاجته العميقة إلى تجديد إيمانه وعقله وفكره وعباداته وكلّ حياته"².

وسلوك المسلمين اليوم في زمن طغت فيه المادة وضعفًا فيه القيم صار سلوكًا غير سوي، فأصبح التنافس على الدنيا شديدًا، ودبّ الصراع والتقاطع والتحاسد على أبسط الأمور، لقد ضعف الإيمان فتساهل الناس في قضايا الدماء والأموال والأعراض وصارت تنتهك بلا حرمة ولا خوف من الله، وأصبح الإعلام الغربي يتفنن في تصوير المسلمين في صور القتل والمدمرين والمعتدين والمغتصبين للحقوق والأعراض؟ ضاعت بضائع الإيمان الكثير من القيم من رحمة وشفقة وتعاون وإحسان، وتلاشت أخلاق المسلمين كما أرادها الله تعالى³.

وممّا يأسف له المرء ذلك الافتخار المستمر من لدن المسلمين جميعهم بسماحة الإسلام وبعظمة مبادئ الدين القويم والتباهي بما غرسه الإسلام من أخوة ومحبة بين الناس، غير أنّ الواقع في رأي أحمد الرفاعي يخالف ذلك إذ يقول: "لكن المسلمين في الواقع العملي شيء آخر تمامًا، ويختلف عن مقتضى العقيدة الواحدة والمبدأ الواحد اختلافًا جذريًا، ففي الواقع المعيش بعض المسلمين أعداء لبعض، لأسباب عديدة مذهبية وسياسية، وعرقية وأيديولوجية وغيرها، يبغض بعضهم بعضًا ولا يرحم بعضهم بعضًا،

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 09.

² أحمد الرفاعي شرقي، الجزائر مريضة.. مريضة، جريدة النور الجديد، العدد 06، تاريخ 17 مارس 2001م، ص 24.

³ ينظر: حسان أحمد العماري، الانحيار الأخلاقي وفساد السلوك، الموقع الإلكتروني خطباء <https://khutabaa.com/> تاريخ

الزيارة، 2020/07/18م، في الساعة: 12.00

ويخذل بعضهم بعضا ويحالف بعضهم اليهود والنصارى ويعاونهم على قهر المسلمين، ويتعاونون على الإثم وما يغضب الله، وهم مذاهب وأنظمة ومجتمعات وأعراق لا تجمعهم إلا رابطة التخلف والفساد¹. إن الانصراف عن الآخرة يجعلنا نركز على الاهتمام بالدنيا وما نتيجة الاهتمام بالدنيا المنقطعة الآخرة؟ النتيجة على أبسط الصور وأعمقها أنّ الإنسان مجرد حيوان ذو بطن ومعدة وشهوة، ومعنى الانصراف عن الآخرة هو التكالب على الدنيا بشكل مشهور يتم معه الاصطدام الذي يؤدي بحياة الناس وتذهب معه دنياهم المحروسة الغالية، ولهذا فالانصراف عن الآخرة وإغفالها في التقدير والسلوك يضيّع الدنيا والآخرة معا، أي يؤدي بمصير الإنسان كلّ، ويذهب به في واد مظلم سحيق، والإسلام كما قلنا لا يفصل مطلقا بين عمل الدنيا والآخرة، فليس فيه تركيز الاهتمام بأحدهما دون الآخر، وإذا كانت الآخرة لا تنال إلا بالعمل في الدنيا².

ومع ما جرّه هذا الاهتمام المبالغ فيه من طرف المسلمين بالدنيا على حساب الآخرة إلا أنّ الاعتبار بقي غائبا وفي المقابل دوما يكون التبرير حاضرا، وبذلك تبقى الحلول مؤجلة والأوضاع في ترد وتقهر، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ تاريخ الإنسان عبر حضاراته وتجاربه، وحرابه يدل على أنّ ثمن الخيار الدنيوي باهظ جدا بدمائه ومعاناته وآلامه وسجنونه ودموعه والنتيجة ضئيلة جدا بل عديمة، ويتجلى ذلك في الموت المباغت للملك والغني، والشاب، فقد يقتضي خيار الدنيا الحروب وسفك الدماء والعداوات والأزمات، وبمجرد حلول الموت يتغير المشهد رأسا على عقب وتتغير القيم، والأولويات والاعتبارات، ويصبح القريب بعيدا والمحبوب مكروها، والغني فقيرا، والفقير غنيا³."

والمؤكد أنّ من يهتم بالآخرة لا يكون ذلك على حساب الواجبات الدنيوية والحقوق الشخصية التي لا تتعارض مع الشرع الحكيم فالله تعالى يقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص. الآية: 77] ومن يشعر بالآخرة فإنه يعلم يقينا بأنّه من الواجب أداء الواجبات والحفاظ على الحقوق في الدين والدنيا والآخرة.

لقد تغلبت الدنيا على نفوس الناس، وفي خضمّ الصراع من أجل العيش برفاهية وفي نعيم الدنيا، نسي الكثير شرع الله، ومراقبة الله، واستشعار معية الله، ومن هنا بدأت أزمات المسلمين، فلما زال الجدار الواقي والعازل-وهو الإيمان بالله ومراقبته- حلّ بالمسلمين ما حلّ بهم من محن وإحزن ونكبات،

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 10.

² ينظر: محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، 1995م، ص 579.

³ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 45.

يقول الرفاعي شارحا هذا الواقع المؤسف: "إنّ هذه الحقيقة الإنسانية المتجلية في واقع الفرد، والأسرة والمجتمع غالبا ما يجهلها الموروث القائم على الخيار الديني وحده بقدر كبير من الزيغ والباطل الذي لا تقبله قيم الإيمان، ولا قيم الحق والعدل، وذلك هو أحد أسباب أزمات المسلمين، ومنذ قرون خلت حيث صار الهمّ الديني وحده هو ما يشغل الإنسان، وصار الهمّ الأخروي وبكل ما يرتبط به من أحداث القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، صار كلّ ذلك مجرد ظن لا يستحق أيّ جهد، وذلك هو الكفر بكلّ تأكيد"¹.

وبسبب طغيان الدنيا على القلوب والاشتغال بها؛ حتى أصبحت همّنا الأكبر من ينظر إلى العالم الإسلامي اليوم، يرى أهوالاً ونكباتٍ تتصدّع لها القلوب، وترجف لها الأفئدة والكيان؛ بما حلّ بالمسلمين من انحطاط في جميع المجالات، ويدرك أن هناك خللاً كبيراً أحلّ بنا عقاب الله تعالى؛ أترانا استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ أم أننا أردنا الدنيّة، وقد أراد الله بنا العليّة؟ واشترينا الضلالة بالهدى، وآثرنا الحرب على السلام؟ فأية صفقة خاسرة هذه التي جلبت هذا الاستبدال العجيب، وأنزلت بنا عقاب الله حتى صرنا وبالأعلى أمّتنا؟ وأصبحنا نعيش في ظلمات الشبهات والشهوات، والحرافات والأساطير، والتصورات المنحرفة، والحيرة والقلق، والانقطاع عن الهدى والوحشة، واضطراب القيم والموازن.²

الفرع الثاني: نتائج وآثار ضياع الإيمان.

إنّ ضعف الإيمان في نفوس المؤمنين سبب لهم الإرهاق النفسي ولأمتهم الضعف والهوان، وكان ظاهرا جدا من خلال كتابات أحمد الرفاعي تأثره بما صارت إليه أمور المسلمين. يقول مراد زعيمي عن رفيقه أحمد الرفاعي مبينا رؤية الرجل إلى أن السبب يعود إلى ضعف الإيمان: "لقد عايش أخي الفاضل أحمد الرفاعي ما تعيشه من مظاهر التخاذل والضعف والهوان، والفرقة والخلاف والتشتت، فألمه ذلك، وكلّما التقينا لتندارس حال المسلمين إلا كانت هذه المظاهر، من خلال الصوّر المختلفة التي يجسدها واقع أمتنا محلّ مناقشة وحوار بيننا، وكان يلحُّ باستمرار على إحالة هذه المظاهر إلى سبب رئيس جوهري هو: ضعف الإيمان والابتعاد عن الله"³.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 45.

² ينظر: خالد بن عبدالمعتم الرفاعي، التحذير من فتنة الدنيا: كتاب شبكة اللوكة، الموقع الإلكتروني <https://www.alukah.net/>، تمّ التحميل يوم 2020/04/12م، في الساعة 11.30، ص 03.

³ مراد زعيمي، تقدمت كتاب أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 05.

إنّ الأزمات في تاريخ الأمم والشعوب كانت ولا تزال تقع فذلك من سنن الله تعالى المطردة، وليس هناك أمة في معزل عن سنّة الابتلاء، والأمة الإسلامية ليست استثناء من ذلك، والمعيب المحيّر في رأي أحمد الرفاعي أن تكون الأزمة بإسهام من الإنسان نفسه، وذلك حال المسلمين ببعدهم عن عقيدتهم، يعبر أحمد الرفاعي عن ذلك بالقول: "يعاني المسلمون أزمة عسيرة وشاقّة في حياتهم المعاصرة، ولا يرجع ذلك إلى الأزمة نفسها فإنّ ذلك من سنن الله - عزّ وجلّ- في هذه الحياة، لذلك لا تخلو حياة الأفراد والجماعات من الأحداث والأزمات التي يعقبها اليسر والانفراج بعون الله ومشيعته، وحسب سننه سبحانه وتعالى، وإنما يرجع عسرهما إلى ملاساتهما وبخاصة ضعف الجانب الثقافي ونضوب الطاقة الإيمانية والفكرية لدى عامة المسلمين بسبب التخلف العقدي وما نتج عنه من فراغ إيماني وفقر علمي وضعف فكري وخلل كبير في المفاهيم والقيم والمبادئ والمعاملات"¹.

وما زالت نتائج ضعف الإيمان تظهر على مختلف شؤون الناس ومصالحهم وأحوالهم، فقد حدث انقسام لعرى الأخوة بين المؤمنين، وضاع الشعور بالمسؤولية تجاه هذا الدين الرباني العظيم، وكثر الجدال والمرء المقسي للقلب وسيطر حبّ الدنيا والتعلق بها والشغف بها والاسترواح إليها على النفوس، وصار الانشغال بالنفس أكبر الهموم حتى بلغ المغالاة في الاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن، ومن النتائج المدمرة عدم الاهتمام بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها بدعاء ولا صدقة ولا إعانة رغم ما يتعرض له بعض المسلمين من إهانات واضطهاد وكوارث وهذا كله نتيجة ضعف الإيمان، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ يَأْلُمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلُمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ »²، وللأسف فقد غابت هذه المشاعر الأخوية بين المؤمنين³.

ومن عواقب ضعف الإيمان اختلال الفكر، فالفكر إنّما يكون مصدره الصحيح ومستنده القوي هو الإيمان الصادق الصحيح، يضيف أحمد الرفاعي شرفي: "إنّ الإيمان بالله -عزّ وجلّ- بمفهومه الصحيح المحدد بالقرآن والسنة هو الوجه الرباني للفكر الإنساني العلمي الصحيح وما يصيبه من أدواء يتعدى حتى إلى الفكر ويصيب بنيته بالانحيار والخلل والمشاكل، لذلك فإنّ المسلمين لما فقدوا الإيمان الصحيح فقدوا بالضرورة الفكر الصحيح وذلك ما جعل حياتهم مفلسة مفعمة بالفساد والظلم والجمود

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القضية، جريدة البرهان، مرجع سابق.

² رواه أحمد (32370) وأورده الألباني في الصحيحة (1137).

³ ينظر: محمد صالح المنجد، ظاهرة ضعف الإيمان، الموقع الإلكتروني: مكتبي <https://books.google.dz/>، تاريخ التحميل 2020/04/12م، في الساعة 17.20، ص18.

والتحجر والعقم العقلي وكذلك أدى إلى واقع إداري جامد ومفلس وواقع اقتصادي مفلس وواقع سياسي مفلس وواقع اجتماعي مفلس، فهل من مجدد للإيمان والفكر؟¹.

وقد أبان المفكر أحمد الرفاعي بهذه العبارات القوية أنّ الإيمان هو من يُكسب الهيبة والفضل وبنقصه أو ضعفه يتأثر كل محيط الإنسان سلبيًا.

يصف أحمد الرفاعي الآثار المدمرة لفقدان الإيمان ويذكر بعضا منها وهي أنّ يعجز المرء عن معرفة ذاته، ويصبح تائها وكأنّه بلا هدف ولا خلفية سديدة قائلا: "إنّ عامة المسلمين لم يدركوا بعد أنّ العقائد والقيم لا تورث لأنّها ليست متاعا لأحد يمكن أن يورثه لمن شاء، وإنّما هي مكاسب أولى الناس من عرفها وفهم مقاصدها وسننها وعرف كيف ينتفع بها، ومع أنّ هذه الحقيقة بالنسبة إلينا نحن المسلمين تتصل بعقيدتنا وتاريخنا وبما نقرأ في القرآن والسنة، لكن مع ذلك لا يختلف موقفنا منها من موقف الاسم والمجتمعات غير الكتابية ولا المتحضرة، مما يعني أنّ المسافة بينهم وبيننا اتسعت أكثر ممّا نظن وأنا فعلا نعاني من سكر شديد أذهلنا عن بديهيات الإيمان والفكر والعلم والعقل حتى أصبحنا عاجزين حقا عن قراءة ديننا وتاريخنا وواقعنا، عاجزين حقا عن الفهم، عاجزين حقا عن الحركة الصحيحة في غياب المحرك الصحيح"².

وفي هذا القول بيان صريح على ضرورة اكتساب الإيمان القوي وتجديده فهو ليس بضاعة تورث أو تنقل أو توهب من شخص لآخر، وكيفية اكتسابه بينتها النصوص الشرعية وفصل فيها العلماء.

المطلب الثالث: البعث الإيماني.

الفرع الأول: خطوات عملية تساعد على غرس الإيمان.

مهما بلغ بالأمة من هوان وتأخر فالعودة للإيمان من شأنها أن تُعيد المجد الضائع والعزّ المسلوب، كلّ ذلك بعون الله تعالى واتباع شرعه الكريم والتمسك بالكتاب والسنة، حيث يتحقق وعد الله للمؤمنين. يقول أحمد الرفاعي: "هياّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - الأمة الإسلامية إيمانيا وعقديا لفترة ما بعد النبوة حيث بيّن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أنّ حقيقة الرسالة وحقيقة النبوة ستظل باقية إلى يوم الدين، والعهد مع الله - عزّ وجلّ - سيبقى كذلك، والموت إنّما يكون لجسده الترابي فقط وذلك ما عبرت عنه خاصّة كلمة أبي بكر - رضي الله عنه - بعد وفاة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فالدين باق، والإيمان بالله - عزّ وجلّ - باق، وعبادة الله - عزّ وجلّ - وحده باقية، وطاعة الله تبارك وتعالى وطاعة

¹ أحمد الرفاعي شرقي، الجزائر مريضة.. مريضة، جريدة النور الجديد، العدد 06، تاريخ 17 مارس 2001م، ص 24.

² أحمد الرفاعي شرقي، المسلمون والسنن الإلهية، جريدة النور الجديد، العدد 10، بتاريخ 12 أبريل 2001م، ص 23.

رسوله باقية، ذلك ما يفسر سهولة وسرعة تجاوز المسلمين لحدث وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بصفتهم أمة رسالة، وأمة قضية"¹.

تأثر أحمد الرفاعي للواقع الإيماني المتردي كما كان يصفه ووجه رسائل للجزائريين لتصحيح ما يمكن تصحيحه في سبيل عودة الإيمان للقلوب التي تعاني الخواء والفراغ الشديدين، يقول الرفاعي بعدما شرح واقع الإيمان: "وكل ذلك يوجب على الجزائريين مراجعة أنفسهم مراجعة غير سياسية، ولا حزبية وإنما مراجعة إيمانية وحضارية أصلية، بالحديث عن عيوبها بشجاعة وجرأة ودون كذب على النفس، فذلك وحده الاتجاه الصحيح"².

هذه المراجعة الحضارية طالما نادى بها الدعاة والمفكرون، يقول مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة): "من الملاحظات الاجتماعية أنّ للتاريخ دورة وتسلسلاً، فهو تارة يسجل للأمة مآثر عظيمة ومفاخر كريمة، وهو تارة أخرى يلقي عليها دثارها، ليسلمها إلى نومها العميق، فإذا ما أخذنا هذه الملاحظة بعين الاعتبار، تحتم علينا في حلّ مشكلاتنا الاجتماعية أن ننظر مكاننا من دورة التاريخ، وأن ندرك أوضاعنا، وما يعتورنا من عوامل الانحطاط وما تنطوي عليه من أسباب التقدم، فإذا ما حددنا مكاننا من دورة التاريخ، سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا"³.

وأمتنا الإسلامية لم يكن مجدها وسؤدها وحضارتها إلا بفعل الإسلام والإيمان القوي فلا عودة للمجد إلا بعودة السبب، وليست المهمة خاصة بقيادة الأمة فالجميع يشترك في المسؤولية.

إنّ بعث الأمة من جديد يمكن أن تقوم به الأمة وأبناء الأمة، ولا يمكن التعويل على الحكام والأنظمة التي فشلت طيلة قرون سابقة في تحقيق هذا التغيير، وقد حان الوقت ليتحرك أبناء الأمة للبعث الحضاري الرباني من أجل حماية أنفسهم وأجيالهم والإنسانية جميعاً، والبعث الحضاري لا يمكن تحقيقه دون بعث إيماني رباني مستمد من القرآن والسنة وعهد الخلفاء والشورى وقيم الإسلام وأخلاقه بعيداً عن كلّ الملذات والمصالح والأهواء⁴.

كما أنّ البعث الإيماني تواجهه عقبات وعوائق في الطريق من شأنها أن تعرقل العملية أو تصعب إعادة بناء الكيان الإيماني، ومن هذه العقبات نجد الموروث الفاسد الذي تناقل جيلاً عبر جيل بلا تمحيص ولا تنقية، وأيضاً العقبة الكبرى المتمثلة في الفرقة والانقسامات التي قصمت ظهر الأمة وما

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 122.

² أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام أبي يعلى الزواوي، ج 4، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص 226

³ مالك بن نبي شروط النهضة، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، د ط، دمشق - سوريا، 1986م، ص 34.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 80.

زالت تفعل، والتبعية الحضارية والتخلّف والفساد وانعدام الرؤيا الواضحة للمستقبل كلّها عقبات في طريق الانبعاث الإيماني الجديد وحلّها بالإيمان نفسه¹.

وعلى المستوى الفردي معلوم أنّ الإيمان يضعف ويتراجع، والمؤمن يصاب بحالات من الضعف والعجز الإيماني من حين لآخر، ولذلك نجد الكثير من النصوص تدعوا إلى ضرورة تجديد الإيمان، ومما شرعه الله في هذا الشأن الدعوة إلى العبادات بصفة متواصلة، وجعل لنا - سبحانه وتعالى - محطات ولو متباعدة لكنها تعيد شحن المؤمن بشحنات إيمانية قويّة، ومن ذلك شهر رمضان وموسم الحج والعمر وغيرها، وبالنظر إلى صلاة الجمعة فهي فرصة أسبوعية للوقوف بين يدي الله وقفة إيمانية ومع النفس ومع الآخر ليتأكد المرء أنّه يجب عليه نبذ كلّ هوى وانشغالات وهموم لأسبوع كامل.

يقول أحمد الرفاعي في بيان أهمية هذه المحطات: "وفي إطار الوقفة الأسبوعية، تتم عملية المراجعة، والمراقبة، والمحاسبة والمعاقبة إن لزم الأمر، ويتم ذلك بتجديد التوبة، وإصلاح الأخطاء، بما يجعل الإنسان المؤمن يتجدد إيمانيا كلّ أسبوع، يتجدد وعيه وشخصيته، ونظرته للحياة ومواقفه من أحداثها ومواقبته لسنة التطور والتغير قياما بواجب الاستخلاف في الأرض والدعوة إلى عبادة الله - عزّ وجلّ - وحده، وطاعته، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم -"².

وقد قدم أحمد الرفاعي الكثير من النصائح والتوجيهات في سبيل الوصول إلى البعث الإيماني المؤهل للبعث الحضاري، فقد سطرّ برنامجا إيمانيا ثريا، توجه به إلى أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهو يتناول بالأساس مقام الرعاية الإيمانية حيث تُعنى جمعية العلماء من خلال ما توفر لديها من طاقات بشرية ومالية ومن إدارات وأئمة وعلماء ومرشدين ودعاة ومجموع الشعب والمواطنين، فيما يتعلق بالجانب الإيماني لديهم بتربيته وتصحيحه، وتجديد العهد مع الله بخدمة الدين والإخلاص في ذلك وتصحيح النيات، وترسيخ القيم عامّة وتعزيز القيم الإيمانية والأخوية خاصّة، وتقوية العزائم وتنشيط الهمم.

إنّ التربية الإيمانية مهمة؛ لأنها جالبة لتوفيق الله الموصل إلى النصر، وإلا فإنّ الإخفاق والإحباط مصير كل عمل لا يلتزم بهذه الإيمانيات، ومما يساعد على تقوية الإيمان سؤال الله الثبات على الإيمان، والصبر والمجاهدة، والحرص على طلب العلم الشرعي، والاجتماع على الخير والعمل الصالح، والتفكير في

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 126.

الكون والتفاعل مع الآيات الكونية، والتقرب من بيت الطاعة مع تعظيم حرمان الله، واستمرار محاسبة النفس والتوبة والاستغفار¹.

والوصول إلى تلك المرحلة يتطلب جملة من الواجبات شرحها وبينها ورتبها أحمد الرفاعي ويمكن تصنيفها إلى أقسام، منها ما يتعلق بالكتاب والسنة وضرورة الاهتمام بهما لدى الناشئة وكذلك كان يفعل ابن باديس مع طلابه ومن النصائح² :

أ. قراءة ورد قرآني كل يوم، بعد صلاة الفجر من نصف حزب إلى حزبين.

ب. حفظ جزء من القرآن الكريم كل أسبوع، من ربع إلى حفظ القرآن كاملاً بعون الله.

ج. حفظ ومعرفة معاني المفردات القرآنية اللغوية المشروحة في التفاسير.

د. العمل بالأحكام التي تضمنتها الآيات المحفوظة.

هـ. حفظ حديث نبوي كل أسبوع من صحيح البخاري ومسلم.

و. العمل بالسنة التي يتضمنها الحديث.

إنّ هذه النصائح والتوجيهات التي تقدّم بها أحمد الرفاعي تدلّ على أهمية القرآن والسنة في كلّ عملية إصلاحية وفي عملية البعث الإيماني المأمول والمنشود، ونصائح أخرى تقدّم بها أحمد الرفاعي شريفي تتعلق بالجانب العملي التطبيقي للناشئين. ونذكر منها:

أ. صيام أسبوعي مع إفطار جماعي. إن أمكن. مع وجوب ترك التكلّف والإسراف.

ب. قيام الليل. ما أمكن. بصفة فردية أو جماعية، وأقل ذلك أسبوعياً.

ج. ورد يومي للذكر بعد صلاة العشاء، وبعد صلاة الصبح. (الأذكار المأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم-³.

وفيما يخصّ الجانب التوعوي والتنظيمي، قدّم أحمد الرفاعي بعض النصائح التي تهدف إلى تجديد

وبعث الروح الإيمانية من خلال لقاءات روحية ودروس توعوية ونشاطات ثقافية وفكرية متنوعة، ومن

تلك النصائح والتوجيهات:

أ. لقاء إيماني أسبوعي أو نصف شهري للترغيب والترهيب (من رياض الصالحين).

ب. دروس أسبوعية في فقه السنة: عبادات، معاملات، من مرجع ميسر مناسب.

¹ ينظر: محمد صالح المنجد، ظاهرة ضعف الإيمان، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، البرنامج التربوي المقترح لشعب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العاملة، الموقع الإلكتروني لجمعية العلماء،

<https://www.oulamadz.org/> تاريخ الزيارة: 2019/12/16م، في الساعة 10.00

³ ينظر: أحمد الرفاعي شريفي، المرجع نفسه.

ج . توزع الواجبات على أيام الأسبوع وخلال الشهور والسنة.

د . التنشيط الثقافي والفكري والتربوي والعلمي من خلال عناصر المنتسبين والمحبين والمناصرين للجمعية من الرجال والنساء في مختلف الاختصاصات¹.

إنّ مراجعة الذات واجبة في كل مجالات الحياة لكل المسلمين وأولها مراجعة الإيمان وتجديده فهو كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم - في الحديث: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ التُّوبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»².

الفرع الثاني: الصراط المستقيم وأهميته.

لقد تغيرت مفاهيم كثيرة وأصبحت لا تعكس الجوهر الحقيقي للمقصود، ومن تلك المفاهيم المهمة التي احتل معناها وفقدت بريقها عبارة (الصراط المستقيم)، فبعدما كان هدفا للمؤمنين، وهو دعاؤهم المستمر في سورة الفاتحة التي تتلى في كلّ صلاة، أصبح اليوم مجرد شعار معنوي! والمسلمون اليوم بأخطائهم الكثيرة من ترك للصلاة ومن انتشار للآثام ومن شيوع للفواحش والاحتكام لغير الله... يعتقدون أنّهم على الصراط المستقيم، ومنهم من يردد أنّه لا يريد دروسا ومواعظ في الهداية وفي الشأن الأخرى عموما، فكانت النتيجة الاختلال البين في قيم المسلمين، حيث صارت السنّة بدعة والبدعة سنّة والمعروف منكرا والمنكر معروفا، وعند الحديث عن الهداية والتدين والالتزام وكأنك جئت بدين جديد يهدم ما كان يعيش عليه الآباء وتلاحقك تهم وأقاويل شتى، وهكذا انتشرت الانحرافات في المجتمع الإسلامي³.

والهداية للطريق المستقيم أمنية كل المؤمنين الصادقين وهو دعاؤهم المتكرر في سورة الفاتحة، من أصاب الهداية لصراط الله المستقيم في الدنيا أصاب الفوز بصراط الله يقوم القيامة، يقول ابن القيم: "فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنسوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذلك الصراط"⁴.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² رواه الطبراني في المعجم الكبير: 84، وصححه الألباني في صحيح الجامع: 1590.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 70.

⁴ محمد ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج 1، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1996م، ص 33.

وللبحث عن معاني الصراط المستقيم الحقيقية لا بدّ من الرجوع إلى القرآن الكريم حيث يتبيّن ذلك المعنى بوضوح، وهو لا يخرج عن معاني العقيدة الصحيحة والفترة السليمة، كما يمكن أن يحمل دلالات إضافية منها أنّ الصراط المستقيم هو العقيدة الصحيحة، وأنّه الشريعة العادلة التي تقوم على الفترة الربانية، وأنّه ثقافة ومفاهيم وقيم وحضارة قائمة ومستمدة جميعها من الوحي الكريم، كما أنّه يقوم على رؤية انسانية وعالمية للحياة البشرية، في كلّ أوضاعها بعيدا عن الجهل والظلم والاستبداد، والصراط المستقيم بتلك المعاني هو الحلّ الوحيد لمشاكل المسلمين وكلّ الانسانية، فهو من ربّ السماء وليس ممّا تملّيه فلسفات وأفكار وايدولوجيات متضاربة هنا وهناك عبر التاريخ¹.

الفرع الثالث: خطر المعاصي على المؤمن.

إنّ الوقوع في معصية الله -عزّ وجلّ- أمر جلل وخطير، ويتجلى هذا الخطر والضرر في كونه نوع من الاستخفاف بشهادة الله، أو كأنّه تكذيب للقرآن الكريم، وهذا يدخل صاحبه في الكفر الصريح، ويدخل في دائرة الاستخفاف بأحكام الله تعالى، وذلك لا يقل جرما عن التكذيب بكلام الله تعالى، وعليه فالإيمان الصحيح لا يمكن أن يقبل تفشي المعاصي ولا يقبل الإصرار عليها، وهذا ممّا يتطلب استعادة الشعور برقابة الله تعالى والإيمان به حقّ الإيمان، ليتحول إلى أخلاق صحيحة راسخة، وذلك كلّه يتحول إلى معيّة دائمة².

إنّ غياب المعنى الصحيح للإيمان أدى إلى شيوع المعاني المزيفة والمغلوطة عن الايمان، ممّا أحدث خللا في العقيدة، وجعل المعصية تنتشر بسرعة، وصارت عند البعض وكأنّها أمر عادي لا يترتب عليه شيء! وبعضها كبائر يهتز لها عرش الرحمن، ويدّعي بعضهم أنّ الإيمان أمر قلبي فقط لا علاقة له بالسلوك والعمل.

والمسلّم به أنّ المعصية يترتب عليها الإثم والعقاب، كما أنّها قد تكون مانعا لحقوق العباد فكم من شخص ضاع حقه في الزكاة والميراث، وكم من حقوق مهدورة بسببها في مواضيع الأسرة عامّة والمجتمع، يبيّن أحمد الرفاعي أسباب تفشي المعاصي: "إنّ المتأمل في ظاهرة شيوع المعصية في المجتمع الإسلامي المعاصر يجدها ترتبط بتقليد غير المسلمين من جهة، وترتبط في الوقت نفسه بجهل عامّة المسلمين بدينهم، فعامة المسلمين يظنون أنّ الإسلام هو الأركان الخمسة فقط، وأنّها لا تتعارض مع المعاصي (لا

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص134.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص140.

يكفر مؤمن بمعصية، وكفر دون كفر)، والمتبع للقرآن الكريم في هذه القضية خاصة أعني قضية المعصية يجد أن القرآن الكريم وصفها في ثلاث آيات: آية مكية، وآيتان مدينتان¹.

وهناك أسباب لا حصر لها تجعل الإنسان عرضة للوقوع في المعاصي، ومن جملة تلك الأسباب التي يجب الاحتراز منها، ضعف الوازع الديني وعدم الالتزام بالصلاة والاستهانة بأمرها، وهي عمود الدين من أقامها أقام الدين وهي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر، ومن أسباب الوقوع في المعصية أيضاً إهمال الأهل تربية أبنائهم وبناتهم وعدم الانتباه لهم، ومن الأسباب التي تُعرض صاحبها للوقوع في المعاصي عدم غض البصر، في حين أنه يجب على كل مسلم ومسلمة غض البصر في كل الأحوال، كما أن سبحانه وتعالى نهى النساء عن التبرج وإظهار الزينة أمام غير الزوج والمحارم².

إنّ المعصية تناقض الإيمان والإسلام، ومن المؤسف أننا نرى المعصية في مجتمعنا في تصاعد وتزايد، وربما صار فاعلها لا يُعاب عليه فعله، ومن ينكر الفعل هو المتهم بالتطرف والجمود وعدم الانفتاح عن العالم الخارجي، وصار التعامل مع العاصي عادي جداً! من أمثال شاربي الخمر والزناة والمرتشين وغير ذلك، وهذه السلوكات يحسبها الناس هينة وهي عند الله عظيمة.

وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- عقوبات الذنوب في كتابه الجواب الكافي، ومن ذلك: حرمان العلم النافع، ووقوع الوحشة بين العبد وربّه، كما أنّ العاصي يجد ظلمة دائمة في قلبه، ويحصل له انطفاء الغيرة من القلب: وهي الغيرة على محارم الله أن تنتهك، وعلى حدوده أن تقتحم، وعلى دينه أن يضعف أو يضيع، ويزول تعظيم الله ووقاره من القلب، واستمرار مرض القلب وإعاقته عن الترقى في مراتب الكمال ودرجاته، وتذهب الحياء ويصاب القلب بالوهن فلا تزال المعاصي توهنه حتى تزيل حياته بالكلية، وهذا الوهن يظهر أثره على البدن، وأيضاً تقصير العمر وتمحق بركته: بمقدار ما تمرض القلب وتذهب حياته، كما أنّ العبد كلما عصى خفت عليه المعصية حتى يعتادها ويموت إنكار قلبه لها، ويصاب بالذل والهوان والصدى والران والطبع والقفل والختم على قلبه³.

ومّا يجب أن يعلمه المسلمون هو "أن مقولة: لا يكفر مؤمن بمعصية حقّ أريد به باطل، والحقّ أنّ المعصية الواحدة قد تكفر بالإصرار عليها وعدم التوبة منها، ذلك ما يقرره القرآن الكريم، فأبليس عليه اللعنة بمعصية واحدة أصرّ عليها ولم يتب منها كفر ولعن وحرّم من الجنّة، وآدم عليه الصلاة والسلام

¹ المرجع السابق، ص124.

² ينظر: إيمان إسماعيل عبدالله، أسباب الوقوع في المعاصي وسبل تجنبها، موقع البلاغ / <https://www.balagh.com/>، تاريخ الزيارة: 2020/05/11م، في الساعة: 11:00.

³ ينظر: ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ط1، دار المعرفة، المغرب، 1997م، ص118.

بمعصية واحدة، عوقب بالإخراج من الجنة والهبوط إلى الأرض، لأنّ المعصية الواحدة لله: هبوط كبير لمن يدرك ويعي، والله أعلم¹.

ولقد شاع بين الناس عبارات التسامح والتعاطف مع المجرمين ممّا أدى إلى انتشار الجرائم، فكما هو معلوم (من أمن العقوبة أساء الأدب) وانتقل هذا التسامح حتى إلى بعض المفتين حيث صارت الفتوى متساهلة كثيرا وأصبح قاتل النفس مثلا عاص فقط، مع أنّ فعله أعظم من المعصية، وهو ممّا قد يدخله في باب الكفر والعياذ بالله، والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض»². وهذا يدل على الكفر الصريح لمن ارتكب جريمة القتل متعمدا، وما نلاحظه من تساهل بحجة لا يكفر مسلم بمعصية فتح أبواب المعاصي على مصرعيها لكونها هونت أمر المعصية والتعدي على حدود الله - عزّ وجلّ - والقرآن الكريم يقول عكس ذلك: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية: 78]. فاللعنة أصابت بني اسرائيل على المعصية والاعتداء وليس مقصود المعصية، وليس المقصود هنا تلك التي يقع فيها المسلم بالجهل والخطأ أو النسيان، إنّما المقصود هي المتعمدة والتي عليها إصرار فهذا هو الكفر الصريح، إلا من تاب وأقلع وتعهد بعدم الرجوع وأصلح حاله مع ربّه ومع الناس³.

ومسألة تكفير المؤمن بالمعصية من المسائل المختلف فيها، فعند علماء السنة لا يكفر المؤمن بارتكابه للمعاصي ما لم يستحل فعلها، ويترتب عليه عقوبات بينها الشارع لحكيم إمّا بحدّ أو قصاص أو تعزير، خلاف ما يراه علماء المعتزلة والأشاعرة.

الفرع الرابع: تفعيل دور مدرسة المسجد.

المسجد له مكانة عظيمة في دين الإسلام والنبيّ - صلى الله عليه وسلم - أول ما قام به في المدينة بناء مسجد قباء، فالمسجد مؤسسة اجتماعية ولها أبعاد ثقافية وتربوية وسياسية شرعية واقتصادية، وقد كان مركز تلقي عن الله تعالى وحيه الكريم، وفيه تعلم المسلمون دينهم عن طريق معلم البشرية الأول محمد - صلى الله عليه وسلم - ومنه انطلقت الدعوة الإسلامية العالمية لتصل الآفاق نشرا للدين الرباني وتذكيرا بالله وحقيقة الوجود... وليس كما يتوهم البعض أو كما يصور أعداء الدين في أنّ المسجد مجرد

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 59.

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم: 1739، 2/176، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»، رقم: 29، 1/81.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 78.

مكان للصلاة أو فيه يرفع الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة، وهدفهم واضح جليّ وهو صرف المسجد عن دوره الحضاري الريادي¹.

يقول علي الطنطاوي في بيان مكانة المسجد: "والمسجد هو المعبد في الإسلام، وهو البرلمان، وهو المدرسة، وهو النادي، وهو المحكمة، هو (المعبد): يدع المسلمون أحقادهم ومطامعهم وشروهم وفسادهم على الباب، ويدخلون إليه بقلوب متفتحة للإيمان، متطلّعة إلى السماء، متحلّية بالخشوع، ثم يقومون صقاً واحداً، يستوي فيه الكبير والصغير، والأمير والحقير، والغني والفقير، أقدامهم مترابطة، وأكتافهم مترابطة، وجباههم جميعاً على الأرض، يستوون في شرف العبودية، وفي شرعة العبادة"².

إنّ خصائص المسجد المتعددة والمتميزة تستخلص من خصائص الإسلام ومن ذلك الشمولية، فما من مجال وإلا وكان للمسجد له فيه دور، وحتى الجانب الاقتصادي له مكانة، ففي المسجد تتضح مقاييس الكسب والنشاط المالي جمعاً وإنفاقاً وحسن تدبير، وأيضاً الجوانب التجارية والزراعية والحياة الخاصة وأمور السياسة، فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعقد فيه البيعة ويستعمل الشورى في المسجد، ومن هذه المنطلقات يمكن اعتبار المسجد قاعدة انطلاق الحياة الاجتماعية الإسلامية فيه تلتقي الأجسام والقلوب، وفيه يتدارس أوضاع المسلمين، وقد أدرك المستعمرون أهمية المساجد فكان أول ما بدأوا ضرب المساجد والزوايا والمصليات³.

وفي بيان بعض أدوار المسجد الأخرى بالتفصيل يقول أحمد الرفاعي شرفي: "المسجد مؤسسة ثقافية كبرى وظيفتها في النظام الاجتماعي الإسلامي هي تكوين الفكر، وتوضيح منطلقاته وأفاق عمله نظراً وممارسة، والربط بينه وبين الحياة الاجتماعية على مختلف أبعادها ومجالاتها، وذلك مع جعل الحياة الاجتماعية الإسلامية في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعصر الخلفاء الراشدين من بعد تصورها أو توجيهها وممارسة يصوغها ويراقبها ويوجهها المسجد بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أمّا الجانب الاقتصادي والمالي فإنّ دور المسجد فيه يتضح من خلال ما وضحه القرآن والسنة من مقاييس نظر الكسب، والنشاط الاقتصادي عموماً، وتبين أهميته وضرورته للحياة الخاصة، والعامّة سواء في ذلك ما تعلق بالزراعة أو التجارة أو غيرها من المعاملات، ممّا جعل المسجد ليس مجرد بناية كما أصبح حاله اليوم"⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، مرجع سابق، ص 13.

² علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، د ط، مطبعة الحكومة، دمشق، د ت، ص 04.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، مرجع سابق، ص 53.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نعم فقد كان المسجد يهتم مضمونه بشؤون الآخرة، ولم يكن ليغفل المسلمون عن تفعيل ما يهتم بشؤون الدنيا في المسجد أيضا : "فالمسجد هو (البرلمان): ما دهمى المسلمين أمر، ولا عرض لهم عارض، إلا نودي: "الصلاة جامعة" فاجتمع الشباب في المسجد، ففي المسجد يكون انتخاب الخليفة، وفيه تكون البيعة، وفيه تُبحث القوانين، تستمدّ من الشرع ثم تعلن فيه على الناس، وهو (النادي): إن قدم أمير بلداً كان أول ما يدخله من البلد المسجد، على منبره يعلن سياسته، ويذيع منهاجه، وإن كانت حرب، عُقدت الرايات في المسجد، وليس في الإسلام حروب هجومية لمجرد الفتح والاستعمار والكسب، بل فيه الحرب الدفاعية فقط..."¹.

إنّ من أسباب الفراغ الاجتماعي الرهيب الذي تعيشه الأمة هو غياب دور المسجد، فقد أصاب العقيدة الإسلامية ما أصابها، وتعرّض سلوك المسلمين وفكرهم إلى التشويه والتجهيل والتحريف. ومما يؤسف له حال المساجد في الجزائر بعد الاستقلال، حيث لم يعد لها الدور الاجتماعي المنوط وقد جمّدت المعاهد الإسلامية، وأهدرت الكثير من الجهود في شتى المجالات، وما ظهر بعدها من آفات اجتماعية مسّت الكثير من أبناء الشعب ونخرت الإدارات والمؤسسات.

¹علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، مرجع سابق، ص05.

خلاصة الفصل

من خلال ما تقدم من مضمون فكري عقدي وإيماني في فكر أحمد الرفاعي شرفي، تبين لنا بجلاء ووضوح حرص الرجل على الجانب الروحي والإيماني، خاصة ما تعلق بتزكية النفس وترسيخ الإيمان وتصحيح العقيدة.

يرى أحمد الرفاعي أنّ كلّ البلايا والرزايا كانت بسبب الخلل في العقيدة الذي نتج عنه ضعف الإيمان، فبدأت الأمة في التخبّط، ولم يعرف الكثير ذواتهم الإيمانية، وحتى الكثير من الدعاة راح يعالج تداعيات الأزمة وشكلياتها، والأصل هو البدء بإصلاح العقيدة، وكلّ الأنبياء ومنهم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بدأوا بالعقيدة، وقد مكث رسول الله ثلاثة عشر سنة في مكة لترسيخ العقيدة وهذا ممّا يدلّ على أنّ التغيير الحقيقي يبدأ من العقيدة ومن الفرد، لا بالسياسة ولا من أعلى هرم السلطات.

كما أنّ مسؤولية الأمة اليوم أكثر من أي وقت مضى في القيام بالبعث الإيماني، في زمن انتشر فيه الإلحاد والفجور وسيطرت المعاصي والمصالح، وانتشرت وسائل الإعلام والفتن والحروب والغزو الثقافي والفكري، ممّا يستدعي الإسراع في النهوض بالأمة بتفعيل دور العقيدة والإيمان كمنطلق أول وأساس. ومن خلال ما تقدم من عناصر تجلّت لنا:

المضامين الإيمانية والعقدية وتنزيلاتها الواقعية في فكر أحمد الرفاعي شرفي.

الفصل الثاني

المضمون الاجتماعي والثقافي

وتنزيلاته الواقعية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الواقع الاجتماعي للمسلمين كما يراه

أحمد الرفاعي شرفي.

المبحث الثاني: القيم في المجتمع الإسلامي.

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين.

المبحث الرابع: المضمون الثقافي والتربوي عند

أحمد الرفاعي شرفي وتنزيلاته الواقعية.

مدخل الفصل:

لا يمكن لأي باحث جاد أو مفكر مبدع وهو يكتب وينظر للأمة، أن يتجاوز الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها مجتمعه في تلك البلاد ومع ذلك المجتمع.

لقد كان أحمد الرفاعي شرفي ابن الجزائر العميقة يتنفس مع شعبه وموطنه نفس الآلام، ويجيا لأجل نفس الطموحات والتطلعات الجميلة، فكانت له بصمة واضحة وجليّة في الشأن الاجتماعي، ولا تكاد تثار قضية اجتماعية في حياته إلا كان حاضرا بقلمه مدونا، وبلسانه خطيبا ومصرحا، فكتب الكثير في القضايا الاجتماعية المختلفة، وكانت المضامين متنوعة وثرية، وهنا يطرح السؤال: فيم تمثّل المضمون الاجتماعي في الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي؟ وما مكانة القيم عند الرجل؟ وكيف عبّر أحمد الرفاعي عن قضايا الأسرة وما يهددها؟ وما سبل الارتقاء بها؟ تساؤلات مهمة وتساؤلات أخرى ذات صلة بالشأن الاجتماعي تطرح حول العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم وضوابط تلك العلاقات، وحقيقة حوار الحضارات وأهدافه وضوابطه إن وجد؟

وفي الجانب الآخر من قضايا المجتمع الرئيسة، يبرز الموضوع الثقافي والتربوي وكلاهما كان من اهتمامات الرجل الواضحة، فهو رجل ثقافة وتربية بالدرجة الأولى، وهنا نطرح تساؤلا آخر في هذا الشأن: ما مضامين الثقافة والتربية في فكر أحمد الرفاعي؟ وكيف كان يرى واقع الثقافة المتردي وأسباب ذلك؟ وماذا عن الأدب الإسلامي وحقيقته ودوره الحضاري؟ والتساؤل الجدير بالطرح أيضا حول مكانة العلم في الواقع، وسبل الإصلاح الثقافي والنهوض العلمي؟ تلك المحاور وغيرها من شأن الإجابة عنها أن تعطينا لمحة عن: مضامين الفكر الاجتماعي والتربوي عند أحمد الرفاعي شرفي وتنزيلاتها الواقعية.

المبحث الأول: الواقع الاجتماعي للمسلمين كما يراه أحمد

الرفاعي شرفي.

المطلب الأول: اهتمام أحمد الرفاعي شرفي بالجانب الاجتماعي.

يشهد الواقع الاجتماعي للمسلمين أزمات مختلفة الأوجه، وصورا شتى من حالات التسبب والفوضى، كل ذلك رسم صورة بائسة للأمة الإسلامية وهي التي وصفها الله تعالى بالخيرية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 110].

وقد وصف الله - عزّ وجلّ - الأمة المسلمة بالخيرية وهو أمر عظيم وجليل، ولقد تجسّدت هذه الخيرية في عهد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - والأمل معقود دوماً في أن تتحقق في واقعنا وزماننا، وليس الأمر آمنيات وتطلعات وشعارات وأفكار، بل هو علم وعمل وريادة واستقامة وسلوك وأخلاق وسمو وتفوّق يتجلى في شتى مناحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وبقية شؤون الحياة الأخرى.

غير أنّ الواقع الاجتماعي للمسلمين لا يعكس شيئاً من هذه الخيرية والتميّز والتطلع، وخلافاً لكل ذلك تشهد الأمة تبعية كبيرة للغرب في كلّ تلك المجالات، وكأنّ الأمة أصبحت بلا شخصية ولا هويّة "فالمأمل في واقع المسلمين يجد أنّ مظاهر طاعات المسلمين لفريق الضالين من اليهود والنصارى هي السمة الأولى للحياة الاجتماعية المعاصرة للمسلمين، بل إنّ طاعة اليهود والنصارى مستشرقين ومفكرين، وسياسيين وسام شرف، وعنوان تحضر الكثير من المنتسبين إلى الإسلام الذي يظنونه مجرد شعار أو تصريح في مناسبات عابرة وهم بالذهنية الإرجائية المعاصرة، يظنون أنّ كلّ ذنوبهم ومعاصيهم لا تخرجهم من دائرة الإسلام الذي يروج له اليهود والنصارى، الإسلام المتعايش مع كلّ المفاسد والمناكر دون تخرج"¹.

وبعبارة أخرى - كما يصف محمد قطب الوضع العام - فقد صار المسلم لا يجد حرجاً في قلبه أن يوصف بالكذب وبالغش وبالتزوير، وبخيانة الأمانة والتهاون في العمل وعدم الاتقان، وإخلاف الوعود والحقد على إخوانه، والهمز واللمز والغيبة والنفاق، والبخل والجبن، وكلّ ما نهى الله عنه من مفاسد الأخلاق ومساوئ السلوك، فقد فقد جوهره الحضاري الإسلامي، لأنّه تجرّد من أخلاقيات لا إله إلا الله، وتجرّد من قيمها الإنسانية العليا، التي هي جوهر الحضارة وعماد المجتمع المتحضر.²

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 106.

² ينظر: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط 1، دار الشروق، مصر، 1997م، ص 175.

إنّ هذا الوضع الذي لا يليق بالمسلمين شغل أمر وبال أحمد الرفاعي شرفي، فكتب فيه الكثير، مبينا خطورة ما آلت إليه الأمور، ومحدرا من المزيد من التدهور والانحدار في الوضع الاجتماعي، والذي سيؤدي بدوره إلى تعدد أوجه الأزمة في شتى المناحي، وكلّ ذلك هو (الخسران الكبير) يقول أحمد الرفاعي: "لم يعرف التاريخ الحديث مثيلا للخسران الذي لحق بالأمة في تاريخها المعاصر، إذ خسرت عقيدتها الربانية الصحيحة، واستبدلتها بالبدع والخرافات والأهواء، والخلافات التي أصابت عقول عامة المسلمين بالجمود والتعصب والتقليد، وبالعجز عن فهم كتاب الله - عزّ وجلّ- وستة رسوله-صلى الله عليه وسلم - والعمل بهما في واقع حياتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 51]"¹.

وقد عبر شكيب أرسلان عن واقع الأمة السيء في كتابه الشهير (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟) حيث يصف واقع المسلمين بقوله: "وبالإجمال حالة المسلمين الحاضرة ولا سيما مسلمي القرن الرابع عشر للهجرة أو العشرين للمسيح، لا ترضي أشد الناس تحمسا بالإسلام وفرحا بجزبه، إنّ حالتهم الحاضرة لا ترضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة ولا من المعنى . وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يسكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الأغيار لا يسكنهم في شيء إلا ما نزر، ولم أعلم من المسلمين من ساكنهم أمم أخرى في هذا العصر"².

لقد كان أحمد الرفاعي يعيش بين أبناء الشعب وفي حيّ شعبي وكان يخالط المواطنين ويتابع كل أخبارهم، فعلم من خلال كلّ ذلك ما سيهمهم ومتطلباتهم، وبلسان الحال يتكلم عن الواقع المزري فيقول: "تتبع ما نشرته وسائل الإعلام عن الإجرام والانحراف ولا حظت أنّ هذه السلبيات والمفاسد في تزايد مخيف كمّا ونوعًا، فهناك عنف وجنوح وشذوذ بأشكال وصور بشعة ومخيفة، وتتبع ما نشر عن المخدرات ووجدت أنّه هجوم شرس واسع على وطننا شنته كتائب وفلول المهربين، شنته على اقتصادنا المجروح وعلى أبنائنا المنشغلين بظروفهم وقضايا مستقبلهم، وتتبع ما نشرته الصحافة أيضا عن الأسعار واضطراب أمرها، وأثار ذلك على من لا دخل لهم وعلى ذوي الدخل المحدود، وتتبع انشغالات التلاميذ والطلبة بمشاكلهم التربوية ومخاوفهم من المستقبل الصعب الذي ينتظرهم، وتتبع قضايا العمال ونضالهم ضد هجمات مصاصي المال والدماء والعرق"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، من يسمع من، مجلة الإرشاد، العدد 04، بتاريخ: أبريل ماي 1990م، الجزائر، ص18.

² شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مرجع سابق، ص36.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإعلام وبعض الأحزاب وقضايا المجتمع، جريدة النبأ، العدد 03، بتاريخ 25 مارس 1991م.

إنّ هذه المتابعات الدقيقة تبيّن أنّ الفكر الدعوي لأحمد الرفاعي إنّما تكوّن وتأسّس من خلال معاشته للواقع، فليست تلك الحوادث والأحداث بعيدة عن أحاسيسه ومشاعره التي يعيشها واقعا على الأرض، وكان أيضا ضحية من ضحاياها، فتشكّل لديه بكلّ ذلك وعي قويّ وحسّ وطموح للتغيير، وما زالت تلك المشكلات تتسع لتشمل كلّ شؤون الحياة يضيف أحمد الرفاعي: "ومع هذه القضايا المهمّة، هناك وضعنا العام بمشاكله المعروفة مثل المديونية، البطالة، ضعف التسيير، ضعف الإنتاج، بيروقراطية... فما سمعت ما يرضي، ولا قرأت ما يُعقل أو يُقبل"¹.

ويتبيّن من خلال كلّ تلك الملاحظات أنّ الرجل كان متابعا دقيقا ويتمتع بحسّ كبير تجاه ما يعانیه المجتمع، هذا ممّا رآه وممّا لحقه من الإعلام، وأمّا ما لم يره وما لم يلحقه وهو الجزء الأكبر فيظهر أنّه عميق وكبير لا يمكن حصره ولا عدّه بسهولة، "فما نشرته الصحافة إنّما هو اهتمامات بسيطة وشكلية شغلت القوم عن واقع الوطن وواقع الدنيا، وبينت بأنّ عامّة الأحزاب عندنا مازالت مجرد حبر على ورق ولا صلة لها بعدد بالرأي العام الوطني وقضاياها وانشغالاته وهمومه، بل إنّ بعضهم يتوهم وجود قضايا مؤسفة ومضحكة مثل: اللاتسامح، اضطهاد المرأة، الاختلاط بين الرجال والنساء، وقانون الأسرة، والامازيغية يثيرون هذه القضايا ويشغلون بها أنفسهم ويشغلون بها الإعلام، بدل الحديث والاهتمام بقضايا الوطن الحقيقية: قضايا المديونية والشركات المتعددة الجنسية والغلاء والتضخم"².

إنّ المسلمين يدركون جيدا أنّ ما حلّ بهم لا يليق بهم كأمة شهادة وحضارة لكنهم لا يسارعون لتدارك الموقف، إمّا لأسباب خارجية أو لضعف فيهم، وعليه فبدل القيام بدورهم العالمي الذي يضمن لهم الشهادة على النّاس وقيادة الأمم ونيل شرف المقدمة في الركب الحضاري تركوا الدعوة إلى الله، فحلّ بهم ما حلّ. يصف أحمد الرفاعي الأمر كأنه تولى حيث يقول: "إنّ تولى المسلمين يظهر في تفكك دولة الخلافة الراشدة من جهة، وفي تفشي المعاصي والمفاسد في مجتمعات المسلمين، وفي انعدام التآخي والتآزر والتعاون بين المسلمين بحكم أخوة الدين. وفي الفساد والظلم الذي تعاني منه الانسانية عامّة دون مدافع أو محام عنّها، كلّ ذلك سببه تخلي المسلمين عن دورهم العالمي، المتمثل في الدعوة إلى الخير بكلّ أنواعه وأشكاله وانشغالهم بشهوات الدنيا عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله - عزّ وجلّ"³.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ أحمد الرفاعي شرقي، القرآن نور وهداية وبصائر، ص150.

المطلب الثاني: الفساد الاجتماعي ومجالاته.

العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا الإسلامية صارت تحصر في وحدة التراب الوطني ونظام الحكم وبعض القضايا الثانوية، في حين لم يعد للقضايا الجوهرية الأخرى ذكر أو حضور في موضوع العلاقات الاجتماعية ومن ذلك القيم الاجتماعية والمؤسسات الخيرية الراعية للضعفاء والوحدة الاجتماعية، ومن الغريب أن نجد ذلك عند الأوروبيين ولا نجد عند أمة التوحيد¹.

وهذا الأمر يبيّن ضعف الاهتمام بموضوع العلاقات الاجتماعية من طرف المفكرين والقادة والحكام، مما يدل على ضحالة الفكر وقلة البصاعة وسوء نيّة التغيير عند الكثير منهم.

وقد أضحت الأزمة الاجتماعية في واقع أمتنا ممتدة حتى شملت جميع الفئات، فالأمة ما زالت تحصي خسائرها المتزايدة في جميع المجالات الثقافية والفكرية والتربوية والاجتماعية وغيرها. يضيف أحمد الرفاعي مبيّنا هذا المجالات التي خسرت فيها المسلمون: "خسرت خيريتها وريادتها للإنسانية ومرجعيتها الحضارية والعقدية، واستبدلتها بالانزواءات الوطنية والإقليمية، وبالتسول الغذائي والثقافي والتقرب من الساحة العالمية الملوثة بقيم الشرك وشتى الأمراض العقدية والفكرية والاجتماعية، وخسرت وحدتها بكلّ جوانبها وأبعادها، واستبدلتها بالمذاهب والكيانات المتنافرة حتى أصبحت في مؤخرة ركب الحياة البشرية، بعد أن كانت قائدة الركب برشدها، وخسرت ثروتها الوطنية وأمنها الغذائي واستقلالها الاقتصادي، واستبدلت كلّ ذلك الفكر ولقمة العيش ودواء المريض ولعب الأبناء وزينة النساء وآلا اللهو والقمار"².

لقد حرم الكثير من المسلمين في هذا العصر أنفسهم من الدين، ومن الصلة بالله، ونسوا غاية خلقهم ومبدأهم ومصيرهم ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة المؤمنون. الآية: 37] وتنافسوا على الدنيا فاحتلّطت الوسائل بالغايات وفقد التوازن بين القوة والأخلاق، ووقع اختلال الروح مع المادة، فأختل أساس التوازن لديهم وفشلوا في الحياة فشلا ذريعا³.

إنّ واقعنا الاجتماعي بات مفلسا بما تحمل الكلمة من معان صادمة، حيث يرى أحمد الرفاعي أنّ دائرة الآفات الاجتماعية توسعت والعاهات تزايدت، وكلّ ذلك يدلّ على خلل في المنظومة الاجتماعية للمسلمين. يقول في هذا الشأن: "لست أنكر أنّ أخلاقنا الاجتماعية مصابة بأكثر من عاهة وآفة، ومرد ذلك إلى مفاهيمنا الاجتماعية التي تعرضت إلى هزّات وارتجاجات عديدة ومتتالية، جعلتها تفقد

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، هل "الأصولية" خطر على الإنسانية؟، جريدة النور الجديد، العدد 02، بتاريخ فيفري 2001، الجزائر.

² أحمد الرفاعي شرقي، هذه خسائرتنا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير...؟ جريدة النور الجديد، العدد 05، بتاريخ 10 مارس 2001، الجزائر، ص 05.

³ ينظر: حسن تميم، من مقدمة كتاب شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مرجع سابق، ص 09.

بعضاً أو كثيراً من مصداقيتها في واقعنا الاجتماعي، وشيوع الأفعال القبيحة من مثل: الرشوة، والفساد، والانتحار، والجريمة... في خطابنا الاجتماعي، مظهر يدلّ على فداحة ما أصاب البنية الاجتماعية من الوهن والضعف، كما يدلّ على ضرورة الإسراع إلى الالتفات والاهتمام¹.

وما زالت معاناة الشعب من الأخطاء متوالية ومستمرة، والسياسات الفاشلة والفساد المستشري طال أمده وتوسع ليشمل مختلف الجوانب الحياتية - كما تمت الإشارة إليه سابقاً - من سياسة وتربية وثقافة واقتصاد وإدارة... ليصبح المشهد العام في صورة الافلاس العام والفساد الشامل، وهذا ما ينذر بمستقبل خطير على الأجيال القادمة².

وهذا الموقف المتشابهة في البلاد الإسلامية التي وطأت أقدام المستعمرين أراضيهم عبر عنه الشيخ محمد الغزالي حيث قال: "إنّ مستعمراتهم السابقة بعد استقلال بعضها بما يزيد عن نصف قرن أو يقرب مازالت تعاني من مشكلات المرحلة الاستعمارية الثقافية والاقتصادية والسياسية، إنهم يمتدّون على مستوى قارة أوروبا كلّها، وفي الوقت نفسه يحطمون الوحدة الوطنية لشعوب المستعمرات يجدون دياناتهم، ويعتبرون ديانات شعوب المستعمرات الإسلامية خاصة تطرفاً دينياً، ينعمون بالديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، ويعتبرون ذلك عند غيرهم صورة من أفرزهم عهد الاحتلال من المثقفين إلا من رحم الله وقليل ما هم"³.

ولم يتوقف الحدّ عند الجوانب المادية والاقتصادية بل توسع إلى مجالات كثيرة منها "وضعنا الثقافي المفلس ووضعنا الاجتماعي غير المستقر، هناك أخلاقنا الاجتماعية المنهارة، وعاداتنا السيئة ومفاهيمنا الذاتية، غير الموضوعية ولا الأصلية هناك موروثنا الحضاري بجموده وأخطائه وأثاره العميقة على نفوسنا إلى غير ذلك من همومنا وقضايانا، حتى أنّ المهتم بأوضاعنا ويريد تقييمها أو ترتيبها يجد نفسه وهو يقول من أين أبدا؟ ذلك أننا نعيش واقعا مفلسا بصورة شاملة للإنسان ومحيطه وواقعه بكلّ مكوناته المادية والمعنوية، وبكلّ جوانبها وأبعادها، فهذه ملاحظة أولى لا جدال فيها"⁴.

وصور المفاصد الأخلاقية وإن كانت الأكثر ألماً فهي ليست وحدها المشهد المؤلم في واقعنا الإسلامي، فهناك أيضاً صوراً لا تقلّ بؤساً، وهي مسائل وقضايا ليست يسيرة، يضيف أحمد الرفاعي: "ما ينبغي الحديث عنه من قضايانا الاجتماعية ومشكلاتنا الوطنية كثير وكثير جداً، فهناك

¹ أحمد الرفاعي شرقي، مجلة الإرشاد، العدد 02 بتاريخ فيفري 1990م، الجزائر، ص05.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، إننا في حاجة إلى جديد وعميق وشامل، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

³ محمد الغزالي، ظلام من الغرب، ط4، شركة نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص86.

⁴ أحمد الرفاعي شرقي، من أين نبدأ جريدة البرهان، عدد 01. تاريخ أكتوبر 1999م، الجزائر.

المعاناة اليومية للفقراء والمعوزين والباطلين والمتشردين وغيرهم، وهناك دموع وجراح ضحايا المأساة الوطنية بمختلف فئاتهم وهناك غلاء المعيشة وفوضى الأسعار، وغول السوق السوداء الذي يمتص عرق وجهه العامل البسيط وينخر كيان الاقتصاد الوطني، هناك ضعف الإدارة العمومية وعجزها وأمراضها المزمنة وخدماتها الاجتماعية الرديئة والفسادة، هناك وضعنا الاقتصادي المتردي"¹.

المطلب الثالث: أسباب الانحدار الاجتماعي ونتائجه.

الفرع الأول: أسباب الانحدار الاجتماعي.

يتساءل أحمد الرفاعي في غير موضع عن سبب هذا الانحدار الخطير، وكالعادة فورا أكثر أزماتنا في الغالب الاستعمار الفرنسي الغاشم، الذي قام بأبشع الجرائم في بلاد المسلمين، ولما خرج ترك خلفه في أغلب البلاد الإسلامية من يخدم مصالحه، ولم يعد المسلم يفرق بين الماضي والحاضر خاصّة فيمَا تعلق بتطبيق أحكام الإسلام، فما زال فينا ومنا من يشرب الخمر ويسرق ويزني ويتعامل بالربا، وما زالت حدود الله معطّلة، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ ظاهرة الفساد قديمة وعريقة وتطورت مع ما عرفه المجتمع من مراحل في تاريخه ففي العهد الاستعماري خاصّة اكتسبت موقعا اجتماعيا مهما يتمثل في ترك أحكام الإسلام، والعمل بالقوانين الاستعمارية وحماية الاستعمار نفسه. وأنظمة الاستقلال وقّرت للفساد مناخا ملائما للبقاء والتطور، من خلال الإبقاء على قيم الاستعمار ولغته وأنظمة إدارته بدل تغييرها، وذلك ما أفرغ الاستقلال الوطني من معناه الحقيقي المتمثل في الاستقلال الحضاري، المتمثل في إحياء وبعث قيم الإسلام، ومن ذلك الإبقاء على تجارة الخمر، والبغاء، وتجارة المخدرات وغيرها من أشكال الفساد الاجتماعي"².

ويبقى الجهل من أهم الأسباب في كلّ المآسي والهزائم والانكسارات، يقول الأمير شكيب أرسلان: "من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخلّ، فيقبل السفسطة قضية مسلّمة ولا يعرف أن يردّ عليها. ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص، الذي هو أشد خطرا من الجهل البسيط، لأنّ الجاهل إذا قيّض الله له مرشدا عالما اطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري"³.

ويرجع أيضا أحمد الرفاعي في تفسيره للأحداث تلك العوائق في طريق النهضة والنتائج السلبية في أرض الواقع إلى تدني الوعي الاجتماعي، وغياب شخصية المسلم الذي صار مغلوبا على أمره يتقبل كلّ

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 92.

³ شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د ت، ص 75

وارد بلا تمحيص يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الوعي الاجتماعي بكلّ جوانبه وأبعاده تدني إلى مستويات غير مسبقة بفعل تأثير التيارات الثقافية والإيديولوجية الغازية، وذلك ما جعل المجتمع الإسلامي عامّة يصل إلى دون درجة من السلبية والتفكك والانكسار النفسي، ما جعله يتقبل الواقع أيّ واقع دون تردد، بعد أن انعدمت الروابط الإيمانية وحلّت محلّها الروابط السياسية والإيديولوجية وروابط المصالح أو الشهوات"¹.

وما حدث ويحدث في بلادنا العربية والإسلامية من محاولات سلّخ الأمة عن ماضيها وتشويه صورتها، وعزّلها عن واقعها، وتهميش دورها الحضاري، وإضعافها مستقبلاً تمهيداً لتدميرها، لم يكن وليد هذه الأيام، وإنما هو نتاج عقود من العمل الدؤوب، وحياسة المؤامرات، وزراعة الفتن والأشواك الضارّة الساقمة من عمّلائهم، ربيبة الاستعمار الذي مسّ معظم الدول المسلمة².

والمتفحص في معاناة مجتمعاتنا من الفساد والأخطاء يدرك أنها ليست حديثة العهد فحسب، وإنما يتمثل موروثنا الثقافي الجامد والفساد جانبا منها... والجديد في أزمتنا يتمثل بعضه في الملابس الظرفية وبعضه في غلبة القيم والمفاهيم الوافدة علينا مع الاستعمار والغزو الثقافي، ولأنّ الوافد والغزو مستمر فالخطر يبقى هو أيضا قائما ومستمر³.

ومن جانب آخر فهناك من يرى أنّ هذه الأوضاع المؤسفة ما هي سوى امتداد لتاريخنا المتخن بالجراح حسب أحمد الرفاعي، وأولها الأزمة السياسية التي حدثت في العهد الأموي الأول من تغيير شكل النظام السياسي، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ المتمعن في مسيرة الحياة الاجتماعية للمسلمين ومنذ أوائل العهد الأموي عهد بداية الانحراف، يجدها تعاني من فراغات متزايدة ومتراكمة بدايتها: الفراغ السياسي المتمثل في تغيير النظام السياسي المؤسس على قيم الحق والعدل والإحساس وحقوق الإنسان وكرامته وواجباته، كما بينها القرآن والسنة وتجلّت في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وعهد الخلفاء الراشدين كلّ ذلك غير وحلّ محلّه نظام سياسي ملكي جاهلي يقوم على قيم الشهوة والمصلحة والمحابة والمحسوبية والعرقية والجهوية وغيرها"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 55.

² ينظر: حمزة عماد الدين موسى، الاستعمار الثقافي، والغزو الفكري، والتبعية الحضارية، الموقع الإلكتروني شبكة الألوكة <https://www.alukah.net/>، تاريخ الزيارة: 2020/06/18م، في الساعة: 14.00. بتصرف.

³ أحمد الرفاعي شرقي، إننا في حاجة إلى جديد وعميق وشامل، جريدة النور الجديد، مرجع سابق. بتصرف

⁴ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 66.

كما يشير أحمد الرفاعي في كتاباته المختلفة إلى أنّ مسؤولية وضعنا المتأزم إنّما يشترك فيه الجميع، فليست الأنظمة وحدها من تتحمل كامل المسؤولية، فالشعوب والأمم وهي طرف أساسي في نسيج الأمة شريكة في كلّ ما وصلت إليه الأمور.

ويتأسف أحمد الرفاعي من تحميل المعارضة كلّ مشاكل المجتمع للأنظمة السياسية لتعفي نفسها من كلّ مسؤولية، يقول أحمد شرفي: "إنّ ما يعاني منه الواقع من فساد وسلبات ليس مسؤولية النظام وحده، وإنّما هو في الوقت نفسه من مسؤولية المواطن غير المهياً لحركة التغيير، وقد آن الأوان للمعارضة أن تتخلى عن لغة الخشب والتمثلة في تحميل النظام وحده مسؤولية الفساد، وأن توجه للمواطن وللمجتمع عامّة التنديد تلو التنديد والتنبية تلو التنبية، بضرورة نبذ الوصاية على عقله ووعيه، سواء في ذلك وصاية السلطة. عملياً. أو وصاية المعارضة نظرياً، وإذا كانت السلطة هي التي فرضت الفرقة على الأحزاب، كما تقول المعارضة، فمن واجب المجتمع أن يفرض الوحدة والتعاون على الأحزاب تحقيقاً لمصلحته ومصالحة الأحزاب والوطن بعد ذلك أو قبله، ومن رفض مشروع التعاون والتكامل بين قوى المعارضة فعلى المجتمع أن يعاقبه بمقاطعة أنشطته"¹.

وإلى هذا الرأي اتجه الشيخ يوسف القرضاوي في جوابه عندما سئل من نحل المسؤولية عن أوضاعنا فقال: "لا شك أنّ المسؤولية الأولى هي على الحكام، ولكن هذا لا يعني الشعوب، لأنّ الحكام هم حرّاس على الشعوب، وهم إفراس المجتمعات أيضاً الناس يقولون: يا فرعون من فرعونك؟ قال: ما وجدت أحداً يرديني، الناس هي التي تصنع الفراعنة، فلا بدّ أن تتحمل الشعوب قدراً من المسؤولية، والنيّ - صلى الله عليه وسلم - قال هذا: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته»². الحديث³.

ويتضح من خلال تلك العبارات كيف أنّ أحمد الرفاعي يرفع عن المعارضة غطاء التبرير، حيث دأبت الأحزاب على الادعاء أنّ الأنظمة هي التي عملت على تفريقها وتشتيتها، فالواجب على الأفراد التوحد والتماسك ما دام هناك الاتفاق على الهدف الواحد في بناء الأمة وإخراجها من بوتقة الفساد الذي طال أمده، والمسؤولية كما سبق الذكر تقع على الفرد والمجتمع فهي أيضاً تقع على المرأة كما الرجل، فالتخلف من الجميع، والنهضة لا بدّ من أن تشمل الجميع أيضاً. ولن يتحقق ذلك إلا بتجاوز السلبية من الجميع التي أفسدت الكثير. يقول رحمه الله: "ومّا سبق يتبين أنّ سلبية المجتمع والتي أدت إلى سلبية الفرد أدّت في الواقع نفسه إلى وضع التخلف الحضاري بكلّ مظاهره من الفساد والرشوة والظلم

¹ أحمد الرفاعي شرفي، حقوق وواجبات المواطنة، آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 351.

² أخرجه البخاري (2554)، ومسلم (1829).

³ ينظر: يوسف القرضاوي، الانفتاح على الغرب: مقتضيات وشروط، ط 1، مكتبة وهية، القاهرة-مصر، 2011م، ص 26.

الاجتماعي والقهر والتعسف وتزوير الانتخابات وأنظمة الحكم الفاسدة إلى غير ذلك من أوضاع المسلمين، مثل الخلافات والانقسامات وما نتج عنها، إنّها سلسلة محكمة الحلقات، ومتلازمة، أدت بالضرورة وبحسب سنن الله -عزّ وجلّ- إلى كلّ ما نعاني منه ونشكو منه سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا¹؟

وقد أسهب مالك بن نبي في الحديث عن مسؤولية الشعوب عندما غاب عنها الوعي والشعور بالمسؤولية "فيؤكد مالك على أنّ غياب الوعي لدى الشعوب الإسلامية من أهم أسباب الشلل الحضاري في مواجهة الاستعمار، لأنّ التفوق المادي الغربي في مقابل التردّي الذي ميّت به الشعوب المستعمرة، هذا التفوق أفقد هذه الشعوب توازن المعادلة بين مرجعيتها الروحية وعطاء العصر المادي، ولن تتمكن هذه الشعوب من إعادة التوازن إلا في إطار الوعي بالذات، ومن ثمّ الإقلاع الحضاري من جديد"².

وهذه القابلية المدمرة، والاستسلام المطلق، إنّما هو تعبير عن النقص أو الفراغ الذي بات يعاني منه المسلم، يضيف أحمد الرفاعي موضحاً: "وكلّ ذلك جعل الفرد المسلم في المجتمع المسلم يشعر بعمق أنّه يفتقر إلى السند وإلى الحماية، وأنّه لا خيار له غير الاستسلام للواقع بكلّ مفسده، لكونه لا يجد البديل ولا المنقذ له من ضياعه. إنّ هذه الملاحظات عاشها كلّ من عاصر الأحداث السابقة بملاساتها، ورصد ردود أفعال المسلمين عامّة حيث تبين بما لا شك فيه أنّ المسلم صار جثّة هامدة يحركها السياسيون وذوو المصالح كما شاءوا، وأنّه فعلاً فقد القدرة على الفعل الإرادي العفوي تجاه أحداث واقعه، وتكرر ذلك منّه حتى صار عُرفاً، ثمّ تقليداً متبعاً، ثمّ جديداً يبرر الواقع بكلّ مفسده"³.

لقد تولد من سبات المسلمين فراغات عديدة تنذر بأوضاع غير سليمة وبمستقبل أسوأ، يتوجس أحمد الرفاعي كثيراً من هذه الغفلة "إنّنا في الواقع العميق وأعني خلفية واقعنا بدون فكر سليم، ولا عقيدة صحيحة، فنحن في الحقيقة نعيش في فراغ، بل فراغات عديدة، فراغ عقدي، وفراغ ثقافي فكري، وفراغ سياسي، وفراغ حضاري... إلخ . والفراغ كما هو معروف لا يعني العدم، وإنّما يعني وضعاً غير صحيح ولا سليم علمياً، فما نسميه في الواقع عقيدة الإسلام، وما نسميه في الواقع فكراً أو ثقافة ليس صحيحاً بكلّ تأكيد، وإنّما هي تسميات تقليدية اقتضاها الفراغ نفسه"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 68.

² عبد الحميد أحمد أبو سليمان وآخرون، أهم الكتب التي أثرت في فكر الأمة - في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 3، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ، 2017م، ص 141.

³ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 55.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، قراءة في المشهد العراقي : سقوط السقوط، جريدة النور الجديد، تاريخ 05 مارس 2001 ، الجزائر، ص 10.

ذكر الشيخ محمد الغزالي أنّ المواطن المسلم لو رسمت له حياته أمامه كخريطة واضحة من النواحي الثقافية والاجتماعية وكلّ الجوانب، وبعد عام أعيد رسم نفس الخريطة لوجد الحال لم يتغير عما كان عليه، ممّا يدلّ حسبه على أنّ انعدام القابلية للتغيير، وربما كانت الأمة جمعاء بنفس الفكرة تسيير القهقري وهي لا تشعر، وكلّ ذلك تبعاً لأحوال الأمة العامّة والخاصّة التي تعيش فراغات كبرى، يقول محمد الغزالي -رحمه الله- "أحوال الأمة متروكة للظروف والصدف، وهكذا تلبث الفراغات الهائلة في مختلف مرافق الحياة في شتى أوطان المسلمين تنتظر دون جدوى من يشغلها، وتستعين في كثير من المواطن بالخبرات الأجنبية الغربية عن روحنا وفلسفتنا، إنّ المواطن مسلماً كان أو عربياً يعيش في أزمة حائرة في كلّ شيء ترهق أعصابه وتشلّ قواه"¹.

ولا شك في أنّ تلك المنطلقات ستؤدي حتماً إلى ضياع حقوق كثيرة للإنسان وتهدر كرامته وواجباته، وسينجر عليها عدّة حقوق ليس في مجال السياسة - الذي يرفضه الكثير - فحسب بل يمتدّ ليشمل مجالات أخرى ذات أهمية، يشرح أحمد الرفاعي قائلاً: "إنّ هذا التغيير السياسي العميق امتدّ أثره إلى الحياة الاجتماعية، وشمل جميع جوانبها عبر التاريخ، حيث ومنذ ذلك الحين بدأت حركة العودة إلى الجاهلية، وفي الوقت نفسه حركة البعد عن القرآن والسنة بدءاً بمؤسسة الحكم ومروراً بالإدارة والتجارة ووصولاً إلى الأسرة والفرد وبخاصّة بعد العهد الاستعماري، كلّ ذلك أوجد حالة الفراغ المشار إليها والتي جعلت المجتمع الإسلامي عامّة والمعاصر خاصّة بدون قيم صحيحة لا شرعية ولا علمية من القيم الصحيحة. وذلك ما أدى إلى واقع التخلف الناتج عن فراغ الواقع الاجتماعي وخلوّه من القيم الصحيحة"².

وبهذا يؤكد أحمد الرفاعي أنّ النتائج الحالية إنّما هي نتيجة تراكمات سابقة أبرزها واقع الفراغات، التي بقيت ردحا من الزمن في الساحة وكأنّ الأمة لا أثر لها ولا صوت ولا حسّ، عالم المبادئ موجود لكن عالم الواقع كلّّه يناقض تلك المبادئ. "فإذا أسقطنا هذه المقولة على مبدأ العدل مثلاً، ووجدنا إنساناً يمارس الظلم بكلّ أشكاله بدون تردد أو تسوّغ وهو في الوقت نفسه يظنّ أو يدعى العدل الذي يعني في الواقع نبذ الظلم بكلّ أشكاله وفي كلّ الظروف، فهذا إنسان يعاني فراغاً في مفهومه للعدل"³.

وبهذا المفهوم فإنّ الأمة ما زالت أسيرة لأزمة حضارية تاريخية معقدة، يقول سليمان تقي الدين: "نحن في أزمة تاريخية قد يصحّ وصفها بالحضارية نتيجة تراكمات من الفشل السياسي، فشل

¹ محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، د ط، نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص 46.

² أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 66.

³ أحمد الرفاعي شرفي، من أين نبدأ، جريدة البرهان، عدد 01. تاريخ أكتوبر 1999م، الجزائر.

القيادة والأفكار والمشاريع التي تضافرت لاستيلاء ما نراه الآن من انحلال للدولة والمجتمع، هذه الموجة من التدين المسيس ومن التمدّيب المطيّف لم تكن موجودة من قبل، وليس في أسبابها خارج الأزمة الراهنة لمجموعة من النزاعات المركبة"¹.

إنّ واقع المسلمين صار بعيدا عن القيم الإسلامية، وكما سبقت الإشارة فإنّ مظاهر ذلك تعددت لتشمل مختلف الجوانب الحياتية للمسلمين بما فيها الجانب المادي أو الاقتصادي فلم يعد المسلم يتحرى الحلال، يقول أحمد الرفاعي: "أما الأغنياء وكبار التجار - إلا من رحم الله - فمعاملاتهم ربوية بالإضافة إلى امتناع الكثيرين منهم عن دفع زكاة أموالهم للفقراء والمساكين وغيرهم تعلقا بالضرائب الباهظة التي تفرضها عليهم الأنظمة الحاكمة، والمعلوم شرعا أنّ الزكاة حق لله - عزّ وجلّ - والضرائب حقّ الأنظمة والحكومات، والضرائب مهما كثرت أو كانت جائزة فإنّها لا تسقط حقوق الله - عزّ وجلّ -"².

الفرع الثاني: نتائج الانحدار الاجتماعي.

توسّعت دائرة الخسائر لتشمل حرّية الأمة الفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وصارت التبعية هي البديل الجاهز، وليته كان بديلا محترما، فهو كلّه يصب في ما يشتم الأمة ويفسد أخلاق أبنائها ويهين كرامتها وعزّتها.

وفي الحقيقة فإنّ تلك المؤامرات وفق مخططاتها لم تستثن المرأة من الرجل أو العكس وكلاهما ركيزة أساسية والتركيز عليهما معا بلا تمييز، فالكلّ مستهدف حسب أحمد الرفاعي "إنّ التخلف العقدي للمسلمين منذ العهد الأموي أدى إلى تخلف علمي وفكري واقتصادي واجتماعي فيما بعد، لم يميز قط بين المرأة والرجل، وذلك ما يعني أنّ الحديث عن تخلف المرأة دون ذكر للرجل حديث غير نزيه ولا منهجي ولا موضوعي بل ويقوم على الجهل بالتاريخ، وعلى المغالطة في الطرح إذ الحقيقة أنّ حجم التخلف وآثاره المدمّرة مسّت الرجل والمرأة على حد سواء"³.

لقد سبق هذا الخسران والانهيار المادي ما هو أعظم، حيث ابتعدت الأمة عن دينها وربّها، فأنتشرت المعاصي والمنكرات بين أبناء المسلمين، يقول أحمد الرفاعي معددا المزيد من خسائر أمتنا المكلومة: "وقبل ذلك كلّه خسرت علاقتها برّبّها سبحانه وتعالى، إذ لم تعد علاقة عامّة المسلمين برّبهم إلا

¹ سليمان تقي الدين، تداعي الإسلام السياسي، ط 1، دار الفارابي، بيروت - لبنان، 2014، ص 105.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 64.

³ أحمد الرفاعي شرفي، هذه خسائرتنا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير...؟ جريدة النور الجديد، العدد 05، بتاريخ 10 مارس 2001، الجزائر، ص 05.

قليلة جدا، علاقة إيمان وطاعة وعبادة وتقوى وخشوع، وإنما أصبحت علاقة تقصير وقصور وتزايد رهيب في أنواع وحجم المعاصي والآثام والاستخفاف بوعيد الله - عزّ وجلّ- للعصاة، وبوعده للمؤمنين، وبذلك كلّ لم يعد للعقيدة الصحيحة وجود في واقع عمّة المسلمين، القلّة قليلة سلبية وجامدة وفردية، وذلك ما يفسر خلوّ الواقع من أيّ مبادرة خيرية نافعة رغم كثير أدوائنا وأوجاعنا الاجتماعية"¹.

وفي جانب وحدة الأمة يبرز أحمد الرفاعي موقفه من الوحدة الاجتماعية والتي تكاد تختفي بين المسلمين وكيف لمن فقد تلك الوحدة تكون له الهيبة والعزة، ويؤكد من جديد أنّ ذلك مرهون وقوعه بتفعيل القيم عمّة الأخوة الإسلامية بالخصوص "وبانعدام الأخوة الإسلامية حُرّم المجتمع الإسلامي من القيم الصحيحة الحياتية الاجتماعية سواء كانت دينية أو علمية وذلك ما جعل المجتمع الإسلامي يتشكل في الواقع بقيم مزيفة هي قيم الشهوات والمصالح والتقاليد والأهواء، ويفتقر في الوقت نفسه إلى قيم الحقّ و العدل والواجب، وذلك ما جعل المجتمع الإسلامي يعاني من الفراغ الذي لا يعني العدم فحسب، وإنما يعني كذلك ما ليس صحيحا فهو في الحقيقة عدم"².

ومّا حلّ بهم الفرقة وفساد ذات البين، حتى وصل الأمر إلى التنافر والتقاتل وسالت بينهم وبأيدهم الدماء والدموع، فانهارت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين عمّة وتعددت صور هذا الانهيار " إذ لم تعد علاقة أخوة ومحبة وتعاون وتناظر وتناصح وتواصي بالحقّ كما تقتضي عقيدة الإسلام، وإنما أصبحت علاقات أنانيات وخلافات وصراعات وأحقاد وعنف وسفك للدماء وكلّها مؤشرات تدلّ على ذهاب ربح المسلمين، بعد أن أصبحت عمّة مجتمعات المسلمين لا ينكر فيها أيّ منكر ولا يؤمر فيها بمعروف"³.

وفي رأي الرفاعي فإنّ هذا البعد نجم عن تأثر المسلمين بالكفار وبالأوروبيين خاصة، ربّما بسبب كثرة مستعمراتهم أو لقرّبهم من المشرق الإسلامي ومن مظاهر ذلك المتأمل في الواقع الاجتماعي لعامة المنتسبين للإسلام يلاحظ أنّهم يقلدون غير المسلمين، تقليدا كاملا شاملا أعمى، فلا تحدث معصية في أوروبا إلا ويظهر مثلها في البلدان الإسلامية من المراقص إلى الخمارات، إلى البنوك الربوية إلى العبث وإهدار الأموال تحقيقا لشهوات لا معنى لها، حيث تبني القصور بالملايير، وتستثمر الأموال في العطور والفجور، وعباد الله يتضورون جوعا ومرضا، كلّ ذلك يتناقض مع الإيمان كما بيّنه القرآن والسنة"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، هذه حسائنا .. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير ...؟ جريدة النور الجديد، العدد 05، بتاريخ 10 مارس 2001، الجزائر، ص 05.

² أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، ص 66.

³ أحمد الرفاعي شرفي، هذه حسائنا .. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير ...؟ مرجع سابق

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 64.

وهذا الوضع الجديد المتمثل في تأثر المسلمين بالكفار لاحظه الدعاة في كل بلاد المسلمين. يقول حسن البنا عن فترة عصره وما أشبه اليوم بالبارحة: "هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قوياً عنيفاً ب: العلم، والمال، وبالسياسة، والترف، والمتعة، واللهو، وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام في حياتنا على القلوب والمحارِب، وفصلنا عنه شؤون الحياة العملية.. وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباحج ومفاتن، وبما لها من مظاهر القوّة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقي لنا من شؤوننا الحيوية"¹.

هذه الفجوة تتمثل غربة واغترابا مع الروح الإسلامية، فبدل التضامن والتآخي نجد أن المسلمين ينفقون أموالهم فيما لا طائل منه، بل ولربما جلب لهم النكد والخسران ومقت الله تعالى.

إنّ الرغبة في تقليد الغرب كانت لدى فئة واسعة من شباب أمتنا، بعدما رأوا متع الحياة هناك وعاشوا النكد هنا، وأصبح المسلم مولعا بالغرب والغرب ينظر إلى المسلمين في أغلب الحالات نظرة ملؤها الاحتقار، ويسمنا بالإرهاب، وكأننا متسولون من تلك الدول من خلال طلبات القروض وغيرها يضيف أحمد الرفاعي: "أما نحن المسلمين عامّة والجزائريين خاصّة، فإننا موجودون فعلا في الساحة الدولية، لكن بأوراق أخرى مزرية ومذلة ومدمرة في نهاية الأمر، وأعني أوراق: طلب القروض، وجدولة المديونية الخارجية، وطلب المعونات الغذائية وغيرها، وأوراق الصراعات والخلافات الإيديولوجية والحزبية، والقضايا الوهمية، وبعث القضايا التاريخية، قضايا المرأة واللهجات واللغات، والفساد الإداري والرشوة وهجرة الكفاءات وتهديب الثروة الوطنية، وتزايد البطالة والمزايدات الفجة... الخ... الخ"².

إنّ السلبية المشار إليها والتي أدت إلى ضعف المسلمين جعلتهم يستسلمون للأمر الواقع، فلا بديل حضاري يمكن أن ينتشلهم من الضياع المدوي، والمتأمل في واقع المجتمع الإسلامي المعاصر يجده غارقا في أحوال التقليد الأعمى لكل ما هو أوروبي جاهلي، سواء في المظاهر الاجتماعية أو المعاصي من خمر وفجور، أو نهب وفساد وجنس وجريمة منظمة، وكل ذلك صار وكأنّه معهود ومن الظواهر الاجتماعية المألوفة³.

¹ حسن البنا، رسالة طور جديد في دعوة الإخوان المسلمين، الموقع الإلكتروني حسن البنا / <https://albanna.life/>، تاريخ

الزيارة: 2019/12/12م، في الساعة 14.00

² أحمد الرفاعي شرفي، أوراق الأمم وأوراقنا؟، جريدة البرهان، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، ص 122.

المطلب الثالث: الأسرة المسلمة وتحديات العصر.

الفرع الأول: أهمية ومكانة الأسرة في الإسلام

تحتل الأسرة مكانة هامة في التشريع الإسلامي، وقد جاءت كثير من النصوص الشرعية متعلقة بتنظيم الأسرة وحسن هيكلتها، ووضعت الشريعة جملة من الحقوق والواجبات على شكل منظومة متكاملة، كما جاء فيها التحذير شديدا من كل ما يسيء إليها.

إنّ غياب الروح الإيمانية والبعد الحضاري لدى القائمين على الحياة الاجتماعية للمسلمين أوصلت المسلمين إلى هذا الوضع المتردي، حتى صار الكثير من المسلمين يقلد الكفار في سلوكاتهم من ملابس وتعامل، وتطوّر الأمر حتى وصل إلى نبد شريعة الإسلام في قضايا كثيرة، خاصّة ما يتعلق بالأسرة من أحكام الزواج والطلاق والخلع والحجاب والميراث، ثمّ صارت الأمور إلى ما آلت إليه اليوم¹.

والعمل على تفكيك الأسرة المسلمة كان قائما منذ زمن طويل، وما زالت مظاهره وبوادره سارية إلى يوم الناس هذا، وقد اتخذ أعداء الأمة والدين أساليب شتى وطرق عدّة لتحقيق أهدافهم وللوصول إلى مآربهم، ومن أهم تلك المخططات ما أشار إليه أحمد الرفاعي شرفي عند الحديث عن مراحل تفكك الأسرة المسلمة من إنشاء المحاكم المدنية في المجتمعات الإسلامية في العهد الاستعماري، وإنشاء المدارس والمراكز الثقافية لتعلم اللغات الأجنبية واختلاط المسلمين بغيرهم، سواء الجالية من الخارج هنا في بلاد المسلمين وقت الاستعمار أو أبناء المسلمين في الغرب، ومثله هجرة بعض المسلمين للعمل في الغرب فتخلق بعضهم بأخلاقهم، وكان لسلطة المستعمر التأثير الكبير على جلّ أخلاق المسلمين².

الفرع الثاني: قضية الخلع وقانون الأسرة.

كان أحمد الرفاعي منافحا عن الثوابت ومدافعا عن المبادئ، فما من قضية تثار إلا كان له فيها رأي موجه وموقف شارح ودفاع مقنع، ومن ذلك المعركة المستمرة التي تثار في كلّ مرة حول قانون الأسرة والمستمد أغلبه من الشريعة الإسلامية السمحاء، ومن ذلك ما كثر النقاش حوله قضية الخلع، فقد نشرت صحيفة النصر يوم السبت 26-11-89 كلمة عن التجمع النسائي الذي استقبل في رئاسة الحكومة جاء فيها: (وانتقدت معظم المتدخلات مسألة الخلع، وتساءلت؟ كيف يمكن أن تشتري المرأة حريتها من الرجل بالمال؟) وهنا تدخل أحمد الرفاعي منتقدا التجمع النسوي الفاقد لكلّ منهج ومنطق،

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 98.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 11.

لأنّ المجتمعين لا علم لهم بحقيقة الموضوع أصلا ولا يفقهون عنه شيئا من الناحية الشرعية، لكن ما وقع هو فقط حلقة من حلقات اتهام الاسلام السمع وطعنا فيه وانتقاصا منه¹.

ومما قيل عن موضوع الخلع ظلما واتهاما للشريعة الغراء أنّ المرأة تشتري حرّيتها من الرجل وهذا بعيد عن كلّ صدق أو حقيقة. يقول أحمد الرفاعي موضحا ذلك: "مما سبق يتبيّن أنّ الخلع ليس ظلما للمرأة، وإّما هو تشريع يقوم على احترام ومراعاة حقها في احترام عواطفها وعدم إكراهها على العيش مع من لا تحبه وإن كان هو محبا لها وغير ظالم ولا مقصر في حقها، أمّا المبلغ المالي الذي تخالع عليه المرأة الرجل فمقابل فكّ الرابطة الزوجية فإنّما هو تعويض للرجل عن الضرر الذي لحقه من امرأة قبلت الزواج به من غير إكراه وكلفه ذلك صداقا وجهازا ونفقات، ثمّ بدا لها أن تتركه من غير ظلم منه لها أو عيب فيه وإّما مجرد رغبة لا يتجاهلها الإسلام ولكنه يقيدها حتى لا تفقد الحياة الزوجية بسببها ما ينبغي أن يكون لها من الجدية والألفة والاستمرارية"².

ومن شأن الدراسة المستفيضة لموضوع الخلع والحالات التي وقعت سابقا أن تعطي الصورة الحقيقية والهدف السامي من تشريعه.

الفرع الثالث: تحديات تواجه الأسرة.

تنتشر في المجتمع الإسلامي الكثير من المفاصد والمخاطر والانحرافات التي مسّت المجتمع في العمق وأصابت الأسرة في مقتل، ويتجلى دور الدعاة في الاسهام في علاج هذه الظواهر السلبية بمرجعيتهم الإسلامية الربانية وذلك بمعرفة الأسباب أولا والدوافع ثانيا وعليه فعلاج المشكلات الاجتماعية لا يكون ببناء المزيد من السجون، فالإجرام وإن كان سلوكا اجتماعيا واقعا تمارسه فئات اجتماعية، فهو ينذر بواقع ثقافي صعب تعيشه الأمة، حيث ضاعت أو تقلصت القيم والمبادئ والتي هي في الأصل علامات وإشارات حضارية وإنسانية يترى عليها الإنسان منذ الصغر ومثلها العلم والايمان والاستقامة والمحبة والتضحية، ومع غياب تلك الثقافات قد تتحول أخطاء صغيرة أو حتى المشكلات التي يعانيتها بعض الأفراد ولا يجدون لها حلا تتحول إلى جرائم³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، موانع العقل، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 293.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، المزيد من السجون ليس حلا، آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 337.

والتحديات التي تواجه الأسرة المسلمة كبيرة، حيث باتت تواجه الأسرة حملات شديدة، ومن أبرز مظاهر تلك الحملات الدعوة إلى المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة¹، فمن القضايا التي طرحتها وثيقة مؤتمر السكان قضية المساواة بين الرجل والمرأة، حيث طالبت في أكثر من بند من بنودها بالتغيير الجذري في العلاقة بين الرجل والمرأة وتقاسم الوظائف بينهما بالسوية الرياضية، بما في ذلك حق الرجال في إجازة والدية أسوة بالنساء. فقد ورد في الفقرة الخامس عشرة من إعلان الوثيقة جملة: "وتقاسم الرجل والمرأة المسؤوليات عن الأسرة بالتساوي"².

وأيضا اللاح المتكرر للدعوة لخروج المرأة للعمل دون قيد أو شرط³، فقد تكرر في الوثيقة الإشارة إلى قيام المرأة بأي عمل تجاه الزوج والأولاد والأسرة على أنه عمل غير مدفوع الأجر. ولمواجهة الصعاب والعراقيل والتحديات لا بدّ من إعداد الرجل الكفاء المسؤول القادر على تحمل أعباء الأسرة بكلّ مسؤولية، وهناك لا بدّ من تلاحم النخبة الفكرية مع المجتمع والأسرة.

إنّ إعداد الإنسان للمستقبل يجب أن يكون إعدادا جيدا مدرسا ومتقنا، بحيث يصبح هذا الإنسان مبدعا وفعالا ومؤهلا لكلّ الواجبات التي تنتظره في حياته المعاصرة من مصاعب ومتطلبات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية وتكنولوجية. وهذا الإنسان لا يمكن أن ينشأ في فراغ اجتماعي، بل لا بدّ أن ينشأ في أرض خصبة دافئة متمثلة في أسرة مثقفة تعي وظيفتها وواجباتها ولا تفرط في حقوقها، وهذه الأسرة إنّما تنشأ في مجتمع متحضر أصيل متميز بثقافته ومبادئه وأصوله، والمجتمع بدوره لا ينشأ من فراغ، بل لا بدّ من أن تكون وراءه نخبة فكرية وعلمية وأدبية وسياسية تهيء له الوسائل اللازمة وتبين له المفاهيم الصحيحة⁴.

إنّ الفراغات الرهيبة التي تعيشها الأمة في الحقل الثقافي والتربوي والاجتماعي أثرت سلبا على مسيرة وأداء الأسرة المسلمة، وأصبحت الأسرة المعوّل عليها في التغيير وبناء جيل الغد هي في ذاتها في حاجة إلى رعاية وإصلاح واهتمام، وهو ما عجزت عنه مؤسساتنا التربوية والثقافية.

"إنّ الفراغ والتأخر في مؤسساتنا التربوية والثقافية صار واضحا جليا، حيث فشلت فشلا ذريعا هي والأسرة في تزويد المجتمع بالمواطنين الملتزمين بالقيم الصحيحة، وبدل ذلك يعجّ واقعنا بصرعى

¹ ينظر: اتفاقية التمييز ضد المرأة (سيداو)، المادة 16، البند ح، وثيقة أممية من 30 مادة. تمّ تحميلها من الانترنت بتاريخ 2019/04/22. في الساعة: 14.00 (ينظر الملحق رقم 05).

² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: اتفاقية التمييز ضد المرأة، المادة 11، المرجع السابق.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، فراغات الواقع، كتاب: ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 97.

المصالح والشهوات والتقاليد العفنة، فهل الذي ينفق عشرين أو ثلاثين مليون على حفل الزفاف ثمّ يواجه بعد ذلك الديون والأزمات إنسان مثقف؟ كلا! وهل المرأة التي تتزوج بمقياس أو خلخال من الذهب وقندورة بقيمة أكثر من عشرة ملايين ستقيم لتواجه بعد ذلك الديون والأزمات... فهل هذه امرأة مثقفة؟ كلا، هل المؤسسة التي تكون أجيالا وتزودهم بمعلومات ومعارف وتجعل منهم بطالين بالضرورة مؤسسة ثقافية حقا؟ كلا؟، هذا هو الفراغ والتخلف فيكيف نواجهه؟¹.

ورغم قوّة حضارة الإسلام الراقية، ويقدر ما جذبت إليها أتباعا ومنتسبين، فهي لم تخلوا عبر المسيرة التاريخية من كسب أعداء وخصوم عملوا ما بوسعهم على تقويض الإسلام وإطفاء بريقه وإخماد جذوته، مستعملين في كلّ ذلك كلّ الوسائل والأساليب والحيل الخادعة والمآكرة ليبقى المسلمون في دائرة التخلف، مستعملين أساليب الإغراء والتزييف، لتكريس التخلف القائم والإبقاء على حالة التنافر بين أبناء الأمة وإبعاد كلّ ما يصلح حالهم من وحدة، وتعاون وإخاء، ووعي صحيح وسليم.²

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها، بتصرف.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مرجع سابق، ص 10.

المبحث الثاني: القيم في المجتمع الإسلامي.

المطلب الأول: القيم في فكر أحمد الرفاعي وأهميتها.

لقد بينت آيات القرآن الكريم أنّ النَّاس جميعهم (بنو آدم) مكرّمين، وهذا يتضمن الكثير من الحقوق التي لا ينبغي حرمان أيّ إنسان منها سواء كانت مادية أو معنوية، وهذا ثابت بنص سماوي رباني مخالف تماما للفكر الإنساني الجاهلي المقيت الذي حرم الإنسان من أبسط حقوقه وهو حق الحياة، وفي الإسلام جعل النفس الواحدة تعدل كلّ نفوس البشر، فمن أحيائها فهو مثل إحياء جميع الأنفس، ومن قتلها فكأنما اعتدى على كلّ البشرية، وفي القرآن الكريم حقّ الحرية ثابت ولو في أقدس الأمور وأشرفها وهو العقيدة وحقّ التدين، فالله منع إكراه الغير على الدخول في الدين ولا يرضى سبحانه لعباده الكفر، وهذا مبدأ عام لتثبيت الحرية المسؤولة في الأمور كلّها، ولا يمكن أن يحتمل إنسان فعل آخري فلا يجوز أن يؤخذ البريء بذنوب المسيء لأنّه ظلم وتعد على حدود الله، فلا يحاسب ولا يعاقب إلا من ارتكب الجرم نفسه، وفي عالمنا حيث تسود الجاهلية تسيطر على حياة النَّاس يؤخذ الأبرياء والشعوب بأفعال قلة ويدفعون الثمن باهضا¹.

إنّ موضوع القيم كان يشكّل نقطة هامّة في فكر أحمد الرفاعي، فعاش حياته متمثلا بقيم عليا وكان منافحا عن تلك القيم ولم يرض المساس بأيّ منها، وقد تحدث عنه رفيقه الطيب برغوث ووصفه بحامل الرسالة المثالية المبدئية الصلبة، يقول الطيب برغوث: "وأقصد بهذه المثالية أو المبدئية الرسالية الصلبة في حياة الشيخ شرفي، تطلعه وانشداده الدائم إلى القيم والآفاق النموذجية العليا التي يرسمها الإسلام لحياة الإنسان عاقمة ناهيك عن حياة المسلم؛ فهو من القلة التي لم تعرف الازدواجية الفكرية أو النفسية أو السلوكية إلى حياتهم سبيلا، فكان صارما مع نفسه ولا يتيح لها الفرصة لمخالفة ضميره وخيانة قناعاته، وما يعتقد بأنّه حقّ أو صواب، مهما كلفه ذلك من متاعب في علاقاته بمحيط ثقافي ودعوي واجتماعي وسياسي، تسري فيه الكثير من فيروسات الازدواجية الفكرية والنفسية والسلوكية التي قد تنتهي بمراحل متقدمة من النفاق الاجتماعي المهلك مع الأسف الشديد"².

"لقد كان رحمه الله يمتق الازدواجية والنفاق أشدّ المقت، ويجاهد نفسه مجاهدة صارمة مضنية من أجل البراءة من ذلك، وكان شديد الاتهام لنفسه والمحاسبة لها والثورة عليها، والحمل لها على المضنيّ صعدا في المدارج العليا للرسالية البصيرة، وعدم الرضا بطول المكث في سفوح مدارج هذه الرسالية التي

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 197.

² الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية القعالة، موقع وجريدة الشروق، مرجع سابق.

تنقطع فيها أعناق غالب البشر، ولا ينفذ من جاذبيتها السالبة المقعدة إلى الأرض إلا أهل المثالية الرسالية البصيرة، المنشدة دوماً إلى عزائم الأمور ومعاليها، وإلى الأولويات والموازنات المعززة لذلك، إني أعتقد بأنّ الشيخ شرفي الرفاعي كان من هذه القلّة الرسالية التي نجحت في تجاوز نطاق هذه الجاذبية المقعدة إلى الأرض"¹.

إنّ هذا الاهتمام الكبير بموضوع القيم الإسلامية ليدلّ على أنّ أحمد الرفاعي كان شديد التعلق بها، وكان مدرسة ملهمة لم يستفد منها المسلمون، يواصل الطيب برغوث توصيف القيم عند رفيقه أحمد الرفاعي: "هو الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعّالة، المنشدة دوماً إلى القيم العليا للإسلام، وإلى المنطق العملي الفعّال، والروح الجماعية التكامليّة، وفقه السنن النازمة لحركة الحياة. إنّه مدرسة كبيرة للرسالية المتوازنة، الجامعة بين الروحية والمثالية الأخلاقية من جهة، والإنجازية الاجتماعية الفعّالة من جهة أخرى. وإنّه ليحزّ في نفسي كثيراً أن أعترف بأننا كصحوة وحركة ومجتمع ودولة، لم نستفد من هذه المدرسة الرسالية في حياتها، وفاتنا بذلك خيرٌ كثير، نأمل أن نستدرّكه بعد الفراغ الذي تركه في نفوسنا وواقعنا"².

لقد حظي موضوع القيم بالمزيد من الاهتمامات، فكم من مؤتمرات أقيمت ودراسات معمقة أُجريت على مدارسة مسألة القيم، "فموضوع القيم من الموضوعات الحيوية التي ترتبط بالإنسان ودورة حياته المستمرة؛ حيث يشكل مبحث القيم (Axiology) أحد المباحث الفلسفية التي تناولها الفلاسفة والمفكرون والمصلحون بكل ما يتعلق بمصادرها، وخصائصها، وطبيعتها، ومكوناتها، ومنظومتها، ومكانتها في العلوم الإنسانية بشكل عام والعلوم التربوية بشكل خاص، كما تنبع أهمية دراسة القيم كونها تشكّل مظهراً من مظاهر السلوك الإنساني الذي يجعلها تحظى باهتمام خاص من قبل جميع المتخصصين والمهتمين بدراسة العلوم الاجتماعية على اختلاف مجالاتها وتخصصاتها"³.

ومن علامات الأهمية المتجددة للقيم، نجد أنّها المورد الرئيسي لتشكيل الثقافة، ومن منطلقها يبدأ طريق النمو والتطور، ومن خلالها تتأكد الروابط الاجتماعية وتثبت، وهذا ما يدلّ على تغلغلها في حياة الناس، وعلى أنّها ليست مجرد أفكار فلسفية أو مبادئ وعظيمة، وعلى النقيض من ذلك فالقيم ترتبط بحياة الناس، ويتجلى فيها سلوكياتهم وآمالهم وأهدافهم"⁴.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ وجيهة ثابت العاني، القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة، ط 1، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2014م، ص 09

⁴ ينظر: نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، ط 1، مكتبة النهضة العربية - القاهرة، 1962م، ص 03.

المطلب الثاني: واقع القيم في المجتمع الإسلامي المعاصر.

الفرع الأول: مجتمع القيم يتخلى عن القيم.

يطلق على المجتمع الإسلامي مصطلح (مجتمع القيم) وهو فعلا كذلك، بما يحتويه دستوره الرباني من قيم عليا ومثل كبرى، غير أنّ واقع الناس لا يعكس تلك المثل ولا يجسدها على أرض الواقع، ممّا جعل تلك القيم تبقى نظرية لا عملية وشكلية لا تطبيقية.

وعن واقع القيم في حياتنا ذكر أحمد الرفاعي: "إنّ من أخطر حقائق الواقع المعاصر وبخاصّة الواقع الإسلامي وهي أنّ: الصلاح، أو الخير، أو الاستقامة، أو الإيمان الصحيح الصادق، أو الدين الرباني، أو السنة النبوية الشريفة، أو العدل، أو الحرية... الخ كلّ ذلك صار في الواقع مجرد كليات جوفاء تقال في المناسبات والمواسم من باب العادة والتقاليد، ولا تعبّر عن الإيمان"¹.

إنّ الفصل الذي حدث بين قيم المجتمع وبين حياته الواقعية، أحدث شرخا قويا في العلاقات الاجتماعية، حيث انعدمت الكثير من الأخلاق في المعاملات اليومية ومنها الصدق والوفاء والالتقان وفي مقدمتها الأمانة، كلّ ذلك أدت إلى ما نحن عليه من انفصام، وفتحت أبواب الشرّ والفساد على مصراعيه، وانتشرت الأوبئة الفكرية والخلقية، وصارت الشهوات هي التي تحكم لا الأخلاق والمثل العليا، وهذا ما خطط له العلمانيون منذ زمن بالاستعانة بالمستعمرين السابقين².

وعندما تغيب القيم أو تضاربت، فإنّ الإنسان يغترب عن ذاته ويعيش الارتباك الداخلي، وبل ويفقد دوافعه للعمل ويقل انتاجه ويضطرب، كما أنّه يغترب عن مجتمعه ويحدث له وبجدة الصراع القيمي الاجتماعي، والذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانحيار³.

إنّ أخلاق المسلمين بدأت تفقد هيبتها ووجودها في أرض المسلمين منذ زمن قديم، يرى أحمد الرفاعي أنّه يمتد إلى زمن ما بعد الخلافة الراشدة مباشرة، ويقصد ما حدث بسبب تغيير نظام الخلافة الإسلامية في العهد الأموي من حكم راشد إلى ملك عضوض يقول أحمد الرفاعي: "فقد حلّت الدنيا محلّ الآخرة، وصارت الشغل الشاغل لجليل لم يعاصر النبيّ -صلى الله عليه وسلم- له ولا النبوّة، لذلك ظهرت الخلافات الفاجرة التي استحلت فيها الدم الحرام، وشهادة الزور، وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك ممّا تورط فيه بعض المسلمين، ثمّ صار أخلاقا اجتماعية، ثمّ صار الإسلام الواقعي بدل الإسلام

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 67.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، أخطاء المسلمين، جريدة النور الجديد، العدد 12، 26 أبريل 2001، ص 24.

³ ينظر: اسماعيل عبد الفتاح، القيم السياسية في الإسلام، كتاب الكتروني، موقع مكتبي، <https://books.google.dz>، تاريخ الزيارة: 2020/03/14م، في الساعة 15.30.

الحقيقي، وصار له أنصاره وحُماته جيلا بعد جيل إلى عصرنا الذي صار فيه الإسلام في أوطان لمسلمين مجرد حزب أو تيار يخضع لقوانين مدنية يهودية ونصرانية معادية للإسلام (القرآن والسنة) منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى عصرنا¹.

الفرع الثاني: الأمانة من القيم المهدورة.

من القيم العظيمة التي جاء بها الدين الإسلامي الأمانة فقد حثت عليها الشريعة في نصوص عديدة، تبين في مجملها أهمية الأخذ بها وخطورة تضييعها والتلاعب بها، وما يترتب عليه من خلل في الدنيا وعقاب في الآخرة.

يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب. الآية: 72] ويقول سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء. الآية: 58]،

ورغم وضوح تلك النصوص الشرعية الدالة على أهمية الأمانة، فقد ضيّعت الأمانة في حياة المسلمين، فبدأت تلك الحياة في الانهيار بدءا من العدل والأخلاق، ووصولا إلى الثقافة والفكر ومرورا بالتجارة والاقتصاد وشمولا لكل المجالات حتى صار واقع المسلمين صورة مشوهة ولا يعكس أخلاق الإسلام الحنيف.

وتحمل الأمانة معان إيمانية وحضارية وفكرية عظيمة، وعليه فهي ليست عنوان لقيمة من قيم الإسلام يفتخر بها المسلم فقط، بل هي فكر وثقافة وعلم وسلوك، ومفاهيم وموازن تقوم عليها حياة الإنسان بدءا من علاقته بربه، وتمتد إلى أن تشمل علاقته بالناس وبالعالم الأشياء جميعها، وعندما ابتعد الناس عن هذا المبدأ العظيم بدأت الحضارات في الانهيار، وواقع الإنسانية اليوم يعكس ما وصلت إليه الأمور جراء التخلي عن الأمانة، فقد ضاعت هيبة المسجد والقضاء والتعليم والإدارة، وضاع مفهوم العدل في الحكم على مستوى الأنظمة، وفي العالم على مستوى المنظمات الإقليمية والقومية والعالمية على غرار جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة التي صارت جميعها أدوات لتبرير الظلم والعدوان، وكلّ هذا من إرهاصات قرب الساعة التي بينها النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله لمن سأله عن الساعة «إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة»² وما نراه اليوم من تضييع الأمانات خير دليل على مصيرنا ومنا نحن سائرون إليه من خراب واسع في الدنيا وعذاب عظيم في الآخرة³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 92.

² رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب باب رفع الأمانة، حديث رقم: 6496.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 132.

والأمانة في الإسلام شأها عظيم ومكانتها من الدين جليلة، والواجب على عباد الله أن يَزْعَوْا للأمانة حَقَّها وأن يعرفوا لها مكانتها وأن يعتنوا بها غاية العناية ويهتموا بها غاية الاهتمام، وقد تكاثرت الأدلة في كتاب الله، وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في تعظيم الأمانة وتعلية شأنها ورفع قدرها وبيان ما يترتب عليها في الدنيا والعُقبى في الآخرة، من ثواب لمن حفظها وحافظ عليها، وعقاب لمن أهملها وفترط فيها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [سورة البقرة. الآية: 283]، وذكر سبحانه وتعالى الأمانة وحفظها في صفات المؤمنين الكُمَّل قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون. الآية: 8].¹

إنَّ الأمانة من القيم الجليلة التي لم يفهم الكثير من الناس حقيقتها، وهي ضرورة اجتماعية وحضارية أساسية يمكن أن تسهم في الازدهار والتنمية في جميع مجالات الحياة وتؤدي إلى التطور، وعندما تضع يصبح الحال كما هو واقعنا تخلف وانكسار، يبيّن أحمد الرفاعي أهمية ومكانة الأمانة بقوله: "بها تزدهر الحياة وتنمو وتتطور في جميع المجالات كما هو حال الأمم المتطورة غير المسلمة، بينما تنعدم الأمانة عند المجتمعات الإسلامية المختلفة، وتتفشى فيها الرشوة والفساد وكلّ ذلك مؤثر، على الانهيار والزوال الحتمي التدريجي، إن لم يعالج الفساد، ولو تتبع المهتمون بالشأن الحضاري أسباب ازدهار الصناعات والتجارات عامّة لوجدوا ذلك مرتبطاً بالأمانة أولاً وقبل كلّ شيء، كما أنّ انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات يعود أولاً وقبل كلّ شيء إلى انعدام الأمانة في العلاقات الإنسانية عامّة، خاصّة أمانة الحكام، إلا من رحم الله وأمانة القضاة، وأمانة إعلاء الدين، وأمانة الآباء والأمهات، كما هو حال عامّة المسلمين إلا من رحم الله".²

وقد كتب أحمد الرفاعي عن الأمانة بتأثر شديد وكأنّه ينعينها فقد غابت ولم تعد أيتها الأمانة التي رحلت عنا وفارقت قلوبنا، كنت كنز الأغنياء والفقراء، وعدّة المعسرّين، وشعار الموسرين فحفظت العهود، وصنت الموجود، وكثرت بك الأرزاق، وازدهرت بك الأسواق، ونمت التجارات، وتواترت البركات، فاغتنى الفقير، وعفّ الأجير، فانتفى الفقر، وعظم الأجر، وفرجت الكرب، وتحقق الإرب، وعندما رحلت عنا حلّ بنا العسر ومسنّا وأهلنا الضرّ مع أنّ المال وفير، والمؤمن عليه غير يسير، فما

¹ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، مكانة الأمانة والحث على أدائها، الموقع الإلكتروني الالوكة، <https://www.alukah.net/> تاريخ الزيارة: 2020/02/18م، في الساعة: 20.00. بتصرف.

² أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 216.

أغنى عنا مالنا، ولا حسن بعدك حالنا. فبعدا لعهد لا أمانة فيه، وقبحا لقوم قلّ أمينهم وكثر ذميمهم وهم لا يشعرون"¹.

الفرع الثالث: الأخوة الإسلامية.

الحديث عن الإخوة الإسلامية حديث عميق وشامل وذو شجون لا تملّ منه نفوس الطيبين، فالأخوة الإسلامية رباط وثيق ربط الله به بين جماعة المؤمنين، ويبيّن سبحانه وتعالى أنّ العلاقة الحقيقية بينهم إنّما هي الأخوة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 10] وفي الآية إشارة إلى ما قد تتعرض له الأخوة من تصدعات واهتزازات، وهنا لا بدّ من المسارعة في إصلاح ذات البين، وفي ذلك تجسيد حقيقي لمعاني الأخوة.

والأخوة الإيمانية تقتضي الكثير من المبادئ المرادفة، من شفقة ومحبة وحبّ للخير والنصرة والحماية والرعاية والمؤازرة سواء كانت مادية أو معنوية، وقد بيّنت أحاديث نبوية كثيرة هذه المعاني السامية ومنها قوله -صلى الله عليه وسلم-: «من كان عنده فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»². وقوله عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»³ وقد تجسدت معاني الأخوة في أبهى صورها في عهده عليه الصلاة والسلام، في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كما كرّسها الإسلام كخلق عظيم نابع من عقيدة راسخة، وعليه فهي ليست أمرا هينا ولا سلوكا شكليا، بل هي مبدأ أصيل يترتب عليه حقوق وواجبات ومشاعر⁴.

لقد وحّد الله تبارك وتعالى بين قلوب المؤمنين بالإيمان، وربط بينهم بروابط المحبة، وآخى بينهم في كتابه المجيد، وامتنّ عليهم بهذه الأخوة، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران. الآية: 103]. فالجتمع الإنساني مجتمع مترابط الأجزاء، يعيش أفرادها كالجسد الواحد، ففي الحديث الشريف «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁵.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام هو الحل، حوار صحفي مع أحمد الرفاعي، جريدة النبأ، الجزائر، العدد 1416، بتاريخ 1995/11/18م، ص 10، كتاب: ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 81.

² رواه مسلم (1728)، ورواه ابن حبان (5419).

³ رواه مسلم (2564).

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 80.

⁵ رواه مسلم: 1999/4، وأحمد: 70/4

ومن مظاهر الأخوة المساعدة والمساندة والتكافل والتعاون والتواصل، والتراحم والتناصر، والإجلال والإكرام، وتفريج الكروب وستر العيوب، ونبد التحاسد وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه¹.
والمؤسف أنّ واقع المسلمين يدل بوضوح على أنّ مبدأ الأخوة لم يعد له أثر واضح بين المسلمين، مع أنّ سلطان الدين شكلياً قائم فالناس تؤمن بالله وتصوم وتصلّي وتحتج وتعتصر، والمساجد بكثرة، والمآذن ترتفع فيها نداءات الصلاة في كلّ وقت، ومع كلّ ذلك الكثير يستبيح دماء إخوانه، والكثير يأكل أموال إخوانه بالباطل وزورا وبهتانا، وضاعت بذلك الحقوق المشروعة، لقد أدى هذا الواقع إلى إهدار الكثير من القيم وفي مقدمتها (الأخوة) وفي ذلك إهدار لقيمة مقدسة، وللأسف فهو إهدار لقيمة قرآنية وسنية حتّى عليها ديننا الإسلامي².

وإذا تقطعت أواصر الأخوة في مجتمع، وتفكّكت روابط المحبة بين أفرادها، ظهرت الأثرة البغيضة، وسعى الفرد في شأن نفسه، وألقى بمصلحة المجموع عرض الحائط، فامتألت الصدور بالأحقاد، وفشت بين الناس الشحناء، واشتعلت نار الحسد في القلوب، وظلم القويّ الضعيف، وساءت العلاقات، وفسدت ذات البين، وفي الحديث الشريف «إصلاح ذات البين؛ فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»³ وإذا حصل هذا الوهن لم يعد يربط الناس بعضهم ببعض إلا مصالح شخصية حقيرة، لا تلبث تنقضي⁴.

ومهما بلغت حدّة الصراعات بين الإخوة، فالواجب التحرك لرأب الصدع وإصلاح الحال استجابة لأمر الله العليّ القدير ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 10]

تأثر أحمد الرفاعي لما آلت إليه روح الإخوة، وكان دائم الدعوة إلى إصلاح الحال، يقول في معرض الحديث عن إصلاح ذات البين بين الإخوة: "إنّ فكرة إصلاح ذات البين بين المسلمين هي التجسيد الحقيقي والواقعي العملي لمعاني الأخوة الإسلامي وما تتضمنه من وحدة الحقوق، ووحدة الواجبات، ووحدة المصير بين المسلمين كلّهم، وذلك ما يستدعي بالضرورة المراجعة الجذرية العميقة والشاملة لكلّ ما يتعارض أو يتناقض مع أولوية إصلاح ذات البين المسلمين في جانبيهما التاريخي والواقعي، والمستقبلي لتحقيق هدفين أساسيين وضروريين:

¹ ينظر: أحمد عز الدين البيانوني، الدعوة إلى الإسلام وأركانها، ك 2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1985م، ص 175.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 54..

³ أخرجه أبو داود (4919)، والترمذي (2509)، وأحمد (4/444).

⁴ ينظر: أحمد عز الدين البيانوني، الدعوة إلى الإسلام وأركانها، مرجع سابق، ص 181.

الأول: إيقاف التفكك والضياع الذي يعاني منه المسلمون من دون الناس جميعا.

الثاني: إعادة بناء كيان واحد للمسلمين جميعا، تتجسد فيه وحدة إيمانهم، ووحدة شريعتهم، ووحدة دينهم، ووحدة حقوقهم ومصالحهم وواجباتهم لكونهم أمة واحدة من دون الناس جميعا¹.

إنّ الحديث عن القيم عند أحمد الرفاعي شرفي ليس كلاما للخطب لتتهيج المشاعر أو هزّ القلوب للحظات، بل هو حديث يريد أن ينطلق من الأعماق ليصل إلى الأعماق ليصل إلى كلّ الآفاق، وليصبح أفعالا تطبق في واقع الناس، فتلك القيم رفعت السابقين وجعلت عيشهم رغيدا ورسمت للأمة النصر والفرح ودفعت عنها الهزائم والأحزان.

لقد كتب أحمد الرفاعي ينادي تلك القيم (يا أيها الصدق.. يا أيها الوفاء ويا أيتها الأخلاق والأدب والحلم....) مخاطبها بالتفصيل والتدقيق يناديها بأهميتها وتأثيرها في حسرة وألم، علّها ترجع لتملاً حياتنا جدا وأمنا، وصدقا وعدلا، زهوا ومرحا، كانت حسرات قوية وزفرات مدوّية خاطب فيها الرجل تلك القيم يعدد خصالها وفوائدها عندما تمسّكت بما الأئمة، حيث عمرت الدنيا وازدهرت، ويعدد أيضا خسائر الأمة ونكباتها عندما تراجعت الأمة عنها.

المطلب الثالث: وجوب إعادة الاعتبار للقيم.

أهمية ومكانة القيم تجعلها دوما في المقدمة، فلا يمكن التفريط فيها ولا الاستغناء عنها، ولذلك العمل على إرجاعها يُعدّ من أوجب الواجبات، وتعزيز ما هو قائم منها بات ضروريا للغاية. وتعتبر منظومة القيم في المجتمع المسلم رمانة الميزان التي تحافظ على توازن المجتمع واستقراره واستمراره في أداء وظيفته الدينية والدنيوية. وقد امتدت القيم التي وضعها الإسلام لتصبغ مجالات الحياة كافة بصبغتها وطابعها الخاص، ولتنظم سلوك الإنسان على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، بحيث ارتبط العطاء الحضاري للمجتمعات المسلمة بمنظومة القيم الحاكمة فيها ارتباطاً مباشراً، دفع خصوم الأمة للإذعان والإشادة بتلك المنظومة السامقة².

والمؤسف في عالمنا اليوم أنّ نرى الكثير من القيم فُقدت في المجتمع ولم ترعها الدولة رغم أنّ الدستور الجزائري يوجب على الدولة رعايتها ومعاقبة كلّ من يتعرض لها بالإساءة، ممّا يدلّ على أنّ

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص48..

² ينظر: شريف عبد العزيز، منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهايارها، الموقع الالكتروني للخطباء

<https://khutabaa.com/>، تاريخ الزيارة: 2020/02/01م، في الساعة: 15.00.

هناك من يعمل بجد لزعزعة تلك القيم وإفسادها كما كانت السلطات الاستعمارية تعمل، وحال بعض المسؤولين أتهم امتداد لفكر الاستعمار، وهذه أخطاء جسيمة على الدولة الحزم في الوقوف عليها¹.

لقد أدت الأوضاع الصعبة التي مرّت بها الأمة الإسلامية إلى تهديد مجتمع القيم وضربت الكثير من تلك القيم في مقتل، فأصبحت الكثير من مظاهر حياتنا وسلوكياتنا لا تدلّ على أننا مجتمع له مبادئ وأخلاق ومثل أصيلة وثابتة، وعليه فلا بدّ من القائمين على الدعوة والحركة وعلى كلّ من تقلّد مسؤولية في هذه الأمة أن يعمل على إعادة الاعتبار للقيم في كلّ المنظومات الحياتية.

وفي هذا المجال، وبيانا لتلك القيم يقول أحمد الرفاعي شرفي: "وأعني خاصّة قيم الواجب، الحقّ، العدل، الحرية، والوحدة، والتعاون، بدل قيم الواقع: قيم المصالح والشهوات والأهواء والصراعات والتزوير، بحيث تصبح القيم كلّ القيم من جديد فيها مقدسة وقواسم مشتركة بين الناس كلّهم، غير مسموح بتجاوزها أو تجاهلها أو التناقض معها، لأنّ كلّ ذلك بقدر ما هو كفر وشرك من منظور إيماني، فهو في الوقت نفسه خيانة للوطن، وإفساد للمعالم الاجتماعية وعدوان على حقوق الإنسان، وجريمة إنسانية، لكون ذلك إشاعة للفساد والشر"².

إنّ القيم التي نفترض أن تبقى ثابتة مثل القيم الدينية والأخلاقية والقيم الأسرية لها أولوية على غيرها من القيم، وتحتاج أكثر من غيرها إلى من يهتمّ بها ويؤكّد عليها ويعمل على إرجاعها وتعزيز ما تبقى منها، وإلى من يمارسها بلا أيّ تهاون أو مبالغة، أمام الجيل الشاب وأمام الأبناء، والكلّ مسؤول من مدرسين وأئمة وخطباء، والحرص على القدوات الميدانية لأنّ القيم ليست مجرد مواعظ تُلقى أو محاضرات تُقال، بل هي أولاً وآخراً ممارسة عملية صادقة نعيشها مع أنفسنا ومع من حولنا³.

إنّ مآسي أمتنا آخذة في الازدياد وأخلاق المسلمين في التبدل إلى مستوى الحضيض، ولا بدّ لهذا المشهد أن يتوقف، ولن يحدث التغيير إلا بالعمل على إعادة الاعتبار للقيم على كل المستويات بدءاً من الفرد، ويشمل الأسرة والحي والمدينة ليعمّ كلّ المجتمع، وبذلك يمكن معالجة كلّ الأمراض الآخذة في التوسع، والتي ما زالت تنخر المجتمع لتقضي عليه، وما أخبار الجرائم والاعتداءات الكثيرة، إلا خير دليل على ذلك، وإن تحقّق غرس تلك القيم وأعيد لها الاعتبار لها، فذلك خير من بناء السجون، وقد قيل: افتح مدرسة تغلق سجننا، فما أحوجنا لتفعيل مدرسة القيم⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ص 317.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 21.

³ ينظر: طلال عترسي، آدابنا متغيرة قيمنا في خطر، مجلة بقية الله، العدد 256، الموقع الإلكتروني <https://baqiatollah.net/>، تاريخ الزيارة: 2020/03/11م، في الساعة: 12.00.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، المزيد من السجون ليس حلاً، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 337.

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين.

المطلب الأول: مكانة المجتمع الإسلامي بين المجتمعات والأمم.

الأصل المسلّم به في عقيدة المسلمين أنّ أمة الإسلام هي أمة الخير، وأمة القيادة والريادة والشهادة على الآخرين، ويترتب على ذلك أنّ الأمة يجب أن تكون ذات سيادة وذات عزّ وتمكين، لكن المسلمين بلغ بهم الضعف والهوان مبلغا عظيما حتى صارت صورة الأصل غائبة تماما.

والواقع يشهد أنّ المسلمين في حالة من الضعف والهوان والانكسار، والإسلام مازال ضعيفا مستضعفا، واليهود والنصارى ومن يعادي الإسلام من الملل والنحل الأخرى مسيطرون سيطرة حضارية شاملة فلم يخافون؟ ومما يتوجسون من عقيدة الإسلام؟ وهل من المنطقي أن يخش القوي الضعيف إذا كان واثقا من نفسه وقيمه؟ والجواب حسب ما دونه أحمد الرفاعي شرّفي أنّهم يخافون لكونهم يعلمون يقينا مصداقية الإسلام ومكان من قوّته الربانية، يعلمون أنّه عند أول فرصة تتاح للإسلام سينهار الظلم والكذب كما حدث عند ظهور الإسلام، وهذه حتمية كونية لا مفرّ منها درسوها وعلموا يقينا إمكانية تحقّقها في واقع البشرية مستقبلا، ولذلك هم يحاولون كسب الوقت وتأخير انكشاف الحقيقة وعرقلة المسلمين بكلّ السبل والوسائل وفي جميع الحوادث والوقائع، وذلك هو السبب الحقيقي للكذب على الإسلام¹.

إنّ عودة المسلمين إلى دينهم إذ تحقّق الخيرية المنشودة وتجسد أمة الشهادة فهي أيضا تشكّل خطرا على اليهود والنصارى وأعداء الدين بشكل عام، الذين سعوا وما زالوا يسعون لعرقلة المسيرة الإسلامية، فلا بدّ من عودة الأمة إلى القافلة الدولية لتأخذ مكانها اللائق بين الأمم.

وواقع المسلمين يثبت أنّهم يعيشون في عزلة عن المجتمع الانساني العالمي، فرض هذه العزلة المستعمر البغيض، والواجب أن يعود المسلمون إلى الحضن الطبيعي الذي تشترك فيه الانسانية، والواجب يقتضي العمل على إعادة بناء العلاقات الدعوية مع الجميع، بعيدا عن النظرة العقائدية فالتعامل مع المجتمعات الأخرى له خصوصية في الإسلام وقواعد وحقوق وواجبات، كما أنّ من الواجب والضروري أيضا بناء الجسور مع الجاليات الاسلامية في كلّ مهاجرها أو مواطنها الأصلية حتى تزال تلك العزلة المفروضة على واقع المسلمين في كلّ أصقاع الأرض، وكلّ ذلك يسهم في البقاء ودفع عجلة التطور والنمو².

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرّفي، الفكرة الاسلامية الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2008م، ص10.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرّفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص80.

ومهما يكن من حال فالأمل في الله دوما قائم عند المسلمين، فوعد الله واجب التحقيق، عبر محمد الغزالي عن مستقبل الإسلام بقوله لست بيائس فأمتنا تمرض ولا تموت وقد تسقط على الطريق فتطول كبوتها ولا تقصر وتتحامل على نفسها مرات ومرات ثم تتابع المسيرة مرة أخرى والمستقبل ان شاء الله للإسلام¹.

المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم.

الفرع الأول: ضوابط علاقة المسلمين مع غيرهم.

جاءت رسالة الإسلام للناس كافة، وجاء الأمر بالدعوة لتعميم الدين لكل البشرية ترغيبا وترهيبا، ولم يمنع الإسلام إقامة العلاقة مع الكفار.

يقول أحمد الرفاعي شريفي: "إنّ القرآن الكريم لم يحرم العلاقة بين المؤمن والكافر، ولم يأمر بقطعها إن وجدت، إنّما الذي حرّمه هو التبعية بالجوانب التي تبينت، وعندما تكون العلاقة لا تتضمن التبعية، ولا تنطوي عليها بالضرورة، ولا تنتج عنها أضرار علاقة التبعية فإنّها حينئذ تصبح علاقة إنسانية فطرية يتعامل فيها كل طرف مع الطرف الآخر بحرية وإرادة بمقوماته، وخصائصه دون إكراه مباشر أو غير مباشر"².

ولم يمنع الإسلام العلاقات الإنسانية الجادة والتي من شأنها تنفع بني البشر "وأول ما يلاحظ الإنسان عالمية الرسالة الإسلامية، إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء. الآية: 107]. فالإسلام رحمة تستحقها جميع المخلوقات المكلفة، لا ينبغي لأي مجموعة من هذه المخلوقات أن تحتكرها لنفسها. لهذا ينبغي على كل مسلم أن يدعو إلى الإسلام ولا يحتكره لنفسه بأي شكل من الأشكال، ومن أشكال الاحتكار أي نوع من السلوك، لم يأمر به الله ولا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويؤدي الى النفور من الإسلام"³.

غير أنّ هذه العلاقة المسموح بها بين المسلمين وغيرهم لم تكن مفتوحة ودون ضوابط، بل كانت موجّهة ومضبوطة بدقة، بحيث لا يجب أن يكون المسلم تابعا لغيره بلا شخصية تميزه، رغم ماله من انتماء حضاري متميّز وعظيم.

¹ عمر خلفه، محمد الغزالي، لقاءات وحوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة، د ط، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 2008م، ص133.

² أحمد الرفاعي شريفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص100.

³ سعيد اسماعيل صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، د ط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، د ت، ص63

والكثير من المسلمين - للأسف - انسلخ عن دينه واتبع نمطا حضاريا غربيا في لغته وسلوكه وثقافته وطبيعة تفكيره، كل ذلك بداع التطور والرغبة في الازدهار والتحضّر مثل الدول الغربية والأمبريالية، وهذا الاعتقاد الخاطئ جعل المسلمين يعيشون تبعية مقيتة ظانين بأنّ هذا هو سبيل التطور والحداثة والعصرنة، والحقيقة ما هو إلا شكل من أشكال التبعية والقهر والاستعمار الحديث الذي هو من تبعات الاستعمار السابق¹.

لا يعارض الإسلام الانفتاح على الآخرين إذا لم تكن علاقة حرب معلنة من الطرف الآخر، وتلك العلاقة المباحة مشروطة بضوابط معلومة، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الكتاب أو غيرهم، لا يجوز أن تكون على حساب عقيدتهم ودينهم، ومقومات شخصيتهم الإسلامية وخصائصها وميزاتها وقيمها، والمتأمل في الواقع الاجتماعي يجد أنّ المسلمين عامّة، وكما سبق القول وفي إطار التبعية لغيرهم صاروا صورة مشوّهة من غيرهم في ثقافتهم ومعالم حياتهم وذلك ما يجب أن يعاد فيه النظر ويصحح"².

ومن مقتضيات هذه العلاقة تبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، وهذا المعنى لا يدخل في نطاق النهي عن موالاة الكافرين، الذي يقصد به النهي عن مخالفتهم، ومناصرتهم ضد المسلمين، والرضى بما هم فيه من كفر، أمّا الموالاة بمعنى المسالمة، والمعاملة بالحسني، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، فهذا ممّا دعا إليه الإسلام، هذا هو الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، ولا تتبدل هذه العلاقة إلا إذا عمل غير المسلمين من جانبهم على تقويضها، وتمزيقها بعداوتهم للمسلمين، وإعلانهم الحرب عليهم، فتكون المقاطعة أمرا دينيا وواجبا إسلاميا، فضلا عن أنّها عمل سياسي عادل، فهي معاملة بالمثل³.

إنّه لا ينبغي بحال أن تكون طاعة المسلم للكافر، فتلك خطوة خطيرة من شأنها أن تجر إلى الكفر والفسوق والخروج عن ملّة الإسلام، فالمسلم في هذه الحالة يكون قد تخلى عن قناعاته وقيمه مبادئه وخصائصه التي تميزه عن غيره، وقد استبدلها بما هو أدنى وهو الكفر والردّة والمروق عن شريعة الإسلام. ومن أشكال ذلك ضياع الأخلاق وتغيير المفاهيم وتبني الأنظمة غير الإسلامية، وبالجملة زوال الصور الحضارية والفكرية والثقافية المميزة للمسلم⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 100.

² المرجع نفسه، ص 119.

³ ينظر: سيد سابق، فقه السنة، ط 1، دار الفتح للإعلام العربي، مصر، 2004م، ص 828.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 99.

ويرى الرفاعي أنّ أهم الضوابط التي يجب أن تكون في أيّ علاقة بين المسلمين وغيرهم عند التعامل والتفاعل، هي تمسك المسلمين بعقيدتهم وحضارتهم وقيمهم ومفاهيمهم الخاصة، كما يفعل الطرف الآخر، ومن هنا تبدأ علاقة الشراكة الحقيقية المتكافئة في إطار احترام الخصوصيات القيم والمصالح، لكن الملاحظ اليوم أنّ أمريكا ومن خلال نظام العولمة الآخذ في الاتساع تريد فرض نمط فكري موحّد على العالم، وهذا بحّد ذاته توجه لدمار العالم وفرض الوصاية عليه¹.

لقد خاف الإسلام على أهله من أفكار المشركين السقيمة وتعاليمهم الفاسدة، فدعاهم إلى مجانبتهم والابتعاد عنهم ولم يشرع قتالهم ابتداءً إلا حين حاربوا المسلمين وخيف على ضياع دعوتهم، عند ذلك أمر الله المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ويحفظوا دينهم وعقيدتهم فقال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة. الآية: 193] وقال عزّ وجلّ ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [سورة البقرة. الآية: 191]².

ويظهر من خلال علاقة المسلمين غيرهم أنّهم في طريق الانتحار والدمار وذلك بسبب تمسكهم بقيم المستعمرين، من خلال تغيير نمط المعيشة والتعامل والتفاعل واللغة، كلّ ذلك بداعي الحداثة والتقدم وما هو في حقيقته سوى تبعيّة مجحفة أذابت الشخصية الإسلامية وأثرت في كلّ جوانب حياتهم من لغة وملبس، ومأكل، وعادات اجتماعية، واقتصادية وأخلاقية، ونظام حكم وغيره، وهذا كلّ لا يغطي حجم الجرائم المرتكبة في حقّ المسلمين العزل في أكثر من بلاد في العالم³.

ومع هذا الوضع وبهذا الفكر ازدادت أزمات المسلمين وتوسّعت ولم يغادرهم التخلف والفقر، ولم تستطع الأنظمة توفير أدنى متطلبات الحياة لمواطنيها، وبدأت الخلافات بين الأنظمة والشعوب، والكلّ في دائرة مفرغة المنتصر فيها منهزم حضارياً وفكرياً وسلوكياً، وكلّ هذا يمثل فساداً وإفلاساً لواقع المسلمين الذي كان يعمل أعداء الأمة على الوصول إليه وقد تحقّق لهم المراد.

الفرع الثاني: المسلمون في المهجر.

ومّا سبق بيانه عن واقع المسلمين والصورة المشوهة والمغلوبة التي رسمها أعداء الدين عن الإسلام، وأسهم في تصديقها سلوكيات وبعض أفعال المسلمين أنفسهم، من ذلك يتبيّن أنّه يتعين على المسلمين في المهاجر القيام بواجبهم الدعوى وتصحيح الصورة عن الإسلام، وإقناع غير المسلمين بأنّ الواقع لا

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 100.

² بدران أبو العينين بدران، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1984م، ص 14.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 100.

يقدم الصورة الحقيقية للإسلام، وإثماً يقدم الصورة المشوهة والمنحرفة في إطار التشويه والتشويه المنظم لصورة الإسلام والمسلمين، والصورة الحقيقية هي ما يقدمه القرآن والسنة وحدهما. إنَّ المسلمين في المهجر تنتظرهم واجبات كبيرة، يلزم عليهم القيام بها كلٌّ في موقعه وحسب طاقته، وخاصة ما تعلق بالجانب الدعوي وبيان الصورة الحقيقية للإسلام، وأنَّ ما يعرضه الإعلام مجرد افتراء والإسلام منه براء، وإثماً تلك صور مشوهة عن الإسلام قام بها أعداء الدين بعمد وبقصد وبعملية منظمة ومبرمجة لطمس الدين المجيد، يتحدث أحمد الرفاعي شرفي عن واجبات المسلمين في المهجر والتي فصل فيها فيقول: "تربية أبنائهم تربية إسلامية سليمة (قرآنية وسنية)، ومعاملة من استضافوهم من غير المسلمين أحسن معاملة، وتفادي كلِّ ما يمكن أن يفسد العلاقة بينهم وبين المسلمين، وعلى المسلمين من المهاجرين أن يعلموا أنَّ حقوقهم إثماً هي في أوطانهم الأصلية، في أمتهم الإسلامية، أمّا في المهجر فهم مجرد ضيوف على أهل الوطن، وما يحصلون عليه من حقوق بحسب قوانين أهل الوطن ليست حقوقهم الأصلية، ومن حقَّ أهل الوطن تغييرها في أيِّ وقت شاءوا. وعلى المسلمين أن يتجنبوا التورط في الصراعات الداخلية في مهاجرهم، وأن يحسنوا إلى الجميع لكونهم يدعون الجميع إلى عبادة الله وحده"¹.

إنَّه ميثاق شرف يمكن اتخاذه قانوناً ملزماً ولو أدبيا وأخلاقياً، إلا أنه لا بدّ من الإشارة إلى التسهيلات والحقوق التي يتمتع بها المسلمون في الغرب، خاصة الحرية والعدل، وهو ما جعل الكثير من الشباب يريد الخروج بحثاً عن الاستقرار والتنعم بالحرية والحقوق، الأمر الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار داخل البلاد الإسلامية لتثبيت أهلها فيها.

ومما يجب على الأفراد والجماعات الإسلامية في المهجر أن تتخلَّص من العصبية والقوميّات المحلية التي جاءت بها من بلدانها، وأن تبعد كلياً عن التطرّف في تبني المذاهب الغريبة عن روح الإسلام وهديه، بسماحة الإسلام وسعته للاتفاق وعدم الاختلاف. وأن تتكافل فيما بينها، يأخذ القوي بيد الضعيف، والعالم بيد الجاهل، والغني بيد الفقير، والقادر بيد العاجز؛ لتكون بحق الجماعة التي عناها الله بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: الآية: 02] لا بدّ من تحقيق القدوة الحسنة من كلِّ مسلم بأرض المهجر أيّاً كان موقعه، طالباً أو عاملاً أو تاجرًا صانعًا؛ بشاشة الوجه، وحسن السمّة، وكرامة المظهر، وأن يكون صاحب مروءة ووفاء، مخلصاً في عمله، متقناً

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزاوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 74.

له، أميناً، عَفَّ اللسان، متسامح القلب، دائم العطاء، ملتزمًا بأوامر الله ونواهيه، وهذه الصفات كلها تعطي الصورة الحسنة للإسلام كما هو في أصله¹.

كما أنّ الدعوة إلى تكوين جماعات ضغط تشكلها الجاليات المسلمة في الغرب للمطالبة بالحقوق أو لتحقيق مصالح معينة يعتبر مسلكاً خاطئاً في نظر الرفاعي، بل وقد يجرّ إلى إلحاق الضرر بالإسلام والمسلمين، فالمواطن الغربي يعتبر حينئذ هذه الفئة تنافسه في وطنه، الأمر الذي يجولهم مباشرة إلى سكان غير مرغوب فيهم. وعلى العكس من ذلك يشجع الدين الإسلامي المسلمين على أن يكونوا خير جار، وفي ذلك مصلحة للعقيدة وللدين، ومما يجب أيضاً نبذ كل الصراعات والخلافات المذهبية التي تنفر من الإسلام وتعطي الصورة المشوهة عنه والقائمة، وتشكك في مصداقية المسلمين وتلصق بهم كل صور الفساد والاجرام والإرهاب والتخلف والإسلام برئ من كل ذلك².

المطلب الثالث : حوار الحضارات.

الفرع الأول: العلاقات الإنسانية بين البشر.

من القضايا الهامة التي فصل فيها القرآن الكريم، قضية وحدة الأصل الإنساني ووحدة المصير، يقول أحمد الرفاعي موضحاً هذه الوحدة وأهدافها الإنسانية: "القرآن الكريم بسوره وآياته تضمن العديد من المعاني والأدلة الدالة على وحدة الأصل الإنساني ووحدة المصير، ووحدة القيم والمبادئ والموازن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 13] وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء. الآية: 01]

إنّ المتأمل في الآيات السابقة يجدها تنصّ على وحدة الأصل الإنساني، ووحدة الأصل تقتضي وحدة الحقوق، ووحدة القيم ووحدة الموازن، حتى لا تقع محاباة أو عنصرية أو طغيان أو ظلم إنسان لإنسان آخر³.

¹ ينظر: سالم نجم، المسلمون في المهجر، الموقع الإلكتروني الالوكة <https://www.alukah.net/>، تاريخ

الزيارة: 2020/03/16م، في الساعة: 14.00

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 74.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 196.

ولعل من أبرز الروابط الموروثة التي تربط بين بني آدم هو إنتسابهم جميعا إلى آدم عليه السلام، وانتماؤهم جميعا إلى صنف النَّاس، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 13]. فأصل النَّاس جميعا واحد، لهم أب واحد وأم واحدة، ويتوالدون ويتكاثرون بالطريقة نفسها، ويتشابهون في التكوين الأساسي العضوي والروحي والعقلي والنفسي والسلوكي، وكذلك يتشابهون في الدوافع والاحتياجات الأساسية¹.

يتحدث سعيد اسماعيل عن هذه العلاقة فيقول: "لقد بيّن القرآن الكريم العلاقة الحقيقية التي تجمع النَّاس بعضهم بعضا، وهي متمثلة في اعتبار الانسانية جمعاء أسرة واحدة بكلِّ مكوناتها وأطيافها وأجناسها ولغاتها وحضاراتها، تشترك في خيرات الله ولهم حقوق وواجبات متداخلة، ولا يحقّ لأحد هضم حقوق الآخرين بسبب الاختلاف مهما كان نوعه، وكلّ استغلال أو تحكم في أقوات الإنسان لأغراض سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية يعدّ جريمة، فكلّ إنسان له الحقّ في كلّ الخيرات وهذا ما قرره القرآن الكريم الرسالة الأخيرة والخالدة للإنسانية لعباد الله إلى يوم الدين، وهو تعميم إنساني خصصته الشريعة لما فيه من بيان للحقوق والنهي عن كلّ أنواع وأشكال الظلم والتعسف"².

الفرع الثاني: ضوابط الحوار مع الملي.

لقد دعا الإسلام إلى الحوار وحثّ عليه مع غير المسلمين قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 64]. إنّها دعوة ربانية خالدة إلى تحكيم العقل واستعمال الحكمة واعتماد الحوار بدلا عن الأهواء والمصالح، ولكنّها رفضت من طرف المدعويين فهي تفضح أكاذيبهم وتكشف تزويرهم وتدحض ادعاءهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة. الآية: 30]. وهذه الادعاءات الكاذبة ما زالت مستمرة، ومنها يستمد أعداء الدين الحقّ في ظنهم بالسيطرة على المسلمين واضطهادهم وكأثم أرباب من دون الله، دمروا بلاد المسلمين في العراق وافغانستان وغيرها، ويقول كبرائؤهم أنّ الله أمرهم بذلك وهو الذي أعطاهم الحقّ في فلسطين كتراب وأرض دائمة لليهود!! سبحانه وتعالى علوا كبيرا أن يأمرهم بالقتل والاعتداء والظلم³.

إنّ الاعتراض عن حوار الحضارات ليس عن الحوار في ذاته فالحوار مطلوب ومرغوب، لكن الخطر المحقق متأت من كون ضعف المسلمين الحالي، وموقعهم المتردّي سياسيا وفكريا وثقافيا وحضاريا

¹ ينظر: سعيد اسماعيل صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، مرجع سابق، ص 57.

² أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 198.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الفكرة الاسلامية، مرجع سابق، ص 09.

واقصديا، وهم في فرقة وتشنت وما جرّه من فرقة وتخلّف وتأخر وانحطاط، كلّ هذا مقارنة مع ما هو الحال عليه عند الطرف الآخر من قوّة وتمكّن وسيطرة، وعليه فالفرص غير متكافئة بين الطرفين، والغلبة شبه محسومة، وشروط المتغلب شبه مفروضة، والنتيجة أنّ الحوار ما هو سوى إقرار بقوّة القوي وضعف الضعيف¹.

يحدث هذا عندما تكون عزيمة الحوار ضعيفة أو منطلقها غير صحيح، أو يكون المتحاور غير متمكّن، ولا يغفل هذا رغبة المتحاور من الطرف الآخر في فرض فكرته بمنطق الاستعلاء والصحة دون الخطأ وأنّ المطلوب في رأيه من الآخر الاستجابة فقط، يقول صلاح سالم في تعداد ضوابط الحوار: "فيجب أن يفرق كل مشارك في الحوار الديني بين رسالته الإيجابية، وبين حججه الدفاعية، فالمشكلة الحقيقية في قضية الحوار ليست أن أحدا يرفضه، بل العكس، فالجميع يرحبون به، ولكن كلّ طرف يفهمه على طريقته، ويسعي من خلاله إلى تكرار الحجج الدفاعية لدينه ضد الأديان الأخرى، ما يبدو كرغبة عميقة إمّا في منع معتنقي هذا الدين أنفسهم من الخروج عنه، أو دعوة أصحاب الدين الآخر إلى الإيمان به، الأمر الذي يحفز معتنقي الأديان الأخرى إلى صياغة حجج مضادة، ودفاعات موازية، حيث يميل كلّ طرف إلى تسفيه ما لدى الطرف الآخر، بل هناك من يتحدث عن الحوار بشكلٍ منغلق وكأّمّا ليس هناك إلا طرف واحد، أو طرفين أحدهما تلميذ والآخر معلم"².

وبالنسبة لموضوع فكرة حوار الحضارات فقد كان أحمد الرفاعي متوجسا منها ويعتقد أنّه مضيعة للوقت، وليس لها هدف سوى الانقضااض على الدين الإسلامي والأمة الإسلامية، وهي حيلة لتشكيك المسلمين في عقيدتهم كمرحلة أولى إلى غاية الوصول إلى إسقاط الشريعة والدعوة إلى الضلال باسم قوانين المنظمات الإنسانية التي في جوهرها تحارب أحكام الإسلام وشريعته قال الله تعالى: ﴿وَلَسُنَّ أُنْتِ الدِّينِ أُوتُوا الكِتَابِ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَسُنَّ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة. الآية: 145]³.

ويرجع سبب حقد بعض الكفار على الإسلام باعتقادهم أنّه أعطى المرجعية الدينية بعدها الحقيقي، وقد انتزعت منهم وصارت لغيرهم، وهذا الأمر يعني عندهم شأن حضاري وثقافي وتاريخي مهمّ، له انعكاسات سياسية واقتصادية وأمنية كبيرة، ولكن الحقيقة غير ذلك تماما، فالإسلام عقيدة علمية غير عرقية وهو دين متفتح على البشرية كلّها في كل زمان ومكان، ولكن الذي غاض اليهود

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياتها، مرجع سابق، ص 76.

² صلاح سالم، حوار الأديان رؤية اسلامية، ط 1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر، 2009م، ص 123.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية: دلالات وعبر، أحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق، ص 151.

والنصارى هو ما جاء فيه من حقائق تكشف زورهم وكذبهم وتحريفهم لما أنزل الله من التوراة والإنجيل، وهم يعلمون أنه إذا عرفت الحقيقة يتعد الناس من حولهم ويتوجهون للإسلام، مما يعني انتشار الإسلام وثقافته ومبادئه وشرائعه، وهذا ما يؤدي باليهودية والصليبية للإفلاس، وعليه فخوفهم الشديد يتمثل في ظهور عظمة الإسلام من جديد وما يؤدي إليه من العودة إلى مفاهيمه التي ترفض زيف اليهودية والصليبية المنحرفة¹.

لقد وضع علماء الإسلام شروطا واضحة للقيام بأي حوار حضاري حتى يؤدي دوره ولا يكون سبيلا للانقراض على الإسلام وشريعته الغراء، ومن هذه الشروط التي عددها محمد بن قاسم ناصر بوحمام:

- أن يكون الحوار قائما على الحيادية، بعيدا عن التعصب.
- أن ينطلق المتحاورون من القواسم المشتركة، ويتركوا الأمور التي لا يمكن الاتفاق عليها.
- أن يحترم الحوار المرجعيات والخصوصيات الثقافية لكل طرف، وأن يتعد عن التسلط والغاء الآخر.
- أن يتبنى قاعدة (المعرفة والتعارف والاعتراف)، وينطلق منها في سبيل التقارب ومعرفة ما عند الآخر معرفة جيدة، والتعارف الذي يُزيل أسباب الخلافات، ويُبعد مظاهر الصراعات. والاعتراف الذي يُمنح ما عند الآخر، ويُقدّر ما يملكه. وهو ما يُعين على التقارب والتعاون. إنه من الضروري ألا يُقوم هذا الحوار على "المركزية الحضارية" التي تُريد العالم حضارة واحدة².

فحوار الحضارات المرجو إذا كان يلزم المسلمين على التخلي عن دستورهم ومرجعيتهم المتمثلة في القرآن والسنة، فهو خطأ فادح لا يصلح ولا يستقيم. فإذا كان التخلي عن تلك المرجعية فالمعنى هو إتباع مرجعية اليهود والنصارى، واعتبارها منطلقا وحيدا. يقول أحمد الرفاعي شرفي: "إن حوار العقائد يقول للمسلمين تخلوا عن عقيدة التوحيد وعن القرآن والسنة، وتعالوا تتحاور حول ما في التوراة والإنجيل للوصول إلى نتيجة أساسية هي أن يتخلى المسلمون عن كل ما لا يتفق مع التوراة والإنجيل من المعتقدات لكونه غير صحيح حسب التوراة والإنجيل وهما المرجعية، أما القرآن والسنة فهو أمر خاص بقلّة من المتدينين المسلمين، وهذا الطرح هو النتيجة الطبيعية والحتمية للتفكك الذي سبق توضيحه،

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الفكرة الإسلامية الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص10.

² محمد بن قاسم ناصر بوحمام، الحوار بين الحضارات، الموقع الإلكتروني الندوة <http://alnadwa.net>، تاريخ

الزيارة 20/05/2020م، في الساعة 07.00

وذلك ما يسقط حوار العقائد ويدعو إلى نبذه لكونه دعوة إلى نبذ القرآن والسنة، واعتماد دين العقائد المنحرفة الأحكام بدل القرآن والسنة¹.

يظهر من خلال هذا التوصيف أنّ الرفاعي اتخذ أسلوب المبالغة في التحذير من خطر دعوة (حوار الحضارات) والدعوات المتكررة هنا وهناك لتقارب الأديان، والحقيقة أنّه ليس بالضرورة دعوتهم للحوار تعني ترك عقيدة التوحيد والدخول في عقائدهم والتوصل من الإسلام بالكلية، والأمر متروك لقوة المسلمين في حجّتهم واقناعهم للطرف الآخر، بالقول الواضح الحقّ وبالسلوك القويم المستقيم.

يقول محمد الغزالي: "نحن لا نرفض الحوار ولكن لا بدّ أن نتفق أولاً على الهدف من الحوار، وإذا كنا نقبل الحوار لأنّ بضاعتنا جيدة ورسالتنا سامية، فإننا نؤكد على ضرورة أن يجري هذا الحوار في مناخ ديمقراطي كي يثبت كلّ منها أنّه أولى بالحياة وأجدر بالبقاء، والغريب أنّ بعض المنتمين إلى الإسلام يجهل هذا الواقع ويرتكب حماقات تسيء إلى دينه بل تنفر منه وتصد عنه².

والذي يتولى حوار الحضارات يفترض فيه أن يكون عالماً مختصّاً في الشريعة ومقارنة الأديان ذا ثقافة واسعة وإطلاع كبير وإمام شامل بالتاريخ ويتمتع بجرّية وكفاءة ووعي، غير أنّ الملاحظ في عالمنا الإسلامي أنّ من يتولى إدارة الحوار مع الغير من الكفار وأصحاب الملل الأخرى، هم من الموالين للأنظمة الحاكمة، وممن ترضى عليهم وعلى توجههم السلطات ويعملون برأيها في إطار خدمة السياسة، وما يخدم تلك الأنظمة الجامدة، وهم بذلك أعجز من أن يقدموا رؤية حضارية فكرية مشرفة أو الدفاع عن حقوق المسلمين، بل يكرسون الضّعف والهوان والانهزامية، وفي نفس الوقت ترى الغربيين يختارون الكفاءات العالية من المفكرين الأحرار ولا علاقة لهم بالأنظمة ومن الديمقراطية وحقوق الإنسان لديهم اعطاءهم الحرية الكاملة³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 76.

² عمر خلفه أبو أسامة، محمد الغزالي حوارات ولقاءات، مرجع سابق، ص 240.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 76.

المبحث الرابع: المضمون الثقافي والتربوي عند أحمد الرفاعي

شرفي وتنزيلاته الواقعية

المطلب الأول: اهتمام أحمد الرفاعي بالشأن الثقافي.

الفرع الأول: مفهوم الثقافة.

أ- تعريف الثقافة لغة:

أصل الثقافة في اللغة العربية مأخوذ من الفعل الثلاثي (ثقف) بضم القاف وكسرهما. ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفًا وَثِقْفًا وَثُقُوفَةً: حدقه، وجاء في مادة " ثقف " من لسان العرب: "رجل ثَقِفٌ وَثَقِفٌ وَثُقُوفٌ: حاذق فهم، وقال ابن السكيت: رجل ثقف لقف: إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به. ويقال: ثقت الشيء: حدقته، وثقفته أي ظفرت به، وهذا المعنى ورد في القرآن ﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ [سورة الأنفال. الآية:57]. وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا فطنا¹.

قال ابن فارس: «(ثقف) الثاء، والقاف، والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء، ويُقال: ثقت القناة إذا أقمت عوجها. ورجل ثقف لقف، وذلك أن يصيب علم ما يسمعه على استواء².

فالثقافة في اللغة هي: الفهم، وسرعة التعلم، وضبط المعرفة المكتسبة في مهارة، وحدق، وفطنة³.

ب- تعريف الثقافة اصطلاحا:

الثقافة بمعناها الاصطلاحي العام تعني "البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكلّ القيم التي تصلح الوجود الإنساني وتهذبه وتقوّم اعوجاجه. فهو مفهوم يفتح الباب أمام العقل البشري لكلّ المعارف والعلوم النافعة الصالحة، ولا يدخل فيه تلك العلوم أو المعارف أو القيم التي تفسد وجود الإنسان، ولا تتسق مع مقتضيات التهذيب والتسوية وتقويم الاعوجاج"⁴.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص492.

² ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج1، ص382، بتصرف.

³ ينظر: أحمد محمد عاشور، تعريف الثقافة لغة واصطلاحا، الموقع الإلكتروني الالوكة / <https://www.alukah.net>، تاريخ الزيارة: 2020/06/11م، في الساعة 11.30

⁴ طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص121.

وكما جاء في المعجم الفلسفي فقد صارت تطلق كلمة ثقافة على: "كلُّ ما فيه استنارة للدَّهن وتهذيب للذَّوق وتنمية لملكة التَّقَد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفنِّ والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه"¹.

وهذا المفهوم للثقافة بمعناها العام يشمل معنى الثقافة التي تنفع الإنسان وترفع مستواه الثقافي والعلمي والفكري.

وأما الثقافة الإسلامية فهي: "العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها"². وهي بذلك شاملة لكلِّ مناحي الحياة.

ت- مفهوم الثقافة عند الرفاعي.

يرى أحمد الرفاعي أنَّ مفهوم الثقافة لا يمكن حصره بحال من الأحوال في النشاطات الفنية أو التربوية التي تقام هنا وهناك في مناسبات مختلفة، كما أنَّ الثقافة لا تقتصر على من يطلق عليه صفة (مثقّف)، فكلِّ فرد وحسب موقعه يمكن أن يكون ضمن دائرة المثقفين.

يقول شرفي الرفاعي: "إنَّ رسالة الثقافة يؤديها الطبيب بنشاطه الثقافي المعرفي غير المهني أو الحرفي، ويؤديها المحامي بنشاطه الثقافي الفكري غير المهني، ويؤديها المهندس بنشاطه الثقافي غير الحرفي، ويؤديها التاجر، وتؤديها المرأة والرجل وتؤديها النوادي الثقافية للشرائح الاجتماعية كلّها، بممارسة الثقافة في الواقع أخلاقاً ومعاملات وموقف، تلك هي الثقافة الحقيقية"³.

وهكذا يعبر أحمد الرفاعي أنَّ رسالة الثقافة ليست هي حرفة الثقافة، فمن يحمل الثقافة كرسالة يريد تغذية العقول بقناعة، ومن يحمل الثقافة كحرفة أو مهنة فلربما قصد غذاء البطون دون العقول.

الفرع الثاني: الواقع الثقافي كما يراه أحمد الرفاعي.

شغل الجانب الثقافي جانبا مهما من حياة وفكر أحمد الرفاعي شرفي، ومن شدّة اهتمامه بالشأن الثقافي ربط أسباب أزمتنا المتعددة والمتنوعة بغياب الثقافة، كما رأى أنَّ الأمم تطورت بفضل الفعل التراكمي الثقافي والفكري وليس بالمال، ذلك أنَّ الثقافة رسالة تواصل ومحبة وصناعة للإنسان الصالح وللحياة الكريمة اللائقة بالإنسان والتي تصنع له الاستقرار والأمان في حياته⁴.

¹ المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص58.

² ناصر بن سعيد السيف، علم الثقافة الإسلامية، موقع الالوكة / <http://cp.alukah.net/>، تاريخ الزيارة: 2019/11/11م، في الساعة 11.00

³ أحمد الرفاعي شرفي، رسالة خاصة بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور. 10 جوان 2010م، ملحق رقم 03. مرجع سابق.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، هل "الأصولية" خطر على الإنسانية؟، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

وبجسرة وألم شديدين حول واقع الثقافة البائس، يحمل أحمد الرفاعي نفسه جزءا من تلك المسؤولية، حيث أنه بعد ستين سنة من العمل والتوجيه مع بعض إخوانه لم يتمكنوا من تغيير أي شيء من الواقع كما يعترف عن نفسه وعليه فهو - في نظره- يستحق النقد ثقافيا بسبب ما سمّاه المشاركة عن طريق الحرفة الثقافية في تزييف الواقع وغشّ الحضارة بسبب التعامل مع ركام الموروث الفاسد الجامد من غير تحليل ولا نقد ولا تفكير عميق، والواقع المكرس بكلّ نقائصه وسلبياته يعكس الحقيقة المشار إليها حيث ما زالت الثقافة مجرد حرفة مثل بقية الحرف ومهنة تدرّ المال في واقعنا، ويتمّ استغلالها للمصلحة الشخصية حسب الظروف والقيم الشخصية¹

ورغم أنه حمل نفسه جزءا من مسؤولية الركود الثقافي، فقد كان أيضا يربأ بنفسه عن التكريمات المخرجة له، وقد بادرت يومية الجمهور بتكريمه نظير جهوده، فتنازل أشياء قد تغري غيره، وأولها رحلة العمرة، التي كرمته بها يومية الجمهور سنة 2010م، فتنازل عنها وقال إنّ العمرة كان نفعها يعود لي شخصيا فأنا أريد تعويضها بطبع كتيبي، لنشر العلم، كما بادرت حينها مديرية الثقافة بتكريمه وأعطته صكا، ولكنه رفض وتحدث إلى مدير يومية الجمهور في مكتبه وطلب منه أن يعيد الصك لمدير الثقافة وقال: لست أحقّ به فاستغله في أمور تخدم الثقافة².

ويرأي أحمد الرفاعي أنّ الغياب الثقافي المخيم على الساحة ليس سببه قلة المعارف والكتب، وللتأكيد على ذلك ضرب مثلا بالمدينة التي كان يسكنها وهي قسنطينة حيث أنّ بها جامعتين للتعليم العالي إحداهما الجامعة الإسلامية وأيضا العشرات من المؤسسات التربوية الأخرى وفيها رجال مثقفون ومحامون ومهتمون ولا أثر للثقافة في الواقع، بل هناك القحط الثقافي الكبير الذي خيم على الساحة الوطنية عموما حتى أنّ مفهوم الثقافة يكاد يغيب في المجتمع ويغيب معه الدور الثقافي والرسالة السامية المتمثلة أساسا في التنوير والتوجيه والبناء، وكلّ ذلك غائب أو حاضر بعضه عاجز عن إحداث أيّ تغيير وتأثير³.

وقد تحسر الرجل في أكثر من موقف على واقع الثقافة ووصفه بالمزري بعدما كانت الجزائر عموما وقسنطينة خصوصا مزدهرة بالنشاطات الثقافية والتربوية والإصلاحية ومنذ وقت ابن باديس الذي كان يعتبرها عاصمة الجزائر العلمية "لقد كانت قسنطينة قبل محنة الأزمة الوطنية الدامية قلب الصحوة النابض ورمزها الأصيل، وكادت تحيي عهد إمام النهضة بما دبّ فيها من نشاط دعوي وثقافي متميز في

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، رسالة خاصة بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور. 16 أفريل 2013م (ملحق رقم 03).

² ينظر: علي بن الطاهر، تعليق في كتاب أحمد الرفاعي شرقي، كتاب: الام في الدعوة والصحوة ص 385 مرجع سابق.

³ أحمد الرفاعي شرقي، رسالة خاصة بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور. 16 أفريل 2013م (ملحق رقم 03).

الجامعات والمساجد والصحف الصادرة بالشرق الجزائري، النصر، العقيدة، النور... وغيرها من العناوين، لكنها وأثناء العاصفة فقدت كل شيء، وصارت مدينة الجمود والركود والفرقة وتبرير التقصير، وبذلك لم تفقد موقعها فحسب، وإنما صارت المثل السيئ فيما تعرفه في واقعها من فساد وسلبيات، مع أنها تحتضن جامعتين وطنيتين وعددا من المعاهد والمطابع لكن الساحة الثقافية فيها تعاني من الهزال وجفاف الأقلام وركود الهمم وترهل العزائم، فلا محاضرات ولا ندوات ولا ملتقيات"¹.

ومع ما نراه من نشاطات هنا وهناك نلمس فيه غياب الثقافة الأصيلة، وهذا مما سرّع في إحداث التشابه بين حال المسلمين بالكفّار، وجعل الفوارق تتضاءل يوما بعد آخر بين أوضاع اليهود والنصارى وأوضاع المسلمين عامّة، ومن صور ذلك ما نلاحظه في البلاد الإسلامية من التجارات المحرّمة، مثل تجارة الخمر والانتشار المذهل للمخدرات وغياب المعاملات المالية الإسلامية، وعلى العكس من ذلك ما زالت المعاملات الربوية هي السائدة، ومن مظاهر تقليدهم في أعيادهم كعيد الحبّ وعيد المرأة وانتخاب ملكة الجمال وإقامة حفلات الغناء ومراقبة الرجال، وكلّ ذلك يعتبر في نظرهم من مظاهر المدنيّة الحديثة، بينما هي في الحقيقة من مظاهر الانحراف المدمّر للقيم الإسلامية².

الفرع الثالث: سيطرة الثقافة الوافدة.

لقد تنوعت أساليب التغريب الموجهة لأفراد الأمة الإسلامية ولأوطانهم واشتدت الحملة المسعورة إبّان الحكم الاستعماري والمنتشع بالثقافة والفكر الغربيين، وهو معادٍ بشدة لكلّ ما هو عربي وإسلامي، ومن أهدافه نبذ العقيدة الإسلامية وحضارتها، وتقليد الأوروبيين لغة وأدبا ونمطاً حضارياً³.

ولذلك سادت موجة من التقليد الفوضويّ وأصبحت تجتاح شباب المسلمين؛ تحمل في ظاهرها مسمّى الموضة ومسايرة المدنية، ومواكبة الحداثة، وفي باطنها التمرد والتسخّط على كلّ ما يمتّ للتقاليد والأعراف بصلة. صار شبابنا يلهثون وراءها دون معرفة أصولها ولا الهدف من اتباعها وأكثر الشباب في البلاد الإسلامية قد استسلم لضعفه، وفتح بقدراته، فاحتفت قوته تحت وقع أساه، شباب حطم اليأس أرواحهم، فانكفؤوا على ذواتهم، قد شككهم تقليد غيرهم في ثوابتهم وميّع شخصيتهم، وطمس هويتهم، ومزق روابطهم، وزعزع ثقتهم في أئمتهم وعلمائهم⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، رسالة خاصة بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور. 16 أفريل 2013م (وثيقة). مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 112.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ص 03.

⁴ ينظر: أسماء جابر العبد، التقليد الأعمى، الموقع الإلكتروني الالوكة / <https://www.alukah.net>، تاريخ

الزيارة: 2019/12/12م، في الساعة 12.30.

لقد حاولت أمم وشعوب شتى من كلِّ قارات العالم التميّز وصناعة مجد لها وشأن ومكانة، وبعضها لا تملك أيّ رصيد ثقافي أو تاريخي حضاري، أمّا بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، فيرى أحمد الرفاعي الانتشار الواسع لمظهر للاستلاب الحضاري والتغريب واضمحلال الهوية "فقد صارت حياة المسلمين عامّة في مظاهرها وقيمها ومبادئها ومفاهيمها لا تختلف عن حياة غيرهم من غير المسلمين، ممّا جعل تمييز المسلم عن غير المسلم تضيق ساحته لتتصرّف في بنايات المساجد، وفي الآذان، لدى عامّة المسلمين إلا من رحم الله، أما ما عدا ذلك فقد فقدت المجتمعات الإسلامية غير قلة قليلة منها كلّ خصائص الثقافة الإسلامية حتى في مناسبات الزواج والمآتم، حيث تجد المشيعين للحنازات يذهبون إلى المقبرة لكنهم لا يصلون الصلاة الشرعية، ويذهبون إلى المساجد لحضور حفلات العقود الشرعية، ولكنهم لا يدخلون المساجد وإذا دخلوا لا يصلون تحية المسجد، وكلّ الممارسات التي ترتبط بالزواج أو الوفاة في معظمها بدع لا علاقة لها بالإسلام، القرآن والسنة، باستثناء قلة قليلة جدا لا يؤثر وجودها في واقع الصورة الاجتماعية السابقة لكون القلّة المشار إليها قلة مهمشة في الواقع"¹.

ولقد أخذ المسلمون يتعدون رويدا رويدا عن القرآن والسنة، ويقتربون بالقدر نفسه من المصادر الأجنبية من وثنية ورهبانية ويقبسون منها ويخلطون ما يقتبسون بما بقي لهم من حقائق الإسلام، ثم انتهى بهم الأمر إلى التكرّس الكامل للوفاة الغريب، وقد أسهم في كلّ ذلك التكنولوجيا الحديثة والعمولة وما شابه من وسائل وأفكار وتيارات تغريبية².

ومن البلايا والرزايا أن يصبح القانون المدني الفرنسي المخالف للشريعة الإسلامية هو المرجع للمسلمين وكأنّ قمة الثقافة في التشبه بالفرنسيين والأوروبيين وأهل الغرب عموما وفي المقابل يروج هؤلاء الكفار ومعهم بعض المستلبين حضاريا لأفكار مسمومة مفادها ومختصرها أنّه لا بدّ من التحرر من الرجعية ومواكبة التطور الحاصل باسم الثقافة والحداثة وغيرهما³.

جرّب المسلمون حلولاً كثيرة، فما نفعت ولا صلحت ولاهي أفلحت، وبقيّ حالهم كمن يغرس نباتا في غير أرضه، فلا النبات أثمر ولا هو بقيّ على قيد الحياة بصورته الطبيعية والسليمة، فتلك هي تلك صورة الحلول المستوردة، وما زال الطوفان يهدد الأمة، فهل تلجأ أمة القرآن للقرآن أم سيغمرها الطوفان، وقد بدأت الأمواج تتسارع منذرة بطوفان مدمر لا يبقي ولا يذر.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، ص 122.

² ينظر: أحمد عبد الرحمن إبراهيم، وصف الكبر والتواضع في أخلاق الإسلام، مجلة الفيصل، العدد 64، السعودية، 1982م، ص 68.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 121.

يرى أحمد الرفاعي أنّ هناك طريقتين وعلى المسلم أن يقرر ويختار القرآن أو الطوفان "إنّ المجتمع الإسلامي المعاصر خاصّة، والمجتمع الإنساني عامّة أمام خيارات أساسية وحاسمة بعد سلسلة التجارب التي سبقت الإشارة إليها والمتمثلة خاصة في خيارين أساسيين: القرآن أو الطوفان، وخيار القرآن لا يتمثل، ولا ينحصر في الجانب العقدي وحده، وإتّما الخيار القرآني، خيار ثقافي وفكري وحضاري بقدر ما هو خيار عقدي وشرعي أساسي، وقد جرّب المسلمون وغيرهم خيارات عديدة سياسية، وفلسفية، وإيديولوجية، ولم يجدوا فيها الحلّ لمشكلات: الظلم والفساد والحرية، ويبقى الخيار القرآني وحده بجوانبه المشار إليها هو سبيل الرشاد"¹.

وقد استورد المسلمون حلولاً كثيرة لكلّ المشكلات، فما نفعت تلك الحلول المستوردة والوافدة، ولا مشاكلنا حلّت، فهلا سارع الدعاة إلى اقناع الجميع بالحلّ الإسلامي "مكاسبنا من وراء الحل الإسلامي، نحقق به وجودنا الإسلامي، ونقيم التوازن في حياتنا، ونعالج مشكلاتنا من جذورها، ونكوّن الإنسان الصالح الذي هو أساس المجتمع الصالح، ونجدّد روح القوة في أمتنا، ونحفظ وحدتها والإخاء بين أبنائها ونجمع كلمة العرب والمسلمين حول راية الإسلام، ونحقق الأصالة والاستقلال الفكري والعقائدي لأمتنا"².

المطلب الثاني: أسباب الجمود الثقافي وطرق الإصلاح.

وبالرجوع إلى الأسباب لا بدّ من الاعتراف بأنّ هذا الواقع بكلّ سلبياته لم يكن وليد الفجأة فهو ليس وضعاً حادثاً أو جديداً كلّ ولا قديماً كلّ، وإتّماً مزيج بين زمنين، فيه القديم المتمثل خاصّة في ثقافتنا الجامدة وبعض قيمنا غير الصحيحة ومفاهيمنا غير الأصلية، وفيه الجديد المستحدث ممّا أصاب عقيدتنا وبنيتها الفكرية من اهتزاز وضباب وعدم وضوح الرؤى، كلّ ذلك جعلها لا تؤدي وظيفتها الأساسية في حياة الإنسان الخاصّة والاجتماعية³.

لقد ساد لفترة من الزمن لدى بعض الساسة وصناع القرار في بلادنا النزوع إلى ازدياد الثقافة في معظم تجلياتها وإلى الاستهانة بالمتقنين وعدم القناعة بجدوائية ووجاهة إشراكهم في دوائر صنع القرارات المتصلة بتطوير المشهد الثقافي والتعاطي معه، والسعي إلى النهوض به، إذ لم يكن يتوفر لدى هؤلاء الساسة الوعي الكامل بأهمية الثقافة كعامل فعّال في نشر الوعي الاجتماعي وتعميق الحسّ الفني والارتقاء بالذوق الجمالي وإرساء أسس التمدن والحضارة. ولم يكونوا يدركون أنّ الثقافة بكلّ أبعادها

¹ المرجع السابق، ص 26.

² يوسف القرضاوي، حتمية الحل الإسلامي، ط 5، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، 1993م، ص 04.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، من أين نبدأ، جريدة البرهان، مرجع سابق.

تشكل رافعة اقتصادية تساهم بحظ وافر في النماء الاقتصادي والتطور الاجتماعي والازدهار الثقافي للبلاد، وما كانوا يعون أنّ رأس المال البشري الذي تساهم الثقافة في تكوينه وتطويره هو أهم عوامل التنمية والتمدد والتحضر، كما لم يكن بمقدورهم تمثّل العلاقة الوطيدة بين توفر الساحة الثقافية في البلاد على دور النشر والمتاحف والمسارح ودور السينما ومعاهد الفنون الجميلة وأروقات عرض الفنون التشكيلية والمكتبات والفضاءات¹.

ولعل أسباب خلود بعضهم إلى السبات الثقافي بعد العراقيل الكثيرة هو عدم اقتناعهم بالمرود الثقافي على مختلف الصعد، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الملاحظ في المجتمعات الإسلامية هو أنّ ما تعرفه المكتبات من دراسات ومؤلفات لا يغير من الواقع شيئاً، لأنّه علم بلا قيمة، وفكر بلا قيمة، ووصل الحال إلى اختلاط المفاهيم، وانعدام المصداقية وكل ذلك بسبب فرض الوصاية على الفكر من طرف السلطات أو السياسيين والإدارة بشكل عام ليصبح لاحقاً قناعات عامّة، الأمر الذي أهدر الكثير من الجهد والوقت"².

يحدث هذا الإهمال والتجاهل والغفلة في زمن تسارع فيه الدول العريقة إلى النباش في الماضي واستخراج ما يمكن أن تستفيد منه في بناء حضارتها ومستقبلها على قلته، وأمتنا تنام على كنوز ثقافية ولا معتبر ولا مبادر!

والأمر المؤسف الآخر حجم التناقض الكبير الذي يزداد وضوحاً في كلّ مرّة، بين مبادئنا العظيمة والشعارات التي نرفعها من جهة وواقعنا الهزيل من جهة أخرى، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ هذه الظاهرة، أعني التناقض بين الشعارات والواقع ليست جديدة ولا طارئة علينا، لذلك إننا ومنذ عهد غير قريب وقعنا في متاهات التناقض بين الحقيقة والواقع، وكلّما اتسعت المسافة بينهما التجأ الفكر الإسلامي التقليدي الجامد إلى التبرير والتلفيق، فيسمى الحقيقة بغير اسمها، فعلنا ذلك تاريخياً وكان من أسباب ما عرفناه من نكبات وكوارث وفعلناه في تاريخنا الحديث، وكلّ ذلك أثر تأثيراً عميقاً وقويا على الإنسان عندنا وجعله يعاني الفراغ والضعف والشعور بالنقص وعدم القدرة على تحمل مسؤولية الحياة بجد وأهلية وقدرة، وكيف يستطيع تحمل مسؤولية الحياة من لا يتصور الحياة إلا شهوة أو مصلحة خاصة أو كذبا على النفس والغير؟"³.

¹ ينظر: محمد الأمين ولد الكاتب، أسباب ركود المشهد الثقافي في البلاد والسبيل إلى النهوض به، موقع وكالة الأخبار الموريتانية، <https://alakhbar.info/> تاريخ الزيارة: 2019/12/16م، في الساعة: 08.00.

² أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، ص 17..

³ أحمد الرفاعي شرقي، آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 202.

لقد أصبح المسلمون في هذا الزمن ورغم كثرتهم وكأنه لا وجود لهم فهم في المعادلة الاجتماعية الدولية لا يؤثرون، وعلى العكس من ذلك يتأثرون بما هم مستهدفون فيه، ورغم المحاولات المختلفة من رجال الفكر إبراز الثقافة الإسلامية إلا أنّ ذلك لم يكفل بالتوفيق ربما بفعل غياب المصداقية أوهي كما يصفها الرفاعي تتميز بالضحالة والسطحية والتناول غير الكفاء لقضايا الإسلام المعاصرة بسبب سمات سلبية عديدة أبرزها عقم أساليب الطرح والمعالجة من جهة، ونزعات التبرير والتعصب والاجترار للإنتاج الفكري في المجتمع الإسلامي، والمزايدة والترقيع والتلفيق والسطحية من جهة أخرى¹.

المطلب الثالث: الأدب الإسلامي.

الفرع الأول: مفهوم الأدب الإسلامي.

مع انتشار العلوم والمعارف وتوسعها، وظهور مشروع (أسلمة) هذه العلوم، ظهر ما صار يعرف بالأدب الإسلامي، والحقيقة أنّ الأدب موجود منذ فجر الإسلام الأول ولم تكن تلصق به صفة - (الإسلامي) إلا أنّه ومع الانحدار الخطير للأدب، عمد بعضهم إلى تمييز الأدب الملتزم عن غيره. ويعرّف الأدب الإسلامي بأنه "التعبير الفني الهادف بالكلمة عن الخالق جلّ شأنه والإنسان والكون والحياة وفق التصور الإسلامي"².

ويرى أحمد الرفاعي الأدب الإسلامي بأنه "رؤية إيمانية للكون والإنسان، وأنّه أيضا طاقة وإمكانية وضرورة من ضرورات النفس والحياة، حيث لا تصلح الدنيا ولا تستقيم بدون كلمات وعبارات ذات مضامين جميلة هادفة وبناءة وأخلاقية، وذات أجراس وإجاءات وقدرات غير عادية في التأثير على الإنسان وحمله على الحبّ أو الكراهية، وتوجيه قراء العاطفية والعقلية إلى البناء أو الهدم، لذلك فإنّ الأدب في حسّ ووعي المسلم نعمة من نعم الله التي يجب أن تكسّر للخير دعوة ورعاية"³.

إنّ غاية الأدب ليس الامتاع اللغوي فحسب، بل هي رسالة ونظرة تعالج شؤون الحياة الإنسانية "فالأدب ليس موضوعا وإنما هو نهج في الفكر وأسلوب في التعبير موضوعه الحياة الإنسانية كما هي وكما يمكن أن تكون وكما يستحسن أن تكون، لذلك قيل إنّ الأدب لا يبرر الواقع وإنما ينقده ويرشده،

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 69.

² سهيلة زين العابدين حماد، التيار الإسلامي: في شعر عبدالرحمن العشماوي، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، 2002م، ص 22.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ص 105.

فهو رؤية الحياة في واقعها: قضاياها ومشاكلها من حيث العوامل والنتائج، ورؤية الحياة في مستقبلها وتجدها ومبررات حب الإنسان لها وتعلقه بها، وموته أو حياته معها أو بسببها¹.

يؤكد أحمد الرفاعي أنّ موضوع الأدب ليس واحداً وليس خاصاً بل هو شامل للحياة الإنسانية برمتها كما هي وكما يمكن أن تكون في أفضل صورها وأحسنها وأجملها، والأدب ينقد الواقع بما يحسنه ويقومه ويفيده حتى تكون الحياة أحسن وأفضل، وبهذه الأفكار يمكن القول أنّ الأدب عند الرفاعي رؤية للحياة في جميع قضاياها ومشاكلها، وهو ذات مضامين جميلة وهدافة وبناءة وأخلاقية تحمل المسلم على الخير والدعوة إليه.

الفرع الثاني: خصائص الأدب الإسلامي.

إنّ الأدب الإسلامي يبيّن بعمق البعد الحضاري للأدب في نظر الإسلام، ومن خلاله أيضاً يمكن أن تتضح قضايا وخصائص هذا الأدب الفكرية والأسلوبية الجمالية.

والأدب الإسلامي ممتد وواسع، وقد شمل معظم أشكال الأدب الحديث المقترن بالتغيير والإحياء والتجديد والتوجيه، وعليه فلا يمكن الاستغناء عن الأدب الإسلامي في ظلّ الفراغ الروحي وانتشار أدب الشهوات والنزوات النابع من حضارة الانحرافات التي فصلت الإنسان عن خالقه. والادعاء بوجود تناقض بين هذا النوع والفن هو ضرب من الافتراء ودعوى زائفة تمثل صراعاً بين الحقّ والباطل، وهي تحمل شكلاً من أشكال الصراع الحضاري والأيديولوجي².

ومن مميزات الأدب الإسلامي أنّه أدب شامل، يمثل نظرة الإسلام الشاملة لله تعالى والإنسان والكون والحياة، وهو أدب هادف ليس الأدب هو غايته، إنّما ما يغرسه من أفكار طيبة من ترسيخ للإيمان وتأصيل للقيم، فهو أدب ملتزم بأداب الإسلام وتشريعاته، وهو أدب أصيل متكامل بين الشكل والمضمون، يقدّم في قوالب أدبية بدیعة وصيغ وأساليب راقية ولغة قوية بليغة، كما يظهر من خلاله شخصية المسلم، فهو ليس أدب تقليد ولا تشبّه ولا إتباعاً بل سمته التجديد والإبداع انطلاقاً من المبادئ الإسلامية³.

¹ المرجع السابق، ص 41.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ص 105.

³ ينظر: سهيلة زين العابدين حماد، التيار الإسلامي: في شعر عبدالرحمن العشماوي، مرجع سابق، ص 27.

وبهذا يمكن القول أنّ الأدب الإسلامي هو إعادة خلق وتعبير والتزام، وظيفته ترسيخ القيم وتربية الذوق والوجدان وبناء الفكر، هو تعبير فنيّ عن الصراع الذي يعيشه الإنسان المسلم، وحتى يكون الأدب أدبا إسلاميا يجب أن يقوم الأديب بالتعبير عن الثقافة والهوية الإسلامية والحضارة الإسلامية¹. ولا يمكن مجال فصل الأدب عن الجانب الحضاري لأنّ الأدب هو روح الحضارة. يبين أحمد الرفاعي هذه العلاقة قائلا: "والعلاقة بين الأدب والحضارة متينة وعميقة كما هو معروف، إذ الأدب هو روح الحضارة وجوهرها لما يمثله من قيم ومثُل ومفاهيم الإنسان، بينما الأدب الإسلامي بقيمه الربانية وخصائصه الإنسانية هو وحده الذي يربي الإنسان الخيّر، إنسان الواجبات، والقضايا والمسؤولية أمام الله - عزّ وجلّ- وليس إنسان الشهوات والعنصرية والأحقاد والصراعات حتى بين آلهة الوثنيين وأحفادهم. لذلك فإنّ الأدب الإسلامي بقيمه وخصائصه هو وحده الذي يتبنى قضايا الإنسان بموضوعية وأمانة وصدق، قضايا الحرية والعدالة، وحقوق الإنسان، وليس مفاهيم السيطرة والمصالح الحيوية"².

وقد يُصنع الأدب الإسلامي من خلال التعبير الحسن والرواية الصادقة والبلاغة في اللغة والسلاسة في الطرح ما لا تصنعه الخطب الجوفاء، ولو كانت على المنابر الشريفة كما نرى في واقعنا. **الفرع الثالث: أهمية الأدب في عملية التغيير.**

إنّ الكلمة لها تأثير قوي ولها تداعيات واضحة وتأثيرات عميقة، فالأنبياء حين دعوتهم كانت الكلمة الصادقة سلاحهم والدعاة في كلّ عصر يتمسكون بالخطابة والاقناع بالكلمة المخلصة والمعبرة. يقول أحمد الرفاعي في بيان أهمية الكلمة: "إنّ الكلمة عندما تكون صادقة وصالحة، هي الأداة لصناعة الإنسان ولصناعة الحياة وصناعة التقدم والرقي والبناء الحضاري، بل إنّ الله - عزّ وجلّ- بقدرته التي ليس كمثله شيء خلق هذا الوجود كلّه بحرفين "كن"، وعندما تموت الكلمة بالفساد والانحراف يفقد الإنسان أهم وأقوى الوسائل لصناعة الحياة، وينتشر الفساد حينئذ بكلّ أنواعه وأشكاله وبشعارات عديدة كما هو واقع المسلمين في عصرنا"³.

ولا يقتصر الأدب الإسلامي على لغة دون لغة أخرى، فقد كتب عبر الزمن كُتّاب ومؤلفون كتبوا ودونوا أشعار رائعة تعد كنوزا في الأدب الإسلامي، وتبقى اللغة العربية أجمل وأرقى لغات البشر على الإطلاق، ومهما وصلت تلك اللغات إلى تطور علمي وتكنولوجي أو وصلوا بها، فهي تبقى دون اللغة

¹ ينظر: أحمد السعدي، الصراع في الرواية الإسلامية، كتاب نحو منهج اسلامي للرواية، د ط، مكتبة العبيكان، السعودية، ص 21.

² أحمد الرفاعي شرقي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ص 105.

³ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 67.

العربية لما للعربية من شرف أداء معاني رسالة الله إلى البشر كلّهم في كلّ زمان ومكان، وهذا وحده جانب حضاري كبير ومهم، ومن جوانب هذا البعد أنّ الصلاة عماد الدين لا تصح إلا بالعربية ولعل من رمزية ذلك وحدة اللغة هي مكملة لوحدة الأصل بين بني آدم ووحدة الحقوق والواجبات أيضاً¹.

المطلب الرابع: الإصلاح الثقافي ودور العلم في تصحيح المفاهيم والقيم.

الفرع الأول: الإصلاح الثقافي.

إنّ التراث العالمي بما يزخر به من تنوع وجديد، وبما يحمل من رصيد قديم وانتاج جديد وما أستورده المسلمون وما فرض عليهم من الاستعمار، كلّ ذلك في مجموعه لم يصلح واقع المسلمين، ولم يحلّ مشاكلهم ولم يغيّر حالهم من سيئ إلى حسن كما هو متوقع، بل والمشاهد عند غيرهم، فعند غير المسلمين العلم والفكر هو الذي يصلح ويغير، والسياسة تابعة للعلم والفكر كما كان حال المسلمين قبل الانحراف، لكن المؤسف عندنا الأمر مختلف تماماً حيث نعتقد أنّ السياسة هي التي تغير والسياسة تتحكم في الفكر وتوجهه وتتحكم في العلم وتقيدته².

والاصل أن يكون البدء بإصلاح الفكر والثقافة، وأن يكون هذا الإصلاح والغرس الثقافي ابتداءً من الجيل الناشئ ومروراً بالشباب ليعمّ فكر الإنسان في كلّ مراحلها.

وتعني الثقافة عند مالك بن نبي "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"³ بمعنى أنّ الثقافة ليست معلومات فحسب، بل هي فلسفة وقيم أخلاقية عامة وفردية واجتماعية تشكّل فكر الإنسان وتصنع من طفولته عوامله المعرفية والروحية والسلوكية.

وما يجب التأكيد عليه أنّ الثقافة الإسلامية المعاصرة في حاجة إلى مراجعات جذرية وعميقة تعالج الأمور المتدهورة والتي آلت إلى أسوأ ما يمكن تصوره وخاصة انعدام المصادقية والغريب أن تكون حتى عند المثقفين والكتاب والنخبة من المفكرين الذين يحملون لواء التغيير والإصلاح⁴.

والواجب على الدعاة والمفكرين حثّ الخيرين عامّة على التعاون، وتوحيد طاقاتهم وجهودهم في إطار ثقافي، تربوي محض، غير متحزب ولا معارض للسلطة ولا موال لها، وإتّما يهتم هذا التيار المؤهل

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 157.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، ص 17.

³ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط 4، دار الفكر، الجزائر، 1987م، ص 146.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، ص 69..

بالقضية الثقافية وحدها وبكل جوانبها وإبعادها وإشكالاتها: دراسة، وتأليف، وترجمة وإعلاما، والغاية من ذلك بناء رأي عام اجتماعي وطني راشد يتوفر على مفاهيم إسلامية وعلمية صحيحة وأصيلة. ويتوفر أيضا على قناعات وقيم ومبادئ متماثلة وتوافقية تبرز وحدته الفكرية والاجتماعية، وتتيح له قوة التأثير الأدبي في واقعنا مثل ما يحدث عند غيرنا وبصورة ايجابية في الظروف المناسبة ونحن لا غنى لنا عن ذلك في واقعنا ومستقبل أبنائنا¹.

وبهذه المفاهيم يمكن اعتبار الثقافة قوة مؤسسة ومحركة أولى للمجتمعات والحضارات، وهي إطار يتلقى فيه الأفراد هوياتهم وطريقة تفكيرهم ونمط معيشتهم بالارتباط مع نسق القيم الاجتماعية، ومن خلالها يصنع فكر الإنسان الحضاري الذي يقوم بأدوار الإصلاح والتغيير والتعمير والخلافة².

الفرع الثاني: واقع التعليم في الجزائر.

ولقد عمل أعداء الأمة قديما وحديثا على تجهيل المسلمين، ولعلَّ أشدَّ تلك الفترات مرحلة الاستعمار الصليبي الذي تعرضت له أغلب البلاد الإسلامية، فانتشرت الأمية وعمَّ الجهل وتوسَّعت دائرة الانحرافات والبدع، وبقيت مظاهر هذا التغريب والتجهيل مستمرة حتى بعد الاستقلال، ففي الجزائر مثلا ورغم ما أنجز من هياكل إلا أنَّ الأهم وهو نشر العلم الصحيح النافع المغيِّر ما زال لم يتحقق كما ينبغي.

كما أنَّ التعليم الديني الأصلي غيَّب، ولم يعد للتعليم الديني الشأن والمكانة المرجوة واللائقة به. "وإنَّه لمن المحزن المؤسف أن تعمد الجزائر الحرَّة المستقلة إلى وأد التعليم الديني بغير ذنب، وبعد سنوات محدودة من استقلالها ممَّا جعلها فعلا مقبرة للعلوم الإسلامية، وكأنَّ العلوم الإسلامية هي المسؤولة عن كلِّ ما لحق الجزائر من عذاب وآلام وحرمان! إنَّ الحديث أو النية في فتح جامعة إسلامية أو جامعات سيظلُّ غير ذي جدوى ولا مقنع بل ومشكوك فيه ما لم يبادر المعنيون بالأمر إلى فتح المعاهد الثانوية الدينية التي تغذي الجامعة أو الجامعات الإسلامية³.

إنَّ تناول المسلمين لقضاياهم بعلم صار أكثر من ضرورة، فمشكلة القيم والمبادئ لها علاقة بالجوانب المختلفة السياسية والفكرية والاقتصادية والثقافية والعسكرية. ولحلِّ مشكلات المسلمين لا بدَّ

¹ أحمد الرفاعي شرقي، فراغات الواقع، كتاب: ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 97.

² ينظر: الحاج بن أمينة دواق، التناقف من مسلووية الاحتواء إلى معقولية التعارف، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر(سلسلة إسلامية المعرفة) - العدد 69، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، أمريكا، 2012م، ص 87.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، مرجع سابق، ص 186.

من العلم، وشرعنا الحكيم حثّ على العلم وأكثر الآيات تدعو للعلم والتعلم، ولا خروج من المأزق إلا بمزيد من العلم.

يقول أحمد الرفاعي: "وقد آن الأوان للمسلمين أن يتناولوا كلّ قضاياهم بعلم، وصراحة وحرية وشجاعة لتصحيح المفاهيم والمعتقدات والقيم، فذلك شرط أساسي لإصلاح المسار وإصلاح الواقع، ومما سبق يتبيّن أنّ قضية النفاق في المجتمع الإسلامي ليست قضية أشخاص، أو سلوك منحرف كما يظن وإنما هي في الوقت نفسه قضية قيّم، ومبادئ ومفاهيم وقناعات عقدية، لها جوانب سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية، وبهذه الجوانب المختلفة والمتعددة تعتبر قضية مصيرية لكلّ أمة"¹.

والذي يقوم بعملية التعليم يلزم له اهتمام خاص، خلافا لما هو واقع في البلاد العربية والإسلامية والجزائر على وجه الخصوص، من إهانة للمعلمين وعدم توفير إمكانيات التدريس لهم "إنّ العالم الإسلامي اليوم مطالب بأن يعيد الاعتبار إلى المعلم، ويعرف له مكانته التي منحها له الله تعالى في عدّة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، يجب أن يلقي الاحترام الكامل والتقدير الكافي حتى يستطيع أداء مهمته على أحسن وجه، فمعلم النّاس الخير يستغفر له كلّ من في البرّ والبحر حتى الحيتان في الماء، ويوم أن كان المعلم معلما، وكان المعلمون يحظون بالتقدير والاحترام خرج لنا نابغون في شتى العلوم تركوا بصمتهم على صفحة التاريخ الإسلامي الزاهرة. وإذا كانت لا تخفى على أحد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في رفع شأن العالم المعلم، فإنّه لا يدري الكثيرون كيف كان سلفنا الصالح يُقدرون المعلم"².

وبالنظر إلى واقع جامعاتنا اليوم نلاحظ أنّ أساتذة الجامعة ليس لهم ناد يلتقون فيه، ولا حقّ لهم في انتخاب رؤساء الأقسام أو عمداء الكليات أو رؤساء الجامعات، ولا حقّ لهم في وضع البرامج، بل ولا حقّ لهم في رفض الإشراف على "مذكرات وأطروحات طلاب وطالبات الدراسات العليا، ولو كانت من أتفه الأطروحات والمذكرات. وكان كلّ ذلك نتيجة تخرّيج أجيال الفراغ والضياع، ونتيجة إخفاقات سياسات المسؤولين الجزائريين في الجامعات، والمصانع، والإدارات وغيرها"³.

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 119.

² يزيد حمزاوي، المعلم بين تقدير السلف وإهانة الخلف، الموقع الإلكتروني المسلم <http://almoslim.net/>، تاريخ الزيارة:

2019/12/16م، في الساعة 23.00.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، علم الجهل، عن أي جامعة تتحدثون، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مؤسسة الرجاء للنشر، ط1، قسنطينة، 2018م، ص 355.

كلّ ذلك أسهم في الوصول إلى وضعنا الحالي، والذي هو حصاد لتراكم تاريخي من المشكلات التي لم تتم مواجهتها بطريقة جادة وحاسمة، بما في ذلك قصور التعليم ما قبل الجامعي، ولعل فترة هيمنة عقيدة العولمة والالتزام بسياساتها منذ السبعينيات قد ضاعفت من تلك المشكلات، مع تزايد الطلب على التعليم الجامعي ومحاولة السياسات التعليمية للحدّ من فرصه، كما أنّ تحلي الدول العربية بات واضحاً عن بعض مسؤولياتها التعليمية مكثفية برعاية وإنشاء جامعات هيكلية تمارس مهامها القاصرة بأسلوب مجامع بيروقراطي مركزي تسربت إليه الكثير من آيات الفساد والتسلط¹.

لقد أوضح أحمد الرفاعي شرقي واقع الحالة العلمية في الجزائر في أكثر من مناسبة، وعبر عن ذلك في عديد المقالات والتي غالباً ما يصفها بالحالة غير السوية وأبرز الأسباب المؤدية لذلك مفصلاً في بيان السياسات الفاشلة المتبعة من قبل السلطات وسماها منهج التجهيل وبيّن أنّه يقوم على مرتكزات ثلاث:

المرتکز الأول: البرنامج التربوي غير النافع جزئياً أو كلياً يتمثل ذلك في تعليم ما لا حاجة إليه للمتعلم أو المجتمع، بحيث يجد المتعلم نفسه بعد سنوات مدرسية عديدة لم يكتسب أي خبرة أو مهارة يختلف فيها عن غير المتعلم .

المرتکز الثاني: من مرتكزات تعليم الجهل يتمثل في المعلم غير المؤهل معرفياً، ونفسياً، واجتماعياً ، وذلك ما يجعل المعلم غير المؤهل يلجأ إلى إكراه المتعلم على تقبل ما يستوعبه عقله .

المرتکز الثالث: في تعليم الجهل يتمثل في الإدارة المفروضة على المعلم والمتعلم ، والتي تُعنى في غالب الأحيان بمراعاة المدير والإدارة، مع إهمال اعتبار المعلم والمتعلم .

وبعد انتقال المتعلم من المرحلة الابتدائية والمتوسطة فالثانوية يجد الأوضاع والظروف نفسها في انتظاره، دون اعتبار من الجهة الوصية للتطور النفسي والجسمي للمتعلم، وكلّ ذلك يكرس لديه ويعمق ذكريات وصوراً ذهنية لم يقتنع بها ولم يجد لها تفسيراً ولا علاجاً مقنعاً بعد².

¹ حامد عمار، عولمة الاصلاح التربوي بين الوعود والانجاز والمستقبل، ط1 ، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 2010م، ص134، بتصرف.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، علم الجهل، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص354.

وبالحصيلة نفسها ينتقل الطالب إلى الجامعة ليجد نفسه ملزماً بدراسة مقررات بعضها تاريخي، وبعضها نظري في جوٍّ من الركود والجمود أسوأ ما فيه انعدام العلاقات العلمية والثقافية بين الطلبة والأساتذة، إذ لا محاضرات ولا ندوات ولا أياما دراسية ولا حوارات ولا مناظرات ولا حلقات نقاش، كل ذلك لا وجود له في الواقع باستثناء المحاضرات الرسمية التي يذهب إليها بعض الأساتذة بعد نصف ساعة ويغادرون المدرجات والأقسام قبل انتهاء الحصّة بنصف ساعة أو ربع ساعة في أحسن الأحوال. وهكذا تنتهي المرحلة الجامعية والكثير من الطلبة والطالبات لا يعرفون أسماء أساتذتهم، ولا يشاركون في المحاضرات إلا نادرا، وعدتهم الأساسية في النجاح إما الغش أو تسول الدرجات والنقاط .

تلك هي حقيقة الوضع العلمي في الجامعات التي كتب فيها أحد الطلبة في عهد الوزير برارحي عبد الحق عبارة: "النجاح للجميع والتعليم على من استطاع والإمضاء: برارحي¹ .

إنّ التبعية للغرب ما زالت قائمة على صعد وجبهات عدة، فما زالت أنظمة الحكمة تستورد من الخارج، وما زالت مناهج التعليم أيضا تستنسخ من تجارب دول أخرى وليتها طبقت وأثمرت كما هي في مواطنها، وهذا طبعا في غير مجال مسائل الهوية لأنّ الطرف الآخر يعادي الأمة ولا يتمنى لها الخير بل ويعمل بكلّ جهد على بقاء الأمة في ضعفها وهوانها ولذلك يجرمها من كلّ ما هو مفيد ويبعها الجاهز المعلّب حتى تبقى التبعية قائمة ويبقى التخلف مستمرا.

الفرع الثالث: دور العلم في تصحيح المفاهيم والقيم.

حثّ القرآن الكريم على العلم وشجّع على طلبه ورغب فيه وبيّن ما فيه من أجر وثواب ومكانة ورفعة وفضل، كما بيّن حقيقة الجاهلية وضررها وآفة الجهل وخطره. وقد اقترن مصطلح الجاهلية بمرحلة زمنية محددة - قبل الإسلام- وبمظاهر الظلم والبطش والعدوان وهضم الحقوق.

ويقابل الجاهلية العلم، والجاهلية ليست فترة زمنية محددة بل هي سلوك وأفعال، فكما هناك جاهلية قديمة فهناك جاهليات جديدة وحديثة. يقول أحمد الرفاعي شرفي: "إنّ الجاهلية ليست حقبة زمنية محددة، وإنما هي نمط حياتي حضاري وإنساني يتقاسم الواقع الإنساني مع الرابانية منذ عهد ما بعد آدم عليه الصلاة والسلام إلى عصرنا، وذلك ما يجعله يتجاوز الجانب العقدي، ويمتد إلى كلّ جوانب الحياة الإنسانية"².

¹ المرجع السابق. ص 355.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 69.

ولللخروج من بوتقة الجاهلية لا يكون إلا بالمزيد من العلم والمعرفة والتحصيل، وعندما تمتلئ النفس علما يزول الجهل، وإن لم يكن العلم متوفرا كان الجهل سيّدا، فكلما خلت النفس من العلم الرباني الصحيح حلَّ محله الجهل بكلِّ أنواعه، يقول أحمد الرفاعي مفصلا الجاهلية وأنواعها: "إنَّ الدارس لحقيقة الجاهلية من خلال نصوص القرآن والسنة يجد أنواعا عديدة من الجاهلية: جاهلية عقيدة، جاهلية أخلاق، جاهلية معاملة، جاهلية عادات، وجاهلية حكم، وجاهلية عبادة وطاعة وجاهلية كلام وجاهلية مشاعر لكلِّ ذلك ارتبطت عبارة الجاهلية في أذهان المسلمين عامّة بمواقف المشركين من الإسلام والمسلمين عامّة ومن الرسول - صلى الله عليه وسلم - خاصّة¹.

ولعل جاهلية القرن العشرين أسوأ وأشدَّ خطرا على الإنسان والعقيدة والأمة والانسانية جمعاء، فالجاهلية الأولى كان التعليم غائبا فيها، أمّا اليوم فالعلم متوفر والجاهلية قائمة معه أيضا.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص44.

خلاصة الفصل:

تناول أحمد الرفاعي شرفي الكثير من القضايا الاجتماعية بالتحليل والتعليل والتفصيل، والشرح والنقد المفصل، كان منطلقه في ذلك الواقع، ومستنده الشرع الحكيم وتجارب الشعوب والأمم، فأشار بالتعميم والتخصيص للقضايا الكبرى التي تهم المجتمع، وبيّن أسباب الإخفاقات الكبرى، وأهمها الاستعمار البغيض وما تركه من سموم وهموم في تاريخ الأمة، وهو ممتد إلى حاضرها ومستقبلها، وفضل في قضايا العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم، وبيان الضوابط التي تحكم العلاقات بينهم وواجبات المسلمين في المهجر، لتصحيح صورة المسلمين والدفاع عن دين الله، وقبل كلّ ذلك وجوب الدعوة لدين الله، وفي ذات السياق أبان الرجل حقيقة وأهمية وضوابط حوار الحضارات والاحترازمات المطلوبة.

وتكلم الرفاعي عن قضايا الأسرة والتحديات التي تواجهها، وسبل الارتقاء بها من خلال بيان أصولها ومنطلقاتها الأصيلة، كما كان للقيم نصيب مهمّ من حيث بيان معانيها ومكانتها، وتفصل في القيم المهدورة، حيث أصبح مجتمع القيم يبحث عن ذاته وعن مقوماته، كلها محاور تمّ التطرق إليها، وكعادة الرجل بعد طرح التساؤلات وبيان الأسباب، يطرح معها سبل الخروج من بوتقة الضياع بإرجاع تلك القيم المغدور بها.

قضايا الثقافة وأسباب الجمود الثقافي، والمتمثلة أساسا في البعد عن العلم وتأثير الآلة الاستعمارية، وأيضا تراكمات الماضي والثقافات الوافدة ودورها في تلويث الواقع الثقافي كلّها كانت حاضرة، وكان للأدب الإسلامي نصيب ودوره في التغيير واعطاء البديل السامي والحضاري، وفي المضمون التربوي تعرفنا عن واقع التربية في الجزائر ودور العلم في الرقي بالأمة وإصلاح كلّ أحوالها اجتماعيا وثقافيا وتربويا، وبهذه العناصر المختلفة توضّح لدينا:

المضمون الاجتماعي والثقافي وتنزيلاته الواقعية عند أحمد الرفاعي شرفي.

الفصل الثالث

المضمون السياسي

وتنزيلاته الواقعية .

وفيه أربعة محاور:

المبحث الأول: رؤية أحمد الرفاعي للسياسة.

المبحث الثاني: القضايا السياسية عند الرفاعي.

المبحث الثالث: نظام الحكم في الاسلام.

المبحث الرابع: مشروع جماعة المسلمين.

مدخل الفصل:

الحديث عن السياسة عند أحمد الرفاعي طويل وكثير، فهو لم يكن يترك مناسبة أو حدثاً إلا وكان حاضراً برأيه أو نقده أو توجيهه، حدث هذا رغم أن الرجل كان يمقت السياسة كثيراً، وأشد ما يمقت منها ممارستها من طرف المنشغلين في الحقل الدعوي، وعادة ما كان يسميه الأمر بـ (تسييس الدين). المضمون السياسي عند أحمد الرفاعي ثريّ وواسع ومتشعب، ونطرح في هذا الفصل جملة من التساؤلات ذات الصلة بالشأن السياسي العام والخاص بدولة الجزائر.

فما هو مفهوم السياسة عند الرفاعي وماهي رؤيته لها؟ وماذا كان يقصد بتسييس الدين؟ وكيف ينظر الرجل لنظام الحكم في الإسلام؟ وما موقفه من القضايا الشائكة والمعاصرة؟ ولماذا كان حريصاً على إحياء مشروع جماعة المسلمين التي طرحها أبو يعلى الزواوي في بداية القرن المنصرم؟ تلك التساؤلات وأخرى تشكل الإجابة عنها جزءاً مهماً من هذا الفصل: المضمون السياسي وتنزيلاته الواقعية عند الرفاعي.

المبحث الأول: رؤية أحمد الرفاعي للسياسة.

المطلب الأول: الواقع السياسي للمسلمين.

الفرع الأول: تعريف السياسة.

01- تعريف السياسة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: وساس الأمر سياسة: قام به، ورجل ساس من قوم ساسة وسؤاس وسوسه القوم: جعلوه يسوسهم. وقال الفيروزآبادي: وسست الرعية سياسية: أمرتها ونهيتها، وفلان مجرب قد ساس وسيس عليه: أدب وأدب¹

02- تعريف السياسة اصطلاحاً:

تعريف كثيرة قيلت في مفهوم السياسة نورد منها تعريف قطب مصطفى سانو حيث يقول: "السياسة رعاية شؤون الأمة بالداخل والخارج وفق أحكام الشرع"².

وفي مفهوم السياسة الشرعية نذكر تعريف عبد الوهاب خلاف: السياسة الشرعية هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية وإن لم يتفق وأقوال المجتهدين³.

الفرع الثاني: موقف أحمد الرفاعي من الممارسة السياسية.

لم يكن أحمد الرفاعي يمتثل شيئاً مثل ممارسة السياسة بعيداً عن الأخلاق، بل وصل به الأمر إلى اعتبار أنّ العمل السياسي في الحقل الإسلامي خطير وله عواقب وخيمة على الدعوة والأفراد والمجتمع، كما يعتبر تسييس الدين أخطر وأعظم خطأ وقع فيه المسلمون عبر مسيرتهم التاريخية.

ولم يكن أحمد الرفاعي شرقي يقصد الرفض المطلق لممارسة السياسة أو تحريم ذلك، إنّما يرفض رفضاً مطلقاً إخضاع الدين للسياسة، وممارسة السياسة باسم الدين لتحقيق مآرب شخصية، وفي أهمية ومكانة السياسة له أقول وأراء، إذ يعتبر بأنّه لا يمكن فصل السياسة عن العقيدة في الدين الإسلامي،

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ساس) والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 810.

² قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، ط 1، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م، ص 239.

³ ينظر: عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، د ط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1997، ص 15.

وأنَّ الفصل بينهما قد يؤدي إلى الكفر أو الفسق أو الظلم حسبما جاء في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة. الآية: 44] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة المائدة. الآية: 45] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة. الآية: 47] ومن خلال هذه الآيات يرى أحمد الرفاعي " أن السياسة في القرآن الكريم لا تعني بالضرورة تولى السلطة والمسئولية وإنما تعني إقامة الدين بالعمل بأحكام القرآن والسنة، وإقامة الدين تتمثل بدورها في اعتبارين أساسيين: الأول: رعاية الحقوق والمصالح العامة في حدود ما أمر به الله - عزَّ وجلَّ - والالتزام بحدود الله في ذلك. الثاني: دفع المضار والمفاسد المعنوية والمادية عن النفس والغير، ومن المضار والمفاسد المعنوية المعاصي عامة لما يترتب على ذلك من فساد وأضرار بالحياة الاجتماعية، مثل: السرقة، والكذب، وقول الزور وفعله، وتجاوز حدود الله، ومن المفاسد المادية سلب الحقوق، بالقتل، والبغي، والفساد، والظلم بكل أنواعه"¹.

إنَّ روابط الدين بالسياسة كثيرة، فمن أصول الدين وخصائصه الشمولية فهو يشمل كل المجالات بما فيه السياسة، والربط بين الدين والسياسة فيه مصالح اجتماعية عديدة، فهو يحصل المنافع والمصالح العامة، وعلى العكس من ذلك بإبعاد الدين عن السياسة قد تحصل المفاسد والظلم الاجتماعي، ويسبب أضراراً مؤكدة مثل المحاباة والجهوية والرشوة، هذه الجوانب الإيجابية لا يجب أن تغطي الجانب السلبي في السياسة، وبناء على ذلك فلا يجب أن يُخضع الدين للسياسة كما حدث في مراحل متعددة من المسيرة الإسلامية، ممَّا سبب أضراراً فادحة وخسائر متعددة، وجرَّ على الأمة المزيد من الضعف والهوان والتفكك في المجتمع والدولة².

ويرى الرفاعي إنَّ من ضوابط إصلاح السياسة الشرعية، أن يكون العمل أولاً على تحرير الدين من كل وصاية سياسية وإدارية، وهذا من صلب العقيدة، ومن أسباب تحقيق المصلحة الاجتماعية العامة، بل يدعو إلى تحرير الدين من السياسة والفصل بينهما، وليس كما يطالب العلمانيون، بل لحفظ الدين ممَّا لحقه من درن السياسة وعبثها. يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ إخضاع السياسة للقيم الإيمانية الربانية أمر تقتضيه المصلحة الاجتماعية لما يترتب على ذلك من المصالح والمنافع العامة، وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 200.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص 71.

مدى الضرر والفساد الذي لحق بمسيرة المسلمين منذ الفصل بين الدين والسياسة وتغليب السياسة على الدين، وذلك ما يوجب الفصل بينها من جديد"¹.

كما بيّن أحمد الرفاعي شرفي أنّ الأصل في الأمة أنّها أمة إيمانية وليست سياسية، وإتّما السياسة آلية لتسيير المجتمع ونظام حكم، وليس هو غاية في ذاته كما أصبح اليوم شغل الكثيرين ممن يريد الثراء السريع أو ممارسة التسلط والاستبداد وإرضاء النفس بالأهواء والشهوات.

"إنّ المسلمين أمة ربانية، وليسوا أمة سياسية بالمفهوم الأوروبي للسياسة، ومن خلال الواقع المعاصر يتبيّن أنّ السياسة لا تستطيع أن تحلّ محلّ الإيمان بالله -عزّ وجلّ- لأنّ حاجة الإنسان إلى الإيمان بالله -عزّ وجلّ- أشدّ وأقوى من حاجته إلى السياسة، وذلك ما يقتضي تجديد وإصلاح خلل العقيدة المتمثل في نسيان المسلمين ما حذرهم الله -عزّ وجلّ- منه من مكائد الشيطان وعداوته الدائمة والأبدية للإنسان عامة ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء. الآية: 83] ومنذ مقتل عثمان -رضي الله عنه- وما تبعه من أحداث، كلّ ذلك كان تديرا إبليسيا الغرض منه إبعاد المسلمين عن الصراط المستقيم الذي تركهم عليه النبي -صلى الله عليه وسلم"².

لقد عبّر أحمد الرفاعي أكثر من مرّة وفي أكثر من موقف أنّه لا انتماء لديه سياسي أو حزبي، ومن ذلك كلمته بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومدير الثقافة بقسنطينة، حيث قال كلمة بالمناسبة ومما جاء فيها " لست حزبيا ولا سياسيا ولا منتميا لأيّ شعار من شعارات الواقع، وإتّما أنا إنسان يريد أن يكمل حياته بدون زيف ونفاق أو طمع أو خوف من غير الله -عزّ وجلّ-"³.

وفي إحدى الانتخابات حاول مجموعة من أصدقائه ترشيحه للانتخابات البرلمانية لكنه - حسب رفيقه أبو جرة لَمّا رأى الصراع غضب غضباً شديداً وانسحب من الترشح كان ذلك دائرة بوحمامة بولاية خنشلة، ثمّ ما لبث وانسحب من جمعية الإرشاد لَمّا رأى بعض أشخاصها متحزبين، وقد حادت عن الأهداف الرئيسية التي تكوّنت لأجلها وهي التربية والتعليم والدعوة"⁴.

كان أحمد الرفاعي يكره التحزّب وكان يرى أنّه لا بدّ من إنشاء جمعيات وأن تنظم النشاطات الفردية، فأنشأ أصدقاء الجامعة الإسلامية، وجمعية حماية المستهلك وسواها، ولم يكن يجب أن يكون في

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، ص12.

³ أحمد الرفاعي شرفي، وثيقة شخصية فيها كلمة بعد تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومدير الثقافة بقسنطينة بتاريخ 10 جوان 2010م نسخة أصلية من أرشيف الفقيد، انظر ملحق رقم 03.

⁴ ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

رئاسة الجمعيات، بل ويجب فقط أن يكون ضمن الذين يستشارون ويوجهون ويؤطرون ويرشدون، ولم يكن يرغب في أن يكون إدارياً بل كان يتعد عن كلّ المناصب الإدارية¹.

ومعلوم أنّ أحمد الرفاعي شرفي وخلال مسيرته الطويلة مع الحركات الإسلامية كان محسوباً على جماعة الإخوان المسلمين، وكان ضمن جمعية الإرشاد والإصلاح الوطنية ومن أطقمها الفاعلة، بل كان رئيس تحرير المجلة التي تصدرها الجمعية الإرشاد في بداياتها.

ومّا حدثني به أبو جرة عن شيخه أحمد الرفاعي: "كنت أبحث عن أقرب نقطة من مركزية الإسلام، وقد قرأت الصوفية والمعتزلة والأشعرية وكلّ المذاهب، ومنها الجديدة كالأخوان والدعوة وقرأت التبليغ وقرأت الوهابية وقرأت وقرأت الكثير... فوجدت أنّ فكر الإخوان في جانبه التربوي أقرب النقاط في مركزية الإسلام"².

ومع ذلك فقد كان الرجل يحترم كل التوجهات وكل التشكيلات، وحتى من يختلف معهم في المذهب. ولم يكن يرى أيّ فائدة من شنّ حرب على أيّ جماعة تخدم الإسلام من منظورها، فالشيعة حسبه اختاروا أن يعبدوا الله بما رأوا فالأصل التعامل معهم من خلال سلوكاتهم ويوكل أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، والسنة اختاروا أن يعبدوا الله على طريقتهم وعلى مذهبهم والتعامل معهم يكون على هذا الأساس، وداخل طوائف السنة والشيعة تفرّعت مذاهب كثيرة يقول الرفاعي دوماً نحن لا نصارع مسلماً اختار أن يعبد الله على طريقة معينة، ينبغي أن ننظر للشافعية والمالكية كما ننظر لغيرهم إذا شهدوا بالشهادتين، فهو مسلم واختار أن يعبد الله بطريقته ولا ينبغي أن ندخل في أيّ صراع³.

هذا الكلام وبقدر ما فيه انفتاح عن الآخر واحترام توجهه إلا أنّه قد يسجل عليه بعض التحفظات، فليس في الإسلام (كل يعبد الله بطريقته)؛ لأنّ الدين في أصله واحد، ولا نقصد الاختلاف في (الفروع) وهي الاجتهادات الذي تجسد بل الأمر المقصود حول الخلاف العقدي الكبير الذي يطال الأصول ويتجاوز الأخلاق، ومهما احترمتنا الشيعة فلن نتسامح مع الغلاة منهم ممن حرف كلام الله ويسب الصحابة ويلعن أمهات المؤمنين.

وبنظرة مختلفة عن موقفه المتشدد من السياسة فقد كان أحمد الرفاعي شرفي يرى أنّ السياسة في أصلها ترعى حدود الله -عزّ وجلّ- فقد بيّن القرآن الكريم أنّ ذلك أمر يعني كلّ المسلمين وليس الحكام فقط "فرعاية حدود الله -عزّ وجلّ- في القرآن الكريم أمر يعني كلّ مسلم وليس أمراً خاصاً بفئة

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: المرجع نفسه.

معينة حاكمة أو غيرها، ومن هذا المنظور يتبين أنّ الجانب السياسي المنظم للواقع الاجتماعي يقوم على ركيزة التعاون والتكامل بين كلّ المسلمين غير ذوى الأعدار الشرعية، وقد بيّن القرآن الكريم أنّ جانب التعاون والتكامل في المجتمع الإسلامي يتمّ في إطار الشورى بمقتضاياتها من العلم، والحرية، والكفاءة، والرأي، والنزاهة، والأمانة والقدرة، ممّا يؤهل الإنسان للقيام بالأمانة الاجتماعية على أحسن وأفضل وجه ممكن¹.

الفرع الثالث: العمل السياسي في الجزائر.

تطرّق أحمد الرفاعي إلى بيان الكثير من المواقف السياسية للدولة الجزائرية وللتشكيلات السياسية والأنظمة الحاكمة المتعاقبة على تسيير الجزائر، فكان بيدي رأيه ويوجه وينتقد ويعارض، وفي الغالب يعتبر أنّ تلك الأنظمة فشلت فشلا ذريعا في تحويل الاستقلال والحرية التي كان يتطلع إليها الشعب الجزائري قبل الثورة إلى مشاريع ضخمة في خضم بناء الدولة الجزائرية ذات السيادة الوطنية في إطار المبادئ الإسلامية وتحقيق الحياة الكريمة للفرد الجزائري في مسكنه وملبسه ومطعمه وفي المرافق التعليمية والصحية والمنشآت الاقتصادية وفي الحرية والعدالة ولكن كلّ ذلك خاب وتبخر.

"ولعله من المفيد عند الحديث عن الفشل في تحقيق المتطلبات الخاصة بالزراعة والاقتصاد التنبيه إلى هذا الخطر الزاحف، فقد وصل الأمر إلى درجات خطيرة في تأمين الحدّ اللازم من الأمن الاجتماعي والغذائي، إذا اعتمدنا ما تطلّقه تصريحات الخبراء والمتابعين بشأن ارتفاع فاتورة الواردات إلى حدود مخيفة منذرة بشرور وأخطار، وأكثرها تتعلق باستيراد ما له علاقة بالغذاء والتموين ومستلزمات العيش، وكأنّ البلد صحراء قاحلة لا رقعة فيها للاستثمار والاستصلاح واستخراج الخيرات، فيما هي في الحقيقة جنة يمكن أن تتحول إلى "سلّة" لأفريقيا كلّها، وليس على ما هو عليه الواقع عاجزة حتى عن سدّ الاحتياجات الضرورية"².

وبالنسبة لأسباب هذه الأزمات المشكّلة للواقع السياسي البائس فيرجعها أحمد الرفاعي إلى أزمة الفكر والمفاهيم والضمائر والمشاعر والهواجس، ويشترك في ذلك الواقع المفلس والموروث التاريخي والذي تتجلى فيه الكثير من صور المآسي والهزائم العسكرية والأحداث السياسية والاقتصادية التي تركت آثارا سلبية عميقة، لتتحول مع مرور الزمن إلى عاهات نفسية وإلى عادات ثقافية واجتماعية وفكرية

¹ أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 200.

² أحمد الرفاعي شرقي، مقال أخطاء التاريخ، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 328.

واقتصادية وسياسية تمارس باسم الأصالة والوطنية والحضارة الإسلامية، ويتم الشكوى منها وإدانتها في الوقت نفسه، ومثال ذلك قضية الخلافات والصراعات التي تسود الساحة الوطنية العربية والإسلامية¹. ولعل من الأسباب التي جعلت أحمد الرفاعي يمقت السياسة ما كان يراه ماثلا أمامه من فساد عريض، وما عايشه من أزمات وما لاحظته ودونه من اختلالات.

ومن ذلك غياب أهم مبادئ السياسة وهو العدل، الأمر الذي أفضى إلى واقع مزري وشرخ كبير بين أبناء المجتمع من جهة وبين المجتمع ومن يحكمه من جهة ثانية، وأيضا الإخفاق المسجل على مستوى القيم المجتمعية سواء لدى الأحزاب والجمعيات أو لدى مختلف المنظمات وحتى لدى الأفراد، وعن تداعيات غياب العدل يضيف أحمد الرفاعي: "أنّ كلّ دساتير الجزائر ومنذ الاستقلال تنص على المساواة التامة بين كلّ الجزائريين في الحقوق والواجبات، لكن الممارسة العملية كرسّت العديد من الفوارق بين المواطنين اعتبارا للجهوية أو المحسوية أو الإيديولوجية أو غيرها من أسباب التمييز وأشكالها، وكلّ ذلك جعل مفهوم الحقّ والعدل ليس واحدا عند كلّ الجزائريين، ذلك بعض ما يلاحظ من فراغات على مستوى ممارسات النظام تحولت بفعل الاستمرارية، وبفعل القيود السياسية المفروضة على حرية الرأي والتعبير إلى موروث ثقافي اجتماعي ظهر جليا بعد أحداث أكتوبر وما بينته من شروخ عميقة"².

المطلب الثاني: الأزمات السياسية عند المسلمين.

الفرع الأول: صورة الواقع السياسي

إذا كانت السياسة عند الأمم المتقدمة تعني فن تسيير الأمور في الحكم والإدارة، فإنّها عند المسلمين ارتبطت بالقهر والتخلف والاستبداد، والمصالح والانقلابات والكثير من المعاني السلبية الأخرى.

ورغم أنّنا نمتلك ما اصطلاح عليه بـ (السياسة الشرعية)، وقد أُلّف فيها الكثير، وهو علم مستقلّ بذاته إلا أنّّه في الواقع لا صلة بين ما هو نظري وما هو عملي، وكلّ ما عندنا من السياسة محصور في ما ورثه المسلمون من مستعمرهم أو ما استوردوه منهم أو فرض عليهم من شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان وحرية الفكر وغيرها، ويا ليتها كانت مثل تلك التي عندهم في جوانبها الإيجابية.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الوجه الآخر لأزمتنا، جريدة النور الجديد، العدد 04، 28 فيفري 2001م، ص 04.

² أحمد الرفاعي شرقي، أزمة الجزائر وفراغات الواقع، جريدة النور الجديد، العدد 15، بتاريخ 17 ماي 2001، الجزائر، ص 05.

لقد جنى على أمتنا تصرفات حكامها منذ زمن طويل وإلى غاية الاستعمار فضاعت الخلافة، وضاعت السياسة الشرعية وضاعت حقوق كثيرة، يتحدث أحمد الرفاعي شرفي عن الواقع البائس وعن تغييب العلماء فيقول: "إنّ المسلمين عامّة ساستهم شيء وعلماءهم شيء آخر، وعامتهم مذذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فساسة المسلمين ومنذ عصر بني أمية ما يهمهم هو الملك ومنافعه ومقتضياته وإن تناقضت مع القرآن والسنة، وعلماءهم فريق منهم انضم إلى الساسة ولا يهمه أمر الدين أو أمر الأمة، وفريق آثر دينه وأمته، أمّا الأمة وأعني عامّة المسلمين فهي مع الواقع خيرا كان أو شرا"¹.

وتبقى الدول المستعمرة تفرض وصايتها على الدول الإسلامية، فما فعلته في أراضي المسلمين لم يشفّ حقدهم ولذلك ما زالت مخططاتهم سارية للقضاء على شوكة الإسلام وهيبة المسلمين، ورغم ما فعلته الآلة الاستعمارية في إفريقيا وآسيا وخاصة الاستعمار الفرنسي فظلمه وجبروته ما زال قائما متمثلا في الاستعداد لكلّ ماله صلة بالإسلام وكأنّ من القواعد الفرنسية في نظرتها للدول معاداة الإسلام وعرقلة كلّ ما يمكن أن يفيد المسلمين"².

ومن الآثار السياسية البائسة في المجتمع الإسلامي وهو أيضا من آثار ما تركه المستعمر، ونقصد الفرقة والتشتت والتشرذم، وكلّ ذلك نقيض ما جاء الإسلام يدعو إليه من وحدة وتضامن وتلاحم، وما زال المسلمون في رحلة البحث عن إطار يجمع شملهم ويلمّ شعثهم يضيف أحمد الرفاعي: "وكلّ ذلك يدل على أنّ المسلمين كافة يفتقرون إلى إطار يجمع شملهم بعد تفكك نظام الخلافة، وإلى رمز حقيقي يجسد وجودهم في الواقع العملي الفكري والعقدي وليس الجغرافي، وقضية تفكك كيان المسلمين ما تزال قائمة، وما زال السياسيون همهم السلطة فقط، والعلماء والمفكرون منقسمون، والأمة تائهة، وكلّ ذلك يدل على واقع الجمود والتخلف، وكلّ ذلك يثير تساؤلا مهما: ما هو الحل؟"³.

وإذا لم يتحرر الفكر من الجمود والتعصب وثقافة التبرير لكلّ الأخطاء، فلن تحدث وحدة ولن يتجاوز المسلمون محتهم ولا يحدث رأب للصدع، فالواجب المسارعة في إنقاذ أمة الإسلام. والنصوص كثيرة التي تدعو للوحدة، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن الفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميلي، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011، ص61.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ ينظر: ابن تيمية، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج11، ص92.

والمفاسد السياسية العديدة مسّت حياة الإنسان وعلاقته بربه وعلاقته بالمجتمع، فضلا عن الصراع المحتدم دوما بين المعارضة والسلطات، يحدث هذا غالبا عندما يزول الورع وتندثر القيم وتصبح الممارسة السياسية مرتعا للفساد والمفسدين، وهناك يجد الشيطان ملذته وحاجته "إنّ الساحة السياسية من أكثر الساحات التي يستهدفها إبليس لإلحاق الأذى والضرر بالإنسان لكون السياسة هي الوسيلة الفعالية والواقعية لتوجيه حياة الإنسان ونشاطه في غياب العقيدة الصحيحة، عقيدة عبادة الله - عزّ وجلّ- أو تغييرها بالسيف"¹.

والواقع أنّ السياسة ليست شرا كلّه وليست خيرا كلّه، والمسلم مطالب بتوحي الحذر في ممارسة السياسة حتى لا يقع في المحذور، يقول ابن القيم: "فإنّ السياسة نوعان، سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة هي عين الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها"².

إنّ السياسة بلا أخلاق هي باب من أبواب المعاصي وقد تجرّ إلى الكبائر، وما الفتن والحن والإحن التي تشهدها الأمة الإسلامية باليسيرة.

الفرع الثاني: أسباب الأزمة السياسية.

إنّ الحديث عن أزمتنا السياسية مؤلم ولا بدّ أن يكون عميقا في الطرح والتحليل وأن يتجاوز الأبعاد الشكلية "إننا في الجزائر لم ندرس بعد السبب الحقيقي لاحتلال فرنسا لوطننا مدة قرن وثلاثة، ولم نحدد قائمة تكاليف تلك المحنة، وقبله لم نحدد أسباب سقوط بغداد، ولم نحدد السقوط الفكري والحضاري عامّة، بل إننا مازلنا متمسكين أشدّ التمسك بالأوراق الميتة، أوراق الخلافات والصراعات والتنافس في تدمير ما بقي من كياننا"³.

والحق أنّ ما وصلنا إليه من أوضاع متردية يتحمّله حكام المسلمين بالدرجة الأولى ففي الجزائر مثلا وبعد الاستقلال حيث تمّ اعتماد المنهج الخطأ والأسلوب الخطأ وهُمّش الشعب ولم تعد له كلمة مسموعة، رغم ما بذله من جهد وجهاد في سبيل تحرير الوطن من المستعمر الغاشم، يقول أحمد الرفاعي في هذا: "كان من حقّ المجتمع أن يُنصف من قبل قيادة الثورة، ومن جاء بعدها من قيادات الدولة والسلطة، وأن يُعترف له بدوره وتضحياته، وأيضا بحقه في أن تكون له كلمته في تقرير المصير وتحديد المستقبل، لكن ذلك لم يحدث، وما حدث عمليا كان صدمة نفسية واجتماعية شديدة التأثير على

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص72.

² ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1995م، ص05.

³ أحمد الرفاعي شرفي، أوراق الأمم وأوراقنا؟، جريدة البرهان عدد08 بتاريخ، 28 نوفمبر 1999م، الجزائر، ص06.

الوجدان الاجتماعي للمجتمع الجزائري برمته؛ حينما عاملته قيادة الثورة بعد وقف القتال على أنه مجتمع غير واع وغير مؤهل لتقرير مصيره!¹.

ولما كانت الرؤية للمجتمع وللشعب بهذه القتامة والسلبية فقد فرضت عليه بالقوة أنظمة دخيلة، يضيف أحمد الرفاعي: "بل رفضت تلك القيادة حتى أن تمكنه من أبسط حقوقه، ففرضت عليه. فرضا . الخيار الاشتراكي بصبغته الإيديولوجية الأحادية التفسير والتوجه المنافية لقيمه ومبادئه وأصوله، وكانت النتيجة ما يعرف الجميع. كما فرضت عليه، بعد ذلك مناهج أخرى لم تستشره وتأخذ برأيه فيها، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتعليميا، كما هو معروف عند الجميع"².

ومن هنا بدأ التملل وبدأ الضجر في أوساط الشعب وليس له سبيل للرفض، فآلة القمع مسلطة عليه ولا حلّ له سوى القبول بالتهميش المفروض عليه "ونتيجة لذلك الخطأ الكارثي المستمر وجدّ المواطنون الذين احتضنوا الثورة، وضحوا من أجلها بالغالي والنفيس، وجدوا أنفسهم مهمشين ومحجورا عليهم، وغير مسموح لهم بأيّ نشاط إلا بإذن من السلطة، ممنوع عليهم تأسيس أيّ حزب إلا بإذن السلطة، وممنوع عليهم إصدار عنوان إعلامي إلا بإذن السلطة، وممنوع عليهم الاحتجاج على الظلم والفساد والتهميش إلا بإذن السلطة، وممنوع عليهم اختيار نوابهم ووزرائهم... إلخ، ولم تبق لهم السلطة من الحقوق إلا قول: نعم، وبنسبة 99 بالمائة!!"³.

يصور أحمد الرفاعي شرفي الحالة البائسة التي فرضت على الشعب عشية الاستقلال وأريد له أن يرضى بما كواقع حتمي لا سبيل له للرفض أو التعبير عن الامتعاض، حتى ظهرت الهجرة الجماعية للشباب بما عُرف فيما بعد (بالخرقة)، وصار الكثير لا يشعر بكيانه في وطن حرره الأبطال ليعيش هو فيه مقهورا. يتحسر أحمد الرفاعي: "وبعد خمسين سنة من الحرية والاستقلال الموجه والمنقوص يجد المواطن الجزائري نفسه يقول ما قاله شاعر قسنطينة محمد الصالح خيشاش بعد أن ضاق ذرعا بقيود الاستعمار:

ملك الموت اقبض الروح إنّ الروح كادت تفر من جثماني
أنا لا أطيق صبورا على الضيم ولو كنتُ في جنان عدنان

¹ أحمد الرفاعي شرفي، البطل المنسي، جريدة الشروق، العدد 4060، بتاريخ 28 جوان 2013، الجزائر، ص10.

² المرجع نفسه، الصفحة، ص11.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد كان للثورة قادتها ورجالها الأفاضل أمثال: مصطفى بن بولعيد، وديدوش مراد، وعبان رمضان، وعميروش وغيرهم، ولو كان هؤلاء وأمثالهم أحياء وسئلوا من البطل منكم؟ لقالوا جميعا: البطل هو الشعب، البطل هو المجتمع، وهو وحده المستحق للتكريم والتمجيد. لقد كان وجود المجاهدين في الجبهة، ولكن تسليحهم وتموينهم، وتزويدهم بكلّ المعدات ووسائل الكفاح يتوقف على المواطن، أي على المجتمع، وبتضحياته التي لا توصف وإخلاصه وصدقه تحقق المراد وهو الانعتاق من الاستعمار البغيض¹.

وأين الشعب من هذه البطولات؟ لم ينل من الاستقلال بعد الحرية من المستعمر وهي ليست أمرا هينا سوى المزيد من القهر والتسلط ولكن هذه المرة من أبناء الوطن وليس من أعدائه؟ غاب العدل وغابت الحقوق وغابت الوطنية، رغم أنّ تلك المبادئ ترفع كشعارات لكن الحقيقة "أنّه من غير العدل، وغير الوطنية ومن غير الوفاء أن يُهان المواطن وتُغلق دونه الأبواب، ويسلط عليه القمع إن ضجّ من الفساد والمفسدين، ليس من العدل وليس من الوطنية أن يستفيد صندوق النقد الدولي من ملايير الدولارات، ويُجرّم المريض الجزائري من عشرات الأدوية التي لا يجدها في الصيدليات، فيرسل في طلبها من دول الجوار أو من فرنسا.. كما يُجرّم من السكن اللائق، ويُجرّم أبناؤه من الجامعيين وغير الجامعيين من فرص العمل الشريفة. ليس من الوطنية، وليس من العدل أن تتنازل دولة الجزائر عن ديونها لغير الجزائريين، وتحرم الجزائريين من القروض دون ربا، فالله تعالى يقول: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [سورة الإسراء: الآية: 26] فأين حقّ القرابة، وأين حقّ المواطنة، وأين حقّ التضحيات؟ ألم يأنّ للقادة أن يراجعوا أنفسهم وينصفوا مجتمعاتهم؟².

إنّ ما وصلت إليه الأمة من المآسي لم يكن وليد اللحظة، بل كان نتيجة تراكم مفسدات وسلوكات خاطئة عبر قرون من الزمن، تلك السلوكات ولدت واقعا لا يسرّ الناظرين، وأصبح الإسلام على غير صورته الحقيقية. يصف أحمد الرفاعي هذا الواقع وخلفياته فيقول: "إنّ الموروث الفاسد، وثقافة التبرير جعلت صورة القرآن بمضامينه العقديّة والفكرية والاجتماعية والإنسانية تختفي في واقع المسلمين، وتختفي معها صورة العهد النبوي، والخلافة الراشدة، ومنجزاتها الباهرة، مثل جديد الشورى والجماعة. بدل الاستبداد، والفردية وتحل محلها صورة: إسلام الملوك والرؤساء، إسلام القصور، والجواري والحريم، إسلام

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

قتل المسلم للمسلم، وظلم المسلم للمسلم إسلام الصراع، والفرقة والتخلف إسلام الأهواء والشهوات والمصالح¹

والإسلام الصافي (إسلام القرآن والسنة) بعيد عن كلِّ التوصيفات ولا يقبل الظلم ولا يشرع الضيم، يشجع على الحرية المسؤولة، ويدعم الفكر الحر، ويغذي العقل المبدع لينطلق الإنسان الخليفة في أداء دوره الرسالي، والمتمثل في عمارة الأرض والقيام بوظيفة الاستخلاف.

الفرع الثالث: قضية الفساد وسبل مواجهته.

الأصل في الإنسان أن يكون أداة للبناء وساعدا في عمارة الأرض، فهو الخليفة المؤمن عليها، إلا أنّ بعض البشر يبغى الفساد ويحبّ الخراب ويسعى لتجسيدهما وتثبيتهما في واقع البشرية. والفساد هو عبارة تعتري النفس ومحيط الإنسان من التغيير السلبي عامّة، وتسير عكس الاتجاه الايجابي للعمارة والصالح، ولا تقبل بالقيم والمبادئ والمعاملات كما أرادها الشرع الحكيم التي تهدف للنفع وجلب المصالح بصفة عامّة، والفساد مظهر جاهلي أبطله القرآن الكريم، والمؤسف أنّ المسلمين عبر مسيرتهم التاريخية لم يفارقهم الفساد في أنظمة الحكم وفي المحيط العام إذ تغلبت الأهواء والمصالح والمطامح على المثل والمبادئ، ومع الانتشار الواسع للفساد أصبح وكأنّه ثقافة مجتمعية وممارسة اجتماعية يقودها المترفون والمتنفعون بالوضع بصفة عامة ليتسع نطاقه من إدارة الحكم إلى عموم الواقع الاجتماعي².

والفساد مصطلح عام يعني الكثير من الأفعال التي تتوحد وتتشترك في العيب وعدم الإصلاح والبعد عن الاستقامة والمنهج الصحيح.

"إنّ القرآن الكريم بين ذلك في العديد من السياقات من خلال مفردات: الظلم، الفساد، الشرك، الكفر، الفسق، والمعصية، الآثام المرتبطة بفترات الانحراف ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء. الآية: 04]، فقد سبق في علم الله - عزّ وجلّ- الأزلي أنّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، وبطغيان واستعلاء على الضعفاء من عباد الله، وبنو إسرائيل أكثر أمم الأرض أنبياء ورسلا فكيف حدث الفساد والاستعلاء"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ص 86.

² ينظر: المرجع السابق، ص 90.

³ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 222.

ومع الانتشار الواسع والمذهل للفساد أصبح وكأنه منهج في الحياة يقوم على مرتكزات وأسس، يوضح أحمد الرفاعي هذا المعنى ويبين حقيقة الفساد ومجالاته بقوله: "والفساد عامة خروج الشيء عن الاعتدال، ويزاده الصلاح، والفساد كما يكون معنويا في العقائد والمبادئ والمفاهيم والموازن يكون في الأخلاق والمعاملات والسلوك والممارسات ويكون في السياسة والإدارة، ويكون في الاقتصاد وفي العدالة وفي الأسرة والتربية، ويكون في عبادات المسلم وطاعته عندما يشوبها الرياء والأهواء، واعتبارات المصالح، والظروف، ومما سبق يتبين أنّ الفساد عامّة منهج في الحياة، له مقوماته ومرتكزاته، من الأنانية والطمع، يقابله الصلاح بمقوماته ومرتكزاته من العبودية لله، والتواضع وإيثار الآخرة على الدنيا"¹.

لقد بذل الدعاة والعلماء جهودا واضحة لمحاربة الفساد، غير أنّ الفساد أخذ في الاستمرار والتصاعد والزيادة، ولو يبدو أحيانا نقص مظاهره في جهات فإنّها تظهر مظاهر في جهات أخرى، وكأنّ تلك الجهود فيها خلل أو تنقصها شروط الفعالية، وعليه فالجهود الإصلاحية لا بدّ من إعادة دراستها والاستفادة من التجارب السابقة، وذلك بدراسة أسباب الفساد ومعرفة السنن الكونية لظهوره وزواله مع اتخاذ الضرورات المرافقة لعملية إبعاد الفساد من وضع آليات ومراحل وأيضاً بدائل يمكنها أن تسدّ الفراغات، ومهما يكن لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الفساد مظهر عام يشترك فيه الحكام والعامّة والقضاء عليه يشترك فيه أيضا عامّة الناس وخاصتهم من العلماء والسلطة، وليس كما يتوهم البعض بأنّه مسؤولية الحكام فقط دون غيرهم².

والفساد في جوهره سلوك وفعل مناقض للفطرة ويرفضه القلب السليم وتحرمه الشريعة وتجزمه، ونظرا لهذا كلّ فهو يعتبر حجرة عثرة كبرى، وتغييره ليس بالأمر السهل، ولن يكون تغييره ومحاربه بالكلام ولا بالتصريحات الاستهلاكية أيام الانتخابات، يوضّح أحمد الرفاعي شرقي كيفية محاربهه والقضاء عليه: "وإنّما يكون بالممارسة العملية والواقعية الميدانية وقبل أن يكون النبذ سلوكا وممارسة، ينبغي أن يكون ثقافة وقناعة ذاتية عميقة وراسخة، وقبل ذلك أيضا ينبغي أن يكون عقيدة سليمة نابعة عن مبادئ صحيحة شرعا وعقلا، وبغير ذلك يظل نبذ الفساد مجرد كلام للاستهلاك، وتظل ممارسة الفساد أمرا واقعا كما هو حال الكثير من المسلمين إلا من رحم الله"³.

لقد بذلت جمعية العلماء جهودا عظيمة ومعها أبناء الجزائريين المخلصين إلى أن تحررت من الاستعمار البغيض وتحررت الجزائر المسلمة، وبعد الاستقلال بنيت الجامعات وتضاعفت المساجد مئات

¹ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 67.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، هذه حسائنا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير؟ جريدة النور، عدد 05، مرجع سابق.

³ أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 67.

المرات، وجاءت الصحوة وانتشرت الجمعيات الإسلامية والجمعيات الدينية ووزارة كبرى تهتمّ بالشؤون الدينية ودستور مادته الثانية الإسلام دين الدولة، هذه الدلالات وغيرها توحى بالقوّة وتوحى بالتوجه المستقل للجزائر المسلمة المعاصرة، إلا أنّ واقع الجزائريين وما ينتشر فيه من مفاسد وطوام يطرح التساؤل الكبير ما السبب في كلّ هذا؟ ولماذا لم تفلح كلّ جهود الإصلاح في القضاء على آفة الفساد؟ بل إنّ الفساد أخذ في التطور والتمدد والقوّة والتمكن، ممّا يدل على أنّ هناك ثغرة كبيرة يقول أحمد الرفاعي أنّها تتمثّل أساساً في غياب أنصار الحقّ وأنصار الدين وغياب معان الإسلام الصافي (القرآن والسنة)، وليس إسلام الملوك والأمراء والأحزاب، هذا كلّهُ يتطلب تصحيح معنى لا إله إلا الله للرجوع إلى الله والمهمة والتبعية تقع على الجميع¹.

المطلب الثالث: آفاق وتطلعات لحل الأزمات السياسية.

مع اشتداد الضربات والأزمات الموجهة للأمة الإسلامية، انبرى المخلصون من أبنائها من دعاة وعلماء ومفكرين سعيًا منهم للبحث عن حلول ومخارج، فراحوا ينظّرون ويبصرون الأمة بأخطائها وما يجب عليهم تركه وفعله. وكان أحمد الرفاعي يكتب ويعبر بألم وحرقة وكلّه أسف حتى على العلاجات التي كان يراها خاطئة وبعيدة عن العمق يقول رحمه الله: "رغم توالي النكبات فإنّ الكيان الإسلامي ظلّ سلبياً وراكداً وجامداً، رغم أنّه عددياً في تزايد مستمر، وذلك ما يعني ويؤكد أنّ مشكلة الكيان الإسلامي تتمثل في كونه فقد الوعي بذاته، لكونه فقد علاقته بربه وقضيته، وواجهه الإيمان الإنساني يتمثل في إيصال رسالة الله - عزّ وجلّ - إلى عباده. وجراح الكيان الإسلامي لا تندمل ولا يتوقف تزايدها لأنّها لم تعالج بعدّ العلاج الجذري الصحيح"².

شأنّ هذا الحال حال المريض الذي لا يعالج جيداً أو لا يستكمل العلاجات أصلاً، فلا شك أنّ المرض يزداد ويتأخر الشفاء، وكتمثيل عن ذلك الجرح يضيف أحمد الرفاعي: "فبعد ضياع فلسطين سنة 1948م بما يقرب من عشرين سنة بكلّ مؤشرات أو دلالاته المؤذنة بمستقبل مفرّج ومفجع ومجتمعات العرب والمسلمين بكلّ أعدادها الهائلة والقوّة الكبيرة المعطلة حدثت نكبة سنة 1967م والمتمثلة في انتصار اليهود على المسلمين في الجولة الثانية من الصراع بدلالاته، وهي تكريس انتصار الصهيونية وتكريس عجز المسلمين واحتلال أراضي عربية أخرى..."³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام أبي يعلى الزواوي، مرجع سابق، ص211.

² أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص50.

³ المرجع نفسه، ص51.

و ما زال التاريخ يعيد نفسه بكل مرارة وألم وحسرات وزفريات لا تغني شيئاً، وما زال المسلمون في سباتهم أو قل في عدم اعتبارهم، فاللهم سلّم.

إنّ هذا الفشل ليس قدراً محتوماً على المسلمين، ولا بد للمسلمين من التحرر فكرياً ولن يحصل ذلك إلا بالدين الصحيح والعلم القويم. يوضّح أحمد الرفاعي ذلك بالقول: "عندما أقرأ تاريخنا الإسلامي منذ عهد بني أمية إلى اليوم أصل إلى نتيجة هي: أنّ المؤسسة السياسية منذ ذلك التاريخ إلى اليوم فشلت فشلاً ذريعاً في إدارة أمور المسلمين، فشل معاوية ولا يزال فشله يطاردنا، والمستقبل أمامنا مرهون بأمرين: أ/ أن يتحرر العلم . ب/ أن يتحرر الدين، وعندما يتحرر هذان الأمران يتحرر الإنسان الذي لا يكون حبيس فكرة أو عصبية حيث يولد إنسان الفكرة وإنسان القضية وإنسان المشروع، وهذا ما يجب أن تقوم به جمعية العلماء وما هي عاجزة عن القيام به اليوم"¹.

يراهن أحمد الرفاعي على أن حلول الأزمة تنطلق من الحرية كعنصر أساس للانطلاق نحو الإصلاح الشامل والخروج من النفق المظلم الذي سببت السياسات المختلفة على الدخول فيه ولم تجد المبادرات القليلة في الاسهام من الخروج منه، وواقع الجزائر اليوم بصراعاته أطرافه المختلفة، وبملايساته وما يمكن أن ينتج عنها من أخطار تهدد وحدة الوطن والمجتمع تفرض على الفئة الواعية ممن بيدهم مقاليد الأمور العودة إلى مثل هذه الآراء الوطنية العريقة والاستعانة بها للخروج من النفق المظلم الذي دخلته الجزائر ولم تخرج منه بعد².

والدين هو المرجعية الأولى والعلم هو مفتاح لكل ما هو حسن ومفيد، فكيف نرتقي ونحن تركناهما معاً؟

¹ ينظر: الصادق سلايية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي. بتصرف

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، مرجع سابق، 267.

المبحث الثاني: قضايا سياسية عند الرفاعي

المطلب الأول: الوحدة الإسلامية

الفرع الأول: الوحدة في فكر أحمد الرفاعي.

إن الاختلاف سنة من سنن الله النافذة في خلقه وهذا المنظور فطري وواقعي بيّنه القرآن الكريم وبيّنته السنة النبوية، فالتّاس ليسوا سواء في أفكارهم وتمايزهم وتغايرهم، والمجتمع الإسلامي يتكوّن من فئات مختلفة ومن بيئات متعددة كلّ ذلك يجعل الاختلاف محتمل الوقوع، ويجعل الأمر طبيعياً أيضاً، وقد اختلف الصحابة -رضي الله عنهم- ولم ينكر عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- مبدأ الاختلاف والتباين في الفهم والتقدير ما دام ذلك لم يصل إلى المساس بالعقيدة ولم يجر إلى العداوة الشخصية¹.

وشمولية الإسلام بما تحمل من دعوة إلى كلّ فكر ناجح ورأي عاقل وعلم نافع لا تعيب أن يختلف المسلمون فاختلف الناس وتعدّد مشاربهم وثقافتهم سنة من سنن الله في الأرض، ولكن للأسف المسلمون لا يعرفون كيف يختلفون، ولا كيف يتحاورون ويتجادلون، ولا كيف يعالجون ويحسمون قضاياهم، فتحوّلت الساحة الفكرية في بلاد الإسلام إلى معارك ومشاحنات وخلافات عقيمة أحدثت انقسامات خطيرة في صفوف أهل الفكر والرأي، ولو عدنا إلى منهج الإسلام في الحوار والتزمنا بآدابه في الخلاف والنقاش لاستطاع كلّ فريق أن يبدي رأيه دون أن نتبادل التهم والسباب ويعبر كل واحد منهم عن رأيه ويدافع عنه في مناخ إسلامي دون أن يكفّر بعضنا بعضاً، ويكيل الاتهامات ونضيع جهودنا ونشغل أنفسنا بمعارك وهمية تحدث بيننا والبغضاء وتفرق صفوفنا وتجعلنا فريسة سهلة للأعداء².

وقد "بيّن القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى. الآية:10] أنّ الخلاف يمكن أن يحدث بين المسلمين عامّة، وقد يكون بين المحكومين والحكام، فإن حدث ذلك فالحكم فيه لله (القرآن والسنة) وليس إلى السيف والعنف بكلّ أشكاله"³.

وما حدث بين المسلمين من خلافات في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن ليمنس الإيمان. ولم يكن حول مفاهيم شرعية وعقدية، ولذلك لم ينكر عليهم ذلك كما حدث في غزوة بني قريظة، لكن ما لم يتقبله المسلمون الصادقون أن تتحوّل الخلافات إلى خلافات دنيوية ومصالح شخصية

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص91.

² ينظر: عمر خلفه، محمد الغزالي، لقاءات وحوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة، د ط، نومديا للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 2008م، ص133.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص69.

وأهواء نفسية، ويكون ذلك بعناوين وشعارات عقدية وإيمانية غير صحيحة بعد مقتل عثمان -رضي الله عنه - ومن هنا بدأت الفتنة تدبُّ بين المسلمين¹.

والتفسير العام لما حدث في المسيرة الإسلامية من إخفاقات يعتبره أحمد الرفاعي أن بدايته كانت من العهد الأموي ويحمل بقية المسؤوليات للأمويين، يقول أحمد الرفاعي: "أعتبر أن مسيرة الأمويين بصفة عامة وأن عهدهم هو أول بداية المحنة والانحراف بدليل أن هذه المسيرة في نهاية المطاف انهارت بانهارها في الأندلس بسبب ما وقعت فيه من أخطاء أولها تسيير الأمة عدة قرون بالحكم الوراثي وما انجر عن ذلك من تحجر في الفكر السياسي، وثانياً تحويل الفقيه كخادم ومبرر لسياسات الحكام الظلمة فضلاً عن الانهيار القيمي والفطري في الأمة لأنّ النشوء على الاستبداد مع تطاول الأمد يخلق في الأمة عقلية العبيد، وهو ما عبّر عنه مالك بن نبي -رحمه الله- بالقابلية للاستعمار"².

ومن علامات الفساد المستشرية حينئذ ما جرى من تنافس الأمراء فيما بينهم في بناء القصور واتخاذ الأبهة وانتحال ضروب التفخيم، يرتفع من حولهم في العادة ففتان فئة الكبار من رجال الدولة لاتحاد المنفعة وللإشتراك في طرق الكسب والجمع، وفئة تجار الكماليات الذين تنفق سلعهم في مثل تلك الأحوال بما يقدمونه من فاخر الأثاث والملبوسات المزخرفة والعمود والجواري³.

وظهور الخلاف الحاد في قيادة المسلمين عقب الخلافة الراشدة لأبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- بدأ يتجلى في خلاف الإمام علي ومعاوية -رضي الله عنهما- وبدأت تظهر معه ملامح ونتاج وأحداث لم تكن في السابق لها مثيل، وعليه فهذه المرحلة ما تزال في حاجة إلى دراسة قرآنية سنوية، غير مذهبية، ولا تبريرية، هدفها علاج جراح المسلمين الكبرى بما يوحد الصف، ويجمع الكلمة ويعيد شمل الأمة ويرفع عنها التفرق والانهزامية⁴.

والسياق العام الحالي يقتضي تجاوز الخلافات الضيقة من أجل الهدف الأكبر فإنّ ما آلت إليه الأوضاع في عالمنا الإسلامي والجزائر كصورة مصعّرة عنه من انتشار لمظاهر الفساد والتعفن والتعقيد وتلك المظاهر في عمومها تدل على حالة الانهيار الكارثي للقيم المجتمعية، الأمر الذي يقتضي من كلّ قوى المجتمع الفاعلة التدخل العاجل والسريع والفعال للعمل على تجاوز مفاهيم وموازن الصراعات الأيديولوجية والحزبية، وبلورة رؤية اجتماعية جديدة تعالج الأوضاع، كلّ الأوضاع في أسبابها الحقيقية

¹ أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص168.

² الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

³ ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط 1، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1962، ص17.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص07.

بعيدا عن كلّ التبريرات، وبعيدا عن معالجة المظاهر والنتائج فقط دون التعمق في المسببات، وفي هذا الإطار ينبغي تجاوز الفرز التقليدي الجغرافي أو اللغوي أو الطبقي أو المهني¹. لقد ظلت الخلافة الإسلامية قائمة طيلة قروننا ولم تعرف السقوط ولا الانفكاك إلا في بداية القرن المنصرن1924م، وعليه فالحكم الذي أطلقه أحمد الرفاعي عن مسيرة المسلمين منذ العهد الأموي فيه قسوة وشدّة ومبالغة.

الفرع الثاني: تداعيات الاختلاف

لقد أدى الاختلاف بين المسلمين منذ مقتل سيدنا عثمان -رضي الله عنه- وإلى اليوم إلى مفاسد عريضة وسبب جراحا دامية وجرّ إلى تخلف ووضع لا يليق بالأمة الإسلامية أمة الشهادة والريادة، وضاعت حقوقهم بين الأمم بسبب تفرقهم، ومن أهم النتائج التاريخية سقوط الأوطان في أيدي الأعداء الواحد تلو الآخر وأعظمها سقوط الأندلس ومن بعده انهيار الخلافة الإسلامية وسقوط فلسطين وانقسام المسلمون فرقا ومذاهب يقتل بعضهم بعضاً².

حدث هذا رغم النصوص الكثيرة الداعية للوحدة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران. الآية 105] ويظهر من سياق الآية التحذير من الفرقة، فالجماعة المسلمة لا يجب عليها أن تختلف وتفترق وفي الآية أيضا تحذير وانذار من عقاب الله موجّه لمن حمل منهج الله من قبل من أهل الكتاب ثم تفرقوا واختلّفوا فنزع الله منهم راية التفوّق والنصر³.

ويرى أحمد الرفاعي شرفي أنّ تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة وهو من الجراح الشديدة في جسم الأمة هو تقسيم سياسي ينبغي للمسلمين تجاوزه خدمة للأمة ووحدتها، ووجه أسئلة لعلماء الأمة قائلا: ما معنى أن يقول مسلم: أنا سني وأنت لست سنيا، وماذا يعني نفي السنة؟ وهل يصحّ إسلام بدون سنة؟ أو لا يعني إخراج الشيعة والخوارج من دائرة السنة النبوية إخراجهم من دائرة الإسلام؟ فهل هذا رأي شرعي بأدلة من القرآن والسنة، أم مجرد رأي سياسي ظالم؟ وباطل؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا⁴.

إنّ هذا الاختلاف البيّن بين الفرقتين الكبيرتين في الأمة الإسلامية السنة - الشيعة يصنف في خانة الاختلاف السياسي أكثر منه كونه اختلاف عقدي أو فقهي، فأركان الإسلام التي بنى عليها من

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، حقوق وواجبات المواطنة، آلام في الدعوة والصحة، ص351.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص60.

³ ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ط11، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1985م، ص445.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص147.

شهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت. هذه الأركان متفق عليها بين السنة والشيعية وكلّ المذاهب والجماعات، وعليه فالوحدة الإسلامية أصل عظيم، وإعادة بناء الأمة ووحدة المسلمين أمر واجب أيضا، وما زاد عن الأصول الخمسة فهو جانب اجتهادي يعذر فيه المسلمون بعضهم بعضا ويتمسكون بالمتفق عليه وهو الأكثر والأعظم¹.

"لقد أوصلت الفرقة بين أبناء الأمة إلى سفك الدماء وفساد ذات البين وتشتت الشمل وتفكيك للدولة الإسلامية الواحدة، والمجتمع الإسلامي الواحد، وانحيار كيان الأمة الإسلامية الواحدة، وضياع حقوق المسلمين، والعدوان عليهم من سقوط دولة بني أمية بسبب الظلم والفساد الذي وقعوا فيه، إلى سقوط بغداد الأول والثاني إلى الخروج من الأندلس واستعمار أوطان المسلمين، إلى ضياع فلسطين، كل ذلك سببه الفرقة والخلافات لذلك يتعين على كل مسلم ومسلمة أن يعتبر أنّ الفرقة بين المسلمين من أكبر الكبائر لما يترتب عليها من مفسد وأضرار، كما أنّ وحدة الصفّ الإسلامي من أعظم ما يتقرب به المسلم أو المسلمة إلى الله - عزّ وجلّ"².

وهذا الوضع الفضيع أسرّ أعداء الأمة وقدم لهم خدمة مجانية وهي تكريس الاختلاف، وقد عمل هؤلاء الأعداء - قديما وحديثا - على تفاقم الوضع الداخلي للمسلمين وأزماته وهم أصحاب فكرة فرق تسد "والملاحظ أنّ تكريس فرقة المسلمين وخلافاتهم وصراعاتهم من ثوابت السياسة الدولية يتبناها المسلمون أنفسهم بمبررات مختلفة، ومتجددة دون تقدير شرعي وفكري واقعي لأضرار الفرقة والخلافات، وإهدارها لحقوق المسلمين وواجبات أجيالهم ومصالحهم وذلك ما يوجب على المسلمين كل المسلمين إعادة النظر في فرقتهم، والعمل على تجاوزها، وإعادة بناء وحدة الأمة الإسلامية في إطار القرآن والسنة وأخوة العقيدة الإسلامية"³.

الفرع الثالث: سبيل تحقيق الوحدة

إنّ الوحدة الحقيقية بين المسلمين هي وحدة العقيدة ووحدة الشريعة، ووحدة الحقوق والواجبات الشرعية والله بيّن معنى هذه الوحدة وأهميتها قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [سورة الأنفال. الآية: 01]، أما ما نشهده من تجمعات ظرفية التي فرضتها ظروف معينة فليست هي

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص49.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص34.

³ المرجع نفسه، ص418.

الوحدة المقصودة أو المطلوبة، الوحدة هي وحدة القيم والمفاهيم التي تأكلت واندثرت كلّها أو بعضها منذ العهد الأموي ولن تلتئم في المستقبل إلا بالقرآن والسنة¹.

والوحدة المطلوبة بين أبناء الأمة تدخل في دائرة الواجبات وليست هي من فضائل الأمور فحسب بل هي فضيلة وواجبة، وفي عصر التكتلات وعصر العولمة التي تسعى لتجاوز الفوارق العالقة لتحقيق تكامل بين المصالح الإنسانية في جوانب إيجابية منها، في هذا الوقت نجد الاتحاد الأوربي قد جمع الدول الأوربية في تكتل واحد بما فيها من أجناس مختلفة وألسنة متباينة، وظهرت الولايات المتحدة وهي خمسين ولاية وظهرت الشركات المتعددة الجنسيات وظهرت أيضا الأحلاف العسكرية المنهارة والقائمة من جديد، يحدث كلّ هذا والمسلمون يرقبون المشهد ولم يتعظوا ولم يستفيدوا من دروس الواقع، وكلّ الأمم في طريق الوحدة والتوحد وأمة التوحيد في طريق الفرقة والتفرّق، وهذا يعتبر فقدان للأهلية وللرشد المؤهلان لصناعة الحياة المعاصرة التي تحتاجها الإنسانية².

إنّ الأمر الإلهي لنا بالكلمة السواء بيننا وبين أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 64]. هذا النداء العظيم للوحدة ولم الشمل والاصغاء يجب أن يكون بين مسلمين ومسلمين أولا وقبل كلّ شيء في كلمة سواء حول ما وقع من انحراف في التاريخ وأخطاء وتبرير وإلا فسيظلّ الحديث عن الوحدة الإسلامية مجرد أوهام وأماني³.

وبحسب أحمد الرفاعي فإنّ الوحدة لا يمكن أن تتحقق إلا بإصلاح ذات البين، وإصلاح ذات البين تحقّقها جماعة المسلمين التي تنبثق ككيان حرّ ومستقل مرجعيته الأساسية القرآن والسنة، ومن هذا الكيان تطرح كلّ القضايا العلمية والفقهية والخلافات المذهبية، وبهذا الاهتمام الجدّي والعمل بواجب إعادة بناء وحدة الكيان الإسلامي، ومعه رفض كلّ ما من شأنه تعطيل هذا الواجب من أراء وأعدار وتبريرات وسلوكات⁴.

الفرع الرابع: جهود أحمد الرفاعي في سبيل تحقيق الوحدة.

كان أحمد الرفاعي من دعاة الوحدة ويرافع لأجلها كثيرا وفي الوقت نفسه عبّر كثيرا عن مقتته للحزبيات التي فرقت الأمة وشتتها، وعن انتمائه يقول "شخصيا أنتمي إلى إسلام عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وإسلام عهد الخلفاء الراشدين قبل أن تظهر المذاهب والاختلافات وهو ما تفسره

¹ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 61.

³ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 49.

الآية الكريمة ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج. الآية: 78] أنتمي إلى الإسلام الذي يوحد المسلمين ولا يفرقهم¹.

إنّ التوحد بين أبناء الأمة الواحدة واجب شرعي، يجب أن يمارسه المسلمون بتجاوز مفاهيم وأساليب التفرقة والتجزئة، سواء تعلّق الأمر بموروثات تاريخية ما زالت امتداداتها إلى اليوم أو بواقع ممارسه على الأرض، وليس التوحد شعارات ترفع أو ثقافة سطحية وأمنيات قلبية، بل هو معاملات وممارسات صادقة، تقوم على معاني الأخوة الإسلامية التي وصف الله بها عباده ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 10] وهي الرابط الحقيقي بين جماعة المسلمين، وبه يتحقق الحبّ والودّ ووحدة الصفّ والهدف².

وقد عبّر أحمد الرفاعي شرقي عن أمله في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي تشكّل مطلع القرن الجديد بقيادة الدكتور يوسف القرضاوي وأعتبر ذلك عودة بعد تيه وصحوة بعد غفلة "إنّ الأمة الإسلامية بعد تيه العديد من القرون وآلام النكبات والانكسارات التاريخية والمعاصرة، وبعد مخاض العديد من التجارب غير الموفقة اهتدت الأمة الإسلامية إلى الدواء الناجع لجراحها، وتحررت من قيود وأسر الموارث غير المجدية، وفراغات وسموم القيم الوافدة والمستوردة. إذ بعد ذلك الليل الطويل بزغ فجر الأمل، وبدأت بشائر يقظة الأمة الإسلامية، وصحوتها من غفوتها الطويلة المضنية، حيث أنّ علماء المسلمين اتحدوا بعد فرقتهم، وتعاونوا بعد صراعاتهم، وتبوّؤوا موقعهم الريادي والقيادي لحركة الأمة الإسلامية، ليوجهوها نحو ترميم ما تهدّم من بنائها، وتعويض خسائر أجيالها بعد أن عبثت بها السياسة والفرقة والتفكك جيلا بعد جيل"³.

كما وجّه رسائل عديدة في سبيل إعادة الوحدة واللحمة بقيادة العلماء وبتوجيههم وإرشادهم مبينا لهم أنّ الخلافات والصراعات التي تقع بينهم أولا تثير في نفوس عامّة المؤمنين آلاما شديدة وحسرات كثيرة، فالعلماء سفينة النجاة "اتقوا الله في أنفسكم، وفي المسلمين وتوبوا إلى الله من تزكية الاجتهادات والمذاهب. فإنّ الله -عزّ وجلّ- يوم يقوم الناس لربّ العالمين لن يسأل عن المذاهب وخلافات الفقهاء، وإنّما سيسأل عباده عن القرآن والسنة هل عملوا بهما أم لا؟ يا علماءنا الأجلاء. ذكروا المسلمين عامة والمتصارعين خاصة بقول الله - عزّ وجلّ- لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

¹ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² زين الدين بوحنيكة، حوار صحفي مع أحمد الرفاعي شرقي، جريدة النور، العدد52، الجزائر، 06/04/1992م، ص10.

³ أحمد الرفاعي شرقي، هذه المقالات، كتاب آلام في الدعوة والصحوة، مرجع سابق، ص03.

لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيْمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿سورة المائدة. الآية: 68﴾¹.

كما عبّر أحمد الرفاعي عن موقفه الشخصي من تقسيم المسلمين وكيف يرفض التقسيم السياسي والمذهبي. يقول أحمد الرفاعي: "وبالنسبة إليّ في تعاملي مع المذاهب الإسلامية، أنطلق من فكرة هي أنّ تقسيم المسلمين وهو تقسيم سياسي في بدايته بين سنة وشيعة هو بحدّ ذاته بدعة أرفضها كلّ الرفض وأبرأ إلى الله تعالى منها انطلاقاً من قوله تعالى ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الحج. الآية: 78]، ومثلما ننصف إخواننا الشيعة ننصف الخوارج رغم الأخطاء التي وقعوا فيها وكانوا في خروجهم لا يعنون الخروج عن الأمة بل عن الظلم، ومهمتنا الحالية هي البحث عن سبل لمداواة جراحاتنا التاريخية وأن نتجاوز الفرقة، ولا يجوز لنا أن نظلّ أسرى في عفونة التاريخ وإيجاد مبررات لذلك لتكريس الواقع المرّ الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام².

وهنا يتجلى موقف أحمد الرفاعي في رفضه المطلق للتقسيم القائم على أسس سياسية بخلفيات تاريخية مقبّية، وهو يدعو للإنصاف عند قراءة التاريخ بعيداً عن التبرير وعن ما سمّاه عفونة التاريخ. ويبدو واضحاً من خلال لغة الخطاب في هذا الشأن عنده أنّه كان من دعاة لمّ الشمل وعدم الاقصاء لأي كان كما أنّه داعية للوحدة بامتياز، ولنستمع إليه وهو يقول "فالأزمة أزمة الجميع، والواجب واجب الجميع، والحق حق الجميع، فيا أيّها الجزائريون اتحدوا ولا تتفرقوا، وتعاونوا ولا تعارضوا، وتنازلوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم"³.

مهمتنا الحالية هي البحث عن سبل لمداواة جراحاتنا التاريخية وأن نتجاوز الفرقة، ولا يجوز لنا أن نظلّ أسرى في عفونة التاريخ وإيجاد مبررات لذلك لتكريس الواقع المر الذي لا يخدم إلا أعداء الإسلام، وعليّنا في هذا أن نفرق بين الذاتيات التي تحركها ضغائن التاريخ وبين التي يحركها أعداء اليوم وهي تجتمع على شيء واحد هو ما قاله قابيل لهابيل عندما تقبل الله منه (لأقتلنك)⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، رسالة مفتوحة إلى الأمة الإسلامية وعلمائها، مرجع سابق، ص 28.

² الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

³ أحمد الرفاعي شرفي، حقوق وواجبات المواطنة، آلام في الدعوة والصحة، ص 351.

⁴ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

المطلب الثاني: الوثام والمصالحة.

عندما كانت الجزائر تمرّ بفتنة كبيرة أيام الجمر والنار وأيام الاعتقالات والاعتقالات وذلك أثناء الأزمة الأمنية التي شهدتها البلاد عقب إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية سنة 1991م، والتي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ثمّ توقيف المسار الانتخابي والديمقراطي، وعقب هذه الأمور وقع انفلات أمني خطير، كان حينها أحمد الرفاعي شرفي يرقب الأمر عن كثب، يكتب وينصح ويوجه، كان شديد التأثير بما يقع وقد بكى كثيراً لأجل الجزائر وأبنائها.

وكان يرى الحلّ والرأي في الرجوع إلى العقل والمنطق ومصالحة الأجيال، فكلّ ذلك يقتضي تجاوز خطاب الإقصاء والتنازع، وتبني خطاب الأخوة الوطنية ومصالحة الوطن ومصالحة الأجيال، وقبول التنازل عن الحقوق والمصالح صوتاً لحقوق الأجيال التي من حقها على الجميع أن لا يتركوا لها الأزمات من غير حلّ، و إنّما حقها على الجميع أن يتركوا لها الأمن والأمان والرفاه والرخاء والازدهار والاستقرار والعدل وحبّ الوطن¹.

كان أحمد الرفاعي يرفض العنف، ويرفض الحرب غير المؤسسة حتى مع الأعداء، ويعتبر الحرب في الإسلام استثناء والأصل هو السلم، وإّما يلجأ المسلمون للمشاركة في الحرب عند الضرورة القصوى وصد العدوان وحماية بيضة المسلمين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج. الآية: 39]، وأما الآيات التي تدعو إلى السلم والوثام فكثيرة، ولذلك لا يجب ولا يصحّ إهدار وتضييع مجالات السلم للدخول فيه كافة².

يقول رحمه الله في بيان حقيقة الحرب في شريعة الإسلام: "إنّ الحرب في شريعة المسلمين إنّما هي رخصة من الله - عزّ وجلّ- لدفع أذى المشركين عن المسلمين أو لمنعهم من أذى المسلمين وأنّها ليست من وسائل دينهم ولا مبادئه الأساسية، وإّما هي رخصة تحكمها الضوابط الشرعية، وذلك ما يجعل اتهام المسلمين بالإرهاب وسفك الدماء، إنّما هي فرية قبيحة من أكاذيب أهل الكتاب، غايتها تشويه حقيقة الإسلام وتنفير غير المسلمين من الإسلام"³.

والواجب أن ينأى المسلم عن الغلو والتطرف أيّاً كان نوعه في الآراء والمعتقدات، وأن يسعى للمحافظة على القواسم المشتركة التي تعضد وحدة الجماعة والمجتمع الذي ينتمي إليه، ولا يكون معول

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، عن أزمة الأحزاب، كتاب ألام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص335.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص187.

³ المرجع نفسه، ص161.

هدم فيسعى في تدميره أو تخريبه وإراقة دماء أبنائه واستنزاف طاقته الذاتية في البناء والتطور والرقي المشروطة بتحقق عامل الأمن والاستقرار والسلام¹.

وقد حقق الإسلام دين الله الخالد وثامًا عظيمًا في الإنسانية، وجعله ثقافة عامّة وقناعة ثقافية واجتماعية بين المسلمين، وهي الثقافة البديلة عن الجاهلية وقيمها التي كانت سائدة، فحلّ محلّها مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية بما حويا من أسس قويمّة ومبادئ رزينة خدمة للإنسانية بشكل عام، من خلال بيان منظومة متكاملة من الحقوق والواجبات، ومن خلال تصحيح جملة من المفاهيم المغلوطة في مفهوم وظائف الإنسان وحقوقه وواجباته وموقفه من موضوع السلم والحرب ليس بين المسلمين فحسب بل حتى مع غيرهم من أصحاب الملل والنحل ومن المشركين وغيرهم².

ويشهد التاريخ على ما حققه الإسلام في دنيا الناس انسجامًا وتوافقًا رغم اختلافهم العرقي واختلاف لغاتهم، ورغم ما كان بينهم من حروب دامية لعقود طويلة، وكلّ الناس في حاجة إلى وثام جديد لأنّه لا حياة سليمة ولا مستقبل لمن لا يعيش الأمن والاستقرار.

ومن حقوق الإنسان الأساسية أن يعيش المرء في كنف الأمن والهدوء وطمأنينة النفس بعيدًا عن الخوف والترهيب والفرع، ومن هذا المنطلق فالوثام سلوك إنساني فطري راق ولا شك أنّ الوثام عامّة تصوّر حضاري رفيع للحياة الاجتماعية للإنسان، ففي إطاره يتحقق التعايش، ثمّ التكامل ثمّ التعاون وغيره من أنماط العلاقات الاجتماعية الخيرة والبناءة. والوثام من هذا المنظور بقدر ما هو ضرورة أساسية فهو في الوقت نفسه حقّ من حقوق الإنسان وواجب من واجباته ومصالحة أكيدة من مصالحه الكبرى، إذ بدونه تصاب الحياة الاجتماعية بالانكسار والدمار الحتمي، وهو أيضا طور من أطوار الحياة البشرية تصل إليه بعد فترات الصراع والمواجهة³.

ليبقى الوثام مصلحة مشتركة للجميع ويشارك في صنعها الجميع: الفلاح والمهندس والمعلم والمثقف فهو قضية الجميع ليس مجرد مصلحة أو قرار سياسي ظرفي.

¹ ينظر: فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، ط 1، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1985م، ص 233.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الوثام، جريدة البرهان، العدد 02، الجزائر، أكتوبر، 1999م، ص 07.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الوثام، جريدة البرهان، مرجع سابق.

المطلب الثالث: الشورى والديمقراطية.

الفرع الأول: الشورى.

الشورى مبدأ عظيم في الإسلام، أمر الله تعالى في كتابه الكريم فقال الله عزّ وجلّ مادحا صفات المؤمنين: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى. الآية: 38]. وقال تعالى مخاطبا رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم- بالتوصية بمشاورة جماعة المؤمنين: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران. الآية 159]، ومعلوم أنّ الشورى هي الطريق الصحيح لمعرفة أحسن الآراء وأصوبها، وهي التي لا تترك الحاكم ينفرد بالرأي والقرار فيما يخدم الأمة بأسرها.

"والدارس لقضية الشورى في الثقافة الإسلامية يجدها في جوهرها وحقيقتها عنصر أساسي في كلمة التوحيد ذاتها، ذلك أنّ استبعاد المجتمع تأليه للمصلحة وعبادة لها، وذلك ما يتنافى مع مبدأ العبودية لله وحده، إنّ هذه المعاني تتعمق وتتجذر في عقيدتنا الإسلامية من خلال قوله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران. الآية 159] بصيغة الأمر المقتضي للوجوب¹.

وعليه فالاهتمام بموضوع الشورى مهم للغاية، فالعمل بما يمثّل جانب عقدي إيماني، وليس كما يحصره البعض في الجانب السياسي المجرد، فهو وحيّ دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة في وجوب ممارسة الشورى وإقامتها، وهي تمثّل من جانب آخر رمزا من حقوق الإنسان وواجباته ضمن انتمائه للأسرة وللمجتمع².

إنّ إرساء مبدأ الشورى يدخل ضمن العقيدة، وهو من أبرز خصائص المجتمع الإسلامي فما كان قبله من حكم جاهلي وراثي أو تسلطي لم يكن يعترف بحرية الرأي ولا بالتشاور. كما أنّ المسّ بهذا المبدأ لا يعتبر مساس بالجانب السياسي فقط، بل هو مسّ وانتهاك لأمر عقدي خالص، وهو إعلان عن التمرد عن أمر رباني وبه يتمّ الرجوع إلى العهد الجاهلي. وأمر الشورى يشمل جميع الجوانب والقضايا وهذا ما يجعل منها أساسيات وثوابت الشريعة الإسلامية وأمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بمشاورة المسلمين في قضاياهم الأساسية هي أمر لكلّ حاكم ومسؤول مسلم أيضا³.

إنّ الجانب السياسي في القرآن الكريم لا ينحصر في مجال معين، بل يتجلى في مبادئ أساسية عامّة وراسخة، وهي تعتبر ركائز السياسة والتي تعني رعاية الشأن العام وخاصة قضية العدل وقضية

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 88.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 14.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

الشورى، فالحقّ أساس العدل بين الناس وهو ما قرره القرآن الكريم وقررتَه السنة النبوية، وأما الشورى فهي متروكة للتقدير البشري المحكوم بثقافة الوحي والمضبوطة بآليات وهيكل تنظيمي للتسيير والمحاسبة والمتابعة، والشورى بهذا المفهوم تعني مواكبة الأحوال والأزمان وتطور الحكم (الخلافة) وفي هياكله وآلياته ممّا يجعله قادرا على تحمل الأمانة كاملة في إطار العدل والشورى¹.

لكن الملاحظ في التاريخ الإسلامي ومنذ بدايات العهد الأموي يدرك الخلل القائم والفجوة الكبيرة بين النظم التي حكمت المسلمين وبين شعوبهم، حيث تعطلّ الدور الاجتماعي، وفرضت وصاية الدولة في كلّ جوانب الحياة الاجتماعية، وبدأ تفكك الدولة في تصاعد حتى وصلت مرحلة الانهيار الكلي، وأتبعه ضياع الكثير من بلاد المسلمين، وعمّ التخلف، وساد الاختلاف، واستعمرت أوطان المسلمين، ورغم المحاولات العديدة للإصلاح إلا أنّ أغلبها باء بالفشل أو لم يتمكن من تحقيق النتائج المأمولة والمرجوة، ومن شأن جماعة المسلمين ومن خلال تفعيل مبدأ الشورى أن تعيد للسياسة الشرعية روحها الفعالة والأصيلة، حيث يكون التفاعل والتكامل بين السلطة السياسية والسلطة الاجتماعية الشعبية في إطار إيماني وفكري للمسلمين².

الفرع الثاني: الديمقراطية.

شهد أحمد الرفاعي مراحل مختلفة من عمر الجزائر المعاصرة قبل الثورة المباركة وبعدها، وبعد الاستقلال، وقبل التعددية وبعدها، فكانت له مواقف من عدّة قضايا سياسية من بينها الديمقراطية التي أصبحت موضوعا يشغل العالم وخاصة المتمدن، ومن ثمّة إلى العالم الثالث الذي يريد أن يكون مثل تلك الدول ديمقراطيا فأصبحت الدول المستقلة حديثا بالخصوص تضيف في تسميتها الرسمية مصطلح الديمقراطية على غرار الجزائر وهي (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية).

وبعد بدء العمل بالمسار الديمقراطي كما كان يسمى، أصبحت الكثير من الأحزاب تسمي نفسها بالديمقراطية وتصنف نفسها في خانة الديمقراطيين وتنفي عن تشاء ذلك، وبعضهم يرفعها في شعارات حزبية ضيقة. والغريب أنّها تناقض الديمقراطية في البيت الواحد وفي التشكيلة الحزبية الواحدة، فسرعان ما انفجرت تلك الأحزاب وانقسمت عن بعضها، ولم يبق من ديمقراطيتها إلا الاسم الذي تحمله.

وصف أحمد الرفاعي هذا الوضع (الديمقراطي) فقال: "إذ الديمقراطية الحقيقية قبل أن تكون شعارا حزبيا أو سياسيا جماهيريا، تتجلى في قناعات فردية راسخة، والتزام ثابت، يتحول إلى ثقافة راقية

¹ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 200.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 26.

ومبادئ وقيم ومفاهيم اجتماعية مشتركة، وبعدها تتحول إلى نمط حياتي شامل يستوعب كل القضايا الاجتماعية تحليلاً وتوجيهاً وتخطيطاً، وعندما تنفصل عبارة الديمقراطية عن معانيها ومفاهيمها الحقيقية تفقد قيمتها وتصبح أي شيء إلا الديمقراطية، وقد مثل ذلك على الوطنية وعلى الإسلام وغير ذلك من مفردات خطابنا الاجتماعي بما في ذلك الوثام فالممارسات غير الصحيحة لبعض القوى السياسية أفرغته من محتواه وجعلته مجرد شعاراً أجوفاً والحقته بحث: الاشتراكية والصحة والدعوة والوطنية¹.

لقد كان توصيف أحمد الرفاعي للديمقراطية توصيفاً دقيقاً، يهدف إلى تهذيب الفعل الديمقراطي فهو لا يلغيها كما يفعل بعض المفكرين المسلمين ولا يدعو إلى تثبيتها كما هي في الغرب كما يدعوا بعض العلمانيين والمتغربين في أوطاننا الإسلامية.

وفي الجانب التطبيقي اعتبر الرفاعي أنّ الديمقراطية في البلاد الإسلامية غائبة ومغيبة وهي هشة ضعيفة رديئة، وقد تنبأ بما قد يحصل في الجزائر من الغاء المسار الديمقراطي وما قد يجزّه من أحداث، يقول أحمد الرفاعي: "أذكر أنني كنت مع أخي الشيخ أبو جرة سلطاني في سكيكدة في ندوة أو محاضرة، وأثناء عودتنا إلى قسنطينة امتد بنا الحديث حول موضوع الندوة أو المحاضرة وقلت له: كلّ المؤشرات تدلّ على أنّ هذه الديمقراطية الهشة المريضة، ستكون عاقبتها أن يستغلها رجال الأعمال وتصبح رؤوس الأموال هي التي تنظر، وتؤسس بمنطق الربح أو الخسارة، وليس الفكر بمنطق الخطأ والصواب، وقد تحقق ما قلت"².

إنّ الديمقراطية لا تتحقق في واقع الناس وفي المجتمع إلا إذا توافرت شروط كثيرة، ومنها التكامل المتوازن بين أربعة قوى وهي قوة المال وقوة الفكر وقوة الإرادة وقوة الرأي العام الوطني، يرى الرفاعي أنّ ديمقراطيتنا الحالية تتكون من النظام الحاكم فقط، والقوى الحقيقية المشكّلة للديمقراطية لا أثر لها، فالمال مستغل للنهب في السوق السوداء والمضاربة والإرادة مسلوبة والفكر تائه مغيب، وعليه فالديمقراطية ما زالت شكلية رمزية، وإن كان هناك تغيير فسيكون في صالح المال فقط، فلا للفكر مكان ولا للرأي العام رأي يسمع أو يُطاع، الأمر الذي يستوجب الحضور القوي للفاعلين على مستوى الفكر والتنظير للمستقبل فكلّ يتجاوز كلّ وصاية جمود أو مصلحة³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الوثام الوطني، جريدة النور الجديد، العدد 03، الجزائر، 2001/02/24م، ص 24.

² أحمد الرفاعي شرفي، هذه المقالات، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 03.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، صناعة الإنسان، جريدة النور الجديد، العدد 05، الجزائر، 2001/03/29م، ص 24.

والديمقراطية الحقّة ممارسة وسلوك فهي ليست مقالات يكتبها سياسي أو خطابات حماسية يهز به مشاعر المستمعين أو أفكارا يدونها للمزايدة بها في مناسبات أو مناظرات ومهاترات، وكلّ ذلك لا علاقة له بالمعنى الحقيقي للديمقراطية، التي هي سلوك على الأرض قبل أن تكون فكرا نظريا¹.

والجلّي في عالمنا الإسلامي أنّ الديمقراطية تتصرف فيها الأنظمة وأصحاب المال الذي تغلب عن الفكر الحرّ، لتكون المحصلة ديمقراطية شكلية وما هي بديمقراطية أصلا، إنّما امتداد للحزب الواحد والتسيير الأحادي بكلّ مورثه وتركاته وخلفياته، وكلّ المؤشرات تدلّ على أنّ المرشح الأول لوراثة ديمقراطية الحكم هو المال وحده دون مشاركة الفكر والرأي العام².

ولا بدّ من الإقرار بأنّ وضعنا لا يسير في الاتجاه الصحيح، وعليه فالحلّ ليس قريبا والانفراج مؤجّل، إلى غاية تكوين وعي اجتماعي عميق تتشكّل من خلاله كلّ المفاهيم الصحيحة، بما فيه المعنى الحقيقي للديمقراطية، ولن يكون ذلك إلا بالفكر الصحيح، وهو ما ينتظر من نخبة الفكرية والثقافية من خلال المرافقة الدائمة للأحداث والتغيرات الاجتماعية للوصول إلى صياغة خطاب عقلي يتجاوز كلّ المزايدات الحزبية الضيقة والمصلحية العاجلة، ليصل إلى مستوى النضج بتشكيل طرح موضوعي منهجي، وهذا المستوى يصعب توقعه أو حدوثه في الوقت الراهن لما نراه من غياب على مستوى الوعي الاجتماعي الوطني والإسلامي الأصيل الذي يتجاوز كلّ وصاية جمود أو تسلط³.

ومن هذا المنطلق يجب عند الحديث عن الديمقراطية استحضار المعنى العام والإطار الحقيقي الذي تصب فيه، لأنّ الواقع لا يدل على أننا نمتلك اسم (ديمقراطية)، وما نمارسه في عالمنا الإسلامي والجزائري بالخصوص لا يمت للديمقراطية بصلة.

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرفي، أوراق في المستقبلات، المسلم الواعي رهان المستقبل، جريدة النور الجديد العدد 18 بتاريخ 10 جوان 2001، الجزائر، ص 24. بتصرف

³ أحمد الرفاعي شرفي، لا أعتبر الوضع الحالي ديمقراطي، حوار مع جريدة النور، العدد 52، الجزائر، بتاريخ 06 أفريل 1992م، ص 08

المبحث الثالث: نظام الحكم في الإسلام

المطلب الأول: الأنظمة السياسية والمعارضة.

الفرع الأول: السلطة في الإسلام.

يتميز المجتمع الإسلامي عن غيره بخصائص ومميزات عدّة، وهي من مميزات الإسلام عن غيره من المجتمعات والملل الأخرى، فهو في أصله مجتمع لا عرقي ولا تراتبي وغير سياسي ومفتوح على الجميع وليس له هيكل إداري ثابت: مثل ملك، أو رئيس، أو قيادة، أو زعامة محددة كما هو الشأن بالنسبة لليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم، هذه المميزات جعلت منه ظاهرة حضارية جديدة لم تعرفها الإنسانية من قبل، ومن أبرز نتائجها تحرير الإنسان من كلّ أنواع الرّق والعبودية والاستغلال وتوفير الحرية الواسعة لأفراده وإرساء قواعد الشورى الضامنة لحرية الرأي والمشاركة، وهي تقوم على العلم والمسؤولية والوعي¹.

وأساس النظام الإسلامي العدل وتكريس منظومة الحقوق والواجبات وعموده الشورى وقد ألغى النظام الشوري والمجسد لمعنى حرية الرأي والتفكير والمخلص للإنسان من كلّ قيود القبيلة والعصبية الضيقة يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الإسلام (القرآن والسنة) عالج إشكالية السلطة والمجتمع من زاويتين متكاملتين. واقعية وعملية وتتمثل في بناء مجتمع غير قبلي ولا عرقي ولا تراتبي وإنما هو مجتمع الشورى، التّاس كلّهم متساوون في الحقوق والواجبات، وإدارة مصالحهم وحقوقهم وواجباتهم، تتم في إطار الشورى بين الجميع، تحقيقاً للعدل من جهة، وتفادياً للتسلّط المنحرف من جهة أخرى"².

ويرفض النظام الإسلامي كلّ أشكال العرقية والاستكبار والقهر، وكلّ أنواع الفساد الأمر الذي جعل منه نظاماً متميزاً، ومن مميزاته يضيف أحمد الرفاعي موضحاً ومعلّلاً: "نظام يدعو كلّ البشر في إطار الشورى إلى إقامة واقع بشري تتساوى فيه الحقوق والواجبات، ولا يتميز فيه إنسان عن إنسان باللون أو الثروة أو الموقع أو العشيرة أو القوّة البدنية أو حتى الفكر والتقدم التكنولوجي، كلّ ذلك لا يبرر التمييز، والمبرر الوحيد للتمييز والتفوّق في النظام الإسلامي العالمي يأتي عن طريق خيرية الخير من التّاس، ومدى طاعته لربه، ونفعه لعباد الله، فبذلك وحده يتفوّق المسلم، وهذه هي حاجة الواقع الإنساني المنهك بالفساد وشتى أنواع الإجرام والظلم رغم التقدم المادي الكبير الذي صار من أكبر

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرطي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 28.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها

وأخطر وسائل الإجرام والفساد، لذلك فإنّ أمل الإنسانية كلّها يتعلق بالإسلام وحده بعد انهيار كلّ الفلسفات والقيم الضّالة¹.

وحتى يصل المسلمون إلى تلك الرتبة، لا بدّ من الإعداد الجيد الذي يبدأ بتصحيح الفكر أولاً وإبراز البديل الحقيقي للإنسانية بالمشروع الرباني المنقذ ثانياً.

الفرع الثاني: الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي.

يشتدّ الصراع في العالم الإسلامي على كراسي الحكم وعلى المناصب، فمنهم من يحمل مشاريع للتغيير ومنهم من يريد السلطة للكسب والتسلّط، ومنهم من يحمل مشروعاً فكرياً حضارياً يجمع بين التمكين للفكرة والمشروع الحضاري وبين إصلاح أوضاع المجتمع، وهذه من تلك فإذا تحقّق لهم الحكم بدأوا بإصلاح الأوضاع بالضرورة.

إنّ هذه الرغبات في الوصول إلى سدّة الحكم ولدت صراعات مختلفة وفي أحيان كثيرة تصل إلى خلافات بعضها تطورت إلى أن أصبحت عنفية ودموية، كما أنّ الكثير ممن وصل إلى الحكم وجد نفسه مكبلاً لم يستطع التغيير ولم يجد ما كان يتصوره سهلاً ميسوراً، يرى أحمد الرفاعي أنّ السبب يعود لغياب الإخلاص وغياب التأطير والصدى، يوضح الرفاعي حقيقة الصراع على الكرسي الحاكم فيقول:

"الصراع على كراسي البرلمان والوصول إليه بدون إحداث أيّ صدى فيه يهزّ نفوس الجامدين لأنّ الجالسين على تلك الكراسي جامدون والجامد لا يهزّ الجامد والجامد لا يشعل الخامد، هذه أيضاً ليست وسيلة تغيير بل تحقير للدين ورجاله في أعين الأصدقاء قبل الأعداء، عندما تحولت الصحوة إلى غنائم وسفك للدماء ومتاجرة بالدين وبالقيم، هذه وسائل غير إسلامية، وصار حتى موضوع فلسطين وهو أقدس قضية حالياً عند المسلمين موضوع تجارة لهذه الأحزاب في سوق - البوليتيك"².

ويتبين هنا أنّ أحمد الرفاعي لم يكن يرى فائدة من التنافس على كرسي الرئاسة وعلى الحكم، فهو منصب سيادي فعلاً لكنه لن يؤثر في واقع الناس لغياب الأرضية الصلبة لبناء المشروع الحضاري الصادق والصارم، فالواقع يبرهن أنّ الكثير من السلطات خاصّة تلك التي تحكم في دول العالم الإسلامي فشلت فشلاً ذريعاً في إيجاد حلول للأزمات المتفاقمة والمشكلات التي تتخبط فيها الشعوب، سواء كانت مشكلات تتعلق بالحقوق المعنوية من حرية الرأي والمعتقد وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الأفراد أو

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 79.

² الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

الأزمات المادية والاقتصادية وغيرها، وكلّ ذلك يرجع إلى اختلال التوازن في النظرة المتباعدة بين ما يتطلع إليه الشعوب وما تمارسه الأنظمة من قهر وإهدار لحقوق الإنسان وحقوق الأفراد والمجتمعات¹.

وقد أوصلت تلك الحال الأمة إلى درك سيء: "الأمة الإسلامية اليوم تكاد تكون عالة على العالم من الزراعية والتجارية، عالة عليه من ناحية التسليح والحرب، وعالة عليه من ناحية استقواء الأنظمة التي تعيش بها الأمة الإسلامية جاهلة لدينها ولم تعمل به فكانت العقوبة تخلفها عالميا، وهذه العقوبة جزاء عادل لخيانتها لتراثها ولرسالتها"².

إنّ القيادات وبمجرد أن تتحكم في مقاليد الحكم تصبح هي (الكلّ في الكلّ) والقاعدة لا شيء على الإطلاق، وإن كان لها حظوة أو حضور فهو يتعلق فقط بمستلزمات الامبراطور أو الملك والسلطان والأمير مقابل الرعية وعامة الشعب والمحكومين، فلا زعيم بلا حكم ولا رئيس بلا مرؤوسين، وهذه قمة الاحتقار وإهدار الحقوق المجتمعية، حيث تضيع الحقوق وتندم الضوابط ويصبح مجتمع الرعية تابع فقط لا يتمتع بأي حق على الإطلاق إلا في التبعية بالانتماء لفئة من هنا وفئة من هناك، ويبقى القرار بيد الحاكم المتفرد. وكم تفررت حروب وسالت دماء دون أن يكون للمجتمع والرعية كلمة أو دور سوى المشاركة القهرية في أزمات ليسوا طرفا ولا سببا فيها³.

وصورة الاستبداد والفوضى هي السمة الأبرز في بلاد المسلمين على مدى عقود طويلة، يقول محمد الغزالي: "الحكم الذي ساد بلاد الإسلام من بضعة قرون كان طرازا منكرا انكشفت فيه الحريات الطبيعية وخارت القوى المادية والأدبية وسيطر على موازين الحياة العامة، تفرّ من الجبايرة أمكنتهم الأيام العجاف أن يقلبوا الأمور رأسا على عقب، و أن ينشروا الفزع في القلوب والقصر في الآمال والوهن في العزائم، والحكم الاستبدادي تدم للدين وتخريب للدين فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعا، وهو دخان مشعوم الظلّ تحتنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد فلا سوق الفضائل والآداب تنشط ولا سوق الزراعة والتجارة تروج..!، ومن هناك حكمنا بأنّ الوثنية السياسية حرب على الله وحرب على الناس"⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص10.

² عمر خلفه أبو اسامة، محمد الغزالي: لقاءات وحوارات حول الحركة الاسلامية، مرجع سابق، ص358.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الجماهير الإسلامية والقيادات "قراءة هادئة في واقع مؤلم" جريدة النور، العدد03، الجزائر، 1991/03/02م، ص18.

⁴ محمد الغزالي، الإسلام والطاقت المعطلة ، ط1، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة- الجزائر، 1982، ص50

إنّ هذه الأنظمة التي تستعمل الاستبداد والقهر والتسلط ولا تراعى حقوق البسطاء والفقراء والضعفاء لهما سلطات جاهلية في تصور أحمد الرفاعي، كما أنّها تمكّن لفئة من الناس التملك بالباطل على حساب الضعفاء: "إنّ النظام الجاهلي كمفهوم حياتي، وواقع بشري، بقدر ما أجحف في حقّ الفقراء والمحرومين، وقرّ للخاصّة من الناس الحكام والأثرياء الثروة والجاه والسلطة، وذلك ما جعل الجاهلية في الواقع مذهبا عريقا في الحياة البشرية وقناعة معينة من أهم أسسها: أنّ الحلال والحرام، والحقّ والباطل، والخير والشرّ مجرد اعتبارات أخلاقية لا وجود لها في واقع حياة عمّة الناس إمّا بسبب الجهل أو الضرورة أو الانحراف أو غير ذلك"¹.

ورغم الشعارات المرفوعة باسم الديمقراطية والتشاركية في الحكم والانتخابات الحرة، إلا أنّ الواقع يخالف كل ذلك فلا رأي يسمع ولا حكم يطاع إلا للسلطة الحاكمة والمتجذرة في الحكم فمفهوم السلطة في كل الوثائق الأساسية للدولة الجزائرية منذ الاستقلال نص صريح على أنّ مصدر السلطة هو الشعب، لكن الممارسة الواقعية للسلطة إبان الحقبة الاشتراكية والحزب الواحد تعمدت التلاعب بالإرادة الشعبية في كل الانتخابات، وبذلك انعدمت الثقة في مصداقية السلطة ونواياها ونزاهتها الوطنية².

الفرع الثالث: الولاية في الإسلام أول جرح في التاريخ.

بدأ عهد الخلفاء بأبي بكر الصديق-رضي الله عنه- بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقد اتضحت المعالم الكبرى للحكم الإسلامي، ولم يكن أحد من الخلفاء - رضوان الله عليهم- حريصا عليها ولا طالبا لها، يرى أحمد الرفاعي شرفي أنّ الوحيد الذي طلبها هو الصحابي معاوية بن أبي سفيان-رضي الله عنه- وعندما تحققت له الولاية حولها إلى ملك وراثي، وكان هذا أول انحراف في مسيرة الحكم الراشد، ونتج عن ذلك أخطاء وانحرافات وزلات دفع المسلمون ثمنها باهضا وما زالت تداعيات ذلك إلى يوم الناس هذا، ويعبر أحمد الرفاعي عن هذا الأمر بأنّه أول جرح في التاريخ الإسلامي، والمتمثل في تغيير النظام السياسي للأمة الإسلامية أوائل العهد الأموي ومنذ سنة 61 هـ سنة وفاة معاوية رضي الله عنه، وتولى ابنه يزيد الملك باسم الخلافة من غير شورى ولا رضی من المسلمين³.

إنّ الخلافة في أصلها نيابة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ومن واجبات الخليفة القيام بمصالح الدين والدنيا، أيّ أنّها زعامة روحية وعقلية ومدنية وعسكرية، فكيف يمرق مخلوق من بطن أمه ليتلقفها وهو يبول في مهده، وكيف تكون الخلافة حكرا في بيت من البيوت يموت ربه فينالها من بعده

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 19.

² ينظر: أحمد الرفاعي الشرفي، أزمة الجزائر وفراغات الواقع، جريدة النور الجديد، العدد 15، الجزائر، 17 ماي 2001، ص 24.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 25.

ابنه؟ ولكن هذا الهزل هو الذي ساد بلاد الإسلام دهرًا بعد أن طويت أعلام الخلافة الراشدة، وقضي عليها معاوية مقلدا الجوسية والصليبية والرومانية، كان بداية الشر الذي تحوّل إلى حرائق مستعرة دمّرت الأحرار واليابس في الحضارة الإسلامية المظلومة¹.

والصراع على السلطة في المسيرة الإسلامية بدأ مبكراً، فلم يمض وقت طويل بعد وفاة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- حتى تجلّى هذا الصراع في المجتمع الإسلامي والمؤسف أنه استمر منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا وهي كما يصفها أحمد الرفاعي أطول أزمة في التاريخ "إنّ أزمة المجتمع الإسلامي ومنذ تفجرها المتمثل في الصراع الدامي بين قيادات المسلمين الإيمانية من الصحابة -رضوان الله عليهم- وقياداتهم السياسية والاجتماعية من الخلفاء والولاة ما تزال قائمة وتداعياتها لم تتوقف بعد أزيد من أربعة عشر قرناً، وذلك ما يجعلها أطول أزمة سياسية واجتماعية عمراً عرفها التاريخ الإنساني عامة"².

يرى أحمد الرفاعي أنّ العهد الأموي وما بعده أي العهد العباسي كلاهما كان بعيداً عن تعاليم القرآن الكريم، ومنهما بدأ الانحراف والعودة للجاهلية، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ العهد الأموي والعباسي ليسا عهداً للقرآن والسنة كما كان الأمر في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الراشدين، وإنّما كانا عودة إلى الجاهلية في العديد من قيمها ومظاهرها ومقوماتها ومفاهيمها"³.

وانطلاقاً من الاعتبارات السابقة يعتبر أحمد الرفاعي الحكم الأموي الخسار حضاري لا جديد فيه، بل هو تفهقر سياسي بعد الخلافة الراشدة، وبدل السياسة الشرعية القائمة على الكتاب والسنة حلّ محلّها العودة إلى مركز السيف والقوّة وبمنطق تسييس الدين سيرت البلاد الإسلامية فكانت الانقسامات والخلافات وتكرست الفرقة وسالت دماء كثيرة، ويعتبر أنّ البداية كانت بتمرد معاوية -رضي الله عنه- على الشرعية الإيمانية والاجتماعية للأمة الإسلامية⁴.

وبهذا التوصيف يصل الرفاعي إلى استنتاج مفاده أنّ المسلمين تخلّوا عن الكثير من القيم الإيمانية وأنّ عودتهم للقيم الجاهلية بدت واضحة "إنّ الجديد الأموي، يفتقر إلى مفاهيم ومعاني التطور والإصلاح، ويتطابق مع مفاهيم الانقلاب المشبع بمعاني النقص والتغيير، ذلك أنّ مستجدات الحياة عامّة السياسية وغيرها بقدر ما تناقضت مع جديد الإسلام تطابقت وتماثلت مع قديم الجاهلية وذلك ما

¹ ينظر: محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية، د ط، مكتبة العروبة، القاهرة - مصر، دت، ص 208.

² أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص 05.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 68.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 74.

يجعلها في جملتها بمثابة محاولة لتقديم أول بديل جاهلي يختلف عن جديد الإسلام الذي أرساه العهد النبوي والراشدي"¹.

يتبنى أحمد الرفاعي أحكاما قاسية في وصف العهد الأموي ويقدم لذلك مبررات يصف خلالها كيف أن الحكم بالعهد الجديد هو رجوع للجاهلية وسرد للتدليل على ذلك جملة من الأمثلة منها²:

- تسييس العقيدة ممثلا في إلزام أئمة المساجد بلعن الإمام علي -رضي الله عنه- في كل جمعة يناقض تحرير العقيدة والعدالة الذي جاء به الإسلام.

- تسييس العدالة التي جاء بها الإسلام أيضا حيث أنّ لعن الإمام علي يتضمن موقفا سياسيا من عهده كلّه بصفته خليفة للمسلمين.

- تسييس السلطة وذلك بإحداث ولاية العهد وإلغاء الشورى التي جاء بها الإسلام.

- إلغاء معاني الأخوة الإيمانية، والولاء الإيماني، والعودة إلى العرقية الجاهلية.

- العودة إلى العرقية والقبلية، بعد أن أرسى الإسلام (القرآن والسنة) قواعد مجتمع العقيدة الإنساني.

ولقد كان لهذه الأفعال والتصرفات التي قيضت الحكم الإسلامي والنظام السياسي الشرعي تداعيات وتفاعلات جدّ سلبية على مسيرة نظام الحكم في الإسلام، فأصبحت صيغة النظام أو الحكم بدل أن توسم بالإسلام صارت توصف باسم الحكام أو القبيلة أو المذهب فظهر بذلك: الإسلام الملكي الوراثي "الأمويون والعباسيون خاصة"، الإسلام العرقي "العربي والأعجمي". إسلام المذاهب الفقهية سنة وشيعة وخوارج بدل إسلام القرآن والسنة، إسلام الطوائف، وملوك الطوائف وغيرها من التعابير التي لا تدلل على حقيقة وطبيعة نظام الحكم الإسلامي الحقيقي³.

كما يرى الرفاعي أنّ لقب الخليفة وأمير المؤمنين مصطلحات فقدت قيمتها وأهميتها وحقيقتها وتحولت من نظام خلافة شرعي جماعي شوري إلى أنظمة حكم ملكية فردية تسلطية، واستمرار لقب الخليفة إلى أزمنة طويلة لاعتبارات سياسية.

"إنّ الإبقاء على الجانب الشكلي لنظام الخلافة بتسمية الملوك خلفاء مع أنهم في الحقيقة ليسوا خلفاء، إذ الخليفة في الحقيقة من يُكَلَّف أو يُعَيَّن في إطار شوري لا إكراه فيه، أما من يرث السلطة والملك من غير شوري أو رضي فهذه ملكية جاهلية، بل وأخطر وأضر من الملكية الجاهلية نفسها ذلك أنّ شعار أو عبارة الخلافة توهم عامة الناس أنّ الخليفة يزيد بن معاوية متابع وملتزم بنهج من قبله من

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 74.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 75.

الخلفاء، بدءاً بوالده إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ويتجلى ذلك خاصة في العمل بالقرآن والسنة والواقع"¹.

وعليه فمن حكموا المسلمين طيلة عقود من الزمن من بني أمية وبني العباس ليسوا خلفاء بل مجرد ملوك كانت السياسة عندهم أهم من الدين. ذلك أنّ عبارة أمير المؤمنين والخليفة أطلقت على الخلفاء الراشدين لكونهم عملوا بالقرآن والسنة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأقاموا الدين. إنّ هذه الملاحظات لا تنطبق على عامة المسلمين كما سبق القول وإنما تعني خاصة من سيسوا الدين، وجعلوه خاضعا للسياسة والمصلحة والأهواء والشهوات².

يحمّل أحمد الرفاعي قادة المسلمين في زمن بني أمية ومن بعده فترة العباسيين، يحملهم مسؤولية التخلّف والتسلّط الذي جرّ على الأمة القهر والظلم واستمر دهوراً من بعد ذلك، ومع ذلك فهو يرى الشعوب من المسؤوليات كونها كانت مغلوبة على أمرها.

الفرع الرابع: أخطاء الأنظمة الحاكمة

لقد عمدت الأنظمة الحاكمة إلى جملة من السلوكات قوضت الحكم ولم تفد المجتمع بشيء، ومن الوسائل التي استعملت في هذه المعركة سن القوانين بحسب ما يخدم مصالحهم وإكراه الناس على فعل أشياء وترك أشياء أخرى بما لا يجبون ولا يرضون، ونشر الفرقة والصراعات واستباحة المال العام ونشر الفساد وإشاعة التزوير في الانتخابات وشراء الأصوات والذمم والمواقف، إلغاء العدالة واعتبار السلطة هي القضاء المطلق فتعفو كما تشاء وتسلّط العقاب عمن تشاء، وكلّ هذا يشكل بؤرة لنمو وتزايد الفساد وسبباً لحماية المفسدين³.

إنّ هذا الوضع القائم في رأي أحمد الرفاعي إنّما أوصلت إليه عملية التسييس الممنهجة لإخضاع الشعوب للسلطات واستغلالها بما يخدمها لا ما يخدم المجتمع، يتكلم أحمد الرفاعي عن سيطرة الحكم على الشعوب ويشير إلى أنّ الملم بأوضاع الأنظمة السياسية في عصرنا يدرك بوضوح مدى تحكمها وتأثيرها في الواقع الاجتماعي، وذلك عن طريق الوسائل العديدة التي تملكها مثل: - الإدارة العمومية المسيّسة، الدين المسيّس، العدالة المسيّسة، المال العام المسيّس، الاستثمار والتجارة المسيّسة، القوة العمومية بكلّ أنواعها، الشرطة الجنود، الأنصار إلخ. وبالوسائل السابقة استعبدت الأنظمة الناس،

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص 28.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 67.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 16.

وصاروا عبيدا لها من دون الله، ولا يستطيعون معصية لها، إذ من يعصي السلطة فمصيره إلى السجن، أو الاغتيال أو التغييب، أو الاضطهاد بكل أنواعه¹.

الفرع الخامس: الجمهورية نظام اسلامي

يرى أحمد الرفاعي شرفي أنّ (الجمهورية) في أصلها ولبّتها هي نظام إسلامي، وفي معرض تعقيبه على مقال للشيخ مبارك المليبي حول نظام الحكم قال أحمد الرفاعي: "كان واجب فضيلة الشيخ التنبيه إلى أنّ النظام السياسي في الإسلام ليس ملكيا، وإتّما هو نظام شورى، لم تعرفه البشرية قبل الإسلام، ولعله لم يفعل ذلك لاعتبارات ظرفية، وحسبه أن وصف الملكية عامّة بما يجعلها نظاما جاهليا ظلما، وهذا الحكم الموضوعي غير الظالم ينطبق على كلّ ملوك المسلمين، ومنذ عهد بني أمية الذين ألغوا الشورى، وهي أساس النظام الجمهوري، ورجعوا بالمسلمين إلى النظام الملكي الوراثي الملغي لحق المواطن في الحرية والعدل، فالجمهورية نظام إسلامي بنصّ القرآن، وليس غير ذلك كما يظن من لا فقه له في الدين"².

ولعل أحمد الرفاعي يريد أن يفهمنا أن الجمهورية من حكم الجماهير، وحكم الجماهير يكون لأهل الحلّ والعقد وهو ما يسمى بالحكم الشوري والنظام الشوري، وهو الأصل في الحكم في الإسلام.

الفرع السادس: موقف الرفاعي من ولاية الفقيه

أشار أحمد الرفاعي إلى نماذج مختلفة من أنظمة الحكم التي اعتمدها المسلمون، وإن كان يعتبر أنّ النظام الإسلامي ممثلا في الشورى هو النظام الأصلي والوحيد، إلا أنّه زكى بعض الأنظمة الأخرى ولم ير تعارضا كبيرا بينها وبين النظام الإسلامي، ومن ذلك النظام الجمهوري كما سبق الحديث عنه، وهنا يشير إلى نظام الفقيه الذي اعتمده الجمهورية الإسلامية في إيران عقب الثورة الإيرانية، يقول أحمد الرفاعي عن ولاية الفقيه والتجربة الإيرانية: "أما ولاية الفقيه فينبغي أمّامها أن تميز بين ما يطرحه الإعلام غير المسؤول وبين الفكرة المبنية على طرح علمي إسلامي موضوعي، ولنكن منصفين حين نتحدث عن إيران من عهد الخميني إلى اليوم فقد قفزت قفزة لا مثيل لها في التاريخ، ولنضع ما أنجزه الإيرانيون في كفة وما أنجزه غيرهم في الكفة الأخرى ممن يدعي دعاوى عريضة اقتصاديا اجتماعيا ثقافيا، وعلينا في هذا أن نفرق بين الذاتيات التي تحركها ضغائن التاريخ وبين التي يحركها أعداء اليوم وهي تجتمع على شيء واحد هو ما قاله قاييل لهاييل عندما تقبل الله منه "لأقتلنك"³.

¹ ينظر: المرجع السابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد المليبي، مرجح سابق، ص 18.

³ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجح سابق.

الثناء على ما أنجزه الإيرانيون وما حققته الثورة الإسلامية في إيران ربما كان له ما يبرره، لكن سياسة القمع خاصة لأهل السنة في إيران لا يمثل صورة الإسلام الرباني الذي جاء بالحرية وبالرحمة للعالمين.

المطلب الثاني: الأحزاب والمعارضة.

الفرع الأول: موقف الرفاعي من التحزب.

عُرف عن أحمد الرفاعي شرفي موقفه الراض للتحزب وبمقت الحزبية، فهو يعتبرها آفة تنخر وحدة الأمة الإسلامية ومفسدة للدعوة، والحزبية في رأي أحمد الرفاعي ماهي إلا وسيلة لتكبير الصحوة والوصول إلى السلطة للاستفادة من المزيد من الغنائم والمصالح الشخصية.

وقد بين في أكثر من موقف أنه لا يجب التحزب، وأنه ليس متحزبا، ولما سئل عن انتمائه لحركة مجتمع السلم (حمس) وهي حركة المجتمع الإسلامي (حماس) سابقا. قال: "كلّ الناس حاليا يحسبوني على هذه الحركة رغم أنني طلقت الحزبية في رسائل التسعينيات من القرن الماضي"¹.

كان يتشاءم من الحزبية، كما كان يرى أنه كلما كثرت الأحزاب كلما انحاز الناس لأحزابهم وابتعدوا عن الدعوة، كما كان يرى أنه من واجب الأمة أن ينهض مجموعة من العلماء يفرغون كلية للدعوة إلى الله - عزّ وجلّ- ولا ينتمون لحزب ولا لطائفة ولا لمذهب، إنّما انتماءهم للإسلام ويدعو الناس للإسلام وإلى صفاء الدين².

ويتضح لكل متابع سياسي وغير سياسي أنّ التعددية الحزبية في الجزائر ظهرت فجأة بعد أحداث أكتوبر 1988م، ولم يكن مخططا لها بعمق ولا بمنهجية ورؤيا سياسية دقيقة، حيث أنه بمجرد الإعلان عن فتح باب التعددية ظهرت أحزاب شتى بمسميات مختلفة وبأفكار متنوعة وقد سارع بعضهم لجمع عدد محدود من الأشخاص ليكون حزبا ليحتفي بعد ذلك عن الأنظار إلا في أوقات التأييد والمساندة أو الظهور بتصريحات أقرب منها للتهريج ومجلبة للسخرية.

ولذلك فأغلب الأحزاب في الجزائر ولدت هزيلة وشكلية وبسبب ذلك كان أداءها ضعيفا وكانت عاجزة عن إدراك الواقع ومواجهته، بل إنّ منها من كان يستمد تجاربه من المخزون الفرنسي الاستعماري العلماني لضرب مقومات الأمة وتقويضها، ولم تكن اهتمامات الشارع الجزائري تعنيه وهو لم يفهم أصلا الواقع بأبعاده الزمانية والثقافية والسياسية والاقتصادية ويدعي بعد ذلك التغيير³.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها..

² ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي الشرفي، الإعلام وبعض الأحزاب وقضايا المجتمع، جريدة النبأ، العدد 3، الجزائر، 19 مارس 1991م، ص 14.

والملاحظ أنّ الأحزاب وجدت في الغرب لتكون أداة بناء وحلقة اضافية في النصح والمعارضة الايجابية وتقديم البدائل، وهي منابر للفكر والوعي الأصيل وتحمل هموم الوطن، أما عندنا فقد وجدت الأحزاب وكأنّها تريد الدخول في معركة الولاء للمجتمع أو الولاء للسلطة الحاكمة وبالتالي فهي إما في معارضة شرسة للدولة وما يصدر منها أو في موالاتة لتبيض صورة النظام بكلّ الطرق والصيغ، فصارت بذلك هائمة لم تريح الشعب ولم تريح السلطة وما نسب الانتخابات إلا خير دليل، ففي الغالب أكثر من نصف الشعب لا ينتخب لأنّه فاقد للثقة في السلطة وفي تلك الأحزاب المعارضة والموالاتة¹.

الفرع الثاني: تجربة الأحزاب الإسلامية في الجزائر.

استبشر أحمد الرفاعي خيرا في بداية الدعوة لما سمع أنّ هناك حزبا واحدا يتحدث باسم التيار الإسلامي ويرابط على ثغرة الحزبية، وهناك رابطة تجمع مختلف الحساسيات الإسلامية وتحاول أن تذوّبها على صعيد الوظيفة الدعوية، لكنه لما رأى الانتخابات البلدية والبرلمانية في 1990/1991م، ورأى انقسام التيار الإسلامي والنكسة التي حصلت في يناير 1992م، تشاءم من العمل الإسلامي ككل ونأى بنفسه أن يكون منتميا لأيّ حزب، وكان يرى أنّ الحزبية في الإسلام شؤم على التيار الإسلامي وعلى الدعوة لأنّها تضيق واسعا وهو الدعوة الإسلامية².

وقد انسحب على إثر ذلك من جمعية الإرشاد لما رأى بعض أشخاصها متحزبين وقد حادت عن الأهداف الرئيسية التي تكوّنت لأجلها وهي التربية والتعليم والدعوة، وقد كان له ميول صوفي وحرص دعوي قوي، وذلك جعله لا يجب أن يدخل أي صراع حزبي خاصة إذا كان هذا الصراع باسم الإسلام، كان همّة الدعوة، وأيّ ما مكان لا يجد فيه الدعوة لا يتردد لحظة في أن ينسحب منه وأن لا يترك من ورائه أي أثر للخلاف، وكان يعتبر نفسه أنّه لا يملك قدرات ولا إمكانيات على أن يعمل في الحزبية، وقد طبق الشعار الذي رفعه الإخوان نعمل فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه. وانطلاقا منه فقد قال نعمل معا في الدعوة ولا صلة لي بالحزبية ونحن إخوة في النهاية، وهذا شأن العلماء الكبار الذين لا ينبغي أن يكونوا متحزبين ولو أن العلماء والقامات الكبرى كالشيخ الغزالي والبوطي والقرضاوي ظلوا مرتبطين بأحزابهم لما كان لهم هذا الصيت الواسع الذي صار له بعد عالمي يحظون به على أساس أنّهم سوف يجيئون ويعيشون في أقفاص أحزابهم ويموتون في أقفاص أحزابهم³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، تأملات ... تأملات، جريدة النور الجديد، العدد74، الجزائر، 14/07/2002م، ص24.

² ينظر: أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية، مرجع سابق.

³ ينظر: المرجع نفسه.

وبالنسبة لأخطاء الأحزاب ذات التوجه الإسلامي، فإنّ الرفاعي كان يعتبر خطأها في ممارسة الحزبية أفضح وأنكل، وليس الأمر مقصورا على الجزائر فقط بل في الكثير من الدول الإسلامية يتكلم الرجل عن تجربة الإخوان المسلمين في مصر حيث تورط الإخوان - بعد مقتل مؤسسها حسن البنا- في أمور لا علاقة للحركة بها لأنّها أنشئت لبعث الكيان الإسلامي فتورطت في الشؤون الحزبية والسياسية وهو الأمر الذي وقع لجمعية العلماء في الجزائر، فجمعية العلماء فكرتها إقامة سلطان الدين مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى. الآية: 13] ولم يحدث إقامة الدين بل سجل انحراف على مستوى الحركتين بسبب المنتفعين والموظفين الذين يحبون الدنيا ولا يهمهم أقام الدين أو لم يقيم كما فعل بنو أمية¹.

وهنا نسجل موقفا متشددا آخر لأحمد الرفاعي في نقده لتياري الإخوان المسلمين وجمعية العلماء، فهما لم تكن لهما سلطة حتى يحاسبها على العجز والتقصير، وعلى العكس من ذلك كان الحصار مفروضا عنهما، وكانا مقيدان كثيرا.

وعن تجربة الأحزاب الإسلامية يقول الرفاعي موضحا الأهداف الحقيقية (للحزبية) كما يعتقد: "تجربة الأحزاب الإسلامية المسموح لها بالنشاط في مناسبات الانتخابات، تبين أنّها مجرد حيلة لتجميد النشاط الدعوي والفكري والثقافي للأحزاب بدعوى عدم استغلال الدين لأغراض سياسية، وفي الوقت نفسه تحرم الأحزاب الإسلامية من التغلغل الشعبي، وتجنيد القوى الاجتماعية الخيرة لعملية التغيير، وفي الوقت نفسه تورط الأحزاب المشاركة للسلطة مشاركة مباشرة في الفساد، وتفقد مصداقيتها والقدرة على ممارسة أي ضغط على السلطة لمواجهة الفساد"².

وهذا التوريط المتعمد للأحزاب الإسلامية يضعها في زاوية ضيقة فهي مختارة بين طريقتين لا ثالث لهما إمّا التخلي عن الحزبية والرجوع إلى الدعوة السامية ونشر رسائل الخير والتنوير وخدمة المجتمع بقوة ونشر كل فكر جميل فيه، وإمّا أن تلتزم بالمشاركة مع السلطة وهنا تقع في الشراكة مع السلطة في الفساد والتبرير للفساد والظلم والاستبداد وكلّ ذلك واقع وطريقه مسدود حسب ما يعتقد أحمد الرفاعي.

الفرع الثالث: تأثير الأحزاب على الدعوة الإسلامية.

وعن تأثير الأحزاب على الدعوة الإسلامية فكان يرى أحمد الرفاعي أنّ الأحزاب فكرة غريبة لتكبير الصحوة وقد شتت رجال الصحوة وبعثت الأقارب يقول عن رفيق دربه أبو جرة سلطاني: "الشيخ أبو جرة خسرت الساحة الدعوية والفكرية والثقافية وكسياسي أيضا لأنّ هناك فرقا بين

¹ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، 70.

السياسة كعلم قائم بذاته على قواعد علمية ورؤى إستراتيجية ودراسات مستقبلية، وبين السياسة الظرفية التي لا يحددها هذا العلم وإنما قائمة على المصالح الظرفية وهي التي لا أرتضيها له"¹.

إنّ تسييس الإسلام جريمة في نظر الرفاعي "جرمتمنا المشتركة أننا وقعنا جميعا في خطأ تسييس الإسلام وتحزيب الصحوة فنتج عن ذلك فساد في التصور وتزييف للمفاهيم وصارت الوصاية السياسية والأساليب الإدارية مهيمنة على الدين والدعوة وبأسطة سلطانها على حياة الناس ولغتهم وفكرهم وطرق عيشهم"².

إنّ الخطاب الدعوي الإسلامي في أصله خطاب مبشر وهادي إلى الحقّ يستوعب الجميع، بينما الحزبية صارت عند بعض الناس غاية بدلا أن تكون وسيلة، لما حزّب الناس أنفسهم وتحزّبوا لأحزابهم ونبذوا الأحزاب الأخرى، وصار هناك صراع حتى على مستوى المساجد والمنابر باسم الحزبية، هذا الأمر هو الذي جعل أحمد الرفاعي يتشاءم ويعبر عن هذا التشاؤم في مقالات كثيرة ومحاضرات، وتوقف في تلك الفترة أكثر من سنة ولم يدرس في أي مسجد فهو يرى أن جهد سنوات كثيرة من الجهد المشترك باسم الصحوة قد تمّ تقويضها ونثرها فجأة باسم حزبيات ضيقة كان يرى -رحمه الله- أنّها لا توصل إلى مرضاة الله تعالى³.

¹ الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية. مرجع سابق.

³ ينظر: المرجع نفسه.

المبحث الرابع: جماعة المسلمين.

يشغل موضوع تكوين جماعة المسلمين حيزاً مهماً من موضوعات وأفكار أحمد الرفاعي شرفي، ولطالما استدلل بها في كثير من الأحيان، خاصةً عندما يطرح بدائل وحلول لمشكلات الأمة المتعددة الأوجه، ويعتبرها البديل الوحيد الحالي عن نظام الخلافة الإسلامية.

المطلب الأول: مفهوم جماعة المسلمين وأدلتها.

الجماعة هي "عدد كل شيء وكثرته"¹، "والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما، إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً، أو اختياراً، وجمعها أمم"²، وبهذه المعاني جاء القرآن الكريم، وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أمّا القرآن الكريم فمنه قوله - عزّ وجلّ - : ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران. الآية: 103] وقوله: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق. الآية: 06] وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة. الآية: 71] أما السنة النبوية فمن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لحذيفة - رضي الله عنه - : « كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني... الحديث .. إلى أن قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»³. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه»⁴. فالجماعة أصل مطلوب في الإسلام⁵.

المطلب الثاني: طبيعة جماعة المسلمين

تتميز جماعة المسلمين عن بقية الجماعات والحزبيات وما عرف بين الناس من تيارات وتوجهات، خاصةً تلك التي تنتشر في أوساط حاملي ودعاة مشروع الصحوة الإسلامية، إذ هي ليست مذهبية ولا عرقية ولا سياسية ولا أيديولوجية، وعلى النقيض من كلّ ذلك فهي تدعو للوحدة والتلاحم ورأب الصدع وترميم الكسور وعلاج بقية أمراض الاختلاف، وكلّ ذلك بالرجوع إلى المعين الصافي القرآن الكريم والسنة النبوية والثقافة الشرعية الصحيحة⁶.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص54.

² الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص23.

³ صحيح مسلم الصفحة أو الرقم 1847، صحيح البخاري الصفحة أو الرقم 3606.

⁴ أخرجه أبو داود (4758)، وأحمد (21561) باختلاف يسير، وابن أبي عاصم في ((السنة)) (892) واللفظ له

⁵ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص27.

⁶ المرجع نفسه، ص28.

ويبين أحمد الرفاعي حقيقة الجماعة بتلك الصفات المميزة لها عن بقية التيارات بقوله: "إنّ جماعة المسلمين ليست حزبا سياسيا ولا تنظيما نقائيا ولا تيارات إيديولوجيا، يهدف إلى تأسيس نظام سياسي جديد، كلّ ذلك غير صحيح، وليس من مبدإ الجماعة المتمثل في تحرير طاقات الإنسان المسلم وتحريكها في الواقع الاجتماعي من غير وصاية إدارية أو سياسية أو غير ذلك، غير وصاية واحدة فقط هي الوصاية الإيمانية وما يتمثل فيها من ولاية المسلم للمسلم، ومن معاني الأخوة الإيمانية وما تقتضيه من التكافل والتعاون بين المسلمين بحكم وحدة العقيدة."¹

وفي شأن الجماعة يقول ابن باديس: "جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينيّة والأدبية، و يصدرون عن مشاور فيما فيه خير وصلاح، فعل الأمة الإسلامية جميعا أن تسعى لتكوين هذه الجماعة من أنفسها"².

كما يستخلص أحمد الرفاعي أنّ جماعة المسلمين بهذا المنظور هي إطار إيماني واسع يضمّ بين صفوفه كل من آمن بالله الكريم وهذا الإطار له أبعاد خاصة البعد الاجتماعي حيث تتجلى العلاقات الاجتماعية الشاملة بين جماعة المؤمنين وهي الأخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 10] وأما عددها فهي تتكون بدءا من مسلمين اثنين فأكثر إلى ما يضم كلّ مسلم ومسلمة على وجه الأرض³. ولعل الرفاعي استنتج هذه الأهمية من الزواوي نفسه حيث يقول في كتابه جماعة المسلمين: "مبدأ جماعة المسلمين أصل كبير في الإسلام غفل عنه المسلمون"⁴.

ويرى أحمد الرفاعي في موضوع مكانة جماعة المسلمين وما ينبغي فعله، هو تفعيلها حتى تستعيد دورها الريادي، وعليه فهي ليست في حاجة إلى تكوين من الأساس، يوضح هذه المسألة فيقول: "إنّ عبارة "تكوين" لا تعني تأسيس أو تشكيل هيئة أو حزب أو تيار أو غير ذلك من معاني التكوين، وإنّما تعني بوضوح: تفعيل وتطبيق الإيمان بعقيدة الإسلام وعبادة الله تبارك وتعالى بطاعته وطاعة رسوله، وذلك ما يعني أنّ كلّ مؤمن ومؤمنة عضو طبيعي في جماعة المسلمين ذلك أنّ جماعة المسلمين كما قال الإمام الزواوي -رحمه الله- موجودة في الواقع ولكنها لا تعمل، ولا تؤدي الوظائف الإيمانية الواجبة عليها بحكم الإيمان"⁵.

¹ المرجع السابق، الصفحة نفسها..

² عبد الحميد بن باديس، مجلة الشهاب، مج14، ج2، بتاريخ: 14/05/1938م، ص61.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص28.

⁴ أو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين، د ط، منشورات الحبر، الجزائر، 2006م، ص25.

⁵ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص40.

ومما تتميز به الجماعة أيضا أنها جماعة حرّة ومستقلة وتحظى بالسيادة، لا يمكن أن تتأثر بتدخل الحاكم ولا بالآراء السياسية ولا المصلحية، كما لا تتدخل فيها الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية، وليست في منافسة مع أحد للوصول إلى السلطة بالطرق المشروعة أو غير المشروعة، إنما هي جماعة تركز على الجانب الإيماني الخالص، لتصنع به المواطن الصالح الذي يقوم بوظيفة الإعمار متمثلة في البناء والتشييد، وتعيّن الأئمة الذين يصلون بالناس وتتولى شؤون المسلمين¹.

لقد حاولت تيارت مختلفة إحداث التغيير لكنها وقعت في الأخير في خطأ فادح يتمثل في الرغبة الجارحة للوصول إلى السلطة اعتقادا منهم أنّها الوسيلة الأفضل للتغيير، لكن الأمر تحول إلى منافسة مع الأنظمة على الحكم، والحقيقة أنّ السلطة لا تغير فهي تسير الواقع بخيره وشرّه، والذي يغير هو الوعي هو ثمرة جهد إيماني ودعوي متراكم لإصلاح المجتمع، وبتشكيل جماعة المسلمين يكون العمل منظما ومؤثرا وقائما على التشاور مما يضمن له السلامة والأمان، والمجتمع والجماعة وبالجهد الإيماني والدعوي يمكن تجاوز عوائق الواقع وهي بداية تشكل نقطة صحيحة ينبغي عدم إهدارها².

المطلب الثالث: حكم تشكيل جماعة المسلمين والانتماء إليها.

إنّ الموروث السابق للأمة الإسلامية فيه الكثير مما يُردّ خاصة ما تعلق بالانقسامات والصراعات وما حدث من تسييس للدين وما تلاه من إضعاف لروح الدين في النفوس، هذا الوضع لا يجب أن يستمر، هكذا رأى المخلصون من أبناء هذه الأمة المعطاءة، وأمة الشهادة والقيادة والخيرية التي امتدحها الله يجب أن تخرج من تلك الدائرة التعيسة، وبرأي أحمد الرفاعي لا يمكن أن يتحقق ذلك ولا يتحقق تجديد الإيمان ما لم تتشكل جماعة المسلمين وتباشر عملها الميداني بعيدة عن كلّ وصاية وانتماء حزبي أو تموقع مذهبي أو عرقي، يقول: "إنّ جماعة المسلمين هي الصورة الصحيحة لإسلام القرآن والسنة والخروج عنها أو إهمال تشكيلها ردّة بدون شك. إذ هي ولية أمر المسلمين في حال غياب نظامهم السياسي الشورى، وطاعتها طاعة الله ورسوله، ومعصيتها معصية الله ورسوله بنصوص القرآن والسنة، وإعادة بناء جماعة المسلمين هو واجب الظرف العيني على كل مسلم ومسلمة"³.

وقد بيّن أبو يعلى الزواوي في كتابه جماعة المسلمين على أنّه يجب على المسلمين كل المسلمين إقامة جماعة المسلمين⁴، ومما قاله أبو يعلى في هذا الشأن: "وترك الإسلام لولا جماعة المسلمين، آخر منزع

¹ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 65.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 88.

⁴ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

بقي في قوس المسلمين، فإذا لم يعملوا بها فهم كما تقدم فقد خلعوا ريقه الإسلام من أعناقهم والعياذ بالله¹.

وفي ظل غياب خليفة للمسلمين على الساحة الدولية فإنه يمكن اعتبار جماعة المسلمين كيان بديل عن الخلافة، وهي إطار إيماني لكلّ المسلمين الحقّ في أن يكون فردا فيها، ليست تمثل حزبا ولا مذهباً ولا تياراً ولا نقابة، غايتها تشكيل نظام إسلامي اجتماعي واقتصادي وتربوي وتعليمي شامل، مرجعيتها القرآن والسنة وإحياء السلطة الإيمانية، وعن الانتماء إليها يقول أحمد الرفاعي: "إنّ العضوية في جماعة المسلمين حقّ ثابت لكلّ مسلم ومسلمة عابد لله - عزّ وجلّ- عامل بالقرآن والسنة، فلا شرط فيها لشهادة علمية، أو أقدمية، ولا لسن معين، أو مذهب، أو تيار، أو حزب، أو دولة، أو عرف، فكل ذلك لا قيمة له، القيمة الوحيدة للعضوية هي التي حددها الله - عزّ وجلّ- بقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [سورة الحجرات. الآية: 13]"².

إنّ الاعتبار مأمور به شرعاً، وقد تكرر في القرآن الكريم كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر. الآية: 02] ومن الاعتبار العمل على إعادة هياكل ومكانة وتفصيل (جماعة المسلمين) فالمسلمون اليوم في دوامة من الضياع والتهيه وقد ذاقوا عبر عقود بل قرون أصنافاً شتى من الهوان والذلّ والعذاب والقهر والفساد بشتى أنواعه، فحتى لا تتكرر المآسي التاريخية وحتى لا يلدغ المسلمون مرات ومرات من نفس الجحور، وحتى يخرج المؤمنون من الحلقات المفرغة واجترار الأخطاء لا بدّ من إعادة تكوين جماعة المسلمين كضمان لكلّ ذلك³.

ورعاية الشأن الإيماني من أهم العبادات وأيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتلك عبادات لا تتم إلا بوجود جماعة المسلمين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب حسب قواعد الفقهاء، ومن هذا المنطلق رأى الرفاعي أيضاً وجوب تشكيل جماعة المسلمين "إنّ إقامة كيان الجماعة الإسلامية ضرورة حضارية قصوى، وألوية أساسية يقتضيها ما يشاهد في الواقع من تقصير أنظمة الحكم في الشأن الإيماني عامّة، ثمّ تزايد المناكر والمفاسد، وإهمال عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلّ ذلك يوجب على كلّ مؤمن ومؤمنة أن يبذل الجهد الممكن لإقامة الكيان الإيماني الضروري لعبادة الله - عزّ وجلّ-"⁴.

¹ أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 40.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 65.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 54.

⁴ المرجع السابق، ص 57.

وانطلاقاً من هذه القاعدة الفقهية يعتبر أحمد الرفاعي أنّ جماعة المسلمين واجبة التكوين والتفعيل. يقول: "تشكيل جماعة المسلمين فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة لما يتوقف على وجودها من واجبات إيمانية شرعية مثل: الأذان للصلاة، إمامة المصلين، صلاة الجماعة، تنصيب الخليفة"¹.

إنّ جماعة المسلمين هيكل يضم كلّ المسلمين في صفوفها وعدم الانضمام إليها قد يخرج صاحبة من دائرة المسلمين الواسعة - حسب ما أورده الرفاعي عن أبي يعلى الزواوي - فالأمر ليس مثل الانتماء للأحزاب والجمعيات والنقابات من شاء انتمى ومن شاء تأخر.

يوضح ذلك قائلاً: "إنّ عدم الانضمام إليها يعني الشرك بالله أو الكفر به وبرسالة نبيه - صلى الله عليه وسلم - أو الردّة عن الإسلام، فالإسلام والإيمان هو أن يكون المسلم أو المسلمة أحد أفراد الأمة الإسلامية ويقوم بكلّ ما يوجبه عليه الإسلام من واجبات: صلاة، صيام، زكاة صوم، أمر بالمعروف، نهي عن المنكر.. والمنظم إلى الجماعة شكلياً دون أداء واجبات المسلم نحو ربّه وأمته منافق ولا شك، ويصدق عليه قول الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الفتح. الآية: 11]².

إنّ الاعتبار بما حدث للمسلمين في تاريخهم من فرقة واختلافات وتصدعات ثمّ تفكك الدولة الإسلامية الواحدة إلى دويلات مختلفة ومتناثرة، ثمّ ضياع الكثير من البلاد واحتلالها من طرف مستعمرين وغزاة، وما أدى إليه كلّ ذلك من عجز وضعف وهوان، وبالنظر أيضاً إلى أوضاع المسلمين الحالية وفشل كلّ المحاولات الإصلاحية هذه الأسباب وغيرها تدعو بالحاح وبضرورة قصوى للتعجيل في إعادة هيكل جماعة المسلمين التي تتجاوز الإطار الوطني الضيق لتشمل جميع الأقطار الإسلامية، وتضع كلّ المسلمين فرداً فرداً أمام مسؤولياتهم الذاتية عن الدين أمام الله تعالى وأمام المجتمع³.

المطلب الرابع: أهمية جماعة المسلمين.

بعد إلغاء الخلافة الإسلامية وقد توزّع المسلمون في مشارق الرض ومغارها بلا رأس يجمعهم ولا كيان يضمهم، كان من الواجب البحث عن ما يجمع شمل المسلمين ويعيد الكيان الواحد للوجود، ومن هذا المنطلق طرح أبو يعلى الزواوي فكرته، يقول أحمد الرفاعي أنّه لم يسمعه أحد ولم يجبه مجيب فالمسلمين حينئذ جثّة بلا روح، وبعد فترة أجابه عبد الحميد بن باديس في مقال مفصل بعنوان: الخلافة أم جماعة المسلمين، وكان الحديث في المشرق عن الخلافة ولكن بمفهومها المتغير أيّ السياسي وليس

¹ المرجع السابق، ص 28.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 40.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

الأصلي، وما وصل إليه ابن باديس نفسه ما وصل إليه أبو يعلى من أنه يجب على كل المسلمين العمل والسعي لتشكيل جماعة المسلمين فهي التي تسهر على تطبيق شرع الله وتنفيذ الحدود وتقييم العمران وقبلها بناء المواطن الصالح¹.

يرى الرفاعي أنّ مشروع جماعة المسلمين هي الحلّ الأمثل لواقع المسلمين خاصة في أزمة الاختلاف المتصاعد والانقسامات التي تشكّل المشهد العام للمسلمين، يقول أحمد الرفاعي موضحاً موقفه من جماعة المسلمين التي طرحها أبو يعلى الزواوي: "أعتقد أنّ فكرة جماعة المسلمين فكرة قيّمة وعظيمة لم يسبق طرحها كحلّ لواقع المسلمين وما يعاني منه من شروخ وجروح، وأنّ أهميتها بدأت تتضح لعدد متزايد من علماء المسلمين ومفكريهم، كما يبدو ذلك من العناوين التي سبقت الإشارة إليها، وذلك ما يدعو إلى تجديد العناية بالفكرة ونشرها، وتحديد الدعوة لعلماء المسلمين للنظر في مبدأ "جماعة المسلمين" وتقويمه، وتقدير صلاحيته كمنهج لعلاج ظاهرة التفكك والخلافات والانقسامات التي دمرت كيان المسلمين ومنذ قرون وإيقاف تداعيات التفكك، والشروع في إعادة بناء الكيان الإسلامي ومداواة الجراح"².

ومع السهاد الطويل والانسداد الكبير، لا بد من البحث عن سبيل للارتقاء والخروج من بوتقة الوضع البائس، يرى أحمد الرفاعي "أنّ إعادة بناء الجماعة هو فجر هذه الأمة الصادق المخرر لطاقاتها والمبشر لها بالخير واليمن والبركة"³.

إنّ جماعة المسلمين ليست فكرة نظرية، وإنما هي ممارسة ميدانية لقناعة إيمانية راسخة تتمثل في رفض المجتمع للظلم والفساد والجمود والفرقة، وهي أدوات الأنظمة الفاسدة وبدل ذلك الإيمان بالحرية والعدل والأخوة والتعاون ونبد الموروث الفاسد، والوفاد الفاجر، وبعث عهد جديد تنبع قيمه من القرآن السنة من غير تسييس ولا مذهبية ولا وصاية وإنما تنبع من الكيان الإسلامي ذاته (القرآن والسنة)، ذلك هو العهد الجديد الذي ينبغي على المسلمين تجاوز بناؤه وتجاوز عقباته⁴.

وتستمد فكرة جماعة المسلمين أهميتها من كونها تتمثل في الحل والعلاج والدواء لكارثة التفكك الذي عانت منه الأمة فترة طويلة من تاريخها بسبب إلغاء نظام الشورى وما انجر عنه من ظلم وفرقة وانحراف وفساد عظيم⁵.

¹ ينظر: الصداق سلامية، حوار مع أحمد الرفاعي شرقي، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص18.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص36.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص88.

⁵ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص29.

ولم يكن العالم الإسلامي وحده يعيش تلك الأزمات، فقد كانت مجتمعات كثيرة تعاني هي الأخرى، والأزمة الفكر والأخلاق كانت عالمية قد مسّت الإنسانية جمعاء ورغم ظهور حركات إصلاح وتحديد على غرار الليبرالية والشيوعية، والصهيونية، والصليبية، والمجوسية وقد فشلت جميعها في إيجاد حلول، الأمر الذي يجعل من جماعة المسلمين انطلاقا من مبادئ الإسلام السمحة أن تكون هي البديل الرباني حيث العدالة والحقوق مكفولة للجميع ولا فرق سوى بالتقوى والعمل الصالح¹.

إنّ جماعة المسلمين يمكن أن تكون بديلا ليس لواقع المسلمين السيء فقط بل للإنسانية جمعاء وعليه لا بد من النظر إليها من الناحية الشرعية والواقعية وليس مهما تحديد زمن لتنفيذ كافة المخططات، يقول أحمد الرفاعي موضحا ذلك: "في إطار الاعتبار الواجب شرعا، هي الدواء، وهي طليعة التغيير والتطور للأمة الإسلامية كلّها وإن اقتضى ذلك عقودا بل ربما قرونا، فالزمن لا يهم كثيرا، المهم أن يتحقق التطور والتغيير من سيء إلى حسن ومن أحسن إلى أحسن فهذا هو واجب الجماعة، وفي هذا الإطار أيضا تلتقي مصلحة الأمة الإسلامية بالإنسانية كلّها، ذلك أنّ ما تعاني منه الإنسانية عامة عجزت كلّ التجارب عن إصلاحه أو تغييره"².

المطلب الخامس: مهام وواجبات جماعة المسلمين.

ينتظر من جماعة المسلمين أن تحمل أعباء كثيرة، ويتوقع منها أدوار عظيمة فهي التي تمثل الكيان الإيماني للإنسان المسلم وهي من تنفذ التضامن والعدل والتوادد بين المسلمين، وهي من تشكل القوّة والمنعة وتحفظ بيضة المسلمين وتفرض على الغير احترامهم.

ويتمثل دور هذه الجماعة حسب ما جاء في كتاب الزواوي عدة مهام ذات أهمية، فهي من تختار الخليفة ما أمكنها ذلك أو تنوب عنه، وهي من تختار الأئمة للصلاة، وهي من تعين القضاة وجماعة الحسبة، ولهم الحق في عزل الأئمة والقضاة والخليفة عند لزوم الضرورة³.

ومن الواجبات الملحة التي تنفذها الجماعة إعادة اكتشاف المسلمين لأنفسهم اكتشاف الذات واكتشاف الدافع واكتشاف الواجب واكتشاف الحق، ومع كلّ ذلك يجب اكتشاف المسؤولية أمام الله - عزّ وجلّ- وأمام التاريخ، فتلك هي حوافز الإبداع البشري، وهي كلّها في متناول المسلمين، وبخاصة في متناول الجماعة التي آن لفجرها الصادق أن ينبثق لينير للبشرية طريق الخير كما حدده القرآن⁴.

¹ المرجع السابق، ص78.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص78.

³ ينظر: أبو يعلى الزواوي، جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص35.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص80 بتصرف

ولجماعة المسلمين دور كبير في إحداث التغيير المنشود كما يراه أحمد الرفاعي انطلاقاً من قراءته لفكرة جماعة المسلمين للزواوي، فالتغيير لا يمكن أن تحدثه الأنظمة السياسية التي هي المحل والمناط والمرغوب في تغييره مع بقية الأوضاع السيئة للأمة، ولا يمكن أن يحدثه المجتمع وهو غارق في الفساد والانقسامات والاختلافات، ولا تغيير الأحزاب وقد اتضح إفلاسها في وقت قصير، وعليه فالحلّ في طريق جماعة المسلمين التي تتعالى أن تكون حزبا أو تياراً أو توجهاً خاصاً، وتكون لكلّ المسلمين كيان يتولى تربية أجيال المسلمين على أسس التعاون والإخاء، ويعدّهم عن كلّ خلاف وفرقة، وقد يتطلب الأمر زمناً طويلاً عقوداً أو حتى قروناً المهم أن لا تتكرر أخطاء التاريخ ولا يتكرر إجراء تلك الأخطاء¹. ويمكن لجماعة المسلمين أن تكون بديلاً عن الجمعيات والمنظمات والنقابات وهي الهياكل المستوردة من الغرب وقد أعلنت فشلها وبان عورها واتضح عدم جدواها، لأنّها تقوم على أسس غير إيمانية، وعليه فالعودة إلى فكرة جماعة المسلمين فكرة حضارية ووطنية للخروج من أزمة التفكك والجمود والصراعات العقيمة².

إنّ من أبرز مهام جماعة المسلمين القيام بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المسلمين، وذلك بتوجيه الناس للطاعة وترك المعاصي وتعليم الجاهل وتذكير الناس وترغيب المتهاون والمصر على ممارسة المنكر، ينبغي لجماعة المسلمين أن تحرّم التعامل معه في كلّ مجالات الحياة الاجتماعية للمسلمين، وكلّ تعاون معه قبل التوبة يعتبر عدواناً على حدود الله لا يقبل به أي مسلم صحيح العقيدة، كما يجب تعليمهم الوفاء بعهد الله -عزّ وجلّ- على العبادة والطاعة³.

إنّ الأمة تزخر بطاقات كثيرة وهي معطلّة للأسف، طاقات علمية وفكرية، وصناعية، ومالية، وبشرية، وغيرها.. ولذلك تجدد المحاولات الفردية التي غالباً ما تفشل وتضمحل، فالعمل الجماعي له مزايا عديدة أو يضطر للتعامل مع غير المسلمين، وعليه فلا بدّ من تدخل جماعة المسلمين ببناء شبكة علاقات اجتماعية إسلامية لبناء قوّة فكرية وعلمية تحقّق الاكتفاء، وتوقف نزيف الهجرة وتستغل الطاقات المهذورة بدل من تهريبها واستغلالها من طرف غير المسلمين⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 89.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، مرجع سابق، ص 02.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 52.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

خلاصة الفصل:

السياسة عند أحمد الرفاعي شرفي ليست كلها ممقوتة، وإنما مقصود السياسة بلا أخلاق، أو ما كان فيه استعمال الدين لأغراض سياسية أو ركوب أمواج السياسة لأغراض دينية، وهو ما كان يصطلح عليه بتسييس الدين، وبعيدا عن هذا المعنى فهو يرى السياسة في أصلها فنّ تدبير شؤون المسلمين، غير أنّ الواقع في نظر الرفاعي ومنذ حكم بني أمية والأمة ليست بخير بفعل الممارسة المشينة أو العرجاء لفعل السياسة وأخطاء الحكام عبر العصور.

تحدث أحمد الرفاعي عن نظام الحكم في الإسلام وواجباته، واعتبر أنّ الولاية هي أول جراح التاريخ بالنسبة للمسلمين بسبب الصراع عن السلطة وتحويل الحكم من خلافة راشدة إلى ملك عضود، وفصل في شروط ومهام السلطة، ولم يتجاوز دور المعارضة ومسئوليتها، وعاب عليها التنصل من تحمل مسؤولياتها، وكانت له مواقف واضحة في فعل التحزب وأثاره على الدعوة والصحة الإسلامية.

وأوضحنا هذا الفصل أيضا ما أشار إليه أحمد الرفاعي من بيان مفاهيم سياسية عدة، مبرزا الواقع السياسي المتأزم في البلاد العربية والجزائر بالخصوص، ومتحدثا بإسهاب عن قضايا الديمقراطية والشورى والوحدة والوئام، كما كان حريصا على تبني وإبراز فكرة جماعة المسلمين، والتي عبر عنها بأنها هي الحلّ الوحيد والأنسب حاليا كبديل عن الخلافة الإسلامية التي لم تعد قائمة، ويرى أنّ تشكيلها والانتماء إليها واجب، والتقيد بأوامرها يرجع الهيبة والعزة للمسلمين، وهكذا يتمّ التخلّص من الحكم القمعي التسلطي، ولا تترك الشعوب هملا بلا حكم شرعي، ومن خلال هذه المحذات والوقفات في الشأن السياسي برز لنا محتويات فصل:

المضمون السياسي وتنزيلاته الواقعية عند أحمد الرفاعي شرفي

الفصل الرابع

المضمون الفكري والحضاري

وتنزيلاته الواقعية.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضايا الفكر والحضارة عند أحمد الرفاعي.

المبحث الثاني: الإصلاح الفكري والبعث الحضاري.

المبحث الثالث: مستقبل الإسلام في ظلّ النظام.

العالمي الجديد

المبحث الرابع: التجديد والتغيير في فكر أحمد الرفاعي.

مدخل الفصل:

يعتبر الكثير من المفكرين المسلمين أنّ الأزمة الحالية التي يعيشها العالم الإسلامي أزمة فكرية حضارية بالدرجة الأولى، وأنّه لا حلّ للمسلمين دون إصلاح الفكر برؤى حضارية سننية متوافقة مع أصول الشريعة ومقاصدها.

والأمر عند أحمد الرفاعي شرفي لا يختلف كثيرا عن تلك الرؤية، فهو يرى أنّ المسلمين تعرضوا في مسيرتهم التاريخية الطويلة إلى هزات عنيفة واختلالات في مختلف مجالات الحياة أثرت على الجانب الفكري لدى المسلمين، وفي ظلّ الصراع الحضاري المحتدم لم يعد للمسلمين حضور وشهود يذكر في ساحة الأمم.

وكان هذا منطلقا أساسيا لأحمد الرفاعي شرفي في محاولاته الإصلاحية المختلفة وخاصة في مجالي الفكر والحضارة، ولإبراز مضمون هذا الفصل نطرح التساؤلات التالية: ما مفهوم الفكر الإسلامي عند أحمد الرفاعي وما ميزته وماهي مجالاته؟ وما سبب الأزمة الفكرية الحالية؟ وكيف تعامل أحمد الرفاعي مع قضايا الحضارة، وما هي منزلة المسلمين الحالية بين الأمم؟ وكيف هي سبل الانطلاق والبعث الحضاري الجديد وإصلاح الفكر؟ وكيف يرى الرجل موضوع التغيير والتجديد المنتظر من المسلمين وللمسلمين وأوضاعهم؟ تلك الأسئلة وأخرى ومن خلال الإجابة عنها يتشكّل لدينا تصوّر عام حول فصل:

المضمون الفكري والحضاري وتنزيلاته الواقعية عند أحمد الرفاعي شرفي.

المبحث الأول: قضايا الفكر والحضارة عند أحمد الرفاعي.

المطلب الأول: الفكر الإسلامي.

الفرع الأول: مميزات الفكر الإسلامي وأهميته.

يتميز الفكر الإسلامي بالعديد من الخصائص، وتلك الخصائص مستمدة من خصوصية الإسلام نفسه، وأول تلك الخصائص والمميزات الربانية إذ أنه يعتمد على مصادر التشريع من الله العلي الحكيم، ومن خصائص التشريع الشمولية والعالمية.

ومن أهم المميزات التي نشير إليها أيضا خاصيتي الوسطية والاعتدال، فالفكر الإسلامي يقف بوسطيته واعتداله وتوازنه ثابتا في الأصول، متطورا ومتغيرا في الفروع مما يعطي للحياة الإنسانية حَقَّها، ويغطي كل جوانب الحياة ويحقق الحاجات المستجدة بشكل لا يؤثر على الأصول والقواعد الأساسية ولا يتقاطع معها ففيه المرونة والقدرة على الحركة والتجاوب مع ظروف البيئات والعصور بموازنة واعتدال ووسطية جعلت الأمة بعقيدتها وفكرها الإسلامي شهيدة على الناس جميعا فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم¹.

ومما يميز به الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية أنه ينقل فكر الإنسان وعقله بطريقة سلسلة وبمبسطة وعظيمة في نفس الوقت من عالم الأسباب إلى عالم المشيئة مشيئة الله تعالى غير المحدودة بزمان ولا مكان، ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب الله تعالى، ومن ذلك خلقه سبحانه وتعالى لآدم من طين بلا أب ولا أم، وحمل مريم عليها السلام بعبسى عليه السلام بلا أب، وانفلاق البحر لموسى عليه السلام وتحول عصاه إلى ثعبان مبين وغيرها من الأمثلة الدالة على عظمته سبحانه وتعالى، وهذه المشاهد لم تكن معروفة عند الجاهليين ولا مألوفة، وبهذا يكون السعي للارتقاء بالفكر الإنساني بعيدا عن ثقافة ومعتقدات وتقاليد الجاهلية².

الفرع الثاني: مجالات الفكر.

خلافًا لما يعتقد البعض من أنّ الفكر يتضمن جوانب عقلية صرفة، فإنّ مجالات الفكر أوسع، إذ تشمل السلوك والمواقف والعلاقات سواء كانت فردية أو اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو ادارية، فهذه كلّها جوانب مهمة وضرورية يشتغل عليها الفكر. هذا بغض النظر عن التقييم والتقوم من ناحية الشمولية والعمق والسطحية أو من ناحية الالتزام والانحراف.

¹ ينظر: فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، د ت، ص58.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص27.

وبحسب أحمد الرفاعي فإنّ ما يكتبه الإنسان يصبح فكراً منطوقاً، وهو في حقيقته صورة عكسية للفكر الرمزي: "إنّ الفكر المنطوق أو المكتوب إنّما هو صورة رمزية موجزة للفكر، وظيفته التأسيس والتأصيل النظريين، ثم تأتي الأنماط الأخرى التكاملية للمدارسة والمواكبة وبذلك ينمو الفكر ويمتد ويزدهر ويتطور، وذلك ما حدث في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعهد الخلفاء الراشدين، وبذلك كان الفكر المنطوق والمكتوب يتوفر على قدر كبير جدا من المصدقية والفاعلية، لأنّه لم يوظف قط لتغطية قصور السلوك أو تناقضه مع الأصول ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف. الآية: 03] ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كان خلقه القرآن»¹.

الفرع الثالث: الأزمة الفكرية وأسبابها.

لقد ابتعد المسلمون عن منهج القرآن والسنة فحلّ بهم البؤس واليأس وهو ما كان يصفه أحمد الرفاعي بالواقع المفلس الذي لا يعكس الصورة الحقيقية للمسلمين أمّة الشهادة والريادة والقيادة، يتحدث أحمد الرفاعي عن واقع المجتمع الإسلامي وطبيعة أزمته فيقول: "المجتمع الإسلامي في حقيقته يعيش أزمة فكرية حضارية حقيقية تتمثل في كونه نظرياً مجتمعاً مسلماً وعملياً مجتمع جاهلياً. غير مسلم"².

نلاحظ في هذه الجزئية أنّ أحمد الرفاعي ومع تأثره بالواقع الإسلامي وصف المجتمع الإسلامي بالمجتمع الجاهلي البعيد عن الإسلام، والحقيقة أنّه مهما وقع بين المسلمين وفي حياتهم من مفاصد وبعد عن الشرع فإنّ التكفير وتعميم الجهل على كلّ الأفراد فيه قسوة وشدّة، ولربما تلك الأحداث هي من دفعت الرفاعي لذلك الوصف.

لقد جاء الإسلام والمجتمع الإنساني غارق في جاهلية كبيرة من مفاصد وقطع للعلاقات الاجتماعية، فكان الإسلام خير بديل عن النظام الجاهلي، ولم تمض فترة طويلة حيث ابتعد المسلمون عن شرع ربهم، فبدأت العلاقات الاجتماعية تفقد مكانتها وهيبتها وبالتالي روحها الإسلامية إلى أن وصل الصراع إلى التقاتل والنفور الشديد بين أبناء الأمة الواحدة، وهي مظاهر اصطباغ الحياة الاجتماعية للمسلمين بأصباغ الجاهلية من جديد، ومن نتائج العهد الجديد هذا غياب العدالة والحرية وقد حلّ محلّهما الظلم والاستبداد، وذلك أدخل الأمة في أزمة اجتماعية ومن خلالها جرّ إلى أزمة فكرية حادّة لم يتخلص منها المسلمون بعد³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الجماهير الإسلامية والقيادات، جريدة النور، العدد 03، الجزائر، 02 مارس 1991، ص 18.

² أحمد الرفاعي شرقي، أزمة الربيع العربي: الواقع والحقيقة والمخرج، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، ص 331.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 93.

وعن آثار تلك التغيرات والفراغات يبين أحمد الرفاعي ما أوصلت إليه الأزمة الفرد المسلم، حيث إنَّ واقعنا بات يتَّسم بسمات السلبية والضعف وفقدان الأهلية لمسؤوليات الحياة، كما حددها الإسلام من جهة، وكما تقتضيها الحياة المعاصرة من جهة أخرى، بمتطلباتها العقدية والأخلاقية والعلمية، في إطار الأسرة والمجتمع أو الساحة الإنسانية، إنَّ الفراغات السابقة جعلت الإنسان في واقعنا عبئا على نفسه وعلى أسرته وعلى وطنه وعلى الإنسانية، لأنَّه لا يعرف غير الاستهلاك الفوضوي والشهوة الفوضوية والمصلحة الذاتية الفوضوية، فأصبح لا يقدم ولا يفيد ولا ينفع¹.

وباعتقاد أحمد الرفاعي فإنَّ إشكالية واقعنا بجذورها التاريخية تعود إلى سبب وحيد وبسيط ومهم في الوقت نفسه، ويتمثل ذلك في انهيار بنية الكفر لدى عمّامة المسلمين وهذا خلل كبير، يوضح الرفاعي: "أنَّ انهيار بنية الفكر يعني بوضوح أنَّ المنهج المعرفي للمسلمين لم يعد صحيحا، يتجلى ذلك في أمر جوهري هو أننا معشر المسلمين ومنذ قرون وفي إطار انهيار بنية الفكر واختلاف المنهج المعرفي أصبحنا لا نفرق بين القضية والذات، بل أنَّ الذات صارت عندئذ بديلا عن القضية وصارت ثقافة قيما ومفاهيم تحارب بها القضية بشعارات شتى ومتطورة عبر تاريخنا"².

ويكاد يجمع الدعاة والمفكرون المسلمون على أنَّ الأزمة الفكرية واقع لا سبيل من تجاهله إلا أنَّ الاختلاف الكبير في تحديد أسبابها وسبل الخروج منها، فلكل رؤيته وزاويته يقول محمد عمارة: "واليوم لا نغالي إذا قلنا أن اجماعا يكاد أن ينعقد على أنَّ الفكر الإسلامي يعيش في أزمة وعلى أنَّ هذه الأزمة الفكرية قد أوقعت أمة هذا الفكر في مأزق حضاري، فأهل الفكر بتياراتهم المختلفة يسلمون بذلك مع اختلافهم في تحديد أسباب هذه الأزمة وفي تعيين سبل الخروج منها وواقع الأمة يشهد على ذلك حتى لدى الذين لا يتخذون من الفكر صناعه يتخصصون ويرعون فيها"³.

ويرى أحمد الرفاعي أنَّ المسلمين يتحملون جزءا كبيرا من مشاكلهم، ويرجع ذلك إلى سوء تدبيرهم الأمور وممارسة السياسة بشكل غير صحيح وتعميمها على مختلف المجالات، فالتاريخ وهو شاهد غير مدفوع يقول إنَّ المسلمين عن وعي أو غير وعي كانوا بموروثهم الفاسد -إلا من رحم الله - من أقوى وأشدَّ كتائب الاستعمار والصهيونية تدميرا لواقعهم ومصالحهم وحقوقهم، والأمر حسب الرفاعي يرجع إلى بدايات العصر الأموي فقد سيسوا وزيفوا العقيدة والعدالة والحكم والمال، وأدى ذلك إلى الخلط بين الجاهلية والإسلام، حيث صارت قيم الجاهلية بالتبرير والتزييف قيما إسلامية بقانون

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، رسالة إلى الشيخ جاب الله، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 238.

² أحمد الرفاعي شرفي الوجه الآخر لأزمتنا، جريدة النور الجديد، العدد 03، بتاريخ 24 فيفري 2001 العدد ص 05.

³ محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر دار الشرق الأوسط، د. ط، القاهرة 1992، ص 07.

السيف وصار الدين بقانون السيف إما خوارج أو شيعة أو زنادقة أو ملحدين، كل ذلك أدى إلى التيه الحضاري، ومنذ ذلك الحين، وكل ذلك أسقط النظامين الأموي والعباسي، وأخرج المسلمين من الأندلس وأضاع فلسطين ثم بغداد، وأفغانستان والصومال والقائمة مفتوحة¹.

ومهما حدث للأمم من نكبات وأزمات وإرادة التغيير عقيدة عند المسلمين ولا يدوم هذا الحال، فوعد الله حقيق بالتجسيد والمؤمنون مأمورون مع التوكل على الله بتقديم سنن النصر والتمكين.

المطلب الثاني: الحضارة الإسلامية.

الفرع الأول: مفهوم الحضارة.

عرّفت الحضارة بتعاريف مختلفة ومتنوعة، ومن ذلك: الحضارة ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء كانت الثمرة مادية أم معنوية²، ومنهم من يراها تتجسد في النتائج والإنجازات التي تحققت للبشرية عبر مرور الزمن أو تحققها البشرية من أخلاق وسلوكات ومعارف وفنون³.

والحضارة تعني عند مفكرين آخرين مجموعة الظواهر المعبرة عن أنشطة البشر في مجتمع أو عدّة مجتمعات مع الطوابع الغالبة التي تكتسبها أصالتها أي تجمع، وتبرز العطاء الكلي لإنجاز المجتمع المعنوي والمادي⁴.

وعند أحمد الرفاعي فهي وظيفة متمثلة في إيجاد أوضاع اجتماعية تتوفر فيها للإنسان حاجاته الأساسية من غذاء وعدالة وحرية وثقافة ودين ونظام اجتماعي شامل "سلطة" وغير ذلك من مقومات الحياة البشرية ومرتكزاتها الأساسية⁵.

الفرع الثاني: خصائص الحضارة الإسلامية.

الحضارة هي فعل تراكمي، ولا يمكن لشخص لوحده أو نظام سياسي بمفرده القيام بها، بل هي جهد رجال عبر أزمنة مع الأخذ بقواعد وأسس البناء الحضاري، وأولها نشر الفكر السليم والقضاء على التخلف في المجتمع، فلا يمكن قيام حضارة بفتة مثقفة في وسط مجتمع متخلف. يقول أحمد الرفاعي في بيان هذا الأمر: "وما يذكره بعض الدارسين عن منجزات الحضارة الإسلامية عامّة هو في الحقيقة جهد

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 85.

² ينظر: حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، ط 1، الكويت، 1979، ص 13.

³ ينظر: أحمد شليبي، الحضارة الإسلامية، ج 1، د ط، دار النهضة المصرية، القاهرة - مصر، 1982م، ص 20.

⁴ ينظر: ياسين خليل، المفهوم الحضاري للتراث العربي، مجلة آفاق عربية، العدد 08، بغداد - العراق، 1976.

⁵ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 93.

يعبر عن التواصل الحضاري بين الأجيال والأمم أكثر ممّا يعبر عن إنجاز الأنظمة الفاسدة، لكون الحضارة عامّة شأن اجتماعي وإنساني أولاً وقبل كلّ شيء، ووجود فرد أو فئة متحضرة في وسط اجتماعي متخلف لا يغيّر من الواقع الاجتماعي شيئاً وذلك ما ينطبق على مسيرة الحضارة الإسلامية¹.

ويرجع أحمد الرفاعي قضية التخلف الحضاري إلى بدايات العهد الأموي، يقول الرفاعي في هذا المجال: "التخلف الحضاري في واقع المسلمين الاجتماعي تعود جذوره إلى أوائل العصر الأموي الذي كان في الحقيقة عصر بداية الانحراف عن الإسلام، وعبر التاريخ تعمق التناقض بين الواقع والحقيقة حيث صار المنحرف هو كلّ شيء، والحقيقة لا تكاد تتجاوز قلة من الأتقياء، وكلّ ذلك أدى إلى تفكك المجتمع ثمّ الدولة ثمّ مرحلة الاستعمار"².

ومن هذا المنطلق كان لزاماً على المسلمين الإسراع في بناء صرح حضارتهم لاستعادة مجدهم، دون تقليداً للغرب ولا تفريطاً في الماضي الجيد ودون المبالغة في جلد الذات وتحميل المسلمين كلّ الأخطاء ودون سياسة التبرير، ومطلوب حضارياً من المسلمين اليوم وقبل الغد أن يعملوا على بناء حضارتهم ونمط حياتهم المتميز من جديد حسب حاجاتهم التي تحددها خصائصهم العقديّة واللغوية والثقافية، وأنّ حضارة غيرهم لا تحلّ لهم أيّ مشكل، ودورها لا يتجاوز الاعتبار التجاري. أمّا أسرار الحضارات والصناعات والإبداعات فهي جوانب غير قابلة للتسويق ولا للتزييف كما يتوهم قادة المسلمين المتأثرين بقيم ومفاهيم التبعية والتبرير، لأنّ الحضارة بكلّ جوانبها ومظاهرها: إبداع اجتماعي ذاتي وليست تقليداً للغير³.

ولم تكن الحضارة الإسلامية مجافية ولا مقاطعة لبقية الحضارات والأمم والشعوب أو محصورة عند قوم أو فئة، بل إنّ حضارة الإسلام ربانية فطرية إنسانية، يجب على المسلمين إبلاغ هذه الحضارة ونشرها خاصة في زمن الفضاءات المفتوحة والقنوات والتكنولوجيا الرقمية.

والواجب أن تكون الصحوّة الإسلامية المنشودة في جوهرها صحوّة حضارية شاملة للمسلمين وللإنسانية جمعاء، وذلك بفضل خصائصها المستمدة من خصائص الإسلام مثل الربانية والعالمية والشمولية، وبالتالي فهي تنطلق من مفاهيم اعتقادية وقيم إنسانية مستمدة من وحي الله تعالى خالق كلّ النّاس وإله كلّ النّاس لجميع النّاس في كلّ الأوقات، وعليه فمن الضروري تصحيح رؤية النّاس مسلمهم

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 94.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ ينظر: المرجع السابق، ص 95.

وكافرهم إلى حقيقة الإسلام (القرآن والسنة) وليس بالنظر إلى المسلمين، فالمسلمون أخطاؤهم كثيرة وزلاتهم لا تعكس حقيقة وجوه الإسلام العظيم¹.

وتبقى حضارة الإسلام حضارة عالمية الرسالة غير محصورة في جنس أو لون أو زمان أو مكان، وهي حضارة تسعى لتكوين مجتمع عالمي تسوده الحرية الإنسانية والعدل لا هيمنة فيه ولا استعلاء، فمبادئ الإسلام ترفض ذلك².

وهكذا كان أحمد الرفاعي يرى أنّ حضارة الإسلام في أصلها حضارية إنسانية، وأنّه يجب على المسلمين إبراز هذه الحضارة لتكوين البديل. يقول أحمد الرفاعي في بيان حقيقة الحضارة وواجب المسلمين: "إنّ حضارة الإسلام ليست حضارة تسلّط واستعمار واستغلال، وإتّما هي حضارة دعوة واحدة إنسانية صادقة لا زيف فيها يدل على أنّ الإسلام ما تزال قيمه (القرآن والسنة) تستقطب أهل الرأي والعلم من غير المسلمين، لكنّ هذا الجانب المميز مهدد بخطر التلوث بأمراض الحضارات غير الإسلامية ومفاسدها السياسية وغيرها. وإذا لم يبادر المسلمون إلى إبراز مشروعهم الحضاري المتميز، واكتفوا بعلاقات التبعية لغيرهم فإنّهم سينتهون إلى أن يكونوا نسخة مشوهة من الحضارة الغربية، في مفاسدها وانحرافها وتلك خيانة كبرى لله ورسوله"³.

ويظهر جليا لكلّ ذي عقل حصيف أنّ الحضارة ليست سلعة يمكن اقتناؤها أو سلوكا بشريا يمكن تقليده، بل هي وعي وسلوك وفكر ينشأ حسب حاجات الناس وميولاتهم، فما يأتي من الخارج لا يمكن أن يكون حلاً.

الفرع الثالث: الأزمة الحضارية وآثارها.

إنّ الأزمت التي تعيشها الإنسانية قاطبة ومنها الأمة الإسلامية هي أزمة حضارية عميقة، وذلك بعجز أنظمة الفساد عن إيجاد حلول لقضايا الإنسان ومشكلاته المتراكمة والمتكاثرة زما بعد زمن، فهذه حروب ومعارك وأزمات اجتماعية واقتصادية وتربوية وأزمة قيم وأخلاق لم يجد لها العالم حلولاً بعد، فما زالت قضية فلسطين عالقة، وما زالت قضية الغذاء العالمي والأمن العالمي شاهدة، وهذه كلّها علامات وإرهاصات على الفراغ الكبير في القيم والمفاهيم والقصور الواضح في فهم ومسار الأحداث وغياب

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص83.

² ينظر: عطية محمد عطية، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ونظمها، ط 1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان -

الأردن، 2011م، ص34.

³ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص83.

القراءة الانسانية الصحيحة للأحداث، هذا كلّه يتطلب عهدا جديدا بقيم جديدة ووسائل ورؤى جديدة أيضا¹.

وبالنسبة للأمة الإسلامية فإنّ جراحها غائرة ممتدة في عمق التاريخ، فقد انهارت قطع كبيرة من أجزاء الدول الإسلامية ولم تتحرك الأمة، وليس قليلا ما حدث من ضياع بغداد وقبلها فلسطين وقبلها الأندلس ومن بعدها سقوط الأنظمة في أيدي المستعمرين الواحد تلو الآخر، كلّ ذلك حسب أحمد الرفاعي شرفي فإنّه يرجع إلى السلبية الفردية والاجتماعية الناشئة عن قيم غير صحيحة، والتي أوصلت بدورها إلى فراغ كبير وانعدام العلاقة بين المجتمع والسلطة منذ عهد بني أمية وإلى اليوم².

ويبيّن الرفاعي العلاقة بين الاستقلال الحضاري والاستقلال السياسي: "إنّ الاستقلال الحضاري كما سبق القول هو روح الاستقلال السياسي وبدونه يتحول الاستقلال السياسي إلى إجراء إداري يحقق مصالح المتبوع أكثر مما يخدم مصالح التابع كما يتبيّن ذلك من خلال التاريخ والواقع، وكلّ ذلك لا ينفصل عن صراع الأنظمة والمجتمعات. ذلك أنّ التبعية الحضارية تجسد الإرادة السياسية للأنظمة الفاسدة، ولا تجسد المصلحة الاجتماعية الوطنية. لذلك صارت التبعية الحضارية من وسائل الأنظمة القهرية الفاسدة"³.

إنّ واقعنا الحضاري المعاصر يثبت بالحجة واليقين أنّ العلاقات الحضارية غير المتوازنة ولا المتكافئة قد استغلت لصالح أنظمة الحكم في العالم الإسلامي والتي غلب عليها الفساد والاستبداد استغلت ظروف الأمة القاسية وراحت تستورد الحلول الحضارية المادية منها والفكرية على أنّها إنجازات عظمى، حدث هذا على حساب المصالح الوطنية الاجتماعية وتجلّى الأمر في صور فضيعة منها ارتفاع حجم المديونية المتأتية عن التكاليف الباهضة للمشاريع التنموية وأغلب الأموال تضيع بين الفساد والرشوة والمحسوبية مع بقاء المستوى المعيشي للمواطن متدنيا للغاية، ومن الصور أيضا تزايد الفقر والبطالة ومن خلالها توسّعت دائرة الفساد واتساع الأزمات السياسية وغيرها، وهذا كلّه نتاج التبعية الحضارية وما جنته على الأمة بالوبال والخسران، ولم ينتفع منها إلا القائلين على تسيير الأنظمة الفاسدة والمستبدة لوحدهم⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 108.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 67.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 98.

⁴ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

واستغلال الأنظمة المستبدة للعلاقات الحضارية غير المتوازنة بات ظاهراً غير خاف في الجوانب الإيديولوجية والسياسية، والجوانب التجارية والمالية والاقتصادية والثقافية، بحيث تمّ استغلالها جميعاً كأداة إبداع متميز وصنيع فريد، وما هي إلا أفكار مستوردة وإنجازات غيرنا هذا في مقابل وضع المزيد من العوائق والعراقيل والموانع التي حالت وتحوّل دوماً دون الارتقاء الحضاري وبعث الدورة الحضارية من جديد، لتبقى الأمة تراوح مكانها في التخلف والتبعية واضمحلال الشخصية الإسلامية.

والمشهد الماثل للعيان هو التخلف الحضاري والمتمثل في الافتقار الكلي إلى المفاهيم والقيم الصحيحة في حياتنا الاجتماعية جعل الموروث الفاسد وكأنّه هو الأصل فساد أمر التبرير والجمود لكلّ الأفعال الفاسدة، وفي المقابل كلّ نقد ومعارضة لتلك السلوكات الخاطئة يدخل في دائرة الكفر والزندقة والمحذور، ويصنّف الراغب في كلّ تغيير في دائرة الخيانة العظمى للأمة والتاريخ، وكلّ ذلك إنّما كرسّ الفساد وأصبغ عليه الشرعية، وأمر التخلف الحضاري مثل أمر الخلافات والنزعات والفساد في تعطيل كلّ عملية تغيير أو إصلاح¹.

المطلب الثالث: التبعية الحضارية

الفرع الأول: مفهوم التبعية الحضارية ومجالاتها

يعرف أحمد الرفاعي التبعية على أنّها وسيلة معيقة للتطور والتقدم وأنّها تمارس فرض الوصاية على الشعوب والأمم: "التبعية الحضارية في جوهرها تعني تجميد طاقة المجتمع وإعاقتها عن وظيفة الإبداع والتطور، وإجبارها على تقبل نمط حياتي استهلاكي لا يراعي خصوصيات التابع ولا مميزاته ولا مصالحه، وإنّما يراعي مصالح المتنوع وحده، وذلك ما يحوّل له التحكم التام في واقع الحياة، فهو الذي يحدد للناس ما يأكلون أو يلبسون أو يسكنون أو يتعلمون، أو يفكرون، وذلك ما يجعل التبعية الحضارية نوعاً من الوصاية الفكرية على المجتمعات غايتها فرض الجمود، والتخلف على المجتمعات وتكريس فرص التطور والتقدم والريادة لقادة الحضارة وحدهم دون غيرهم"².

ويعتقد البعض أنّ التبعية إنّما تكون في الجانب الاقتصادي أو في الجوانب الاجتماعية فقط والحقيقة أنّها في جميع المجالات، خاصة منها الثقافية والتربوية والفكرية، يقول أحمد الرفاعي في بيان قضية التبعية ومجالاتها: "التبعية الحضارية ليست قضية اقتصادية أو سياسية أو مالية أو تجارية فحسب، وإنّما

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 94.

² المرجع السابق، ص 97.

هي قضية فكرية وثقافية وتربوية وحضارية ذات جوانب وأبعاد ومظاهر اقتصادية واجتماعية مهمة، وذلك ما يجعل العناية بها أولوية أساسية من أولويات التغيير¹.

الفرع الثاني: أسباب التبعية.

يُعد النظام الاجتماعي المعطل للإرادة الاجتماعية الحرة في كلِّ مجالات الحياة نتيجة طبيعية لتوقف الحركة الاجتماعية عن التطور والإبداع الذاتي وتلاشي الخصوصيات والمميزات للأمة، وقد حلَّ محلَّها التقليد والتواكل، وغياب الفكر بكلِّ أشكاله وتعطيله بدرجة كبيرة حتى وصل إلى مرحلة الجمود. هذا الوضع جعل الأنظمة تعتمد الإرادة السياسية وحدها المتحكمة في الأمة تسييرا وتدبيراً وحكماً وقيادة وتوجيهاً بدلاً عن المجتمع برمته، فكان التراجع وكان أداء الأمة دون التفاعل الحضاري المرجو وبقيت مظاهر استيراد الحضارة بادية، وهو في الحقيقة انحسار حضاري شمل الجوانب العلمية والتقنية والمادية والتجارية وأيضاً الفكرية وفي مجمله أحدث تبعية حضارية مقبلة بكلِّ قيودها وتبعاتها وتداعياتها المستقبلية².

ولا شك أنَّ الدراسة المعمّقة بفكر ثاقب وعقل متدبر تمكّن المسلمين من وضع اليد على الجرح ومعرفة مكمّن الداء الذي عطّل المسيرة الحضارية للأمة، كلِّ ذلك خير من سياسة التبرير التي لم تزد المسلمين إلا رجعية وتخلفاً. يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ أخطاء المسلمين لا تبرر إقصاءهم من الساحة الحضارية المعاصرة، وما يبرر ذلك إنّما هو تكريس الأخطاء والتبرير وعدم الاعتبار، فهل يعي المسلمون الدرس ويعتبروا ممّا حدث؟ ويعتبروا ممّا حدث في واقعهم؟ إنّ الله - عزّ وجلّ - بيّن أنّ المؤمنين بحسب سنن الله سيحدث لهم ما حدث من الأمم السابقة من الانحراف والردّة والعودة إلى الجاهلية، وعندئذ يستبدل الله - عزّ وجلّ - غيرهم بقوم يجدون في واقعهم قيم العدل والإحسان والحرية والكرامة التي جاء بها الإسلام ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [سورة محمد. الآية: 38] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة. الآية: 54]، والمتمعن في الواقع الاجتماعي للمسلمين عامّة يلاحظ ظهور أكثر من مؤشر يدل على أنّ المستقبل للإسلام العلمي الحضاري المزدهر ليس في أوطان المسلمين التقليدية المكبّلة بالأغلال والغارقة في الفساد، وإنّما في بيئات إسلامية في تاريخنا وواقعنا ولكنها بتطورها العلمي الأصيل تتجه بقوة

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 97.

² ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى الإسلام، وعندما تتبين لها قيم الإسلام الربانية والإنسانية عندئذ يبدأ عصر الإسلام الثاني كما وعد الله - عزّ وجلّ-¹.

ويضاف لتلك المشكلات التي أوصلت الأمة إلى حالة من الانسداد الفكري أو الانحصار في ذاكرة التاريخ وعدم الاستفاقة بعد للوضع المؤلم الذي تمن الأمة تحت وطأته وضربات سياطه الموجعة يضاف لها شيوع النظرة المثالية والخيالية إلى قضايا الواقع بدل النظرة الواقعية المتحفظة وتلك من مظاهر الخلل في الفكر الإسلامي المعاصر، ويبدو أننا لم نستوعب بعد موقعنا الحقيقي في الساحة الدولية فكرا واقتصادا وثقافة، إننا لا نمثل شيئا، ونحن في مرحلة التبعية المطلقة المذلّة والمرهقة، والخطر من ذلك أنّ بعض المسلمين أو المحسوبين على الإسلام ما زال يفكر بقيم العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية أعني قيم الشعور بالقوة الوهمية، والتعاضم الفارغ والاستخفاف بالخصوم والتعالي الغي².

ويرفض أحمد الرفاعي تحميل المسؤولية الكاملة للمستعمر مع إعفاء الذات المسلمة من كلّ مسؤولية، وحسبه فإنّ كلّ المآسي مبتدأها المسلمون أنفسهم، فلا يكون أحد حريصا على الأمة أكثر من أفراد الأمة أنفسهم يقول في ذلك: "ومن هذا المنطلق التأسيسي الحضاري أجد نفسي مقتنعا قناعة تامة راسخة بأنّ كلّ ما قيل ويقال عن جرائم الاستعمار والصهيونية في تاريخنا المعاصر إنّما هو مجرد تبرير، وتقمص مزيف لدور الضحية، وهو الشكل الجديد للموروث المزيف، ومنذ العصر الأموي، بينما دورنا الحقيقي في جرائم الاستعمار والصهيونية هو نفس دور ملوك الطوائف في سقوط الأندلس، ونفس الدور السياسي غير المقبول للمجتمع في سقوط نظام الأمويين ونظام العباسيين في بغداد وهو في الحقيقة دور المشارك في الفساد، والخطأ والظلم اللاحق بديننا، وأمتنا، وحضارتنا، وحقّ الإنسانية علينا"³.

الفرع الثالث: مظاهر التبعية الحضارية

بقيت آثار التبعية الحضارية الصورة الأبرز للمشهد الواقعي للمسلمين، وأكثر من ذلك حينما تحوّل العدو إلى صديق حميم يقول أحمد الرفاعي: "المشهد نفسه يتكرر في عصرنا ممثلا في تطبيع المسلمين لعلاقاتهم مع مستعمرهم بالأمس القريب وجلاديهم ومصاصي دمائهم، وقاتلي أبنائهم ومخربي أوطانهم وأعداء دينهم وحضارتهم، كلّ ذلك ينسى في ظرف وجيز تتغلب في الشهوات والمصالح الخاصة على الوعي عامّة (الوطني والاجتماعي) فيصبح عدو الأمس صديقا حميما، يدين له الجميع ويعترف له

¹ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص90.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، أوراق في المستقبلات، المسلم الواعي رهان المستقبل، جريدة النور الجديد العدد18 بتاريخ 10 جوان 2001، الجزائر، ص24، بتصرف.

³ أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ص83.

بالولاء وبحقّ الوصاية على عقولهم ومصالحهم وحقوقهم ومستقبلهم، بل يصبح الولاء للمستعمر بالأمس قيمة فكرية وحضارية، وبذلك يستمر الدور الاستعماري في الوجود والتأثير رغم مظاهر الاستقلال الشكلية¹.

يضاف إلى تأثير الاستعمار، فشل الحكومات المحلية في التنمية عموماً وفي توحيه شعوبها نحو العمل والانتاج، وفي تحقيق ما تحتاجه تلك الشعوب من حقوق وكرامة، حدث هذا بعد الاستقلال الذي لم يتوج بالتغيير المأمول كما كانت تتطلع إليه الشعوب².

لقد أسهم هذا الفكر المتأزم في ظهور الإنسان السليبي المستهلك المبرر والمتغافل، يصف أحمد الرفاعي أنّ كلّ ذلك أوصّل إلى تعطيل العقل بسبب تراكمات الفساد الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي وهو الذي "أدى بالضرورة إلى ظهور الإنسان السليبي المعطل للعقل والفكر الذي لا يفقه معنى الإيثار والبناء، إنّما يدرك بحيوانيته معنى الاستهلاك فقط، وما لم يتغير المحيط لا يتغير الإنسان، والمحيط إنّما يغيره عمل تربوي دعوي علمي حضاري يتطلب أخلاقاً إسلامية عالية ونيرة كأخلاق الرواد يوم أن كان المسلمون العالم الأول وعند هذه الملاحظة تذكرت ما قرأناه عن الاستعمار والصهيونية والمؤامرات، وما قلناه نحن أيضاً، قبل أن يتبيّن لنا الأمر وبالدرس والتجارب، وتبيّن لي إنّنا معشر المسلمين لم نفهم مشكلتنا ولم نفقه منهج علاجها وتغييرها"³.

من المظاهر ضياع خيرية الأمة أنّ تاريخنا المرصع بالغزوات العظيمة والفتوحات الجليلة والأحداث الكبرى أصبح لا يذكر وكأنّه لا حدث ولا كان، في حين كلّ صور التأزم والشتات والصراع والانهيار والانبهار بالكفار حاضرة وماثلة، حيث صرنا نستورد كلّ شيء مادي ومعنوي، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ هذه الخيرية ضاعت ممّا وأصبحت مجرد تاريخ يتحدث عنه بعضنا فقط، وبعضنا الآخر ضاع حتى ظنّ أنّ أصله قرد، وبعضنا الآخر ضاع حتى أصبح ما يجهل من حقائق تاريخية أكثر ما يعي من أوهام غيره ليس ذلك فحسب، بل أنّ ذلك الضياع المقيت امتد إلى واقعنا وأصبح ضياعاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً وفكرياً وحضارياً، ونتج عنه أنّنا أصبحنا حقاً في ميزان الأمم لا شيء سوى أنّنا سوق لمنتجاتهم، سوق لكتبهم، سوق لصناعاتهم، بل سوق لضلالتهم وأوهامهم وأخطائهم، بل وضعنا أغرب من ذلك، حيث ظهر من بيننا من لا يعرف عن حقيقته الحضارية شيئاً غير هذه النكبة والضياع والتبعية

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 48.

² ينظر: الفضل شلق، في مهب الثورة، ط 1، دار الفارابي، بيروت - لبنان، 2012م، ص 179.

³ أحمد الرفاعي شرفي، عناوين من مكتبة الشيخ الغزالي رحمه الله، مجلة الدعوة الإسلامية، العدد 03، بتاريخ ماي 1996، الجزائر، ص 10.

والاستلاب، فأصبح يعتبر ذلك هو التحضر والمدنية، وأصبح يعتبر كلّ تغيّر أو إصلاح يهدف إلى تغيير الواقع كارثة ومجهولا ورجعية ولا تسامح وغير ذلك من مصطلحات القوم وخزعبلاتهم¹.

لقد سعى كثير لاستيراد فلول الحضارة الغربية تارة باسم الحضارة والمدنية، وتارة باسم الحداثة، وهكذا تعددات الأعذار وبقِيَ الفكر التبعي وحده المكرّس للرداءة في جميع صورها "فالحداثة تحوّلت من منظور حضاري شامل إلى شعارات كاذبة لا تمثّل إلا الرداءة بكلّ أنواعها من الفساد الإداري والمالي والتعصّب، والديمقراطية التي تعني احترام إرادة أغلبية المواطنين تحوّلت إلى تزوير إرادة المجتمع وقمع الحريات، وفرض الأحكام العرفية إلى آجال غير محددة، والاشتراكية وغيرها تحوّلت إلى شعارات فارغة الغرض منها النفاق والكذب والغش وإيثار المصالح الخاصة على المصالح العامة والاستبداد والقهر وتبديد المال العام، ومّا سبق يتبين أنّ الفكر الإرجائي ليس مسألة عقديّة فحسب كما يُظن، وإتمّ هي مفاهيم فكرية شاملة أنتجت ثقافة الأكاذيب والشعارات الجوفاء، والأزمات الاجتماعية المتزايدة"².

إنّ عملية التغير باسم الحداثة اتسمت بعدة صفات وتجلت بعدة أشكال لم تكن اللغة العربية بمنأى عن هذا الصراع فبدأ الهجوم والتجني على اللغة العربية ومن ثمة التحكم فيما يترجم بمعاني مغايرة لتوصيل أفكار مدسوسة ومعاني مغشوشة هدفها ضرب الثوابت والاستخفاف بالهوية الإسلامية، وفي هذا الصدد يوضح أسامة القفاش المشهد مع انكسار الأمة صرنا نشاهد الآن جرأة على اللغة العربية باسم الحداثة وهن والتكالب على الدنيا وكرهية الموت، وطمس المفاهيم الإسلامية وإخراجها من غربيّة تمّ ساحة البحث العلمي على أساس أنّها مفاهيم لا علمية، وماهي إلا تلبيس للمفاهيم بإخراجها عن مضامينها الإسلامية، وإعطائها مضامين نابعة من الخبرة الأوربية³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مجلة الإرشاد، العدد 02 بتاريخ فيفري 1990م، الجزائر، ص05.

² أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، ص14.

³ ينظر: أسامة القفاش، في الترجمة وبناء المفاهيم، ط1 ملخصات كتب المعهد الفكرية الجزء الأول العساس مركز الدراسات المعرفي،

القاهرة-مصر، 2011ص33.

المبحث الثاني: الإصلاح الفكري والبعث الحضاري.

المطلب الأول: سبل وآفاق إصلاح الفكر.

إنّ واقعا بات مفلسا في عديد الجوانب، وهذا وحده كاف للبدء فورا في العمل على التغيير، وأول خطواته إصلاح الفكر الجامد المتحجر الذي أوصل الأمة إلى التفكك على كلّ الصعد بدءا من الأسرة إلى المجتمع إلى الأنظمة والدول، وهذا ما يتطلب ضرورة إحياء الضمير لإعادة بناء الكيان الإسلامي وعدم الخضوع للجامدين المفسدين المستفيدين من وضع الرداءة.

يبين أحمد الرفاعي حكم وضرورة إصلاح الفكر مبينا أنّ خيار تكريس الواقع والجمود، والتبعية، والته العقدي والحضاري بكلّ مظاهره يعني إهدار فرص التطور وإصلاح أوضاع المسلمين، ومادام خيار التطور والتغير يقتضيه الإسلام بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] ويقتضيه الوعي والمسؤولية العينية لكلّ مسلم ومسلمة «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته»¹ وعليه فإنّ خيار التطور والتغير يقتضي إنجاز واجب إيماني لا بديل عنه وهو واجب الاعتبار لقوله - عزّ وجلّ-: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر. الآية: 02] والاعتبار يقتضي النقد الذاتي وممارسة الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس على كلّ ما يتناقض مع واجباتها نحو ربها ودينها والإنسانية عامّة².

ومن الواجب الابتعاد عن تبرير الأخطاء والحجر على الآراء والأفكار والابتعاد عن كلّ أساليب إلغاء الرأي الآخر بالتبديع والتكفير والتفسيق، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية الاعتبار والسير في الأرض وهو بمثابة الاستقراء، بعيدا عن الظن المبني على التخمين، وعلى التقليد دون أعمال العقل واتباع الآباء، وذمّ الجدل، وطلب الأخذ بالموضوعية مع الخصوم، وكلّ ذلك تأكيد على المسؤولية الإنسانية التي يتحلى بها الفرد المسلم في استلهام الدروس والعبر³.

ورغم أنّه يوجد بين المسلمين من يجتهد ويسعى لإعمال الفكر للاعتبار ولأجل إصلاح الأوضاع، فإنّه في الطرف الآخر أيضا يوجد فيهم ومنهم سجناء الجمود وهم المقلدون الجامدون، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يستحيون للحق وكلّهم إصرار على إتباع الآباء ولو كان هؤلاء الآباء على خطأ قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف. الآية: 22]

¹ أخرجه البخاري (2554)، ومسلم (1829)، وأبو داود (2928)، والترمذي (1705)، والنسائي في (السنن الكبرى) (9173)، وأحمد (5167) واللفظ له.

² أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 77.

³ ينظر: محمد يتييم، في نظرية الإصلاح الثقافي، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2012 م، ص 329.

وهؤلاء المعطلون لعقولهم لا يأبجون للعلم ولا يسمعون للحق ولا يخضعون للمنطق، يصفهم أحمد الرفاعي بأنهم سجناء الموروث الفاسد وهم سجناء الجمود وهم الذين لا يأبجون للفكر أو للعقل ولا يعينهم العلم وبراهينه، ولا الحق وصولته، ولا البرهان ودلالاته ولا المنطق وحجته، وإنما يقيمون أمرهم كله على الموروث. والعادة والمألوف عندهم خاصة، والعادة عندهم خاصة وعند الناس عامة قرينة الشهوة وهوى النفس، وريبة الأناثية، وشقيقة الكبر وقد تسمى باسم المصلحة أو المنفعة أو الكرامة أو الشرف أو غير ذلك من الأعذار الوهمية¹.

ومن علامات هؤلاء أنهم لا يقبلون الحوار ولا يخضعون للحجة والبرهان صفتهم الغضب والتكر واللد في الخصومة والتحايل.

اشتغل أحمد الرفاعي في كتاباته المتعددة على بيان حقيقة الأزمة الفكرية وعلاج أدوائها وأمراضها الكثيرة، ولذلك كان حريصا على تنمية الشعور بتحمل مسؤولية الدين الإسلامي الذي نحن مؤتمنون عليه، يقول في ذلك: "ولو كان هذا الشعور الإيماني والاجتماعي الحضاري موجودا في أوساط القاعدة الاجتماعية للمسلمين لتصدوا للمغول، دفاعا عن مصالحهم وحياتهم. ولو كان هذا الشعور قائما لكان سقوط بغداد زلزالا يهزّ المشاعر ويوقظ الموتى فضلا عن الأحياء و يؤدي إلى ثورات غضب وألم ومحاسبة، ومراجعة تصحيحية يسجلها التاريخ، لكن هذا الشعور شعور الإنسان بمسؤوليته وقيمه وأهميته ضاع من المجتمع الإسلامي عامة ومنذ قرون، وحلّ محلّه الشعور بالعجز، وفقدان الوعي واعتبار أنّ الأمر أمر الدولة والسلطة وحدهما كما تدلّ على ذلك أحداث التاريخ و نتائجه"².

ويرى محمد الغزالي أنه من الضروري على كل معني بتجديد الإسلام أن يدم النظر في ماضيه الطويل وهو يمتد مع الزمان والمكان الممتد طولا وعمقا عبر أربعة عشر قرنا وعبر قارات الأرض الخمس الشامل لكل الأجناس والأمم، ذلك النظر المتعمق يكشف أسباب النصر لمن انتصر وأسباب الفشل لمن خذل³.

إنّ الخروج من بوتقة الجهل والتخلف والتبعية ليس أمرا سهلا، لا بدّ أن تتكاثف كلّ جهود الخيرين بعيدا عن كلّ الأهواء والمصالح والحزبيات الضيقة "فالمجتمع الإسلامي المعاصر في حاجة إلى قيادة ونخبة فكرية لا تتنكر للماضي، ولا تتجاهل الواقع ومتطلباته، وهذه القضية تتجاوز المستوى الحزبي والإداري وترقى إلى مستوى التجديد الفكري الفعلي غير المسيّس ولا المتحزّب لمواجهة الواقع ومتطلباته

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، موانع العقل، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 290.

² أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 45.

³ ينظر: محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 137.

والمستقبل ومستجداته، بعد أن ثبت وتبين تاريخيا وواقعا أنّ الحركات والتيارات الفكرية التقليدية في مجموعها أخفقت وتجاوزها الزمن وصارت في حاجة إلى دماء فكرية جديدة، وفي حاجة إلى جرأة وشجاعة في الطرح والتصوّر لتحرر من الموروث الجامد والغازي الوافد¹.

وفي ظلّ الصراع الحضاري الأممي المشتد لا يمكن معالجة الأزمة إلا بفكر نير متقد تقوده نخبة تتحلى بكل صفات الصدق وتتسلح بأدوات النقد والاستشراف.

المطلب الثاني: البعث الحضاري.

يتساءل المخلصون من أبناء الأمة الإسلامية عن الانبعاث الحضاري المأمول، متى يكون وما هي آلياته وهل ممكن أن يتحقق؟ يبدي أحمد الرفاعي من خلال كتاباته تشاؤمه من عدم وضوح الرؤيا بشأن قرب هذا الانبعاث، لأننا ما زلنا لم نتوصل إلى عملية التحرير الفكري بعد، ولم نحقق التحرير العقلي ولا بقيّة أنواع التحرر في شتى المجالات الصناعية والغذائية والعلمية، ولم نتمكن أيضا من الوصول إلى مرحلة القدرات الذاتية المؤهل للسير قُدَمَا. وليس لدينا المناعة المضادة لكلّ وافد غريب، ومن غير هذا لا يمكن الوصول إلى البعث الحضاري والإشعاع والتأثير في الغير².

لقد جاء الإسلام للناس كافة رحمةً وهدىً للعالمين، وتبين بالدليل والواقع أنّ الإنسان لا يمكن أن يعيش حياته بفكرة ميتة أو بفراغ حضاري أو ثقافة مزيفة تبنى على الشهوات والمصالح... وهنا تظهر مسؤولية الإنسان المسلم على الإنسانية جمعاء وليس على المسلمين فحسب، حيث يجب إبلاغ الرسالة السماوية الربانية العملية والواقعية، وهو ما يشكل نمطا حضاريا مميزا لإنقاذ المسلمين والإنسانية جميعا من عبث الأهواء في الحياة الدنيا ومن غضب وسخط الله في الدنيا والآخرة، وعليه فواجب إحياء القيم الإسلامية يجب أن يكرّس هو وكلّ ما يخدم الثقافة الإسلامية والمعارف الربانية لتجسيد الوجود الإسلامي، في ظلّ تواجد أوروبي وأمريكي ومن أجناس كثيرة أخرى تشترك أو تتقارب في عبادة الهوى وإشاعة الحروب والسيطرة والقهر، وكلّها إرهابيات تنذر بزوال تلك الحضارات المادية المصلحية الزائفة فهل يكون البديل الإسلامي جاهزا برجال يحملون فكرا حضاريا ربانيا طموحا؟³.

إنّ صحوة الضمير من صحوة العقل الناضج وصحوة الفكر الحي، لكن ما نشهده الآن هو حديث عاطفي بعيد كلّ البعد عن المنطق والواقع والعقل، أو هو حلم جميل عند آخرين، فالمسلمون ما زالوا في حاجة إلى حديث العقل العاقل عن واقعهم ومستقبلهم ومستقبل أمتهم، ودماء المسلمين لم

¹ أحمد الرفاعي شرفي، أزمة الربيع العربي: الواقع والحقيقة والمخرج، آلام في الدعوة والصحة، ص 331.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، أوراق في المستقبلات، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص 59.

تتوقف عن النزيف المستمر والأوطان المستعمرة لم تتحرر ومن تحررت ما زالت في تبعية وتقليد بلا سيادة فأمرهم ليس بأيديهم لحد الآن، وهي تملئ عليهم القرارات السيادية وما أفلح فيه المسلمون هو المزيد من الصراعات والتناحر مع أنّها تدمرهم، وحلهم في سلاح العقل وهو معطل إلى حين¹.

كما يؤكد أحمد الرفاعي في الكثير من كتاباته أنّ أزمنا تنطلق من الإنسان نفسه من فراغاته ومفاهيمه غير الصحيحة ومن جموده الفكري والعقلي ومن تعصبه وأيضا، من خلال التقليد المطلق لغيره في صورة تبيّن اضمحلال الشخصية المسلمة بشكل كبير، وهذا كلّه بسبب الأزمات التاريخية التي مرّت بها الأمة وبسبب الملامسات المحيطة به والمتغيرات الدولية والمحلية .

الفرع الأول: شروط البعث الحضاري

وحقّي يتحقق البعث الحضاري يرى أحمد الرفاعي بأنّه لا بدّ من الابتعاد عن النظرة المثالية التي أبعدتنا عن الواقع وأوهمتها في بيان حجمنا الحقيقي وموقعنا في الساحة الدولية بلا إنتاج ولا صناعة ولا فكر نير ولا عطاء إنساني، وعليه لا بدّ أن يتحوّل الفكر الحرّ إلى النظرة الواقعية، والتي تتطلب أيضا، عدم التفاخر بأمجاد التاريخ والعصور الذهبية والانجازات التي لم يكن لنا فيها يد ولم نحافظ عليها أيضا، يقول أحمد الرفاعي شرفي موضحا شروط البعث الحضاري المتوقع: "إنّ شروط البعث الحضاري بمراحله المذكورة تتمثل في التنوير والتحرير العقلي لجماهير المسلمين، ثمّ توفير مناخ الشعور بالمسؤولية واكتشاف الذات وهذه مهمة تربوية بحتة، والتربية قيمتها أن تكون جهدا مخططا له ومتوصلا هدفه تزويد الفرد المسلم بالنمط الحياتي الإسلامي المعاصر وإعداد الفرد المسلم لواجبات المراحل التالية علما وعملا وثقافة وسلوكا. فالفرد المسلم الحرّ الواعي هو رهان المستقبل وسلاح الغد"².

ولتحصيل التقدم الحضاري لا بد من عدم تجاوز سننه وأسبابه ونفس الأمر مع التخلف والتراجع الحضاري والنهضة أيضا لهم جميعا قوانين وشروط³.

وعند التساؤل: هل تمكنا من تحقيق بعض تلك الشروط نجد الجواب ماثلا أمامنا بأننا بعيدون كثيرا عن إحداث البعث الحضاري ذلك أنّ: "المسافة بعيدة جدا بين الأمة الإسلامية وبين مرحلة البعث الحضاري، إذا قبل ذلك يجب إنجاز مرحلة التحرير الفكري والعقلي، ثمّ مرحلة الاكتفاء الذاتي العلمي والصناعي والغذائي، ثمّ مرحلة اكتساب القدرة الذاتية والمناعة، ثمّ بعد ذلك كلّه تأتي مرحلة

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، ليت ليت ليت، جريدة الإرشاد، العدد 06، الجزائر، أوت 1999، ص 30.

² أحمد الرفاعي شرفي، حوار مع زين الدين بوحنيفة، جريدة النور، مرجع سابق.

³ ينظر: محمد عمار، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 113.

البعث الحضاري أو مرحلة الإشعاع والتأثير في الغير، وعندما يتجاهل الفكر سنن الله في التطور يكون كمن ينظر في مولود حديث العهد برحم أمه أن يحمل الأثقال"¹.

ويأتي الوعي الحضاري في مقدمة ما تحتاجه المدة من أسباب للإقلاع الحضاري، فلا يمكن بحال أن تتقدم الأمة وهي فاقدة للوعي كلة أو بعضه "وإنما يقتضي بعث الوعي الحضاري للجماعة الممثل لإرادة الأمة صاحبة الحق الأول في التحصّر بمعناه القرآني السني وصاحبة الحق في العدل والاحسان والاستقامة من المنظور الإسلامي، يتأكد ذلك بعد ثبوت إفلاس وعجز كل محاولات التغيير والإصلاح المستورد أو المستنتج من أقبية التاريخ الملوث بالظلم والفساد، وكل ذلك لا ينفصل عن صراع الأنظمة والمجتمعات"².

ويرى أحمد الرفاعي أنّ العصر الحديد لا بد أن يتجاوز الفكر الأحادي وذلك بإشراك الجميع مع تفعيل آليات الوحدة وبتّ الوعي ودعائم الوحدة. يقول أحمد الرفاعي: "إنّ عصر (أنا) بكلّ مظاهره التاريخية: العسكرية، والتجارية، والمالية، والتكنولوجية، والعنصرية المبطّنة وغيرها ولي إلى غير رجعة وعصر (هو) أو (هم) ولي أيضا إلى غير رجعة بكلّ مظاهره المادية والمعنوية والاستكبارية، والعصر الذي نشهد بداية إشراق فجره هو عصر (نحن) بكلّ مقتضياته من: الوعي، والاتحاد، والتعاون، ورفض الفرقة، والصراعات المفتعلة، والخداع، والغش السياسي، والثقافي، وافتعال الأحداث. كل ذلك ولي إلى غير رجعة بعون الله - عزّ وجلّ - وحده"³.

وشرط آخر أساسي ومهم ويتمثل في الحرية الحضارية، وهي المظهر الذي تتجلى فيه الحرية في أبهى صورها وأحسنه وهي لا تقل أهمية ومكانة عن حرية العقيدة والفكر والسياسة والتعبير، لأنّها صمّام أمان للحفاظ على أوضاع المجتمعات، وبغيابها تتحول تلك الأوضاع إلى مظاهر كثيرة من صور التخلف والزيغ، فالحضارة لا تستورد ولا تباع ولا تشتري ولو بالمال العريض، إنّما تبنى على أسس متينة وقويمة وبصفة ذاتية حسب الحاجة الفردية أو الاجتماعية، والتاريخ يشهد والواقع يشهد أنّ الاعتماد على تجارب الآخرين غير مأمون العواقب، وهو رهان خاسر بحيث أنّ أموالا كثيرة أنفقت ولم ترفع التخلف ولم تزد الأوضاع سوى تدهورا وتعقيدا وخطورة، وهذه نتيجة حتمية للتقليد غير الواعي، والأصل مغيب وهو الانطلاق من الحاجة الاجتماعية كما يقتضيه القانون الحضاري"⁴.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، حوار مع زين الدين بوحنيكة، جريدة النور، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 94.

³ المرجع نفسه، ص 108.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

وللخروج الفعلي من أزمة التبعية الحضارية يرى الرفاعي أيضا أنّ الطريق الأيسر والأسهل هو إعادة الاعتبار لمشروع جماعة المسلمين، فالأنظمة الفاسدة عاجزة بلّ مكرسة لكلّ فرقة، يقول أحمد الرفاعي في هذا الشأن: "وكما أنّ عقبة الخلافات والفساد والتخلّف لا تعالجها الأنظمة العاجزة والفسادة، فكذلك عقبة التخلّف الحضاري لا تعالجها إلا جماعة المسلمين النابعة من الإرادة الاجتماعية والمعبرة عنها فهي وحدها القادرة على التربية الحضارية المؤدية حتّمًا إلى بعث الدورة الحضارية بعد التخلص من الفساد والخلافات والتبعية"¹.

الفرع الثاني: بعث حركة علمية.

الحديث عن القضية يجر بالضرورة إلى الحديث عن رجال القضية، وأحمد الرفاعي كان يحمل همّ الأمة فكان رجل قضية حسبما شهد له مقربوه ومن بين هؤلاء الطيب برغوث حيث يقول عن رفيقه وقد حادثه كثيرا في المواضيع الفكرية، ومّا كان أحمد الرفاعي يخطط له قبيل وفاته من بعث حركة علمية تربية اجتماعية يضيف الطيب برغوث قائلا: "أن تكون ذات أفق حضاري بعيد المدى، تقوم على المراجعة الموضوعية الصادقة المخلصة لكلّ ما سبق من تجارب في الدعوة والإصلاح والنهضة في بلدنا وعلى مستوى الأمة من حولنا، والتوبة الباطنية والعلنية عن الأخطاء والخطايا التي أرتكبت في حقّ الإسلام والدعوة والمجتمع والدولة والأمة والإنسانية، وتجديد نيّة أخذ موثيق الكتاب والرسالة بصدق وإخلاص وقوّة، والتعاهد الباطني والعلني على المضي قُدما في طريق الخدمة الاحتسابية البصيرة للدعوة والمجتمع والدولة والأمة والإنسانية"².

إنّ المسلم يعيش لأجل قضية وبدون ذلك فهو مثل العدم، يقول أحمد الرفاعي: "ذلك أنّ قيمة الإنسان، أيّ إنسان أن تكون له قضية يرتبط بها ويحيا في إطارها، ومنها تستمد حياته معناها، وبدون القضية يصبح الإنسان لا شيء في الحقيقة لأنّه يصير مجرد لحظات شاردة لا لون لها ولا طعم ولا وزن"³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 97.

² الطيب برغوث، الرجل المسكون بالمثالية الرسالية الفعّالة، مرجع سابق.

³ أحمد الرفاعي شرفي، ثقافة الهجرة دواء للإحباط والانكسار، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص 155.

المطلب الثالث: أهمية الاعتبار ليقود المسلمون المسيرة الحضارية.

يتفق المسلمون الأحرار على أنّ الإسلام شريعة وعقيدة وأخلاق ومنهج حياة، صالح لكلّ زمان ومكان ولكلّ الشعوب والطبقات والأمم، وهذا اليقين لا بدّ أن يكلل بالعمل على تمكين شريعة الإسلام بالذود عنها وبيان عظمتها وتمكين لها في الأرض. يقول أحمد الرفاعي في شأن الإسلام: " أنّ الإسلام ليس عبادات وشعائر فحسب، وإنما هو كذلك رؤية للحياة، مفاهيم وقيم ومبادئ وثقافة، وقد آن الأوان أن ينصف المسلمون دينهم وأنفسهم وأن يعودوا إلى وعيهم وعصرهم ورسالتهم الحضارية ودورهم في الحياة الاجتماعية البشرية من غير عقد ولا شعور بالنقص"¹.

ولأنّ الخطأ طبيعة بشرية والانتكاسة ممكن حدوثها لأيّ أمة وكل ذلك سنة فطرية، فلا ضير من الوقوف وقفة اعتبار واتخاذ الأسباب للانطلاق وأن لا يتخذ ذلك سببا أو عذرا للبقاء على تلك الحال البائس، بل لا بدّ من الاعتبار والانطلاق من جديد كي لا تبق أمتنا الأمة الوحيدة التي لم تخرج من أزمتها. يشرح ذلك أحمد الرفاعي بالقول: "إنّ المسلمين ليسوا أول أمة تعرف أزمت مختلفة في مسيرتها وتاريخها، لكنها الأمة الوحيدة التي لم تخرج من أزمتها بعد منذ دخلتها بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه- هذه المدة الزمنية غير العادية تطرح تساؤلات عدّة ومن ذلك:

- هل يعود الأمر إلى أنّ عقيدة الإسلام غير قابلة للتطبيق عمليا كما يرى ذلك المنافقون قديما، وأجيالهم حديثا؟

- هل يعود الأمر إلى أنّ المسلمين لم يستوعبوا بعد أزمتهم في أبعادها الحقيقية؟

- هل يعود الأمر إلى خلل في منهج المعالجة؟ أو في المبادئ والوسائل؟

- هل يعود الأمر إلى أنّ المسلمين أسرى زيف تاريخهم وأسرى ثقافة التبرير؟

أسئلة عديدة يفرضها الواقع السلبي ويتعين على علماء ومفكري المسلمين الإجابة عنها كنقطة انطلاق أساسية وضرورية للخروج من الحلقة المفرغة"².

ومهما كان الأمر لا بد من مراجعة ذاتية. يتساءل الرفاعي عن سبب تأخر ذلك طيلة هذا الزمن كلّ: "متى يراجع المسلمون أنفسهم وتراثهم ومفاهيمهم وقيمهم وتجاربهم على ضوء العقل والفكر وتجاربهم على ضوء العقل والفكر والدين، بحثا عن السبب أو الأسباب التي أدت بهم إلى التخلف

¹ أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 89.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ص 77.

والانحطاط والأزمات، وإلى متى يظلّ المسلمون رافضين للنقد ومراجعة الأخطاء والتشبث الجأمة بأوهام عظمة أفسدتها الأخطاء ودمرها الجهل وحلّ محلّها الضياع والضعف والصراعات العقيمة"¹.

إنّ التغيير في الأمة واجب وأساسه كما بينه القرآن الكريم إصلاح ما في النفس: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11]. يقول أحمد الرفاعي: "فلو لم يكن في القرآن الكريم من الفكر والثقافة إلا هذه الآية لكفت المسلمين، بل الإنسانية كلّها. فكيف والقرآن الكريم كلّ نور وفكر وثقافة، وكيف يفلح قوم أعرضوا عن ربّهم ودينهم وأستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ إنّه إفلاس عامّة المسلمين إلا من رحمه الله"².

وقد شهدت الأمة حروباً داخلية سالت من خلالها دماء ودموع غزيرة، ولعلّ من أهم الأسباب التي أفضت إلى ذلك غياب العدل وضياع الحقوق والاستبداد الممارس ضد الشعوب وسوء تقدير الأمور وعدم معرفة الطرق المثلى للعلاج.

هذه الأوضاع المتراكمة سببت غضبا وجرت إلى الواقع البائس الذي نحياه "إنّ تراكم الفساد والانحراف عبر التاريخ إلى واقعنا المعاصر وما لابسه من ظلم و استبداد غير قابل للإصلاح ولا للبقاء، وذلك ما يجعل قضية التغيير الحتمية لا تتم بالطرق السلمية الديمقراطية كما يقتضي الحق والمنطق وحقوق الإنسان، وإنّما تتم بمخاطر عديدة: اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، أشبه ما تكون بعملية جراحية، قد يكتب لها النجاح في استئصال المرض وشفاء المريض، وقد تسبب حدوث عاهات وأمراض إضافية للمريض، وهو ما حدث بسبب مقتل عثمان - رضي الله عنه - وللأسباب نفسها"³.

وحتى لا تتحول رغبة الإصلاح إلى مفسدة يوصي أحمد الرفاعي بوجوب "قراءة حركة التاريخ قراءة صحيحة واقعية، ويجعل التغيير أمرا لا مفرّ منه طال الزمن أو قصر، وكلّ ذلك لا ينفصل عن حركة صراع الأنظمة والمجتمعات كما سبق القول، وكلّ ذلك يطرح قضية التغيير من جديد بكلّ مقتضياتها وملاساتها كأولوية غير قابلة للتأخير، ومن هذا المنظور نبعت تجربة الصحوة الإسلامية المعاصرة فما الذي حدث لها حتى انتهت إلى الفرقة والخلافات والصراعات، وكررت الأخطاء التاريخية نفسها؟"⁴.

والإشارة واضحة من أحمد الرفاعي هنا بتبدد تلك الآمال مع ما سمّاها فشل الصحوة وقادتها الذين حصدوا ألقاب كثيرة والواقع لم يتغير منه شيء.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، من أين نبدأ جريدة البرهان، عدد 01. الجزائر، أكتوبر 1999م، ص 24.

² أحمد الرفاعي شرفي، القضية، جريدة البرهان، العدد 02، الجزائر، ديسمبر 1999م.

³ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 100.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفي مقابل كلّ ذلك وفي ظل نقدنا للكفار وسلوكهم وممارساتهم لا يجب أن نغفل عن حرصهم الشديد في بناء أوطانهم وتحرير شعوبهم وتقديم كل ما يضمن لهم سبل العيش الكريم يقول أحمد الرفاعي: "إنّ الأوروبيين الذين نقلدهم بغير وعي، بنوا المصانع والمؤسسات الإنتاجية لأجيالهم قبل بناء الملاهي وصناعات الترفيه فمتى تكون في مستوى عصرنا بعد أن انحرفنا عن ديننا؟ إنّ أمة تنفق ثروتها في الملاهي والمواد الاستهلاكية وتدع حاجاتها الأساسية وحاجة أجيالها المستقبلية لا تستحق تقدير الأمم ولا احترامها. إنّنا في حاجة ماسّة وعاجلة إلى استثمار عقولنا وتجارنا وما بقي من ديننا الحنيف قبل حاجتنا إلى رؤوس الأموال الأجنبية، فبإمكاننا أن نستغني عن الدخان والقهوة سنة واحدة لجمع مبلغ يحرك الجزائر كلّها ويخرج الجزائر من محتتها بل من محنها، إنّ هذا المشروع يمكن أن يتحقق بسهولة ويسر إذا وجد الرعاية والعون ممن يعينهم الأمر، فهل تجد هذه الملاحظات طريقها إلى القلوب؟ إنّ الجزائر ليست في حاجة إلى قروض أو مساعدات خارجية، قدر ما هي في حاجة إلى وعي ذاتها وتجربتها، إنّها بحاجة إلى عقلها وإيمانها بالله"¹.

وبهذه الملاحظات أبان أحمد الرفاعي على أنّ همّه كان شاملا لكلّ القضايا وأنّ اهتمامه كان واسعا وليست الدعوة عنده في الخطابة والمواظف فقط.

إنّ الشفاء على ما وصل إليه الأوروبيون لا يعني الانبهار المطلق بل هو درس يريد أحمد الرفاعي إبلاغه للجميع وهو أنّ سنن الله لا تحابي فالعمل ثمّ العمل يقول الرفاعي: "أقول هذا وأسجله دون تردد وأنا من أشدّ الناس بغضا للاستعمار، والصهيونية، والفساد والظلم بكلّ أنواعه وأشكاله وعناوينه لكنني من المقدرين لجانب من قيّم الاستعماريين والصهاينة، وهو ما يتمثل في فاعليتهم، وجديتهم وقدرتهم على التأثير والحشد وتوزيع الوظائف والمهمات والأدوار، مقابل فريديت المسلمين وفرقتهم وسليبتهم، وتواكلهم، وتبريراتهم التي قادت الأمة الإسلامية عبر تاريخها إلى ما تعاني منه من إفلاس وقيد حضاري في واقعها المعاصر"².

¹ أحمد الرفاعي شرفي، استثمار العلم والإيمان، جريدة البرهان، العدد 03، الجزائر، أكتوبر 1999م. ص 17.

² أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ص 83.

المبحث الثالث: مستقبل الإسلام في ظلّ النظام العالمي

الجديد.

المطلب الأول: الإسلام - القضية الكبرى.

الفرع الأول: في معنى القضية.

القضية المقصودة إنّما تعني واقع المسلمين الملوّث بالكثير من المآسي والنكبات والمشخّن بالدماء والدموع، المشوّه بالتخلّف والرجعية والإرهاب، والمرصّع بالخلافات والنزاعات وكثير من صور الاستبداد والقهر والاستعباد والظلم والبطش والقطيعة بين أبناء الإسلام، بل وصل الأمر إلى قتل بعضهم بعضاً، واستعانة المسلمين بالكفار لضرب إخوانهم المسلمين، وكلّ ذلك مناقض للإسلام وللعلم وللعقل وللفضيلة ولما يجب أن يكون عليه المسلم والمجتمع الإسلامي الرباني، هذا الوضع هو القضية ولّبها في تغيير الواقع المزري برفع البلايا والرزايا وازاحة المثالب والنقائص، أهل القضية يؤمنون بلا تردد بأنّه يجب تغيير هذا الواقع المزري برفع المفاسد ودفع كلّ ما هو وافد سلبي مضرّ من إيديولوجيات وأفكار تتعارض وجوهراً وروح الإسلام، أهل القضية هم الصادقون المخلصون المبادرون ممن تتوفر فيهم صفات العلم والوعي والتجربة وقبل كلّ ذلك الإيمان والصلاح والورع وانطلاقاً من كتاب الله - عزّ وجلّ - وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - بعيداً عن كل وعاء سياسي أو انتماء حزبي أو مصلحة شخصية ضيقة¹.

وهذا المعنى الذي أشارت إليه آيات الله في سورة التوبة ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة. الآية: 24] وهنا يتجلى الفرق بين من يعيش لله وللدعوة إليه ومن يعيش لنفسه ومصالحته.

ونجاح القضية يكون بالإيمان بها أولاً ويكون بالتخطيط الدقيق، وليس بمنطلق المصالح والمكاسب والخلافات من أجل مآرب شخصية، وبالنظر إلى واقع الحركات الإسلامية والأحزاب ذات التوجه الإسلامي نجد أن الكثير من القادة والأتباع سقط في وحل المصلحة والمكسب، ولذلك تجد بعض الدعاة ممن له قدم راسخة في الدعوة وقد دفع لأجلها الثمن غالياً وضحى بالكثير ممّا يملك ومع ذلك يعيش حياة البسطاء، قد لا يملك سكناً محتزماً ولا راتباً دائماً يضمن به عيشه، في حين بعض الأقطاب

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 221.

وفي فترة وجيزة تمكنوا من الظفر بأحسن الثياب والإقامة في أغلى الفنادق والتنقل في الطائرات في الأماكن من الدرجة الأولى، فأين القضية من كلّ هذا؟؟ وليس العيب في التمتع بالدنيا ولكن العيب وكلّ العيب بل هو الجرم الفاضح أن يكون التمتع والتمتع على حساب القضية المركزية ولن يحدث مع هؤلاء نصر ولا تمكين¹.

الفرع الثاني: صورة الإسلام اليوم.

لقد أصبح وبكلّ أسف مصطلح مسلم عند الكثيرين يعني القتل والتدمير والعداوة والعنف وكلّ الصور البائسة، حتى تشكّل ما اصطلح عليه (بالاسلاموفوبيا) أو الخوف من الإسلام، وأيضا كلّ علامات التخلف والانحيار والتردي. يصف أحمد الرفاعي هذا المشهد الكئيب بالقول: "إنّ معنى هذه العبارة (المسلمون) اليوم، لا يقتصر على الجانب البشري وحده، بحيث يعني مجرد الإيمان بالدين الإسلامي كما كان الأمر قبل انحطاط أوضاع المسلمين، وإنّما صارت عبارة (المسلمون) تعني أيضا: وضعاً متميزاً بكثير من السلبيات والنقائص المادية والمعنوية، ومن ذلك ما يعاني منه المسلمون من أزمات ومشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية شاملة، إنّ هذا المعنى السلبي المغاير والمتناقض مع معنى خيرية الأمة الإسلامية، ينحدر إلينا من تاريخ تضمن الكثير من الأخطار التي وقع فيها المسلمون بصفتهم أمة متميزة عن غيرها من الأمم، أخطاء سياسية واجتماعية وغيرها، مازال كثير من المسلمين غير مقتنعين بجدوى الحديث عنها"².

والمؤسف حقا أن تكون أمة الصراط المستقيم تضلّ الطريق، يوضح الرفاعي صورة المسلمين في هذا الزمان: "إنّنا نحن المسلمين لسنا في الاتجاه غير الصحيح ومنذ قرون خلت، و أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ليست بخير، وإنّما هي بشرّ مستطير شرّ الخلافات والانقسامات المزمّنة، وشرّ التفكك المزمّن شرّ إهدار أخوة الإسلام شرّ الجمود والفساد والظلم، شرّ مئات الملايين من جياح المسلمين وعرائقهم، وملايير دولارات التجار والأغنياء ولصوص المال في بنوك اليهود والنصارى يصنع رخاءهم، وتقدمهم، وتعينهم على تكريس تخلفنا وفقرنا، ونشر الفساد والظلم في مجتمعات المسلمين، ونشر الاستبداد والقهر"³.

وواضح كيف أنّ طوفان العولمة يضرب بقوة وقد أتى على الأخضر واليابس، فلم يُبق ولم يذر إلا من رحم الله، فقد صار العالم كالقريّة الصغيرة، وجلّ ضحايا هذا الطوفان من أبناء الأمة الإسلامية

¹ ينظر: الصادق سلامية، حوار مع الدكتور أحمد الرفاعي، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرقي، أخطاء المسلمين، جريدة النور الجديد، العدد 12، الجزائر، بتاريخ 26/04/2001م، ص 24.

³ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، ص 85.

والهدف واضح جلي، وهو السعي للانقضاء على أخلاق الأمة المحمدية ومقوماتها، لتبقى بلا هويّة وتبتعد عن الدين الذي هو لحمه تماسكها ومصدر قوتها.

المطلب الثاني: جمهور القضية

الفرع الأول: صفات جمهور القضية

إنّ الإسلام أمانة والأمانة يجب أن تحفظ، وهذا يدفع بالمسلمين إلى التحوّل من التفكير السلبي من أفراد المصلحة إلى أمة القضية ويتحمل ذلك الدعاة الربانيون والمخلصون من نخبة الأمة. يبيّن الرفاعي ذلك بقوله: "أمة القضية وأمة الواجب حقيقة كبرى هي أنّ أمانة الدين وأمانة العقيدة وأمانة الإسلام ليست مسؤولية عامّة المسلمين وإنما هي مسؤولية الخاصة من المؤمنين الذين خاطبهم الله - عزّ وجلّ - بقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 104] لا تشغلهم السياسة ولا الزعامة ولا الجاه ولا غير ذلك من شهوات الدنيا، وإنما يشغلهم واجب حفظ الإسلام ورعاية حدود الله حتى لا تستغل أو تشوّه أو تحزّف، وذلك ما تقتضيه وتدلّ عليه عبارتا (الأنصار) و(البيعة)، فهذه الفئة هي ضمانات المجتمع الإسلامي من الضلال والزيغ وغشائية العامّة وفئة الأنصار بهذه الدلالات هي عدّة المستقبل المنتظر إن شاء الله¹.

إنّ من يحمل فكرة أو قضية عليه أن يعمل بكلّ ما أوتي من قوّة وحيلة لإيصالها للناس كي لا تبقى حبيسة الفكر والنفس أو سجين الكتب، فما طرحته الفكرة إلا لتطبيقها وانتفاع الناس بها. ولتطبيقها يلزم قواعد وسواعد. يقول أحمد الرفاعي مبيناً هذه القضية انطلاقاً من الكتاب والسنة: "جمهور القضية وأنصارها المقتنعون بمفاهيمها، وقيمها، ومبادئها، وضرورة إيصالها للناس أسوة بالرواد الذين تحولت القضية بجهودهم من مجرد فكرة نظرية (القرآن) إلى واقع اجتماعي يتطور ويتغير، ويكسب الجديد رغم ما واجهه رجاله من صعوبات القتل، والتشريد، والحصار، والهجرة، وكلّ وسائل العدوان والقهر، وذلك ما يجعل للرواد الدور الأساسي، والحاسم في كلّ حركة تجديد دائمة أساسها الوحي الرباني، والأنصار جاء دورهم الاجتماعي مكملًا لحركة الرواد وعلى رأسهم النبي - صلى الله عليه وسلم -"².

إنّ الإنسان يحيا لأجل قضية، وبالنسبة للمسلم أيّ قضية أعظم من الإسلام الدين الرباني الذي به يتعبد المرء ربه ولا يقبل منه غير الإسلام ديناً، وما سوى الإسلام فهي قضايا ثانوية، ومهما بلغت أهميتها فهي لن تكون كقضية الدين العظيم، ولنا في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - خير دليل

¹ أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 198.

² المرجع نفسه، ص 221.

وخير يقين، ومثال ترتيب الأهمية ما حدث في غزوة بدرى الكبرى حيث كاد الصحابة أن يختلفوا لأجل الغنائم (الأنفال) واختصموا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أنزل الله في ذلك قرآنا يتلى ليبين للناس أنّ القضية ليست في الأنفال وتلك ليست مشكلة أصلا، وإنما المشكلة والقضية ما أدت إليه من فساد ذات البين بين المؤمنين، وهو ما يتناقض مع الأخوة الإيمانية وما تقتضيه من محبة وودّ وتناغم وتفاهم ووحدة، وعليه فالسؤال لم يكن في محله، وقد صحح لهم القرآن الكريم ذلك الطرح الخاطئ مبينا أنّ القضية أسمى، وهي الخوف من فساد ذات البين بسبب الدنيا ومصالحها¹.

إنّ من أهم ما يجب أن يتميّز به أهل القضية هو معرفة ما يجب أن يكون ومعرف الصديق من العدو حتى لا تختلط المفاهيم ويصبح الصديق عدواً أو العكس. يقول أحمد الرفاعي: "فالمظهر الذي يجب أن نظهر به اليوم هو أن نعرف كلنا ماذا نريد؟ وأن نعرف كلنا ماذا يراد بنا؟ وأن نصارح من يطلب بما نريد، وأن نصارح من يمدّ يده إلى أذانا بألنا"².

وهذه المعرفة لا تأت لوحدها أو بمجهود أقل، بل لا بد من أعداد وتحضير واعتبار واستلها من

التحارب الإسلامية

الفرع الثاني: صناعة الإنسان.

إعادة الاعتبار لموضوع القضية من أهم الواجبات الحالية، وذلك بإعداد المؤهلين لحمل هذه القضية وهو الانسان المسلم الواعي، فالإنسان عند الأمم الراشدة يصنع تصنيعا دقيقا وحكيما، وبه تُبنى الحضارات في جوانبها المادية والفكرية أيضا، وعجائب الدنيا السبع خلقتها يد الإنسان المبدع، وحضارة الإسلام وصلت لأوسع نطاق بأقل الوسائل وذلك لما يحمله أنصاره من خلق وفكر وسلوك رباني ووعي وكرامة وإباء.

إنّ الفساد الذي عمّ وانتشر مسّ الإنسان بصفة عامّة فلم يصبح قادرا على التغيير ولا على الإبداع، وعليه فلا بدّ من السير نحو صناعة الإنسان صناعة قوية، يقول أحمد الرفاعي: "إنّ فساد إدارتنا وتجارنا وزراعتنا وثقافتنا وصحتنا لا ترجع إلى الأجهزة والمعدات والجدران، وإنما يرجع الأمر كلّ إلى الإنسان الذي فقد القيم والمبادئ والعقيدة وصار بذلك كلّ عبر تاريخه وواقعه إنسان غير قادر على الموقف الصحيح من مجتمعه وعصره، وغير قادر على الموقف الصحيح أمام دينه وثقافته وحضارته، لذلك فهو في حاجة ماسّة إلى إعادة تصنيع وتثقيف وتأهيل ثقافي وعقدي وفكري وحضاري ليكون

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، مرجع سابق، ص70.

² أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميللي، ج1، مرجع سابق، ص250.

بعد ذلك كلّه قادرا على إصلاح الواقع الفاسد، إنّ صناعة الإنسان صناعة مفاهيمه ومثله وميوله وثوراته المعنوية والمادية أهم صناعة ومضمار تظهر فيه عبقرية الأمة ومضمونها وأهميتها، تلك لبنة صناعة الأمة الأقدر صناعة المجتمع وصناعة المستقبل"¹.

يرى المنهج الإسلامي التربوي ضرورة إخضاع شخصية الفرد المسلم إلى عملية تحوّل داخلي وخارجي من حيث الصفات السلبية والسلوكية عامّة، فالإسلام يعمل على تغيير النفس الإنسانية من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة، ومن قلب مريض مشوش مضطرب إلى قلب سليم عابد آمن، ومن سلوكيات ظالمة إلى سلوكيات نورانية موفقة"².

الفرع الثالث: شخصية المسلم مستهدفة

إنّ شخصية الإنسان المسلم كانت مستهدفة منذ زمن طويل وخاصة مع حملات الاستعمار الحديث وما تلاها من غزو ثقافي طال الكثير من القيم والسلوكيات، فليس الإسلام عبادات وشعائر ظاهرة فقط، بل كلّ حياة المسلم يجب أن تبرز فيها شخصيته من لباس ومطعم ومسكن وإدارة وصناعة وعلم وعمل، والمؤسف أنّ تلك الملاحظات لم تعد تجد لها مكانا بيننا. يقول أحمد الرفاعي: "الملاحظ في واقعنا المعاصر أنّ المجتمع الإسلامي بقدر ما تخلّى عن ثقافته وخصوصياته الإسلامية فإنّه في الوقت نفسه يعتبر تقليده لغيره سمة حضارية، وذلك ما يدلّ على أنّ الحاجة إلى تحسيس المسلم بذاته وانتمائه ماسّة بل وضرورة أساسية يتعيّن على العلماء والمفكرين إنجازها قبل اختفاء معالم الشخصية الإسلامية في خضم طوفان العولمة"³.

والعودة للإسلام هي المنقذ الوحيد، تكون بتثقيف الإنسان المسلم بسلاح مبادئ الدين الصحيحة وبغيرها لا يمكن حماية الذات ولا إثبات الوجود يواصل الرفاعي: "فعندما تجرّد أمة من سلاحها، هل يمكنها أن تواجه عدوا يفوقها في كلّ الميادين، فضلا عن حنكته في مجال المكر والكيد و الدسائس؟ أمة بهذا الوضع و الحالة اليائسة لن تستطيع أن تكسب الجولة لأنّها مجردة من سلاحها، و غير مؤهلة للدفاع عن نفسها، وقيمها ومبادئها لأنّها فرطت وقصّرت في الاستفادة من مصادر قوتها، خاصّة

¹ أحمد الرفاعي شرقي، صناعة الإنسان، كتاب آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق، ص200.

² ينظر: خالد روشة، صناعة الإنسان في التصور الإسلامي، الموقع الإلكتروني (المسلم) /<http://almoslim.net/>، تاريخ

الزيارة 2020/05/18م في الساعة: 12.00

³ أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعماهاته، مرجع سابق، ص80.

الإسلام الذي يربي و ينمي فيها روح الدفاع والجهاد ورد كيد العدو، وإسلامها هو الذي يستطيع أن يحفظ كيائها و يوطد أركانها"¹.

وصناعة الفرد المسلم يجب أن تنطلق من مبادئ وأسس التربية الإسلامية الربانية، فليس المسلم مثل غيره، ولا يمكن نسخ تجارب الدول والأمم المختلفة وتطبيقها على أبناء المسلمين ونقصد الجانب الروحي والعقدي، أما ما يتعلق بالجانب العلمي والابداعي والانساني عموما والذي لا يتعارض مع الفطرة والشرع فذلك مطلوب ومرغوب فيه أيضا.

المطلب الثالث: المستقبل للإسلام

الفرع الأول: حاجة الإنسان الى الدين تدرك بالفطرة.

سيبقى الإسلام الملاذ الآمن لكلّ الحيارى ولكلّ الناس، ذلك أنّه دين الفطرة، غفل عنه الجاهلون حيث تحكمت فيهم شهواتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي جعلوها وكأثما دين، وهو أمر باطل ومردود عليهم، فلا في الدنيا نالوا الراحة ولا في الآخرة سينجون من عقاب الله، والله شرع أفضل دين وجعله متوافقا مع الفطرة السلمية لا تبديل لدين الله، يقول أحمد الرفاعي مبينا حاجة الإنسان للدين كحاجته لبقية الضروريات في الحياة: "الإنسان يدرك بالفطرة أنّ الدين (أعني نظام الحياة العامّة) ضرورة قصوى، وحاجة الإنسان إليه لا تقلّ عن حاجاته الضرورية في حياته المادية مثل الماء والغذاء والمأوى والملبس، وأعني بالدين هنا ما تقتضيه الحياة البشرية من أعراف أو قوانين أو نظم وأخلاق تنظّم وتوجّه حياة الإنسان"².

والتاريخ شاهد أنّ حضارات قامت وأمم سادت ربحا من الزمن بأديان مزورة أو عقائد محرّفة، فأينما كان الإنسان كانت هناك معابد، وهذا ما يعكس أنّه لا يمكن لأيّ إنسان أن يعيش بلا دين سواء كان صحيحا أو فاسدا وبدون نظام سواء أكان عادلا أو ظلما، لأنّ ضرورات الحياة تستلزم الأمن والحماية والقوت والملبس وغيره ممّا لا يمكن العيش بدونه. لكن تلك الأنظمة وتلك الكيانات الدينية سرعان ما يظهر عورها وقد زالت حضارات عديدة وبادت لأثما لم تقم على أساس سليم ولا دين قويم، وعليه فالحاجة إلى الدين الصحيح هي الأصل وهو ما يتوافق مع الفطرة أيضا.

لقد تعلّم الصحابة الكرام من النبيّ -صلى الله عليه وسلم- أنّ الدنيا كالظل الزائل سرعان ما تنتهي وتزول، ولذلك كانت عندهم أحقر وأهون ما تكون، ولم يتنافسوا لأجلها ولم يتقاتلوا ولم تسفك

¹ هادف مصطفى، فقه السنن الإلهية وأثره في الدعوة الإسلامية دراسة في فكرة محمد الغزالي، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، اشراف محمد زرمان، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2012/2013، ص175.

² أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص13.

الدماء بينهم أو يتعدى أحدهم حدود الله من أجل عرض لا بقاء له، ومن ذلك تعلموا أيضا أنّ الهموم زائلة وأنّ المشاكل ومهما عظمت فهي إلى انتهاء، فأعظم من الدنيا شأن الآخرة وهي دار القرار والبقاء، ولا ينال الإنسان حينئذ إلا ما كسبت يداه، وهذا الفهم والإدراك سبيله الفكر السليم الذي يرتقي بالإنسان للاهتمام بسنن الله الهادية المتمثلة في الصراط المستقيم¹.

الفرع الثاني: عالمية شريعة الإسلام.

ولقد جرّب الإنسان حلولاً كثيرة لمشكلاته طويلة الأمد، فما وجد إلا مهدئات مؤقتة وقد باءت كلّ التجارب والأفكار بالفشل، وهنا كان واجبا على المسلمين التقدم بالبديل الحضاري الرباني الذي لا مثيل له ولا شبيه له، إنّه الإسلام الذي أتى بكلّ ما هو جديد، وليس ذلك للمسلمين فقط بل هو لهم وللإنسانية جمعاء. وهذا التأخر المسجل على المسلمين في تقديم هذا البديل أمام فشل الرهانات التاريخية والواقعية سبب أيضا خسارة جسيمة وفادحة للمسلمين وللإنسانية جمعاء، وأبرز صور تلك الخسائر الحروب والمعارك وأشكال الاستعمار والاستبداد الذي ملأ الدنيا ومزال، وفي هذا المجال ما زالت القوى المعادية للمسلمين تضغط على الأمة المحمدية لتبقى كما هو حالها المعقد لتكريس الفساد وضمان بقاء المسلمين في تخلفهم، وليس هذا مبرر للمسلمين من استعادة الدور الحضاري والريادي المتمثل في تعميم عبادة الله وإنقاذ الإنسانية².

وليست الأمة الإسلامية تسعى لتعميم الخير بنشر الدعوة لصالح المسلمين فقط، بل إنّ شريعة الإسلام للناس كافة بما تحمل من خير وودّ وأمان وإرشاد وتوجيه، وكلّ ذلك يندرج في القضية التي يحملها المسلم ويسعى لتحقيقها. وعن خصوصية الأمة ودورها المرتقب يوضح أحمد الرفاعي: "إنّ الأمة الإسلامية أمة خاصة، وتختلف عن بقية أمم الأرض لكونها أمة قضية مكلفة بها من قبل ربّ العالمين، وهي قضية الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإخضاع واقع الحياة البشرية كلّها لمقتضى عبادة الله، بحيث لا يعصي الله -عزّ وجلّ- ولذلك فإنّ الأمة الإسلامية ليست أمة لذاتها شأن غير المسلمين، وإنّما هي أمة (قضية الخير) تفعله وتدعو إليه، وإن لم تفعل فهي أمة مقصّرة في واجبها، وإنّ ما تعاني منه الإنسانية من قهر وظلم واستغلال يتحمل المسلمون والمسلمات جزء منه، لتقصيرهم في نشر رسالة الإسلام، وإيصال دعوته إلى غير المسلمين"³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 91.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 79.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 73.

وحقاً للمسلمين الافتخار بهذا الدين العظيم الذي يمثل نمطا حضاريا عاما، يشمل جميع مجالات الحياة ويخاطب ويهتم بجميع الفئات، يقول أحمد الرفاعي عن عظمة هذا الدين: "يتبين للدارس للقرآن والسنة أنّ الإسلام نمط حضاري يتضمن كلّ ما يمكن أن تحتاجه الحياة الإنسانية من قيم ومفاهيم، ومبادئ وموازن لتشكيل حياتها، ورعايتها وتحقيق حاجات الأجيال عبر العصور ولكلّ فئات المجتمع الإنساني، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم، القوي والضعيف، الذكر والأنثى"¹.

الفرع الثالث: المستقبل للإسلام رغم الضعف الحالي.

يعتقد المسلم أنّه مهما طال ليل الظلم والبطش والجبروت، ومهما تغيّرت موازين القوى لصالح الظلم والاستبداد، فإنّ صباح نصر الله آت، وهو وعد من الله العلي الكبير ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور. الآية: 55] ورغم أنّ المسلمين حاليا مستضعفون فإنهم باقون رغم ظلم أقوياء العالم، لأنّ الإيمان بالحقّ قوّة حقيقية ولو كان أعزلا، المستقبل الحقيقي للمسلمين، والماضي الباطل سينهزم دون شك وهذه هي نهاية المعركة بين الحقّ والباطل بحسب سنن الله ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد. الآية: 17] ما ينفع الناس هو رسالة ربّ الناس والزبد هو الظلم والطغيان والفساد².

وقد فاقت الجاهلية المعاصرة بأفعالها الجاهلية القديمة التي سبقت الإسلام، ولم يقتصر الأمر على خلل العقيدة فحسب بل تعداه إلى كل مجالات الفكر والثقافة والحضارة والتعامل، وقد مسّها الخلل وأصابها الزلل وما زال طوفان الجاهلية في استمرار.

إنّ الحلّ الوحيد المرجو للإنسانية يتمثل في القرآن الكريم، فكلُّ التجارب السياسية والإيديولوجية والحروب الكونية أبانت عن فشلها وعن عجزها البيّن، وأكثر من ذلك فالمشاكل آخذة في التزايد والمآسي في التفاقم، وعليه فلا بدّ من النظر بجديّه إلى البلسم والشفاء الذي لا مثيل له، والتمثل في الإسلام دين الفطرة ودين الحضارة والعلم ودين الإنسانية بغير عنصرية ولا محاباة، ومن هنا تتجلى مسؤولية المسلمين الحضارية فقد تركوا أمر الدعوة والتبليغ رغم ما توفر لهم من وسائل أسرع وفرص أسهل لتبليغ الإسلام لكل الإنسانية، ويتحمل المسؤولية أكثر فأكثر علماء المسلمين وحكامهم، وأما

¹ أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 32.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، الفكرة الإسلامية الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص 13.

عامّة المسلمين فمسؤوليتهم تتمثل في الابتعاد عن أحكام وآداب وأخلاق الإسلام فصارت أفعالهم مناقضة لمبادئ وقيّم وشريعة الله وذلك ممّا يصد عن دين الله¹.

إنّ الإسلام جاء بعهد جديد للإنسانية، ويريد بنظامه الجديد والفريد الخير لكلّ البشرية، وهو في توافق تام مع الفطرة، ولذلك استطاع أن يكتسح آسيا وأفريقيا وبعض أجزاء أوروبا، لم يستعمل في ذلك جيوشا جراحة ولا حروبا طاحنة ولا سالت دماء، إنّما بقيّم العهد الجديد المتمثل في قيّم الأخوة الانسانية بعيدا عن الاستبداد وأنظمة الحكم الاستبدادية الموجهة والمسيرة سياسيا وحزبيا لأجل مصالح ومطامع نفسية وشخصية. العهد الجديد هو الذي يراد منه أن لا تخضع الحياة لمقتضيات السلطة والسياسة، بل لمقتضيات القضية الكبرى المشار إليها سابقا والمتمثلة في إقامة دين الله تعالى بالإخلاص لله تعالى وتطبيق أفعال الشريعة، وتبليغ رسالة الإسلام للنّاس كافة، ولا يعني ذلك قتلهم وتدميرهم كما يصور أعداء الدين أعداء الأمة، وما كان في الدين من تشريع للقتل فليس لكونهم مشركين بل لما فيه من فساد وظلم سائد وإجرام مستمر وعدوان غاشم هذا ما يفهم بتجسيد العدل الرباني².

الفرع الرابع: المستقبل للإسلام وقد يكون من الغرب.

وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالتمكين في الأرض، وذلك بتحقيق أسبابه من قيم العدل والإحسان والحرية والكرامة التي جاء بها الإسلام، وهذه المبادئ والقيم غائبة في واقع أمتنا والأمة الإسلامية في انحدار، وهي مكبّلة بأغلال ومحاصرة بالاستبداد وغارقة في الفساد، وربما هذا ما يدل على أنّ مستقبل الإسلام لا يكون في بلاد الإسلام فقد يكون من الضفة الأخرى، حيث أمم وشعوب أخذت بسنن الله في الافاق والتطور، ومع سنن الهداية سيكون الارتقاء للإسلام وبالإسلام قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة. الآية: 54] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [سورة محمد. الآية: 38] فقد يكون عصر الإسلام الثاني من هناك فسنن الله لا تحايي أحدا³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 218.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 57.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 90.

المبحث الرابع: التجديد والتغيير في فكر أحمد الرفاعي

المطلب الأول: التغيير وأهميته عند أحمد الرفاعي.

الفرع الأول: تعريف التغيير:

01- لغة: تدور كلمة التغيير حول معاني التحويل والتبديل، وفي لسان العرب التغيير: من (الغَيْرِ)، أي: تعَيَّرَ الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد¹.

02- اصطلاحاً: جاء تعريف التغيير بمعانٍ متقاربة، تشير أغلبها إلى عملية التحوّل والتبدّل من حال إلى حال، وعرفها محسن عبد الحميد بقوله: "عملية مقصودة تحدث من داخل الإنسان وإرادته ووفق اختياره، والله سبحانه وتعالى يعين الإنسان على إحداث التغيير الذي اختاره بنفسه وإرادته الحرة"². أما جودت سعيد فعرفه بأنه "هو عملية مقصودة تتم وفق بواعث ومبررات ووسائل شرعية للوصول إلى أهداف ونتائج تعكس المبادئ، ويكون من نتائجه إحداث مواقف جديدة وبرؤية وجوانب أعمق وأوسع للأحداث"³.

والملاحظ أنّها تعاريف متقاربة تشمل الحديث عن أهداف التغيير ونتائجه المرجوة.

03- مفهوم التغيير عند الرفاعي

يرى الرفاعي أنّ التغيير سنة من سنن الله تعالى، وهو يعني سنة التداول، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة آل عمران. الآية: 140]، يقول أحمد الرفاعي في هذا المعنى: "بيّن الله تبارك وتعالى أنّ من سننه التداول والتطور والتغيير من الخير إلى الشرّ أو العكس، ومن الإيمان إلى الكفر أو العكس، ومن قوّة إلى الضعف أو العكس، ومن المعصية إلى التوبة أو العكس، ومن الحياة إلى الموت والعدم أو العكس، ومن الصحة إلى المرض أو العكس، فهذا شأن المخلوق، أما الخالق سبحانه وتعالى فهو وحده المتصف اتصافاً دائماً مطلقاً بكلّ صفات الجلال والكمال اللائق بمقامه وجلاله سبحانه وتعالى الذي لا يتبدل ولا يتغير"⁴.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (غَيْرِ)

² محسن عبد الحميد، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1983م، ص 14.

³ جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ط 8، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1989م، ص 07.

⁴ أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 87.

الفرع الثاني: مفهوم التجديد عند الرفاعي:

01- تعريف التجديد لغة:

أصل كلمة التجديد من الفعل جَدَّد، وله معنيان، الأول هو القطع. يقال: تجدَّد الضرع أي ذهب لبنه، والثاني ضد البلى، يقال جدَّ الثوب والشيء يجدُّ بالكسر صار جديداً وهو نقيض الخلق، والجدَّة مصدر جديد وهي نقيض البلى¹.

02- تعريف التجديد اصطلاحاً:

التجديد مصطلح إسلامي أصيل نشأ مفهومه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»².

وفي الفكر الإسلامي نجد تعاريف كثيرة لعبارة التجديد تنطلق من الحديث الشريف، ونكتفي هنا ببعض التعاريف المعاصرة والحديثة لارتباطها بالمعاني الدعوية عند أحمد الرفاعي، يقول الجابري: "التجديد الحقيقي المطلوب هو إيجاد الحلول العملية لما يطرحه علينا عصرنا من قضايا لم يعرفها ماضينا، حلول تكون مشبعة بالخلقية الإسلامية، وتكون قادرة على الدفع بنا في طريق التقدم، طريق مواكبة العصر والمساهمة في إغناء إنجازاته"³. والتجديد عند أبو الأعلى المودودي هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً قدر الإمكان، وأما من يقوم بعمل التجديد فهو المجدد وهو كل من أحيى معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انقضائه⁴.

والتجديد في الغالب لا يخرج عن معاني: بيان السنة من البدعة وتكثير العلم، وإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وإحياء العمل الصافي والاجتهاد بإيجاد حلول إسلامية للمشكلات الطارئة، وإحياء الدين مثلما كان في زمن السلف الصالح⁵.

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 386.

² صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم 4291.

³ محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1992م، ص 42.

⁴ ينظر: أبو الأعلى المودودي، موجز تجديد الدين وإحيائه، وواقع المسلمين وسبل النهوض بهم، د ط، دار الشهاب، باتنة - الجزائر، دت، ص 13.

⁵ ينظر: محمد حسن أبو يحيى، التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، أهميته، ضوابطه، د ط، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 1432 هـ، ص 15.

03- مفهوم التجديد عند الرفاعي:

يأتي التجديد عند أحمد الرفاعي بالمعاني السابقة، ويؤكد بالإضافة إلى ذلك أنّ التجديد لا يكون في السلوكيات فقط أو الأفكار دون العمل، بل هو يشمل جميع النواحي فكريا وسلوكيا وتقييما ورؤية، وقد مارست جمعية العلماء التجديد في أحسن صورته يقول أحمد الرفاعي: "التجديد ظاهرة اجتماعية حضارية وفطرية تنتاب كلّ المخلوقات وتتجلى تارة في الأوضاع، وتارة في المفاهيم والموازن، وتارة في الرؤية والتقييم وكذلك الإصلاح، والمتتبع لنشاط جمعية العلماء في نشأتها ومراحل تطورها يتبين له أنّها مارست التجديد والإصلاح في جوانب عديدة ومتكاملة"¹.

وعبارة التجديد بالرغم من وضوح معناها ودلالاتها إلا أن هناك من يريد بها غير مقصدها، ومختصره التخلي عن الدين والقيم والمبادئ، تقليدا للغرب وتنصلا من الدين والأعراف، يشرح الرفاعي هذا المعنى بقوله: "التجديد في خطاب المستشرقين والعلمانيين والشيوعيين وعمامة المنحرفين والمنافقين تعني تحريم ما أحلّ الله ورسوله، وتحليل ما حرّم الله ورسوله، وبخاصّة ما يتعلق بموضوع المرأة وحقوقها عند غير المسلمين، وبقضية المعاملات الربوية والميراث وغير ذلك ممّا يفرضه اليهود والنصارى على حكام المسلمين باسم حقوق المرأة أو حقوق الإنسان أو الحضارة والتقدم"².

ومن باب التضليل المؤذي إلى أبعد الحدود أن يحاول بعض الناس تغيير معاني المصطلحات عن معناها الحقيقي الأصلي، أو تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية، إن لفكرة الإسلامية نظاماً اجتماعياً متميزاً، خاصا بها وحدها، يختلف من عدة وجوه عن الأنظمة السائدة في الغرب، ولا يمكن لهذا النظام أن يدرس، ويفهم إلا في حدود مفاهيمه، ومصطلحاته الخاصة، وإن أي شذوذ عن هذا المبدأ سوف يؤدي حتماً إلى الغموض والالتباس، بدلاً من الوضوح والجللاء"³.

لقد صار الكثير يتكلم باسم التجديد والتغيير، ويهدف من وراء ذلك لضرب القيم والمبادئ الإسلامية، وعليه لا بُدّ من بيان وتوضيح وتفصيل دلالات التغيير والتجديد والأهداف المرجوة من ذلك.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مقترحات عملية في مجال الإيمان والتربية، جريدة البلاد، العدد 4220، الجزائر، 2013/10/02م، ص 13.

² أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميلي، ج 1، مرجع سابق، ص 318.

³ ينظر: محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة: منصور أبو ماضي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: 1967م، ص 52.

الفرع الثالث: أهمية التغيير والتجديد عند الرفاعي.

01- أهمية التغيير.

عانت الأمة الإسلامية لفترات طويلة من جراء التخلف الذي فرض عليها، وما زال التخلف سمة بارزة في كثير من المجالات، وما زالت الموروثات الفاسدة تلاحقها، وأمام هذا الوضع المتأزم، على الأمة وجوباً التغيير والتطور أو التبدد والزوال كنتيجة حتمية أمام احتدام الصراع بين الحق والباطل وأمام التدافع الحضاري، يقول أحمد الرفاعي في هذا المعنى: "إنَّ العجز عن معالجة أخطائنا طيلة قرون خلت، يدلّ على خلل كبير وشلل كليّ في حركة الفكر وطاقته، وفي بنية العقيدة نفسها، ومفاهيمها وموازينها وقيّمها وثقافتها، وذلك ما يعني أنّ الأمة الإسلامية محكوم عليها إمّا بالتغيير والتطور أو الزوال، ذلك أنّ الأمم عندما تفقد قيمتها ومعها تفقد القوّة على حماية نفسها ومصالحها، وتفقد القدرة على التفاعل الحضاري، فإنّنا أمة آيلة للزوال دون شك، وهذا هو واقع أمتنا"¹

إنّ أمة اختارها الله لتكون شاهدة على النَّاس، ولتتولى الريادة والقيادة، لا يليق بها هذا الوضع تماماً، وعليه فالتغيير نحو الأحسن من أوجب الواجبات والنهوض الحضاري من جديد من أهم المطالب الملحة.

02- أهمية التجديد.

النفس السويّة تحب الجديد، وتحنو للجديد وتتمنى كلّ جديد، فالتجديد عنوان للفطرة السليمة، ويدل على أهمية التجديد أنّ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - طلب من الصحابة الكرام تجديد إيمانهم، يصف أحمد الرفاعي صاحب الإيمان المصاب بالقدم في الحقيقة فاقد للإيمان الشرعي المنجي من النَّار، لذلك وجب عليه تجديد إيمانه، وهذا الأمر من النبيّ - عليه الصلاة والسلام - المعصوم إلى أفضل جيل وهو جيل الصحابة بما لهم من قدر ومكانة وهيبة، فهم أبناء مدرسة النبوة العطرة وبينهم تنزل الوحي وصاحبوا الرسول الكريم في كلّ حياته الدعوية، فهذا مما يدلّ على أنّ التجديد أمر فطري ومن سنن الله تعالى التي لا تعرف المحاباة، ومن سنن الله في الإنسان الضعيف العاجز، وهذا ممّا يدل أيضاً على أنّ التجديد لمن بعد الصحابة ألزم وأهم وأوجب، وكلّما تقدم الزمن كان الواجب أكثر فأكثر ضرورة وإلحاحاً لبعث النَّاس عن الشرع الحكيم، وما تعرضوا له من حملات وتشويه وتضليل على مدار عقود طويلة من الزمن.²

¹ أحمد الرفاعي شرفي، إننا في حاجة إلى جديد وعميق وشامل، جريدة النور الجديد، العدد 02، بتاريخ 17 فيفري 2001، الجزائر.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، هذه خسائرتنا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير...؟، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

وفي خطبة حجة الوداع حيث صرح النبي -صلى الله عليه وسلم-: «... أن الزمان قد استدار»¹ في ذلك إعلان عن نهاية دورة سابقة، وإيدان بداية دورة حضارية جديدة، يموت في الأولى الفساد والجبروت والطغيان، ويبدأ في الثانية الخيرية التي مُيّزت بها الأمة عن سائر الأمم أمة الشهادة، وهذه سمة بارزة لمعنى التجديد ومشروعيته، ومن حقائق التجديد أنه ليس فيه شهوات النفس أو الرغبات الشخصية أو الطموحات الخاصة أو الرغبة في الانتقام من هيئة أو شخص، بل هو واجب شرعي، وهو عبادة ربانية تتمثل في تجديد الإيمان وتصحيح العقيدة، ومن جهة أخرى فهو ضرورة حضارية تحتاج إليها الأمة للنهوض والقيام².

إنَّ التجديد الذي تحتاج إليه الأمة حسب ما دونه أحمد الرفاعي في كتبه ومقالاته، يجب أن يكون صحيحا وعميقا وشاملا لكلِّ المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية، وكلِّ جوانب الحياة الفردية من معاملات وأخلاق ومصالح، وذلك حتى يتمكن من إنهاء الأحقاد والجمود والتعصب والتطرف، وكلِّ أنواع الفجور والظلم والبهتان والفساد، وحتى يجرر المقدسات والمدارس والمساجد والجامعات والإعلام، يعيد للكلمة دلالتها ومعانيها، يعيد للفكر قوته وللعقيدة مكانتها، وحتى للاقتصاد والسياسة والثقافة والصناعة والرياضة والبيئة، وكلِّ ما من شأنه يخدم الإنسان وقضيته، لكلِّ جديد لا جامد ولا متجمد مفعم بالصدق وكل القيم النبيلة، جديد يلحق الأمة بمصاف الأمم ذات القوّة والمكانة والهيبة ويحقق تطلعات أجيال وشعوب إلى الأفضل³.

المطلب الثاني: شروط التغيير ومرتكزاته ومراحلها عند الرفاعي

الفرع الأول: شروط التغيير ولوازمه.

لكل عمل يراد له النجاح والتوفيق ضوابط وشروط تحكمه، والتغيير ونظرا لأهميته ومكانته فهو أيضا مضبوط بشروط وقواعد متعددة أسهب في بيانها وتوضيحها المفكرون والدارسون المتخصصون في علوم الاجتماع والنفس والشريعة، وكان لأحمد الرفاعي هو الآخر نظرات في شروط التغيير، فقبل الانطلاق في أيّ عملية تغيير فإنَّ الواجب يقتضي تقييم الواقع بمختلف جوانبه وأبعاده، والمتمثل في القيم الأخرى الموازية للقيم الأصيلة والمراد تغييرها، والحقيقة أنّ صورة الواقع إنما هي انعكاس لمنظومة القيم، فبصلاحها يكون الواقع صحيحا سليما معافى ويسود العدل ويرفع الظلم والفساد وكل صور الإكراه، وبفساد منظومة القيم كلّها أو أحد عناصرها بأيّ شكل من أشكال الانحراف والزيف

¹ أخرجه البخاري (4406)، ومسلم (1679)

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص 205.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، إننا في حاجة إلى جديد وعميق وشامل، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

فسينعكس أيضا على واقع المسلمين ليصبح مشوها بصور الانحراف المختلفة وهو في الحقيقة الصورة المزيفة للواقع الصحيح¹.

01- تحرير المبادئ من القيود والأغلال.

لا يمكن إحداث التغيير الفعلي والجدّي دون التطرق إلى أهم شروطه والمتمثلة في تحرير المبادئ والقيّم من كل القيود والأغلال التي تعيقها، والأمر يتعلق بالعقيدة والسياسة والمال والجانب الاجتماعي يذكرها أحمد الرفاعي في نقاط كما يلي:

- تحرير العقيدة بفصل الدين عن السياسة .
- تحرير العدالة بفصلها عن السياسة، أو تحرير الثقافة والفكر بفصلها عن السياسة.
- تحرير الأمن الاجتماعي بالتربية الجهادية، ونبذ احترام القتال.
- تحرير المال بإخضاعه للمصلحة الاجتماعية.
- تأكيد الرقابة الاجتماعية، ورفع الوصاية عن الإرادة الاجتماعية بالانتخاب المباشر لمسؤولي القطاعات السابقة من طرف المجتمع وتشكيل هيئات جماعية الرعاية الشأن الاجتماعي على أساس دستوري، والتداول على القيادة بدل الفردية المدمرة².
- ويتضح من خلال هذه الشروط التي عدّها الرفاعي مجالات الفكر الدعوي الشاملة لكلّ المجالات، فالدعوة عنده ليست الوعظ والارشاد فقط دون غيره من المجالات الأخرى ذات الأهمية المجتمعية.

02- أهمية الحرية لإحداث التغيير.

والتغيير لا يمكن أن يكون بالضغط أو بالقهر أو بالإكراه، بل لا بُدَّ أن يكون ضمن حرية الجماعة المسلمة، ومثال ذلك المرحلة المكية من بعثة النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وقصص الكثير من الأنبياء والأمم السابقة، حيث أنّه عندما يتحرر الفرد من كل القيود الجاهلية المفروضة عليه يمكن الانطلاق في إحداث التغيير الواقعي والعملي والحرية في ذلك شرط أساسي³.

03- أهمية العلم والحكمة لإحداث التغيير.

كل تغيير لا بدّ أن ينطلق من الدين والعلم، فنحن كمسلمين نؤمن أنّ كلّ ما نملكه من ثقافة وفكر وحضارة ومبادئ وقيّم هي من الدين نفسه، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون العلم مفصّولا

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، بل التفكير في التغيير، جريدة البلاد، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص33.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص105..

عن الدين أو مناقضا له، ولكلّ منهما حرمة وقدسيتها، والفصل بينهما في العقيدة الإسلامية - بقدر ما هو انحراف للعلم فهو في الوقت نفسه انحراف للدين¹.

بيّن الله تعالى أنّ الحكمة فضل منه سبحانه وتعالى يؤتيها من يشاء، وبها يمكن معرفة أسرار كثيرة بفضل الله قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة. الآية: 269].

وقد بيّن أحمد الرفاعي أنّ الحكمة مفقودة في العمل الإسلامي، وهي التي من شأنها استيعاب تجارب الأمم وحقائق التاريخ والاعتبار بنهايات الظالمين، يقول أحمد الرفاعي عن الحكمة وبيان أهميتها في شأن الدعوة: "الحكمة ضالة المؤمن عبادة قائمة بذاتها لا يغني عنها غيرها، ولا يجوز إهمالها، وقد وجدنا أننا في أمسّ الحاجة إلى هذه الحكمة، ننهل من ينابيعها في مختلف المراحل، ليبقى عملنا لله وحده لا تشوبه شوائب المصالح والأهواء، وليزكو عند الله، ويزكي المسلمين ويعمق إيمانهم، ويحرك طاقاتهم، ويجمع شملهم، ويوحد صفوفهم وكلمتهم في إطار الاعتبار والتبصر حتى لا يتكرر الفصل الأسود في تاريخنا الإسلامي مرة أخرى بحول الله، لذلك اطمأنت نفوسنا وآمنا بما قضى الله به في شأن الدعوة، وعلمنا أنّ ذلك هو الحقّ الذي لا يقبل الله غيره، ذلك هو منهجنا الذي وجدناه في كتاب ربنا سبحانه وفي سنة نبينا - صلى الله عليه وسلم -"².

الفرع الثاني: مرتكزات التغيير.

التغيير المراد منه إحداث نقلة نوعية وقفزة واضحة ومؤمل منه تحقيق مكاسب ونتائج هو الذي يبنى على أسس ومرتكزات سلمية، وقد عدد أحمد الرفاعي ثلاثة مرتكزات مهمة وهي:

المرتكز الأول: نقد التاريخ وتقويمه تقويماً موضوعياً بعيداً عن كل أشكال التشفي في السابقين أو عدم اللامبالاة بما حدث، فهو جزء من الماضي الذي لا نحاسب عليه، وبعيداً عن كل تبرير، ولأنّ التاريخ يتحكم في الحاضر بقوة، وتاريخنا مليء بالأخطاء والسقطات، فالواجب الجلوس إلى محاكمة التاريخ بعدالة ونزاهة، والغرض هو معرفة الأسباب التي أوصلت الأمة إلى هذا التردّي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري والحضاري، كما أنّه لا بد من مراعاة أبعاد الفكرة السياسية والمعنى أنّ الدافع ليس سياسياً بل هو عقدي بالدرجة الأولى متمثلاً في معرفة أسباب الانحراف الفكري والعقدي بتدخل السياسة في شتى المجالات³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، رسالة شخصية إلى الدكتور أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق.

² أحمد الرفاعي شرفي، ما هو منهجنا، مجلة الإرشاد، مرجع سابق.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 20.

المرتکز الثاني: تحرير العلم والفکر حتى نصل إلى حلّ علمي وتربوي بعيدا عن التأثير بالسياسة لا بدّ من تحرير الحركة الثقافية هي الأخرى من كلّ وصاية سياسية أو إدارية، فكلّ ذلك يظهر تأثيره في توجيه تلك الحلول، ويبقى دور الإدارة محصورا في الدعم المادي عند الضرورة، هذا في الشقّ المادي وفي الشقّ الفکري مراقبة سير العملية حتى لا تنحرف للجانب السياسي فتتأثر فتصبح حزبا أو معارضة هدفها نفس أهداف السلطة الحاكمة، وإن تغيّرت البرامج ظاهريا وبذلك نرجع للنقطة الصفر، وعليه فالواجب كما يرى أحمد الرفاعي التفكير والإعداد لبعث حركة علمية اجتماعية غير سياسية ولا حزبية، غايتها تصحيح المفاهيم والعلاقات الاجتماعية الإيمانية بين المسلمين تهدف إلى تحقيق التغيير الحضاري الإيماني في إطار الوحدة الكبرى للكيان الإسلامي¹.

المرتکز الثالث: تحرير الدين من كل وصاية فلا تتدخل الإدارة ولا السياسة ولا أيّ مجموعة مذهبية أو حزبية أو مؤسسة رسمية ولو كانت تحمل شعار الفتوى والشؤون الدينية، ويترك كل ذلك للدعاة والعلماء والجامع الفقهية المشهود لها لتقيم شرع الله وعبادته وتطبق أحكام القرآن والسنة في واقع النَّاس، وذلك كلّ تعظيما لدين الله وتطبيقا لحدوده وأحكامه، ولا يكون دور الإدارة هنا إلا في حالة الدعم المادي عند الضرورة، كما يشترط أن لا يتدخل المكلفون بهذا الموضوع وأن لا يمارسون دور الموالاة ولا دور المعارضة للسلطات القائمة إلا بما يتضمنه الحقّ والعدل والانصاف بعيدا عن كلّ مزايدة، وعليه فلا بدّ لإعادة الاعتبار للقيم العامة وخاصة ما يتعلق بالأخلاق وذلك ما يتيح التحول التدريجي إلى تشكيل وعي حضاري متحرر من الحزبية والقهر الإداري².

الفرع الثالث: مراحل الإصلاح والتغيير عند أحمد الرفاعي.
01- سنتا التطور والمرحلية.

سنة التطور والمرحلية من السنن الهامة التي ينبغي على الدعاة اعتبارها في أثناء التنظير أو القيام بالدعوة الميدانية، ولنا في سنن الله في الآفاق دروس وعبر، فهذا الليل والنهار وهذا تعاقب الفصول وتطور حياة الإنسان والحيوان والنبات كلّها إشارات واضحات، ولنا في سيرة النبيّ -صلى الله عليه وسلم- دروس جليّة، فرغم أنّه كان مُؤَيَّدًا بالرسالة والوحي والمعجزات، إلا أنّ سنة الله اقتضت أيضا أن تمرّ دعوته عبر مراحل وسنن، وهي بذلك تجرّبة رائعة وفريدة لبناء الفرد والمجتمع وتصحيح القيم والموازين. يقول أحمد الرفاعي عن دروس السيرة في شأن المرحلية والتطور: "إنّ الدارس لسيرة النبيّ -صلى الله عليه وسلم-: دراسة تحليل وتعليل واستنتاج بجوانبها الفكرية والاجتماعية، والسياسية

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، رسالة شخصية إلى الدكتور أبو القاسم سعد الله، ملحق رقم 02. مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 19.

والنفسية وغيرها، يجد أوجه التماثل والتشابهك بينها وبين الواقع البشري المعاصر، وواقع أمة الإسلام خاصة كثيرة وعديدة ومتشابهة، ففي الواقع المعاصر الإنساني والإسلامي أعراف وتقاليد، وأنظمة حكم، وحضارات لم تنشأ النشأة الربانية الصحيحة، وإنما نشأت نشأة يختلط فيها الإسلام باليهودية والنصرانية، والشرك والكفر والانحراف عن الصراط المستقيم عامّة، ومتأثرة في الوقت نفسه بصراع القوى والمصالح والشهوات والعنف بكل أشكاله، وهي في مجموعها نفس قيّم ومفاهيم جاهلية ما قبل الإسلام، وكلّ ذلك يقتضي رؤية جديدة للسيرة النبوية باعتبارها تجربة رائدة في بناء الفرد والمجتمع¹.

إنّ الإصلاح الأصيل والشامل في رؤية أحمد الرفاعي شرقي يتم حسب سنن الله -عزّ وجلّ- عبر مرحلتين متكاملتين:

أ- المرحلة النظرية أو الفكرية المتمثلة خاصة في الإحساس الواضح العميق بأزمة الواقع الاجتماعي المتشعبة والمتفاقمة، وذلك بالتحليل والدقيق في المسببات والآثار الآنية والمستقبلية في حال بقائها بلا حلول ولا علاج وما ينتج عن ذلك من صراعات على مختلف المجالات، ومعرفة دور القيم والثوابت والمنطلقات الخاصة بالأمة من عقيدة وثقافة وتجارب تاريخية.

ب- المرحلة العلمية المتمثلة في التحولات التي يمكن أن يراها المواطن والفرد المسلم في واقعه بدءاً من حالة التفكير المتحوّل إلى الوعي ووصولاً إلى الحياة الاجتماعية من حيث بنيتها وهيكلها ووسائلها، بحيث يلاحظ التغير الميداني في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية من إدارات وتسيير وحقوق متساوية وواجبات منفذة، وكلّ ما من شأنه الفخر والاعتزاز بالانتماء إلى هذه الأمة الأصيلة التي ترفع شعار العدالة الاجتماعية وتطبقها واقعا في مجتمع القيم والمثل العليا وبسلطة ترعاه وتضمن له حقوقه ومصالحه².

والمؤكد أنّ سنن الله الماثلة بما تحوي من دروس وحكم قد تجاهلها المسلمون، مع أنّ أيّ تغيير لا بدّ فيه من فقه وفهم لسنن الله فهما كاملا وشاملا، ومن تلك السنن ما يتعلق بثبت أركان الإيمان والتغيير والإصلاح، وكلّ ما يدخل في التجديد، فالأخذ بالسنن يختصر المسافات ويوفر الجهد، وكما هو معلوم لدى كلّ المؤمنين أنّ سنن الله -عزّ وجلّ- تتضمن علوما وحكما لا مثيل لها يتصل بعضها بالعقيدة، وبعضها بالشرعية وبعضها بالجانب الاجتماعي والعلمي والأخلاقي وغير ذلك فسنن الله -

¹ أحمد الرفاعي شرقي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، مرجع سابق، ص38.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، هذه حسائنا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير...؟، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

عزَّ وجلَّ- هي مرتكزات الوجود وأساطينه الكبرى والجهل بها يسبب الفشل والخمول والجمود وربما يوصل إلى ما لا يرضاه ربنا - سبحانه وتعالى-¹.

02- التغيير يبدأ تصاعديا والفساد من القمة الى الأسفل.

يعتقد أحمد الرفاعي أنَّ المنهج الإسلامي في التغيير إمَّا يكون تصاعديا بحيث يبدأ من القاعدة وينتهي بالقمة، ويرى أنَّ ذلك من الفطرة الكونية، ويمثل لذلك بظهور الأسرة الانسانية التي بدأت بكائن واحد هو آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلقت زوجته منه وهما بذرة المجتمع البشري. ومن هذا المنظر أيضا بدأت الأمة الإسلامية تكوينها وظهورها، حيث بدأت بالرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - كنيي مكلف بالرسالة ثمَّ آمنت به زوجته وهكذا توسعت الأمة إلى أن تشكَّلت من قبائل وشعوب وأعراق مختلفة، ومن بعد تكوين الأمة ظهر نظام الحكم والمتمثل في الدولة الإسلامية المؤسسة على نظام الشورى، وعليه فالمجتمع هو مصدر السلطة وليست السلطة هي من كونت المجتمع، ويرى أحمد الرفاعي أنَّ المنهج الجاهلي عكس المنهج الإسلامي حيث يبدأ من القمة وينحدر إلى القاعدة، ويضرب مثلا لذلك بحكم بني أمية حيث مسَّ الانحراف مؤسسة الحكم والمتمثلة في الخلافة، ومن خلالها إمتد للمجالات والمستويات المختلفة، والتي أفضت جميعها إلى مزيد من الاستبداد والتخلف والجمود².

وتتجلى عظمة ما جاء في الإسلام من جديد ومفيد للإنسانية على مختلف الجبهات والصعد، فهو شامل لكلِّ أجيال الأمم والشعوب والحضارات، وهو بديل رباني يقوم على الفطرة السليمة التي تتناسب وتوافق تلقائيا مع ما جاءت به الشريعة من أحكام وما تضمنته من حقوق وواجبات، وما حققته للإنسان من حرية وأنقذته من قيود جاهلية وأعراف بالية، كلِّ ذلك يعطي الصورة الناصعة للنقطة النوعية من إنسان الشهوات إلى إنسان القضية المتحرر من كلِّ قيود وبرائن وأهواء الجاهلية، والمنهج المتبع في سبيل تحقيق ذلك التحول الإنساني فيتمثل في تغيير الإنسان نفسه قبل محيطه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] عكس النمط الجاهلي الذي يغير المحيط أولا ثمَّ الإنسان بعد ذلك، وذلك هو سبب الإخفاقات الجاهلية قديما وحديثا³.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، مرجع سابق، ص 88

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، جراح التاريخ وعاهاته، مرجع سابق، ص 69.

³ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 30.

المطلب الثالث: نظرات في التغيير والتجديد عن أحمد الرفاعي.

الفرع الأول: زوايا التغيير.

يرى أحمد الرفاعي أنّ التغيير ينظر إليه من زاوية مختلفتين:

الرؤية الأولى: وهي الرؤية السياسية والإعلامية ولو أنّها فعلا نابعة من واقع الأحداث المتتالية والمشكلات والقضايا التي يعيشها الإنسان وملاساتها، فتصلّ هذه الرؤيا قاصرة لكونها تفصل القضايا عن أسبابها ونتائجها، وذلك ما يجعلها رؤية ظرفية مؤقتة غير صالحة للتغيير المطلوب، وغير قادرة على تحقيقه.

الرؤية الثانية: وهي الرؤية الفكرية ذات الأبعاد الحضارية النابعة من حركة الأحداث المختلفة، المرتبطة بجذورها، وأسبابها الأساسية، والدالة على انعكاساتها المستقبلية الحتمية بحسب سنن الله - عزّ وجلّ- وإن تحققت هذه الرؤية بالآليات والوسائل العلمية المدروسة، من تحقيق وتدبر وتحليل وتعليل ستؤدي حتما لإحداث التغيير، والمؤسف أنّ هذه الرؤيا غيبت كثيرا مع أنّها هي الحلّ الوحيد لأنّها تنطلق من القرآن والسنة حيث المنطلق المشترك والمصير المشترك للأمة الواحدة¹.

إنّ تحقيق تلك الرؤيا حسب أحمد الرفاعي شرقي يمكن أن تقوم به جماعة المسلمين فقط، والتي يجب أن تكون بعيدة عن الخلافات المذهبية متجاوزا لنتيه الحضاري ولكلّ وصاية ومن ذلك يبدأ استظهار الخلل، يضيف أحمد الرفاعي في بيان العلاج: "وعلاجه الصحيح ما جاء به الإسلام من التحرير والتغيير، تحرير الإرادة لتحقيق التغيير بتحرير العقيدة من جديد، وتحرير العدالة من جديد، وتحرير السياسة من جديد، وتحرير المال من جديد، وتحرير الأمن الاجتماعي من جديد. فذلك ما كان منتظرا من الصحوة قبل كبوتها التي بينت أنّ جمهور الصحوة عامة أخلّ بشرط الله - عزّ وجلّ- المتمثل في قوله - عزّ وجلّ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد. الآية: 11] حيث أرادوا تحقيق التغيير في الواقع قبل أن يحققوه في أنفسهم"².

الفرع الثاني: المسؤولية الاجتماعية في التغيير.

الوضع العالمي للمسلمين والصورة القائمة التي رسمها الإعلام المأجور للمسلمين توحى جميعها بأنّ عملية الإصلاح لن تكون سهلة ولا يسيرة ولا هينة، فحجم التراكمات كبير وحجم التهميش الذي طال الأمة على مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية كبير هو الآخر، كما أنّ الصورة المشوهة خاصّة ما يوسم به المسلمون من إرهاب وتطرّف وعنف كبيرة للغاية، وبالبدء بعملية

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 102.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الإصلاح فإنَّ القوى المعادية تعمل ما بوسعها لعرقلة المشروع الاصلاحى إمَّا بتحريفه أو اجهاضه أو اختراقه بغرض تعطيله وتأجيله، المهم أن لا يتحقق المشروع على أرض الواقع، وعليه فالواجب على الأمة أن تمكّن لقادة الإصلاح كلّ السبل للتغلغل في أعماق الحياة الاجتماعية، وذلك بغرض استقطاب الطاقات الفكرية والعلمية وتنظيم نشاطها بدقة واتقان وحرص ودراسة عميقة، كلّ ذلك ما يضمن لها الاستمرارية والعمل على أسس علمية وتقنية سلمية، ويكون العمل بالبدء بتعزيز القيم المجتمعية الأصيلة ونشر الوعي الأصيل أيضا لدى عموم أفراد الأمة¹.

إنَّ الإصلاح والتغيير مهمة يشترك فيها الجميع ولا يمكن لأيّ كان احتكار المبادرة لوحده فالجميع شركاء في ذلك، ويعتبر الرفاعي عملية الإصلاح مهمة وطنية وتاريخية تتجاوز قدرات النظام وحده، وتتجاوز قدرات المعارضة أو أي حزب أو تيار بمفرده، وإمَّا توجب المصلحة تعاون الجميع على تحقيق هذا المشروع قدر المستطاع وبأقلّ التكاليف².

وليس صحيحا ولا منطقيا أن يتغير الحال فجأة بمجرد تغيير المسؤولين، لأنَّ الفساد والوضع القائم حدث بالتراكم، والحل يكون تراكميا هو الآخر، يقول أحمد الرفاعي: "إنَّ إصلاح الواقع الاجتماعى وتغيير فساد وسلبياته لا يمكن تحقيقه بتغيير أشخاص المسؤولين وحده، ولا بسنّ قوانين جديدة وحدها، ولا بغير ذلك من الآراء التقليدية المعروفة، والتي تبين أنَّها تدور في حلقة مفرغة تؤدي حتما إلى تكريس الواقع ومفاسده وسلبياته، بل وإلى تزايد الفساد المتمدد في فراغات الإنسان وفساد محيطه، بعد انهيار بنية عقيدته واهتلاك بنيته الفكرية"³.

إنَّ العهد الجديد المأمول والمنتظر لا بد أن يكون عهد المجتمعات لا عهد الأنظمة ولا عهد الزعامات والحكم الفردي ولا الملوك والأمراء والرؤساء بالمفهوم التقليدي، بشرط أن تتجاوز تلك المجتمعات كل أسباب وأشكال الفرقة والاختلافات، وفي هذا العهد سيظهر أيضا "اقتصاد اجتماعى جديد، وثقافة جديدة و إعلام جديد وحضارة جديدة تعبر فعلا عن عبقرية الإنسان البسيط المهمش، وعن مزاياه وخصائصه وحقوقه وهذه المهمة الحضارية لا تقوم بها أنظمة الفساد وأحزاب وتيارات التيه وإمَّا تقوم به جماعة المسلمين كما سبق الذكر، وهي فجر الإنسانية الجديد بعون الله. بحيث تعيد الاعتبار لجديد الإسلام والخالد"⁴.

¹ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، هذه خسائرننا.. فمن أين يبدأ الإصلاح والتغيير...؟، جريدة النور الجديد، مرجع سابق.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، رسالة إلى الشيخ عبد الله جاب الله، كتاب: آلام في الدعوة والصحة، مرجع سابق.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ ينظر: أحمد الرفاعي شرقي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، مرجع سابق، ص 104.

ومعلوم أنّ الإسلام جاء بالجديد في كلّ المجالات، ومن أهم ما جاء به تحرير الإنسان الذي قيده الأعراف الفاسدة والأنظمة الطاغية، فالإسلام يريد من الأفراد الإسهام في كلّ عملية تغيير متوقع ومحتمل، وعندما يتحرر الناس لا بدّ من مشاركتهم الجماعية في التغيير بعيدا عن التغيير بالعنف والانقلابات العسكرية والأحزاب الفاشلة، التغيير المقصود يشارك فيه كلّ أطراف الشعب متجاوزا القيادات التقليدية المستهلكة والمعينة من الحكام وأنظمة الحكم المتوارثة عائليا أو عسكريا، الجديد المطلوب تحرير الأفراد عقولا وأبدانا وتكوينهم نوعيا ووعيا كبيرا بالقضية ومتطلباتها¹.

الفرع الثالث: التغيير لا يكون بالأحزاب.

الحلّ المطلوب في ظلّ التغيير الشامل يجب أن يكون بعيدا عن كلّ الرؤى السياسية والحزبية والإدارية والاجتماعية التي مرجعها قناعات الأفراد والتيارات الاجتماعية التقليدية، وإمّا هو حلّ علمي فكري تربوي، وديني شرعي في الوقت نفسه، ويقوم على مرتكزات أساسية.

إنّ الكثير من الأمم والشعوب من غيرنا استوعبت قضاياها بعمق ووضوح، الأمر الذي مكّنها من إحداث التغيير الفعلي، وفق سنن الله تعالى التي لا تحابي أحدا، ووفق شروط وحالات مضبوطة، ويؤكد أحمد الرفاعي أنّ هذا الجهد لا تقوم به الأحزاب التقليدية، وإمّا هو جهد دعوي تربوي إيماني يخلّص النفوس من رواسب المورثات الفاسدة ويجرّها من تأثيرات الواقع ومن كلّ ما هو واعد، ويغذيها ويشحنها بيزاد فكري ومعرفي أساسه الفكر السليم والإيمان العميق المستمد من القرآن والسنة، ولا يتنكر للتجارب المفيدة من الشعوب والأمم الأخرى التي قفزت وتغيّرت نحو الأحسن².

وتراكمات إشكالية الواقع الاجتماعي بتنوع أسبابها وملابساتها ونتائجها أكبر بكثير من أن يعالجها الفكر الحزبي أو الإداري التقليدي، سواء من خلال انتخابات أو سنّ قوانين رئاسية أو تشريعية، ولو ظهرت أنّها تتعامل وتتعاوى بإيجابية مع تلك الإشكالية، إلّا أنّ الخلل الواضح وهو عدم التطرق إلى جذور المشكلات وأسبابها ومنطلقاتها المرتبطة بها، وعلاقة كلّ ذلك بالنفس لأنّ التغيير إمّا ينطلق من النفس بأساليب تربوية إيمانية ربانية مستمدة من الكتاب والسنة³.

وعن عجز الأحزاب عن تقديم أيّ فكر إصلاحية من شأنه إحداث التغيير، يقول أحمد الرفاعي شرفي: "إنّ إصلاح واقع المسلمين لا يمكن أن يأتي عن طريق أحزاب لا تحسن إلّا تقديم الأكاذيب والوعود الوهمية إبان الحملات الانتخابية، ثمّ تتفرغ بعد ذلك لمصالحها الخاصة، بل إنّ المنهج الحزبي عامة

¹ ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² أحمد الرفاعي شرفي، استثمار الفكر والإيمان، جريدة النور الجديد، العدد 14، الجزائر، 10 ماي 2001م، ص 24.

³ أحمد الرفاعي شرفي، خيارات ومعالم إيمانية، مرجع سابق، ص 67.

وما يقوم عليه من الصراع والتنافس، وشراء الذمم صار منهجا لنشر الفساد والفرقة والبغضاء في أوساط المسلمين وأسرهم، والمجتمع على علم بما خلفته الحملات الانتخابية من فرقة وخصومات حتى بين الأشقاء بسبب تعارض المصالح¹.

إنَّ من عوامل التغيير إصلاح المؤمن نفسه دون تردد، مع ضرورة الاعتراف بالأخطاء والتحرر من كلِّ تعصب سواء للحزب أو المذهب ومن قيود الواقع، فالتغيير يحتاج إلى وعي عميق وقناعة راسخة واستلهام كبير لدروس التاريخ وتجارب الحياة، بذلك يستطيع المسلم الرجوع إلى ربِّه وإلى خيريته ويتحرر من الكذب والزيف والغش، وكلِّ المفاسد النفسية والمادية والخلقية التي لازمته في السابق وينطلق إلى العالم الجديد².

الفرع الرابع: الحلول المستوردة وكيف جنت على الأمة.

لقد أخذت محاولات الإصلاح صوراً شتى، فكانت القومية العربية وكانت الديمقراطية ثم العلمانية، وفي أثناء كلِّ ذلك ذاعت الكثير من الأفكار والمناهج المستوردة، وقد كانت تملأ الدنيا بالحديث عنها وبالسعي وراءها من قبيل الاشتراكية والديمقراطية والتفتح وغيرها، هذه كلُّها جرت عند المسلمين وكأَنَّهم حقل للتجارب، وليتها أفلحت كلُّها أو بعضها أو أحد منها، فلقد باءت جميعها بالفشل والخذلان، بل وفي أحيان كثيرة تجر معها خسائر إمَّا مادية وإمَّا بشرية وإمَّا هما معا، وخسائر أخرى كثيرة في مجالات كثيرة أيضاً. ولم يتمكن حاملو تلك الأفكار من تأمين الشعوب ولا تأمين مستقبل أوطانهم، بل زاد الأمر تخلفاً وتعقيداً، هذا ممَّا يدل بوضوح فشل الحلول المستوردة، ويدلُّ أيضاً على نتيجة عدم اتباع سنن الله وشرع الله الحكيم ومحاولة استبدال كلِّ ذلك بأفكار مستوردة بعيدة عن قيِّم وأخلاق المجتمع³.

¹ أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص 39.

² ينظر: أحمد الرفاعي شرفي، سلبات المسلمين نتيجة حتمية لأخطاء تاريخية، جريدة النور الجديد، العدد 02، الجزائر، 17 فيفري 2001م، ص 24.

³ أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد الميلي، ج 1، مرجع سابق، ص 12.

خلاصة الفصل

الفكر الإسلامي فكر أصيل، وهو عام وشامل لكلّ الجوانب، شأنه من شأن دين الإسلام من خصائص ومميزات لا مثيل لها من: ربانية وشمولية وعالمية، إلا أنّ واقع المسلمين يدلّ على أزمة فكرية معقدة، سببها حسب ما أشار إليه أحمد الرفاعي بعد المسلمين عن القرآن والسنة، والتناقض واضح وجلي بين الأصل الواجب والأمر الواقع، وعليه فالواجب من الجميع العمل على إصلاح الفكر الإسلامي، لأنّ أمة المسلمين لم يعد لها تأثير بين الأمم، وقد ضربت التبعية بأطنابها في بلاد المسلمين، وأصابت حضارتهم وثقافتهم واقعنا في مقتل، وحصل بكلّ ذلك وغير ذلك استلاب حضاري وتآزم فكري، وذلك يتطلب من المسلمين الانطلاق والشرع في حركة علمية واسعة، تسهم في البعث الحضاري من جديد، يرى الرفاعي أنّ عملية التغيير في جميع جسم الأمة لا بدّ من انطلاقتها عاجلا بدون تأخير وتسويق وبحكمة وبصيرة ورؤية حضارية بعيدة المدى، وبشروط واضحة وأسس ثابتة ومرتكزات أصيلة.

وإنّ الفرد المسلم في الأصل هو صاحب قضية كبرى يعيش لأجلها، و عليه فلا بدّ من إعادة تشكيل عقل المسلم من جديد، بحيث يكون قادرا على حمل تلك القضية، وهي تبليغ دين الله للعالمين، والمؤمن يدرك يقينا أنّ العاقبة للمتقين وأنّ النصر للإسلام ولو طال الزمن، ولو كان من خارج بلاد المسلمين، ومهما كان الضعف الحالي، ومهما كانت مكانة المسلمين في تدنّ، فالنصر حليف المسلمين بالمزيد من العمل والإخلاص وإتباع سنن الله في الآفاق والأنفس والهداية، وبذلك يتحقق وعد الله بالتمكين لهذا الدين.

ومن خلال ما تقدم في هذا الفصل من عناصر مختلفة ومخاور متنوعة، برز لنا وبشكل عام.

المضمون الفكري والحضاري وتنزيلاته الواقعية عند أحمد الرفاعي شرفي.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة أحمد الله العلي الكبير على توفيقه لي بإتمام هذا العمل الموسوم بـ "الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي" سائلا منه سبحانه وتعالى المزيد من التوفيق والسداد والإخلاص. وقد سجّلتُ في ختامها جملة من النتائج وأرفقتها ببعض الاقتراحات والتوصيات.

أولا: النتائج.

- 01- أحمد الرفاعي شرفي شخصية علمية ودعوية وفكرية بارزة، لم تنل حظّها من الدراسة؛ ولذلك فهي جديرة بالاهتمام خاصة في مجال الفكر الدعوي المتنوع والثري، وقد تبين لي من خلال الدراسة أنّ أحمد الرفاعي شرفي من الأكثر الكُتاب الجزائريين المطلعين والمهتمين بشؤون الدعوة والصحة.
- 02- يعتبر أحمد الرفاعي استمرارية الجيل الأول من الحركة الإصلاحية فهو من طلاب المدرسة الأوائل والمتضلع في رصيد وآثار الجيل الأول.
- 03- جمع الرجل آثار الجيل الأول معتزا به وسعى للاستمرارية الايجابية وفي نفس الوقت كان واقعا واجتماعيا يهفو للتجديد ويطمح للتغيير، وعليه فقد كان يمثل الاستمرارية والتجديد معا بالتوفيق بينهما.
- 04- المكتبة الإسلامية مدينة للكاتب والمؤلف أحمد الرفاعي شرفي بما تركه من كتب ومقالات في الشأن الدعوي والفكري والإصلاحي.
- 05- تميّز أحمد الرفاعي بجرأة كبيرة في الجهر بالحقّ والشجاعة في الدّود عن حياض الإسلام، وميادين الدعوة وتصحيح أخطائها، كما كان يتمتع بقدرة عجيبة وفائقة في توليد الأفكار، والتعبير عنها بلغة سهلة بسيطة ميسورة للجميع.
- 06- تميزت كتابات أحمد الرفاعي بالفكر الخالص والذاتي فكل كتبه -على كثرتها- لا تكاد تجد فيها مرجعا واحدا استعان به الرجل.
- 07- نشأ أحمد الرفاعي في بيئة قاسية واكبت حقبة الاستعمار الفرنسي؛ ومع ذلك فقد تنقّل في ربوع الوطن وخارجه وارتقى في الشهادات والتحصيل، كما شهد الاستقلال وحضر أزمات الجزائر الكبرى، وقد أسهم كلّ ذلك في تكوين فكره الدعوي.
- 08- اعتمد أحمد الرفاعي شرفي على المصادر الأصلية (القرآن والسنة) في فكره الدعوي انطلاقا من أحكامهما ومقاصدهما. ولم يتجاوز أحداث السيرة العطرة وما فيها من دروس وعبر، كما استفاد أيضا من جلي الصحابة والتابعين الأقرب لزمان النبي -صلى الله عليه وسلم-.

- 09- تأثر أحمد الرفاعي بالمدرسة الصوفية، وبجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبجماعة الإخوان المسلمين، وتلك مدارس أسياسية استلهم منها الكثير من الأفكار والتجارب في المجال الدعوي.
- 10- تبين من خلال الدراسة أنّ الدعوة الإسلامية تمرّ بمرحلة عصبية، خاصّة مع المتغيرات الجديدة وثورة الإعلام المتنامية بسرعة مذهلة، ممّا يتطلب المزيد من الحرص والاهتمام بالشأن الدعوي وفق تلك المتغيرات.
- 11- توضّح لديّ أنّ الصحوة الإسلامية كانت مشروعاً هائلاً وطيباً، ورغم تحقيق بعض النتائج الإيجابية في الميدان، إلا أنّ الإخفاق والتعثّر كان الأبرز في مسيرتها، ومن أسباب ذلك عدم التوفيق في دخول معترك السياسة والتحزّب، بالإضافة إلى عدم الأخذ بسنن التغيير والإعداد والاستشراف.
- 12- الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي كان شاملاً لمختلف شؤون الحياة، فقد حوى الجوانب العقدية الإيمانية، كما حوى الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية الحضارية.
- 13- حرص الرفاعي كثيراً على الواقعية في الطرح؛ ولذلك كان التركيز في أغلب عناصر البحث عن (التنزيلات الواقعية) في كلّ تلك المجالات حتى يتوافق ويتوافق الفكر مع العمل والواقع.
- 14- كشفت الدراسة عن اهتمام أحمد الرفاعي بالعقيدة وبالجانب الإيمان، معتبراً أنّ أصل الفساد بدأ من الاختلال في العقيدة، وأنّ أصل الإصلاح لا بدّ أن ينطلق من تصحيح العقيدة ورفع منسوب الإيمان لدى الجميع.
- 15- لا يمكن للداعية والمصلح أن يتجاوز قضايا المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه، وعليه فقضايا المجتمع تندرج ضمن أولويات الدعاة، لأنّ المدعوين تتحكم فيهم الظروف الاجتماعية بشكل كبير.
- 16- شغل الجانب التربوي والثقافي حيزاً هاماً من فكر أحمد الرفاعي، فلا يمكن التطور والارتقاء والإقلاع دون الاهتمام بالتربية والتعليم وإصلاح الشأن الثقافي خاصّة في ظلّ الثورة الثقافية المتلاحقة
- 17- توصلت الدراسة إلى أنّ من أهم أسباب الاخفاقات المتتالية ما اصطلح عليه الرفاعي بتسميته بـ (تسييس الدين) وهو استغلال الدين لأغراض سياسية، ومن ثمّة تحصيل منافع حزبية وشخصية وتحقيق مصالح ذاتية، والنتيجة - في الغالب - الإضرار بالدعوة والصحوة.
- 18- إصلاح الفكر من أهم وأوجب القضايا التي يجب أن يبادر إليها الدعاة والمفكرون، فالحضارة لا تقوم بفكر مضطرب أو بفكر أعرج مشوّه، وإن تحقق إصلاح الفكر بالشكل المطلوب، فالطريق يكون ممهداً نحو الارتقاء الحضاري وتصحيح مكانة المسلمين وإعادة الهبة لهم بين الأمم والشعوب والحضارات، ويتحقق للمسلمين لاحقاً الشهود الحضاري والتمكين في الأرض لشرعة الله ولعباده المؤمنين.

ثانيا: التوصيات والاقتراحات.

01- العناية بدراسة أعلام الجزائر ورجالها الفكرية والثقافية، وإبراز جهودهم العلمية والفكرية، إنصافا لهم وتعريفا للأجيال برصيدهم المعرفي وبما خلفوه من آثار للاستفادة منها والحفاظ عليها، وتخليدا لتراث الأمة الجزائرية.

02- نوصي بضرورة وأهمية إيلاء المزيد من الاهتمام بتراث أحمد الرفاعي شرفي، فقد ترك نحو أربعين مؤلفا من الكتب ومئات من المقالات الصحفية المبتوثة في الجرائد والمجلات، وبعض المخطوطات التي لم تر النور لحدّ الآن.

03- ضرورة العناية بقضايا الدعوة وشؤونها من خلال المراجعات المتعلقة بالمناهج الدعوية والأساليب والوسائل، خاصّة مع التغيرات والثورة الإعلامية والتكنولوجية الرقمية.

04- نوصي بتوجيه الباحثين نحو التعمّق في مسألة الصحوة الإسلامية المعاصرة والاستفادة من التجربة بما لها من مكاسب وما عليها من تحفظات.

وفي الأخير - وبكل صدق - أعتزف أنني عجزت عن التعريف بالرجل وبفكره الدعوي كما يجب أن يكون، وأسأل الله العليّ القدير أن يكون عملي المقدم فيه إضافة ولو يسيرة للمكتبة الوطنية في التعريف بشخصية وطنية علمية أثرت الساحة الدعوية والتربوية بالكثير من العطاء والإفادة، فإن أصبت في ذلك فبتوفيق من الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

كما أسأله سبحانه وتعالى متضرعا إليه وراجيا منه أن يتقبل مني هذا الجهد وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يحظى بالقبول، ويجازينا عنه بالجزاء الحسن إنّه وليّ ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى من ربّ كريم وإله رحيم.

وصلّ اللهم على سيدنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الملاحق

- 01- الملحق رقم 01: شهادة الميلاد الخاصة بأحمد الرفاعي شرفي. صادرة بتاريخ: 2020/01/06م (صفحة واحدة)
- 02- الملحق رقم 02: رسالة أحمد الرفاعي للدكتور أبو القاسم سعد الله والرد عليها بتاريخ سنة 2012م. (03 صفحات)
- 03- الملحق رقم 03: رسالة أحمد الرفاعي بمناسبة تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومديرية الثقافة بتاريخ 10 جوان 2010م (03 صفحات).
- 04- ملحق رقم 04: علي مدور، مخطوط: معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحي لمير شرفي شقيق أحمد الرفاعي، وثيقة غير مطبوعة.
- 05- ملحق رقم 05: اتفاقية التمييز ضد المرأة (سيداو) الصادرة من الأمم المتحدة.
- 06- ملحق رقم 06: صورة أحمد الرفاعي شرفي.

الأخ كريم، د. بلقاسم سعد الله المحترم حفظه الله ووفقه لما يحب ويرضى
أمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد

أولاً: أشكركم جزيل الشكر على ما تفضلتم به من السؤال عن صحتي
وأشكركم على المكالمة الهاتفية التي شرفتموني بها، فجزاكم الله من أخ كريم، وفي،
ودود رغم ما كان مني من تقصير.

ثانياً: وبدت لو أن الله عز وجل يسر لي فرصة اللقاء بكم لأطول فترة ممكنة
لأبتكم ما بنفسي من الألم والغيض من أوضاعنا الإسلامية عامة. ولأسمع منكم -
وانتم من أنتم علما وخلقاً - ولا نزكسي على الله - رأيكم في واقعنا، وتاريخنا
ومستقبلنا، لكوني أعلم يقيناً أنه لا يمكن ولا يعقل أن تختصر أمة كاملة في شخص
أو رأي، لذلك فكل ما أشعر به من خواطر و هواجس بالنسبة لواقعنا وتاريخنا
ومستقبلنا قد يكون مجرد انطباعات ذاتية لا علاقة لها بالحقيقة أو ما يقتضيه الفكر
من موضوعية، و أمانة.

أصارحكم - أخي الكريم - أنني أحيانا ألوم علماءنا عامة - ومنهم الصديق
د. بلقاسم سعد الله على أنهم شغلوا بالتأليف وغيره عن مصارحة الأمة الإسلامية
بحقيقة مأساتها طيلة ما يقرب من أربعة عشر قرناً وذلك ما جعلها تجتر الأخطاء
والتبرير للإنحراف والفساد لكون العلماء هم ضمير الأمة، ولسانها و نارة أقول أو
تقول لي نفسي: إن العلماء - ومنهم الصديق د. بلقاسم سعد الله أدوا واجبهم بما
دونوا و كتبوا لكن الأمة عامة لم تفهم ولم تعمل بما نصح به العلماء و نارة أقول، أو
تقول لي نفسي: كل ذلك موجود و يطرح التساؤلات التالية التالي:

ما الحل؟

و إلى متى تظل الأمة الإسلامية رهينة التخلف والفرقة والانقسامات
والصراعات؟

و في السياق نفسه تقول لي نفسي: لم أهدرنا الأمة الإسلامية العديد من
فرص التغيير والإصلاح قديماً وحديثاً: من سقوط الدولة الأموية بملاساتها، و قيام
الدولة العباسية، إلى سقوط بغداد، إلى الخروج من الأندلس، إلى الحروب الصليبية،
إلى الإستعمار إلى إهدار مستجدات الحياة الإنسانية مثل ظهور الإيديولوجيات
الحديثة من الشيوعية والإشتراكية، و النازية، و اللبرالية و الديمقراطية إلى
الصهوة الإسلامية المعاصرة و غيرها، إلى جهود الإصلاحيين عامة من الأفغاني

ملحق رقم: 02 صفحة 03/01.

رسالة أحمد الرفاعي للدكتور أبو القاسم سعد الله والرد عليها بتاريخ سنة 2012م.

إلى الانقلابات العسكرية، والحركات الحزبية و التقايبية.

لقد كانت كلها فرصا ثمينة للإصلاح و التغيير و لكنها أهدرت. لماذا؟

تقول لي نفسي كل ذلك يعود إلى أسباب ثلاثة

الأول: تسييس الدين.

الثاني: تسييس العلم و الفكر.

الثالث: إهدار حرية المجتمع و منذ عهد بني أمية إلى عصرنا.

و من هذه الأسباب الثلاثة تشكل تاريخنا و واقعنا المتمثل في: الفرقة، و التخلف،

و الفساد، و تكريس الإنحراف عبر التاريخ و لا مخرج من هذه الحلقة المفرغة إلا

بأمر ثلاث:

1- تحرير الدين من السياسة

2- تحرير العلم و الفكر من السياسة.

3- تحرير الإرادة الإجتماعية من السياسة و مقسدها و كل ذلك يقتضي:

أ- التفكير و الإعداد لبعث حركة علمية إجتماعية غير سياسية و لا حزبية غايتها

تصحيح المفاهيم و العلاقات الإجتماعية الإيمانية بين المسلمين (علاقة الأخوة

الإسلامية) في إطار التعاون و الشورى و هدفها تحقيق التغيير الحضاري

الإيماني غير المتحيز و لا الممذهب في إطار وحدة الكيان الإسلامي الواحد.

ب- إعادة الإعتبار للقيم الأخلاقية عامة و بخاصة ما يتعلق بالأخلاق الإسلامية.

إن هذه الفكرة أو الخاطرة تحتاج إلى أمثال الصديق د. بلقاسم سعد الله في أخلاقه

و علمه و تجاربه لتتحول إلى تيار و عني حضاري متحرر من الحزبية و القهر

الإداري و تتشكل في ممارسات إجتماعية و مواقف ميدانية تتجاوز المطالب إلى

الفعل الميداني، الذي تجسدت بعض ملامحه في ما سمي بالربيع العربي و الأولى

أن يسمى الربيع الإسلامي.

و كم يكون الأمر عظيما و تاريخيا، و مدهشما لو تقبل الصديق د. بلقاسم سعد الله هذه

الخواطر و أضاف إليها أو غيرها كلها جذريا و قدم بدلا عنها و يسجل التاريخ أن

حركة تحرير الدين و تحرير العلم في المجتمع الإسلامي المعاصر دعا إليها بلقاسم

سعد الله و تقبلتها الأمة الإسلامية و بها تغير واقع المسلمين فهل هذا الأمل ممكنا؟

انتظر الإجابة بفارغ صبر من الصديق الدكتور بلقاسم سعد الله.

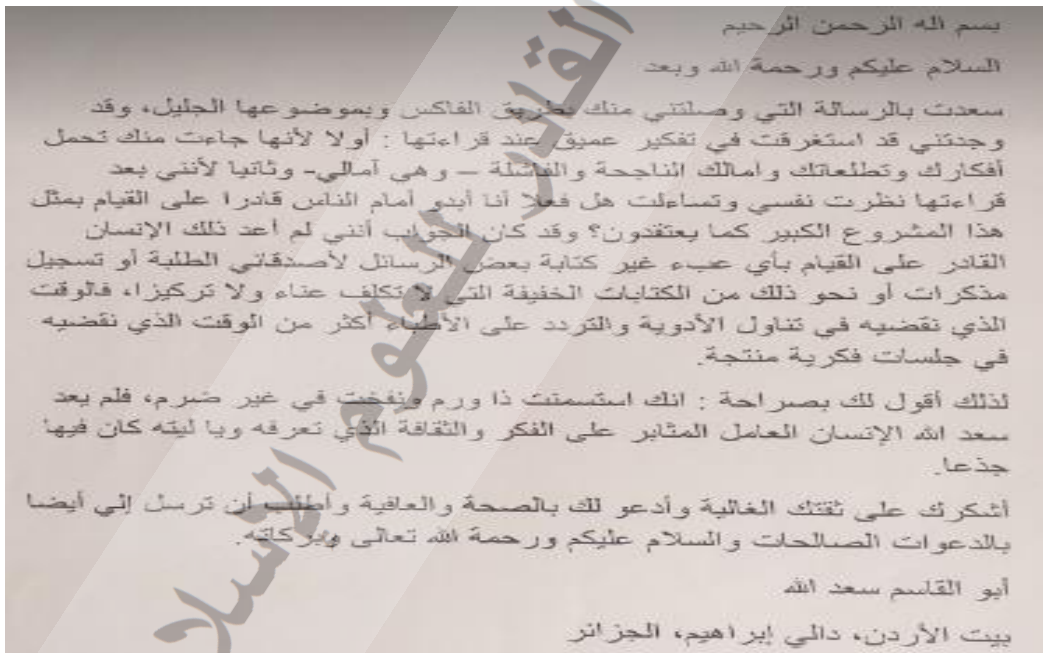
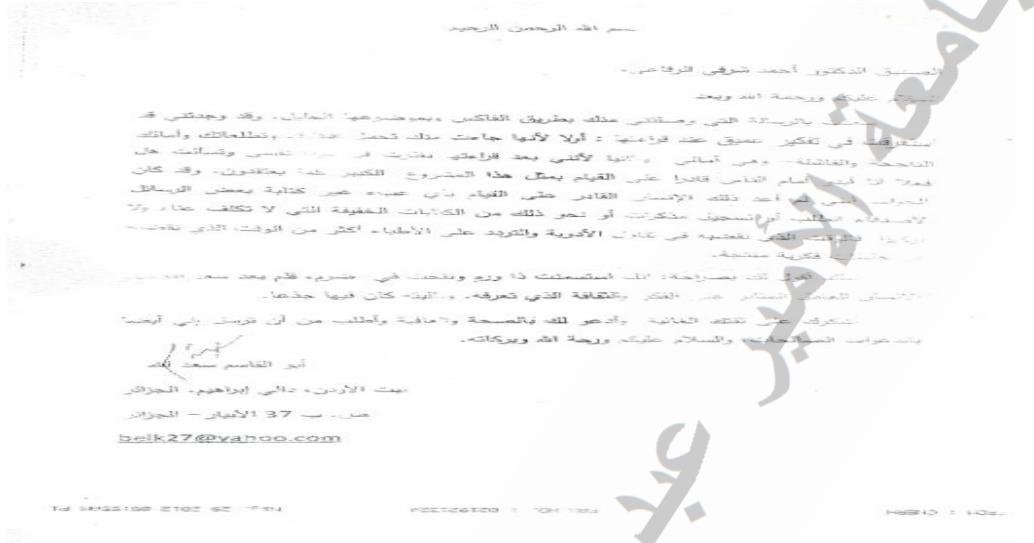
أخوكم أحمد الرفاعي

شرفي

رقم الفاكس: 031.61.19.46

ملحق رقم: 02 صفحة 03/02.

رسالة أحمد الرفاعي للدكتور أبو القاسم سعد الله والرد عليها بتاريخ سنة 2012م.



ملحق رقم: 02 صفحة 03/03.

رسالة أحمد الرفاعي للدكتور أبو القاسم سعد الله والرد عليها بتاريخ سنة 2012م.

بعد تكريمه من "الجمهور" ومديرية الثقافة
 الشيخ الرفاعي شرفي بشكر ويعتذر
 فاجتني الصديق والزميل الأستاذ علي بن الطاهر - حفظه الله ووفقه أمين- بتكريم
 ما كنت أتوقعه ولا أرى نفسي أهلاً له وما قدمته من جهد ثقافي لا أراه إلا جهد
 المقل على علاته، وإن وهو شكل من أشكال الحرفة الثقافية، سواء في ذلك
 التدريس أو التأليف ومازلت لم أر بعد الرسالة الثقافية رسالة التثوير وتواصل
 الأجيال والتجارب، كل ذلك مازال مجرد أمل براودني وأغل النفس وبإمكان
 تحقيقه إن شاء الله عز وجل ذلك
 ووددت لو أن الزميل الصديق بدل تكريم شخصي الضعيف المقصر - وأنا كإنسان
 مجرد على زمن- كرم الثقافة ذاتها وكرم المعرفة وكرم القيم والمبادئ، فهي
 الباقية بقية الحياة، خاصة وأنه أحد أبناء قسنطينة البررة - ولا نزكي على الله
 التي كان الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله يعتبرها العاصمة العلمية
 للجزائر.
 لقد كانت قسنطينة قبل محنة الأزمة الوطنية الدامية قلب الصحوة النابض ورمزها
 الأصل، وكانت تحيي عهد إمام النهضة بما نب فيها من نشاط دعوي وثقافي
 متميز في الجامعات والمعابد والمساحات الصادرة بالشرق الجزائري، النصر،
 العقيدة النور وغيرها من العنواين، لكنها - وأثناء العاصفة قفقت كل شيء
 وصارت مدينة الجمود والركود والفرقة وتبرير التفسير.
 وبذلك لم تفقد موقعها فحسب وإنما ضارت المثل السيئ فيما تعرفه في واقعها من
 فساد وسلبات، مع أنها تحتضن جامعتين وطنيتين وعددا من المعاهد والمطابع
 لكن الساحة الثقافية فيها تعاني من الهزال وجفاف الأفلام وركود الهمم وترهل
 العزائم فلا محاضرات ولا ندوات ولا منتديات ولا حديث إلا على كرة القدم التي
 لا تعالج مريضا ولا تطعم جاعا ولا تأوي مفكرا ولا تغني فقيرا ولا تكسب
 معدوما بل إن أضرارها الاجتماعية لم يعد بالإمكان تجاهلها.
 قلت وأكرر أن رسالة الثقافة غير حرفة الثقافة، ورسالة الثقافة قضية اجتماعية
 عامة وليست شأننا إداريا تقوم به المدرسة أو المؤسسات الدولة
 إن رسالة الثقافة يؤدبها الطبيب بنشاطه الثقافي المعرفي غير المهني أو الحرفي
 ويؤدبها المحامي بنشاطه الثقافي الفكري غير المهني ويؤدبها المهندس بنشاطه
 الثقافي غير الحرفي ويؤدبها التاجر ويؤدبها المرأة والرجل ويؤدبها النوادي الثقافية
 للشرائح الاجتماعية كلها يمارس الثقافة في الواقع أخلاقا ومعاملات وموقف، تلك
 هي الثقافة الحقيقية
 وبعد تكريم صحيفة "الجمهور" كرمتمني مديرية الثقافة بولاية قسنطينة أيضا
 بمحض الصدفة، ومن غير أي قصد من الطرفين وهي مفاجأة سارة فكون شك

ملحق رقم: 03 صفحة 03/01.

رسالة أحمد الرفاعي بمناسبة تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومديرية الثقافة

بتاريخ 10 جوان 2010م

وبدالاتها الايجابية، خاصة وقد سررت بالتعرف إلى مديرها الشاب الحيوي
الأستاذ فوزي الذي يلطفه وأخلاقه النبيلة التي يستحق عليها جزيل الشكر
وعميق التقدير وله أقول :

(قبلت تكريم مديرية الثقافة باعتزاز على انه موجه للثقافة والقيم والمبادئ. وليس
لشخصي الضعيف، واعتذر عن قبول المبلغ المالي المرفق بها لكونه يتناقض مع
قناعاتي وقيمي ومبادئتي).

فالثقافة بالنسبة لي رسالة تواصل ومحبة وصناعة للأستقل المصالح وللحياة الكريمة
اللائقة بالإنسان، وهذه المعاني لا يمكن تكريمها بالمال أو المادة عموما مهما كانت
قيمتها، وإنما يتم تكريمها بالممارسة العفوية في الواقع المعيش، وذلك ما لم يتمكن
من التميز في مسيرة حياتي بعد، وبعد ستين سنة من عملي الثقافي إذ ما زالت
الثقافة في واقعنا مجرد حرفة ومهنة يوظفها المثقف ويستغلها لصالحه حسب
ظروفه ومفاهيمه وقيمه الشخصية، لذلك لا توجد الثقافة الحقيقية في واقعنا
الاجتماعي بالمعاني السابقة.

(الثقافة لا تقبل التسيب ولا التحزب ولا التبرير والترقيع، كل ذلك ترفضه الثقافة
لأنه يدمرها ويحولها إلى زيف وسعوم تشوه القيم والمفاهيم والموازن، ومما سبق
يتبين أنني - ثقافيا - استحق النقد واللوم لأنني شاركت عن طريق الحرفة الثقافية
في تزيف الواقع وعش الحضارة عندما تعاملت مع الواقع بركام الموروث القاسد
الجامد ومن غير تحليل ولا تحليل ولا نقد وصفتت وهلت وغنيت بغير وعي وكل
حجتي أنني أفعل ما يفعله غيري من جبلي وبيتي ووطني ومجتمعي وعصري،
ذلك كما قال الجاهلي)

وما إنا إلا من غزية إن غوت* غويت وان ترشد غزية ارشد
تلك هي الحقيقة والدليل على ذلك هو الواقع، فقد فشلت في إيجاد قاسم أو قواسم
مشتركة بيني وبين زملائي وطلبتني، بمعنى التوصل الثقافي والمعرفي
الاجتماعي، وكل ما حولت إيصاله عبر المحاضرات والدروس المستجدينية والمقال
والتأليف لم يجد شيئا

وما زال الواقع الثقافي مريضا وكل ما يجمع الأسرة الثقافية عامة هو الانغلاق، بل
الاجتماع على تكريس الواقع بكل نقائسه وسلباته واعتباره هو الإبداع وهو
التطور وهو الفن، واعتبار كل من لا يبايع سلطان الواقع الرهيب مهتر للقيمة
ومهمش و... و...

(في قسنطينة جامعتان ومعاهد ومحامون وأطباء ومهندسون ومدراء ومعلمون
وأئمة مساجد وقضاة وغيرهم ومع ذلك كله، بل ورغم ذلك كله تعاني قسنطينة من
القطر الثقافي والجفاف المعرفي ولا يكاد يوجد في الواقع شيء اسمه النشاط
الثقافي، لولا نشاط الحرفة في الجامعات والمدارس والمساجد)

ملحق رقم: 03 صفحة 03/02.

رسالة أحمد الرفاعي بمناسبة تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومديرية

الثقافة بتاريخ 10 جوان 2010م

الجميع ينتقد فشل الحرفة ويستشهد على ذلك بما نقرّوه من فساد أخلاقي ومالي
وإداري والجميع متفق على أنه ليس في الإمكان أبدع من الواقع، بل أمراء الواقع
بالمرصاد لمن يريد أو يفكر في التغيير والتطور.

(أرجوا من القارئ أن لا يتسرع في الحكم بأنني متشائم لأنني صارحت به ببعض
مكوناتي لأنني لست حزيبا ولا سياسيا ولا متمنيا لأي شعار من شعارات الواقع
وإنما أنا إنسان يريد أن يكتمل حياته بدون زيف و نفاق أو طمع أو خوف من غير
الله عز وجل.)

فهل تعذر شيء أيها القارئ
وهل تعذر لي يا أستاذ فوغالي وأنت يا أستاذ علي بن الطاهر
أرجوا المعذرة من الجميع
د. أحمد الرفاعي شرفي

ملحق رقم: 03 صفحة 03/03.

رسالة أحمد الرفاعي بمناسبة تكريمه من طرف جريدة الجمهور ومديرية

الثقافة بتاريخ 10 جوان 2010م

معالم حياة وتخليد بطل

الميلاد: 11/شوال/1358هـ

الوفاة: 23/11/1939م

الوفاة: 24/شوال/1424هـ

الوفاة: 18/12/2003م

مدة الحياة: 64 سنة/25 يوماً

المناصب والمهام

1. أسدًا بثقوية التعليم الأصلي ببقنة
2. مدير المعهد الإسلامي بختلة
3. منتخب نائباً في المجلس الوطني
4. مدير للتربية بولاية تيسة
5. مفتشاً للتعليم الثانوي والتكوين

مؤلفاته وأثره:

1. الأبحاث والدراسات والقصائد للمجلات والجراند الجزائرية.
2. الطريق إلى نوفمبر "بحث قديمه للملقى الأول لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية".
3. النغم الخالد "ملحمة شعرية من الأوراس".
4. قصيدة شعرية مطووعة مطبوعة بالمجلس الشعبي الوطني
5. عمل ثقافي له علاقة بعادات وتقاليد سكان الأوراس لم يطبع بعد.
6. وله كثير من المسودات والبحوث التي تحتاج إلى إخراجها والإطلاع عليها.

ملحق رقم: 04. صفحة 02/01.

علي مدور، مخطوط: معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحيى لمير شرقي
شقيق أحمد الرفاعي، وثيقة غير مطبوعة.

1- أما الاسم والنسب فهو: لمير يحيى بن الطيب بن إبراهيم بن محمد بن بلقاسم بن إبراهيم شرفي. وقد كان جده الأعمى: الشيخ بلقاسم بن إبراهيم شرفي من حريجي جامع الزيتونة بتونس بشهادة التطويع. من علماء المنطقة ووجهاؤها ومصالحها المشهود لهم بالقسط والعدل والذكور رحمهم الله وطيب نسبهم، ولذلك كانت خصائص العروبة وهجرتهم موفورة لدى الشيخ: لمير يحيى رحمه الله تعالى ولدى أهله وذويه الأحياء، أما كسرم الطبع فهذا سحبة في جميعهم، وأمر يشب فيه الصغير ويشب فيه الكبير. أما كسرم الضيافة فمن القيم الإسلامية التي يحرص كل سكان المنطقة على المحافظة عليها والعمل بها.

2- أما مولده: ففي يوم الخميس الحادي عشر من شهر شوال سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة و السبع و ثمانمائة هجرية: 11/شوال/1358م الموافق لليوم الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة تسع و ثلاثين و ثمانمائة و ألف ميلادية: 1939/11/23، في أسرة طاب لها العناية بالعلم والوجاهة ويسر الحال، وولد الشيخ: لمير يحيى شرفي بن أبيين طيبين هما: الطيب بن إبراهيم شرفي، وفاطمة بنت السعدي عزيزي، في قرية بوحمامة «دوار ملاقو» بلدية بوحمامة حاليا، قبيلة أولاد انصاف وكان أسعد يوم على الأسرة والأهل جميعا همنا المولود السعيد.

ملحق رقم: 04. صفحة 02/02.

علي مدور، مخطوط: معالم حياة وتخليد بطل، نبذة عن يحيى لمير شرفي
شقيق أحمد الرفاعي، وثيقة غير مطبوعة.



اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة

المادة 16

1 - تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية، وبوجه خاص تضمن، على أساس تساوي الرجل والمرأة:

- (أ) نفس الحق في عقد الزواج؛
- (ب) نفس الحق في حرية اختيار الزوج، وفي عدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل؛
- (ج) نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه؛
- (د) نفس الحقوق والمسؤوليات كوالدة؛ بغض النظر عن حالتها الزوجية، في الأمور المتعلقة بأطفالها؛ وفي جميع الأحوال، تكون مصالح الأطفال هي الراجحة؛
- (هـ) نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسؤولية عدد أطفالها والفترة بين إنجاب طفل وآخر، وفي الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة بتمكينها من ممارسة هذه الحقوق؛

ملحق رقم: 05 صفحة 01/01.

اتفاقية التمييز ضد المرأة (سيداو) الصادرة من الأمم المتحدة.



ملحق رقم: 06 صفحة 01/01.

صورة شخصية لأحمد الرفاعي شرفي

الفهارس

- 01- فهرس الآيات.
- 02- فهرس الأحاديث.
- 03- فهرس الأعلام.
- 04- قائمة المصادر والمراجع.
- 05- فهرس المحتويات

01- فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	اسم السورة	طرف الآية
78	81	سورة البقرة	وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ
145	312		وَلَيْنِ أَتَيْتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ
185	167		يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
191	308		فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ
193	308		وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
207	175		وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
217	227		وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ
269	420+154		يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
283	300		فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا
284	82		وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
19	92	سورة آل عمران	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
51	280		إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
64	352+311		قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا
85	92		وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ
102	02		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
103	373+301+145		وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا
104	407+145+03		وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
105	350		وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
110	279+02+187		كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
140	414		وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوَاهَا بَيْنَ النَّاسِ
159	357		وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ
160	246		إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ
164	163+159		يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

249	185		كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
310	01	سورة النساء	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
253	28		يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ
299	58		إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
104+98	65		فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
99	80		مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
336	83		وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
151+104	131		وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
251	165		فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
164	02		وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ
335	44		وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
335	45	وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ	
335	47	وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ	
162	50	سورة المائدة	وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
413+393	54		يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
354	68		قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
273+96	79		لُعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
94+85	38	سورة الأنعام	مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
92	158	سورة الاعراف	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
351	01	سورة الأنفال	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ
315	57		فَإِذَا تَفَقَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ
11	60		وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
405	24	سورة التوبة	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
312	30		وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
254	40		إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ

373	71		وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
115	100		وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
135+95	111		إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
86	57	سورة يونس	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
174	33	سورة	قَالَ رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ
164	53	يوسف	إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ
203 + أ	108		قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ
217+157+150 +403+396+ 424+423	11	سورة الرعد	إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ
412	17		فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
164	24	سورة ابراهيم	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
+96+92+02 201	09	سورة الحجر	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
90	92		فَوَرِّتْكَ لِنَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ
149	44		وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
86	89		وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
167+164+154 87+	125	سورة النحل	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
344	04		وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ
343	26	سورة	وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
83	60	الاسراء	وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ
98	77		سُنَّةٍ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ
83	88		قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا
167	44	سورة طه	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ
308+164+102	107	سورة الانبياء	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

354+352+234	22		هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ
355	39	سورة الحج	أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ
167	78		وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
300	08	سورة	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
283	37	المؤمنون	إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ
86	34		وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
169	37		رِجَالٍ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ
412	55	سورة النور	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
228	31	سورة الفرقان	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
264	77	سورة القصص	وَإِتَّبَعِ فِي مَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ
174+173	02	سورة	أَحْسِبَ النَّاسَ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا
167	46	العنكبوت	وَلَا يُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
253	25	سورة الروم	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ
87	30		فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
164+187+104 165+	21		لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
170	23		مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
95	35		وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
89	36	سورة	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ
09	46	الأحزاب	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
174	62		سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلُ
299	72		إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
165	10	سورة فاطر	إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
84	83	سورة يس	فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ
145+02	33		وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

163	34	سورة	فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ
88	42	فصلت	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
348	10		وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
370+130	13	سورة	أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
357	38	الشورى	وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ
396	22	سورة الزحرف	بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
111	39	سورة النجم	وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ
246	07	سورة محمد	إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ
413+392	38		وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
377	11		يَقُولُونَ بِالْأَسِنَّةِ مِمَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
115	-18	سورة الفتح	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
	19		
98	23		سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ
374+302+301	10	سورة	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ
311+310	13	الحجرات	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ
396+376	02	سورة سورة	فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ
99	07	سورة الحشر	وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
385	03	سورة الصف	كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ
163+154	02	سورة الجمعة	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا
373	06	سورة الطلاق	وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ
79	18	سورة القيامة	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
92	8-7	سورة الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
163	03	سورة العصر	وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

02- فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
299	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة
302	إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة
206	اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له
57	إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ
270	إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ
418	أن الزمان قد استدار
02	إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ
265	إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ
254	أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل
145+66	بلغوا عني ولو آية
225	خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ
111	خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم
57	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ
101	فمن رغب عن سنتي فليس مني
251	قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ
373	كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير
385+109	كان خلقه القرآن
396+286+135	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
273	لا ترجعوا بعدي كفار يضرب بعضكم رقاب بعض
115	لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأني وصاحبني
253	لا يزيي الزاني حين يزيي وهو مؤمن
164	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها
98	لتتبعن سنن من كان قبلكم
101	ما آمن بالقرآن من لم يعمل به
301	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد

301	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
152	من أحبَّ الله، وأبغضَ الله، وأعطى الله، ومنع الله
373	من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ريقه الإسلام
301	من كان عنده فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر له
99	مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي
251	والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم
82	يا أيها الناس؛ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به
167+164	يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا
164	يسروا، وسكنوا ولا تنفروا

03- فهرس الأعلام

الصفحة	العَلَم
62	ابراهيم بيوض
129	أبو الأعلى المودودي
62	أبو القاسم سعد الله
119	أبو منصور الحلاج
51	أبو يعلى الزواوي
62	أحمد حماني
66	أحمد سحنون
62	الأمير خالد
193	جمال الدين الأفغاني
121	الحارث المحاسبي
125	حسن البنا
193	حسن العطار
194	رفاعة الطهطاوي
54	الشاذلي بن جديد
31	الطاهر حراث

115	الطيب العقبي
48	عبد الحميد الابراهيمى
40	عبد الحميد بن باديس
119	عبد الرحمن الأخصري
62	عبد الرحمن الجيلالي
16	عبد الرحمن شيبان
119	عبد الكريم الفكون
66	العربي التبسي
24	علي شريعتي
62	عمر راسم
62	عمر قدور الجزائري
120	مالك بن نبي
66	مبارك المليبي
228	محمود نوح
220	محمد اقبال
220	محمد بن عبد الوهاب
62	محمد بن يوسف أطفيش
149	محمد رشيد رضا
194	محمد عبده
119	محي الدين ابن عربي
14	مصطفى السباعي

04- قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب.

أ- القرآن الكريم وعلومه.

القرآن الكريم.
1. إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1419 هـ.
2. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط11، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1985م.
3. كريم شوقي ابن عربي، المنفعة في مراحل جمع القرآن، ط1، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، مصر، 2018.
4. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ط4، مكتبة البشرية، كراتشي باكستان، 2011.

ب- الحديث النبوي وعلومه.

5. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، ط1، دار هجر للطباعة والنشر، والتوزيع والإعلان 1997م.
6. أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي، السنن الكبير، ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 2011م.
7. أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ط1، مكتبة الرشد - الرياض، 1409هـ.
8. أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن مخلد الشيباني، كتاب السنة، ط1، المكتب الإسلامي، الرياض، 1980م.
9. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، ط1، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2009م.
10. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، المستدرک علی الصحیحین، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1990م.
11. أحمد بن حنبل، المسند، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

12. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د ط، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
13. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، جامع العلوم والحكم، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004م.
14. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ط 2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م.
15. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955م.
16. محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، ط 3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م.
17. محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، سنن الترمذي، ط 2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1975م.
18. محمد بن محمد درويش، أبو عبد الرحمن الحوت الشافعي، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ - 1997م.
19. محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، د ط، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، د ت.
20. محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، د ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1995.
21. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ط 1، دار إحياء التراث العربي - بيروت. د.ت.

ت- معاجم اللغة والموسوعات

22. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، سنة 1425هـ/2004م.
23. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، ط1، دار الجليل، بيروت - لبنان، 1991.
24. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 2، ط1، عالم الكتب، السعودية، 2008.
25. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، ج3، د ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، د ت.
26. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فكر) بتحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار العلم بدمشق، 1992م.
27. محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت-لبنان. 1414هـ.
28. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، مرجع سابق، ص300. مؤسسة الرسالة. والمعجم الوسيط 1/ 467 ط. دار الفكر.
29. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية الطبعة: 1402هـ ، 1983م
30. المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت لبنان، 1998.

ث - كتب أحمد الرفاعي شرفي

31. أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الهدى للطباعة والنشر، د. ط، عين مليلة، الجزائر، 2006م .
32. أحمد الرفاعي شرفي، الإسلام وصراع الأنظمة والمجتمعات، ط1، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، 2012.
33. أحمد الرفاعي شرفي، آلام في الدعوة والصحوة، ط 1، مؤسسة الرجاء للنشر، قسنطينة، 2018.
34. أحمد الرفاعي شرفي، السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، عين مليلة، 2011.
35. أحمد الرفاعي شرفي، الشيطان عليه اللعنة، ط1، دار الهدى عين مليلة- الجزائر، 2013.
36. أحمد الرفاعي شرفي، الفكرة الإسلامية الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2008م.
37. أحمد الرفاعي شرفي، القرآن الكريم نور وهداية وبصائر ورحمة للعالمين، د ط، دار للهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، سنة 2013.
38. أحمد الرفاعي شرفي، تقديم رسالة المسترشد، للإمام الحارث بن أسد المحاسبي - رضي الله عنه- د ط، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007.
39. أحمد الرفاعي شرفي، جراح التاريخ وعاهاته، ط1، مؤسسة البلاد للنشر والإشهار، الجزائر، 2011.
40. أحمد الرفاعي شرفي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وواجب تفعيلها، جريدة الشروق، العدد 4060، الجزائر، 28 جوان 2013.
41. أحمد الرفاعي شرفي، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس لمحي الدين بن عربي، د ط، دار الهدى عين مليلة، - الجزائر، 2009.
42. أحمد الرفاعي شرفي، مفهوم جماعة المسلمين عند الإمام أبي يعلى الزواوي ومقتضياته، ط1، مؤسسة البلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
43. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، دار ابن حزم، ط1، بيروت - لبنان، 2009م.
44. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد، ط1، الشركة الجزائرية اللبنانية،

الجزائر، 2009م.
45. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ الطيب العقبي، ج2، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011.
46. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام مبارك بن محمد المليي، ج1، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011.
47. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الإمام أبي يعلى الزواوي، ج4، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011.
48. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ج3، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2011.

ج- الكتب العامة.

49. ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ط 1، شركة دار الأرقم، بيروت- لبنان، 1997.
50. ابن القيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الدواء والدواء، ط1، دار المعرفة، المغرب، 1997م.
51. ابن القيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1995م.
52. ابن القيم الجوزية، الفوائد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1973م.
53. ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، ط57، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1994م.
54. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1996.
55. ابن تيمية، فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد، ج 11.
56. ابن تيمية، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ج15، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1423هـ.
57. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط1، دار البشائر الإسلامية، لبنان، 2002م
58. أبو الأعلى المودودي، موجز تجديد الدين وإحيائه، وواقع المسلمين وسبل النهوض بهم، د ط، دار الشهاب، باتنة-الجزائر، د ت.

59. أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام الإمام السرهندي، ج 3، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1994م.
60. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992م.
61. أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1986م
62. ابو بكر محمد الكلاباذي، كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1994.
63. أبو جرة سلطاني، الإمام حسن البناء وتاريخه ط1، دار الكلمة للنشر، الجزائر، 2018م.
64. أبو يزن حمزة الفتحي، في الفكر الدعوي المعاصر، د ط، دون نشر، كتاب بصيغة وورد "word" من الموقع الإلكتروني: https://books-library.online/free-download-862226601-862226601 تاريخ الزيارة: 2019/12/12م، على الساعة: 16.00.
65. أبو يعلي الزواوي، جماعة المسلمين، د ط، منشورات الخبر، الجزائر، 2006م.
66. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط 1، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1962.
67. أحمد السعدني، الصراع في الرواية الإسلامية، كتاب نحو منهج اسلامي للرواية، د ط، مكتبة العبيكان، السعودية.
68. أحمد المسلماني، خريف الثورة، ط1، دار ليلي للنشر، مصر، 2014م.
69. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 2، د ط، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، د ت.
70. أحمد شليبي، الحضارة الإسلامية، ج 1، د ط، دار النهضة المصرية، القاهرة - مصر، 1982م.
71. أحمد عز الدين البيانوني، الدعوة إلى الإسلام وأركانها، ك 2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 1985م.
72. أسامة القفاش، في الترجمة وبناء المفاهيم، ط 1 ملخصات كتب المعهد الفكرية الجزء الأول العساس مركز الدراسات المعرفي، القاهرة-مصر، 2011.

73. اسماعيل عبد الفتاح، القيم السياسية في الإسلام، كتاب الكتروني، موقع مكتبي، https://books.google.dz/ ، تاريخ الزيارة 2020/03/14م، في الساعة 15.30
74. اسماعيل علي محمد، الأخوة الإسلامية: فريضة شرعية وضرورة عصرية، ط 2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012 م.
75. أمينة بوبصلة مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، المشرف مساعد مسلم آل جعفر ثم عمر لعويوة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، للسنة الجامعية 2003/2002م.
76. بدران أبو العينين بدران، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1984م.
77. بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط 2، دائر النفائس، بيروت - لبنان، 1984م
78. بكير بن سعيد أعوش، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش، 1820-1914 م: حياته، آثاره الفكرية، جهاده، ط 1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1989م.
79. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.
80. تاج السر أحمد حران، حاضر العالم الإسلامي، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، 1422هـ.
81. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
82. جمال الدين الشيال، رفاة الطهطاوي زعيم النهضة الفكرية في عصر محمد علي، ط 1، دار المحرر للنشر والتوزيع، مصر، 2020م
83. جمال زواري أحمد، الحركة الإسلامية في الجزائر: قراءات ومراجعات، ط 1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.
84. جميل المصري، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، ط 6، ج 1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2007 م.
85. جميل قاسم، علي شريعتي المهجرة إلى الذات، ط 1 مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، 2010م.

86. جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ط 8، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1989م.
87. حامد عمار، عولمة الاصلاح التربوي بين الوعود والانجاز والمستقبل، ط 1، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة، 2010م.
88. حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، ط 1، الكويت، 1979.
89. حلمي محمود القاعود، أعلام في الظل، ط 1، دار البشير للثقافة والعلوم، الأردن، 2019م.
90. حمد الراوي، العقيدة في حديث القرآن الكريم، ط 1، المكتبة الاكاديمية، القاهرة - مصر، 2008.
91. خليل محمد الخالدي، التنظيم الاجتماعي في الإسلام، ط 1، جامعة الموصل - العراق، 2012م.
92. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002م.
93. رايح خدوسي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج 2، د ط، منشورات الحضارة، 2014م.
94. رايح مشحود، مذكرات المجاهد والديبلوماسي الجزائري رايح مشحود، ط 1، ج 1، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2018م.
95. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، ط 1، دار القلم، دمشق، د ت.
96. زكريا اسلام بيومي، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية (1928-1948)، ط 3، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2012.
97. زكي الميلاد، الفكر الإسلامي تطورات ومساراته المعاصرة، ط 1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2001.
98. سعيد اسماعيل صيني، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، د ط، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، د ت.
99. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نور التقوى وظلمات المعاصي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، ط 1، 1999.

100. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، د ط، مطبعة سفير، الرياض - السعودية، دت.
101. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، د ط، مطبعة سفير، الرياض - السعودية، دت.
102. سليمان تقي الدين، تداعي الإسلام السياسي، ط 1، دار الفارابي، لبنان، 2014.
103. سهيلة زين العابدين حماد، التيار الإسلامي: في شعر عبدالرحمن العشماوي، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، 2002م.
104. سيد سابق، العقائد الإسلامية، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دت.
105. سيد سابق، فقه السنة، ط 1، دار الفتح للإعلام العربي، مصر، 2004م.
106. شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، دت.
107. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1985م.
108. صابر طعيمة، الصوفية معتقدا ومسلكا، ط 2، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، 1985.
109. صلاح سالم، حوار الأديان رؤية إسلامية، ط 1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة - مصر، 2009م.
110. طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، ط 5، العهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م.
111. طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، ط 4، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض - السعودية، 1994م.
112. عادل نويهض، معجم أعلاج الجزائر، ط 1، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت - لبنان،
113. عامر علي العراي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1994م ص 14.
114. عبد الحليم محمد الرحي، مفاهيم في فقه الدعوة والداعية، ط 1، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2002م.

115. عبد الحميد أحمد أبو سليمان وآخرون، أهم الكتب التي أثرت في فكر الأمة - في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج3، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ، 2017م.
116. عبد الحميد براهيمى، في أصل الأزمة الجزائرية 1958-1999، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أفريل 2001 .
117. عبد الرحمن بن خلدون (تاريخ العلامة ابن خلدون) المجلد الأول، ط2، بيروت، 1961.
118. عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1988م.
119. عبد العزيز بن محمد، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422هـ.
120. عبد الكامل جويبة، الأستاذ عبد الرحمن شيبان: نشأته وحياته، كتاب عبد الرحمن شيبان المجاهد المرابي والمصلح الأديب، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2014م.
121. عبد الكريم بكار، الصحوة الإسلامية صحوة من أجل الصحوة، د ط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
122. عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 ، 1945) د.ط، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996م.
123. عبد الله بن سيف الحارثي، جهود الشيخ الألباني في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية 1433هـ، ص14.
124. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ط1، مدار الوطن للنشر، الرياض - السعودية، 2003م.
125. عبد الله محمود الطنطاوي، مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد، دار القلم، سوريا، 2001م
126. عبد المجيد الشاذلي، الحكومة الإسلامية رؤية تطبيقية معاصرة، ط1 ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2012.
127. عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، د ط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1997.

128. عبير بنت دخيل الله، جهود الشيخ عبد الله ناصح علوان - رحمه الله - في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1433هـ، ص 17.
129. عدنان النحوي، ملحمة التاريخ قيام الدول الإسلامية وسقوطها، ط 1، دار النحوي للنشر والتوزيع، السعودية، سنة 2006.
130. عطية محمد عطية، مقدمة في الحضارة العربية الإسلامية ونظمها، ط 1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2011م.
131. علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، د ط، مطبعة الحكومة، دمشق، د ت.
132. علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي: سيرة عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والاصلاحية، ط 1، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 2017.
133. عمار طالي - آثار ابن باديس ج 4، ط 3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997م.
134. عمر خلفه، محمد الغزالي، لقاءات وحوارات حول واقع الحركة الإسلامية المعاصرة، د ط، نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة - الجزائر، 2008م.
135. عمر عبيد حسنة، من كتاب منصور زيد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعية، ط 1، قطر، 1413هـ.
136. فارس بيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، دار أسامة للتوزيع والنشر، الأردن، 2003م.
137. فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، ط 1، الكلمة للطبع و الإظهار، المغرب، 2007.
138. الفضل شلق، في مهب الثورة، ط 1، دار الفارابي، بيروت - لبنان، 2012م.
139. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين، ط 1، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - السعودية، 2000.
140. فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، ط 1، دار الشروق، بيروت - لبنان، 1985م.
141. فؤاد محسن الراوي، الفكر الإسلامي في مواجهة الفكر الغربي، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، د ت.
142. فيروز حنيش، "إشكالية المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الجزائر (1989-2005) مذكرة ماجستير : تنظيمات سياسية و إدارية، جامعة الجزائر: العلوم السياسية والعلاقات الدولية: 2008م.

143. قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، ط1، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م.
144. كامل محمد محمد عويضة، الحارث بن أسد المحاسبي العالم الزاهد الفقيه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1994م.
145. كامل محمد محمد عويضة، محمد إقبال - شاعر وفيلسوف الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1994م.
146. مالك بن نبي شروط النهضة، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، د ط، دمشق - سوريا، 1986م.
147. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر، الجزائر، 1987م.
148. محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006.
149. محسن عبد الحميد، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1983م.
150. محمد ابو الفتح البيانوني، القواعد الشرعية وأثرها في ترشيد الصحوة الإسلامية، ط1، دار إقرأ للنشر والتوزيع، الكويت، 2011م.
151. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، دار النشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت، ط3، 1991م.
152. محمد أحمد محمد معبد، نفحات من علوم القرآن، ط2، دار السلام، القاهرة - مصر، 2005م.
153. محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم، ترجمة: منصور أبو ماضي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة: 1967م.
154. محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، 1995م.
155. محمد الصديق قادري، عبد الرحمن شيبان وجهوده في الدعوة والإصلاح، دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص: الدعوة والثقافة الإسلامية، المشرف عبد الحليم بوزيد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر بباتنة، للسنة الجامعية 2016/2015م
156. محمد العربي حرز الله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاحتلال الفرنسي، وزارة

الثقافة ط1، الجزائر، 2005م.
157. محمد العربي زبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة 1999م.
158. محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة ، ط1، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة- الجزائر، 1982م.
159. محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية، د ط، مكتبة العروبة، القاهرة - مصر، دت.
160. محمد الغزالي، ظلام من الغرب، ط4، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
161. محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
162. محمد الهادي اليوسفي الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج1، ط1، أضواء الحوزة، لبنان، 2012م.
163. محمد أمين حسن، أساليب الدعوة والإرشاد، د ط، الأكاديميون للنشر والتوزيع ، الأردن، 2007م.
164. محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
165. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ج1، ط6، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ.
166. محمد بن صامل السلميّ وآخرون، صحیح الأثر وجمیل العبر من سيرة خير البشر - صلى الله عليه وسلم-، ط1، مكتبة روائع المملكة ، جدة - السعودية، 2010م.
167. محمد حسن أبو يحيى، التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، أهميته، ضوابطه، د ط، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، 1432 هـ.
168. محمد خير رمضان يوسف، تنمة الأعلام للزركلي ط2، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ.
169. محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، أطروحة دكتوراه في الفكر الإسلامي الحديث، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، سنة 1994/1995، ص98.
170. محمد شيت خطاب، أهمية الدعوة الإسلامية، ط1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة -

السعودية، د ت.
171. محمد صالح المنجد، ظاهرة ضعف الإيمان، الموقع الإلكتروني: مكتبي الساعة 17.20. https://books.google.dz/ ، تاريخ التحميل 2020/04/12م، على
172. محمد صالح ناصر، في رحاب القرآن، الإمام الشيخ بيوض، (المهرجان والتأبين)، نشر جمعية التراث، العطف، غرداية، 1989م.
173. محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، السنة في مواجهة الأباطيل، د.ط، العدد 12، دار دعوة الحق، مطبوعات ربطة العالم الإسلامي، مكة، 1402 هـ.
174. محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1992م.
175. محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر دار الشرق الأوسط، د ط، القاهرة 1992م.
176. محمد قطب، واقعنا المعاصر، ط 1، دار الشروق، مصر، 1997م.
177. محمد لخضر سائحي، محاولة لكتابة تاريخ أدب الطفل في الجزائر، اتحاد الكتاب الجزائريين، 2002م.
178. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت د ت، .
179. محمد مهدي شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت - لبنان، 1958م.
180. محمد يتيم، في نظرية الاصلاح الثقافي، ط 1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2012 م.
181. محمود إسماعيل، الإسلام السياسي بين الأصوليين والعلمانيين، ط 1، دار الشراع العربي، الكويت.
182. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1982م.
183. منير محمد الغضبان فقه السيرة النبوية، ط 2، جامعة أم القرى، السعودية، 1992.
184. مهدي قاضي، كلمة للدعاة والمصلحين المآسي والخطاب الدعوي ونحن، ط 1، دار الطرفين للنشر والتوزيع، جدة - السعودية، 2003م.

185. مولود عويمر، مالك بن نبي، رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
186. ناجي بن دايل السلطان، دليل الداعية، ط1، دار طيبة الخضراء، السعودية، دت.
187. ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض - السعودية، 1412 هـ.
188. ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001م.
189. نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، ط1، مكتبة النهضة العربية - القاهرة، 1962م.
190. همام عبد الرحمن سعيد، قواعد الدعوة إلى الله، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1985م.
191. وجيهة ثابت العاني، القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة، ط1، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2014م.
192. يحي بوعزير، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
193. يوسف القرضاوي، الانفتاح على الغرب: مقتضيات وشروط، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، 2011م.
194. يوسف القرضاوي، الصحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ط1، دار الشروق، مصر، 2001م.
195. يوسف القرضاوي، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط3، كتاب الأمة، دولة قطر، 1402 هـ.
196. يوسف القرضاوي، حتمية الحل الإسلامي، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، 1993م.

ثانيا: الرسائل الجامعية.

197. أمانة بوبصلة مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام والاتصال، المشرف مساعد مسلم آل جعفر ثم عمر لعويوة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، للسنة الجامعية 2003/2002م.
198. بوبكر صديقي، أبو يعلى الزواوي وجهوده في الفقه والأصول، أطروحة دكتوراه في الفقه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر 1- باتنة السنة الجامعية 2017/2016 ص 26.
199. عامر علي العربي، الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1994م ص 14.
200. عبد الله بن سيف الحارثي، جهود الشيخ الألباني في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية 1433هـ، ص 14.
201. عبير بنت دخيل الله، جهود الشيخ عبد الله ناصح علوان -رحمه الله- في الدعوة إلى الله، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1433هـ، ص 17.
202. فيروز حنيش، "إشكالية المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الجزائر (1989-2005) مذكرة ماجستير : تنظيمات سياسية و إدارية، جامعة الجزائر : العلوم السياسية والعلاقات الدولية : 2008م.
203. محمد الصديق قادري، عبد الرحمن شيان وجهوده في الدعوة والإصلاح، دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص: الدعوة والثقافة الإسلامية، المشرف عبد الحليم بوزيد، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، للسنة الجامعية 2016/2015م
204. محمد زرمان، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الابراهيمي، أطروحة دكتوراه في الفكر الإسلامي الحديث، معهد الدعوة وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، سنة 1994/1995، ص 98.
205. هادف مصطفى، فقه السنن الإلهية وأثره في الدعوة الإسلامية دراسة في فكرة محمد الغزالي، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، إشراف محمد زرمان، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2013/2012، ص 175.

ثالثا: الجرائد والمجلات.

206. جريدة البرهان
• العدد 01، بتاريخ أكتوبر 1999م.
• العدد 02، بتاريخ أكتوبر 1999م.
• العدد 03، بتاريخ أكتوبر 1999م.
• العدد 06، بتاريخ نوفمبر 1999م.
• العدد 08، بتاريخ نوفمبر 1999م.
207. جريدة البلاد
• العدد: 4205 الأحد 15 سبتمبر 2013م.
• العدد: 4220 الأربعاء 02 أكتوبر 2013م.
208. جريدة الجمهور، العدد 2611، بتاريخ 29 ماي 2014م.
209. جريدة الحقيقة العدد 34، من 31 أوت إلى 06 سبتمبر 1994م.
210. جريدة الدعوة نيوز، العدد 8. جوان 2013م.
211. جريدة العصر، العدد 52، بتاريخ: 1982م.
212. جريدة البصائر العدد 892، بتاريخ: 14 جانفي 2018م
213. جريدة النور
• العدد، 03 بتاريخ: 1991/03/02م.
• العدد، 52 بتاريخ: 1992/04/06م.
214. جريدة النور الجديد
• العدد 02، بتاريخ 17 فيفري 2001م.
• العدد 03، بتاريخ 24 فيفري 2001م.
• العدد 04، بتاريخ 28 فيفري 2001م.
• العدد 05، تاريخ 05 مارس 2001م.
• العدد 06، تاريخ 17 مارس 2001م.
• العدد 09، بتاريخ 05 أبريل 2001م.
• العدد 10، بتاريخ 12 أبريل 2001م.
• العدد 12، بتاريخ 26 أبريل 2001م.

• العدد 14، بتاريخ 10 ماي 2001م.
• العدد 15، بتاريخ 17 ماي 2001م.
• العدد 18، بتاريخ 10 جوان 2001م.
• العدد 74، بتاريخ 14 جويلية 2002م.
215. مجلة آفاق عربية، العدد 08، العراق، 1976م.
216. مجلة أكاديميا، العدد 04، الجزائر، 2016م.
217. مجلة الإرشاد
• العدد 02، بتاريخ 02 فيفري 1990م.
• العدد 04، بتاريخ أفريل/ماي 1990م.
218. مجلة الدعوة الإسلامية، العدد 03، بتاريخ ماي 1996م.
219. مجلة الفكر الإسلامي، العدد 69، بتاريخ 2012م.
220. مجلة الفيصل، العدد 64، السعودية، 1982م.
221. مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02، بتاريخ 2020/06/15م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية.

222. موقع الندوة http://alnadwa.net .
223. موقع الارياح https://www.alraiah.net/ .
224. موقع الإلكتروني (المسلم) http://almoslim.net/ .
225. موقع البلاغ https://www.balagh.com/ .
226. موقع الجزائر اونلاين http://jazaironline.net .
227. موقع الجزيرة - https://www.aljazeera.net/ .
228. موقع الحوار اليوم http://www.alhiwartoday.net/ .
229. موقع الشروق اليومي https://www.echoroukonline.com .
230. موقع الفرات http://fcds.com/ .
231. موقع المسلم http://almoslim.net/ .
232. موقع الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمون: www.ikhwanwiki.com
233. موقع جماعة الإخوان المسلمون بالأردن: https://ikhwanjo.net/ .

234. موقع جمعية العلماء، https://www.oulamadz.org/
235. موقع حسن البنا https://albanna.life/ ،
236. موقع خالد بن عثمان السبت https://khaledalsabt.com/ .
237. موقع خطباء https://khutabaa.com/
238. موقع شبكة الالوكة، https://www.alukah.net/ ،
239. موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/ ،
240. موقع علي الصلابي، https://alsallabi.com/ .
241. موقع عمار رقية الشرفي، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة - http://shamela-
242. موقع فتامين الإلكتروني https://www.vitaminedz.com
243. موقع للموسوعة الشاملة، http://islamport.com/ ،
244. موقع مجلة البيان http://albayan.co.uk/ ،
245. موقع مجلة بقية الله، الإلكتروني https://baqiatollah.net/ ،
246. موقع مكتبة نور https://www.noor-book.com/ ،
247. موقع منهاج النبوة، http://www.minhajnobowa.net/ ،
248. موقع وكالة الأخبار الموريتانية، https://alakhbar.info/

خامسا: المقابلات الشخصية

249. أبو جرة سلطاني، مقابلة شخصية أجراها الباحث، بمسجد حمام سيدي يحيى، بمدينة بسكرة يوم 2018/01/14م. في الساعة 13.00.
250. علي بن طاهر، مقابلة شخصية، مقر جريدة الجمهور، قسنطينة، بتاريخ: 2019/12/12م، على الساعة 11.00
251. علي مدور، مقابلة شخصية شفوية عبر الهاتف، بلدية قايس ولاية خنشلة، بتاريخ 2020/01/06م في الساعة: 10.30.
252. نور الدين شرفي، مكالمة هاتفية أجراها الباحث مع قريب أحمد الرفاعي المقيم ببوحمامة بخنشلة يوم 2019/12/30 في الساعة 10.00
253. حسن كاتب، مقابلة شخصية يوم 2019/02/11م جامعة قسنطينة، على الساعة 14.00.
254. عبد الله عيسى لحيلح، لقاء عبر البريد الإلكتروني، 2019/02/04م، الساعة 14.00.

05- فهرس المحتويات.

الصفحة	المحتوى
01	المقدمة ** الإطار المنهجي للدراسة وفيه:
03	أولاً: أهمية الموضوع.
03	ثانياً: إشكالية الدراسة.
05	ثالثاً: تساؤلات الدراسة.
05	رابعاً: أسباب اختيار الموضوع.
06	خامساً: أهداف الدراسة.
07	سادساً: مفاهيم الدراسة.
13	سابعاً: الدراسات السابقة.
17	ثامناً: منهج الدراسة.
18	تاسعاً: التزامات منهجية.
19	عاشراً: خطة البحث.
21	حادي عشر: مصادر ومراجع الدراسة.
22	ثاني عشر: صعوبات البحث
24	الباب الأول: أحمد الرفاعي شرفي وجغرافية الدعوة
25	الفصل الأول: أحمد الرفاعي شرفي وتحديات المرحلة
26	مدخل الفصل.
27	المبحث الأول: حياته وآثاره
27	المطلب الأول : اسمه ونسبه وأسرته.

27	الفرع الأول: اسمه
27	الفرع الثاني: نسبه
28	الفرع الثالث: أسرته
28	المطلب الثاني: مولده ونشأته
28	الفرع الأول: مولده
29	الفرع الثاني: نشأته
29	المطلب الثالث: رحلات أحمد الرفاعي شرفي في طلب العلم ومؤهلاته ووظائفه
29	الفرع الأول: رحلاته في طلب العلم
31	الفرع الثاني: مؤهلاته العلمية
32	الفرع الثالث: الإنتاج العلمي
34	الفرع الرابع: الحياة المهنية
36	المبحث الثاني: خصائص البيئة التي عاش فيها.
37	المطلب الأول: الحالة السياسية.
44	المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية
49	المطلب الثالث: الحالة الاجتماعية.
56	المطلب الرابع: الحالة العلمية.
65	المبحث الثالث: وفاته وشهادات حوله
65	المطلب الأول: وفاته
65	المطلب الثاني: رثاؤه وأقوال معاصريه فيه
66	الفرع الأول: منزلة الرجل القدوة
70	الفرع الثاني: تواضعه وزهده
71	الفرع الثالث: وطنيته
73	الفرع الرابع: اهتمامه بأوضاع المسلمين
76	خلاصة الفصل

77	الفصل الثاني: مصادر الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي
78	مدخل الفصل
79	المبحث الأول: القرآن الكريم
79	المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم والبحث عن مفاهيم جديدة.
79	الفرع الأول: تعريف القرآن الكريم
79	الفرع الثاني: البحث عن مفهوم جديد لعبارة القرآن الكريم.
82	المطلب الثاني: أهمية ومكانة القرآن الكريم.
84	الفرع الأول: شمولية القرآن الكريم.
89	الفرع الثاني: الحاجة إلى القرآن الكريم.
93	الفرع الثالث: مكانة القرآن في زماننا.
96	الفرع الرابع: تفسير القرآن الكريم لم يكتمل بعد.
98	المبحث الثاني: السنة والسيرة النبويتين
98	المطلب الأول: السنة النبوية
98	الفرع الأول: تعريف السنة النبوية
98	الفرع الثاني: حجيتها ومكانتها عند أحمد الرفاعي
102	المطلب الثاني: السيرة النبوية
102	الفرع الأول: تعريف السيرة.
102	الفرع الثاني: السيرة النبوية تجسيد للحياة المثالية للمسلمين.
104	الفرع الثالث: أهميتها ومكانتها عند أحمد الرفاعي.
108	الفرع الرابع: ضرورة قراءة السيرة بفكر ومنهج جديدين.

111	المبحث الثالث: سيرة الصحابة والتابعين
111	المطلب الأول: سيرة الصحابة.
115	المطلب الثاني: سيرة التابعين.
117	المبحث الرابع: مدارس واتجاهات فكرية.
117	المطلب الأول: المدرسة الصوفية
117	الفرع الأول: مفهوم التصوف.
118	الفرع الثاني: اهتمام أحمد الرفاعي بموضوع التصوف.
119	الفرع الثالث: موقفه من الطريقة
121	الفرع الرابع: موقف أحمد الرفاعي من ابن عربي.
122	المطلب الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
122	الفرع الأول: من فضائل الجمعية.
124	الفرع الثاني: علاقة أحمد الرفاعي بجمعية العلماء.
125	الفرع الثالث: نقده لجمعية العلماء.
127	المطلب الثالث: جماعة الإخوان المسلمون.
127	الفرع الأول: التعريف بالجماعة
128	الفرع الثاني: علاقة أحمد الرفاعي بجماعة الإخوان.
129	الفرع الثالث: نظرات في فكر الإخوان المسلمين.
130	الفرع الرابع: نقده لجماعة الإخوان.
132	خلاصة الفصل
133	الفصل الثالث: قضايا الدعوة في فكر أحمد الرفاعي شرفي
134	مدخل الفصل
135	المبحث الأول: الخطاب الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي

135	المطلب الأول: مفهوم الخطاب الدعوي ومنطلقاته
135	الفرع الأول: مفهوم الخطاب الدعوي.
137	الفرع الثاني: منطلقات الخطاب الدعوي عند أحمد الرفاعي
145	المطلب الثاني: أهمية الدعوة ومجالاتها.
145	الفرع الأول: أهمية الدعوة
146	الفرع الثاني: مجالات الدعوة
148	المطلب الثالث: منهجه وأسلوبه في تحليل قضايا الدعوة
148	الفرع الأول: منهجه في تحليل القضايا وطرح المواضيع.
150	الفرع الثاني: أسلوبه.
153	المبحث الثاني: المنهج الدعوي ومراحل الدعوة ووسائلها عند أحمد الرفاعي
154	المطلب الأول : المنهج الدعوي
155	الفرع الأول: تركية النفس عند أحمد الرفاعي.
156	الفرع الثاني: أهمية تركية وإصلاح النفس.
158	الفرع الثالث: مرتكزات التزكية.
159	الفرع الرابع: خطوات التزكية.
159	الفرع الخامس: رسالة عامة في تركية النفس.
160	المطلب الثاني: مراحل المنهج الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي.
163	المطلب الثالث: وسائل الدعوة ومتطلباتها
163	الفرع الأول: وسائل الدعوة.
168	الفرع الثاني: متطلبات الدعوة
175	المبحث الثالث: جهوده في الدعوة.
175	المطلب الأول: جهوده الوعظية في العمل الدعوي
176	الفرع الأول: العمل الدعوي في الوسط الجامعي

177	الفرع الثاني: اسهاماته الدعوية من خلال الخطب المنبرية والدروس المسجدية.
178	الفرع الثالث: اسهاماته في توحيد الجهود الدعوية.
180	المطلب الثاني: المؤلفات الدعوية والمقالات الصحفية.
180	الفرع الأول: الكتب المؤلفة.
180	الفرع الثاني: اسهامات أحمد الرفاعي شرفي الصحفية في خدمة الدعوة.
183	المطلب الثالث: معالم دعوية من السيرة النبوية.
188	خلاصة الفصل
189	الفصل الرابع: رؤية أحمد الرفاعي شرفي لمسألة الصحوة الاسلامية
190	مدخل الفصل
191	المبحث الأول: مدخل مفاهيمي حول الصحوة
191	المطلب الأول: تعريف الصحوة.
191	الفرع الأول: لغة
191	الفرع الثاني: اصلاحا
192	الفرع الثالث: مفهوم الصحوة عند أحمد الرفاعي.
194	المطلب الثاني: لمحة عن بدايات ومسيرة الصحوة الإسلامية.
198	المطلب الثالث: مواقف أحمد الرفاعي من الصحوة.
198	الفرع الأول: اهتمام الرفاعي بالصحوة الإسلامية.
200	الفرع الثاني: جهود أحمد الرفاعي في ترشيد الصحوة.
204	المبحث الثاني: أهمية وأهداف ومرتكزات الصحوة
204	المطلب الأول: أهمية الصحوة.
205	المطلب الثاني: أهداف الصحوة.
207	المطلب الثالث: مرتكزات الصحوة

210	المبحث الثالث: واقع الصحوة الإسلامية وجهود الرفاعي في ترشيدها
210	المطلب الأول: واقع الصحوة الإسلامية
210	الفرع الأول: اخفاقات متتالية
212	الفرع الثاني: مآل الصحوة في الجزائر.
214	الفرع الثالث: الصحوة تفشل في تكوين كيان عالمي موحد.
215	الفرع الرابع: أهمية الاعتراف بالأخطاء.
217	المطلب الثاني: أسباب القصور في أداء الصحوة الإسلامية.
218	الفرع الأول: ضعف التخطيط.
222	الفرع الثاني: أخطاء تتعلق بقيادة الصحوة وضعف تكوينهم.
225	الفرع الثالث: الرغبة في المكاسب والمناصب والزعامة الحزبية.
226	الفرع الرابع: الخلاف بين التيارات ذات التوجه الواحد.
228	الفرع الخامس: مؤثرات خارجية.
230	المطلب الثالث: معوقات للصحوة في نظر أحمد الرفاعي.
230	الفرع الأول: تأثير السياسة على الصحوة.
235	الفرع الثاني: الممارسة الخاطئة للمعارضة
237	خلاصة الفصل
238	ثالثا: الباب الثاني مضامين الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي هرفي وتنزيلاته الواقعية
239	الفصل الأول: المضمون العقدي والايماي وتنزيلاته الواقعية
240	مدخل الفصل
241	المبحث الأول: المضمون العقدي وتنزيلاته
241	المطلب الأول: مفهوم العقيدة.

242	المطلب الثاني: أهمية العقيدة.
242	المطلب الثالث: إصلاح العقيدة أساس كل إصلاح.
247	المبحث الثاني: المضمون الإيماني
247	المطلب الأول: تعريف الإيمان.
247	المطلب الثاني: أهمية الإيمان للمسلم.
249	المطلب الثالث: منزلة تقوى الله. العقيدة في واقعنا المعاصر.
249	الفرع الأول: في معنى تقوى الله.
250	الفرع الثاني: وجوب تقوى الله.
253	الفرع الثالث: استشعار معية الله.
255	المبحث الثالث: التنزيلات الواقعية للمضمون الإيماني
255	المطلب الأول: العقيدة في واقعنا المعاصر.
255	الفرع الأول: ضعف عقيدة المسلمين
256	الفرع الثاني: أسباب ونتائج ضعف العقيدة.
260	المطلب الثاني: أسباب ونتائج ضياع الإيمان
260	الفرع الأول: أسباب ضياع الإيمان
264	الفرع الثاني: نتائج وآثار ضياع الإيمان
266	المطلب الثالث: البعث الإيماني.
266	الفرع الأول: خطوات عملية تساعد على غرس الإيمان.
270	الفرع الثاني: الصراط المستقيم وأهميته.
271	الفرع الثالث: خطر المعاصي على المؤمن.
273	الفرع الرابع: تفعيل دور مدرسة المسجد
276	خلاصة الفصل
277	الفصل الثاني: المضمون الاجتماعي والثقافي وتنزيلاته الواقعية
278	مدخل الفصل

279	المبحث الأول:
	الواقع الاجتماعي للمسلمين كما يراه أحمد الرفاعي شرفي
279	المطلب الأول: اهتمام أحمد الرفاعي شرفي بالجانب الاجتماعي
282	المطلب الثاني: الفساد الاجتماعي ومجالاته
284	المطلب الثالث: أسباب الانحدار الاجتماعي ونتائجه
284	الفرع الأول: أسباب الانحدار الاجتماعي
289	الفرع الثاني: نتائج الانحدار الاجتماعي
292	المطلب الثالث: الأسرة المسلمة وتحديات العصر.
292	الفرع الأول: أهمية ومكانة الأسرة في الإسلام
292	الفرع الثاني: قضية الخلع وقانون الأسرة.
293	الفرع الثالث: تحديات تواجه الأسرة
296	المبحث الثاني: القيم في المجتمع الإسلامي
296	المطلب الأول: القيم في فكر أحمد الرفاعي وأهميتها
298	المطلب الثاني: واقع القيم في المجتمع الإسلامي المعاصر.
298	الفرع الأول: مجتمع القيم يترك القيم.
299	الفرع الثاني: الأمانة من القيم المهذورة.
301	الفرع الثالث: الأخوة الإسلامية.
303	المطلب الثالث: وجوب إعادة الاعتبار للقيم.
305	المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية مع غير المسلمين.
305	المطلب الأول: مكانة المجتمع الإسلامي بين المجتمعات والأمم.
306	المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم.
306	الفرع الأول: ضوابط علاقة المسلمين مع غيرهم.
308	الفرع الثاني: المسلمون في المهجر.
310	المطلب الثالث: حوار الحضارات.
310	الفرع الأول: العلاقات الإنسانية بين البشر.

311	الفرع الثاني: ضوابط الحوار مع الملي.
315	المبحث الرابع: المضمون الثقافي والتربوي عند أحمد الرفاعي شرفي وتنزيلاته الواقعية
315	المطلب الأول: اهتمام أحمد الرفاعي بالشأن الثقافي.
315	الفرع الأول: مفهوم الثقافة.
316	الفرع الثاني: الواقع الثقافي كما يراه أحمد الرفاعي
318	الفرع الثالث: سيطرة الثقافة الوافدة
320	المطلب الثاني: أسباب الجمود الثقافي
322	المطلب الثالث: الأدب الإسلامي
322	الفرع الأول: مفهوم الأدب الإسلامي
323	الفرع الثاني: خصائص الأدب الإسلامي.
324	الفرع الثالث: أهمية الأدب في عملية التغيير.
325	المطلب الرابع: الإصلاح الثقافي ودور العلم في تصحيح المفاهيم والقيم.
325	الفرع الأول: الإصلاح الثقافي.
326	الفرع الثاني: واقع التعليم في الجزائر.
329	الفرع الثالث: دور العلم في تصحيح المفاهيم والقيم
331	خلاصة الفصل
332	الفصل الثالث: المضمون السياسي وتنزيلاته الواقعية.
333	مدخل الفصل
334	المبحث الأول: رؤية أحمد الرفاعي للسياسية.
334	المطلب الأول: الواقع السياسي للمسلمين
334	الفرع الأول: مفهوم السياسة
334	الفرع الثاني: موقف أحمد الرفاعي من الممارسة السياسية.
338	الفرع الثالث: العمل السياسي في الجزائر.
339	المطلب الثاني: الأزمات السياسية عند المسلمين وسبل التغلب عليها.

339	الفرع الأول: صورة الواقع السياسي
341	الفرع الثاني: أسباب الأزمات السياسية
344	الفرع الثالث: قضية الفساد وسبل مواجهته.
346	المطلب الثالث: آفاق وتطلعات لحل الأزمات السياسية.
348	المبحث الثاني: قضايا سياسية عند الرفاعي.
348	المطلب الأول: الوحدة الإسلامية واقع وآفاق
348	الفرع الأول: الوحدة في فكر أحمد الرفاعي.
350	الفرع الثاني: تداعيات الاختلاف.
351	الفرع الثالث: سبيل تحقيق الوحدة.
352	الفرع الرابع: جهود أحمد الرفاعي في سبيل تحقيق الوحدة.
354	المطلب الثاني: الوثام والمصالحة.
356	المطلب الثالث: الشورى والديمقراطية.
356	الفرع الأول: الشورى.
358	الفرع الثاني: الديموقراطية.
361	المبحث الثالث: نظام الحكم في الاسلام
361	المطلب الأول: الأنظمة السياسية والمعارضة
361	الفرع الأول: السلطة في الإسلام.
362	الفرع الثاني: الأنظمة السياسية في العالم الإسلامي
364	الفرع الثالث: الولاية في الاسلام وأول جرح في التاريخ
367	الفرع الرابع: أخطاء الأنظمة الحاكمة
368	الفرع الخامس: الجمهورية نظام اسلامي
368	الفرع السادس: موقف الرفاعي من ولاية الفقيه
369	المطلب الثاني: الأحزاب والمعارضة
369	الفرع الأول: موقف الرفاعي من التحزب
370	الفرع الثاني: تجربة الأحزاب الإسلامية في الجزائر
371	الفرع الثالث: تأثير الأحزاب على الدعوة

373	المبحث الرابع: مشروع جماعة المسلمين
373	المطلب الأول: مفهوم الجماعة وأدلتها
373	المطلب الثاني: طبيعة جماعة المسلمين.
375	المطلب الثالث: حكم تشكيل جماعة المسلمين والانتماء إليها.
377	المطلب الرابع: أهمية جماعة المسلمين
379	المطلب الخامس: مهام وواجبات جماعة المسلمين
381	خلاصة الفصل
382	الفصل الرابع: المضمون الفكري والحضاري عند أحمد الرفاعي
383	مدخل الفصل
384	المبحث الأول: قضايا الفكر والحضارة عند أحمد الرفاعي
384	المطلب الأول: الفكر الإسلامي
384	الفرع الأول: مميزات الفكر الإسلامي وأهميته
385	الفرع الثاني: مجالات الفكر.
385	الفرع الثالث: الأزمة الفكرية وأسبابها
387	المطلب الثاني: الحضارة الإسلامية
387	الفرع الأول: مفهوم الحضارة.
388	الفرع الثاني: خصائص الحضارة الإسلامية.
390	الفرع الثالث: الأزمة الحضارية وآثارها
391	المطلب الثالث: التبعية الحضارية
391	الفرع الأول: مفهوم التبعية الحضارية ومجالاتها
392	الفرع الثاني: أسباب التبعية.
393	الفرع الثالث: مظاهر التبعية الحضارية

396	المبحث الثاني: الإصلاح الفكري والبعث الحضاري
396	المطلب الأول: سبل وآفاق إصلاح الفكر
398	المطلب الثاني: البعث الحضاري
399	الفرع الأول: شروط البعث الحضاري
401	الفرع الثاني: بعث حركة علمية
402	المطلب الثالث: أهمية الاعتبار ليقود المسلمون المسيرة الحضارية.
405	المبحث الثالث: مستقبل الإسلام في ظل النظام العالمي الجديد
405	المطلب الأول: الإسلام - القضية الكبرى-
405	الفرع الأول: في معنى القضية.
406	الفرع الثاني: صورة الإسلام اليوم.
407	المطلب الثاني: جمهور القضية
407	الفرع الأول: صفات جمهور القضية
408	الفرع الثاني: صناعة الإنسان.
409	الفرع الثالث: شخصية المسلم مستهدفة
410	المطلب الثالث: المستقبل للإسلام
410	الفرع الأول: حاجة الإنسان الى الدين تدرك بالفطرة
411	الفرع الثاني: عالمية شريعة الإسلام.
412	الفرع الثالث: المستقبل للإسلام رغم الضعف الحالي
413	الفرع الرابع: المستقبل للإسلام وقد يكون من الغرب
414	المبحث الرابع: التجديد والتغيير في فكر أحمد الرفاعي
414	المطلب الأول: التغيير وأهميته عند أحمد الرفاعي.
414	الفرع الأول: تعريف التغيير.
415	الفرع الثاني: مفهوم التجديد عند الرفاعي.
417	الفرع الثالث: أهمية التغيير والتجديد.
418	المطلب الثاني: شروط التغيير ومرتكزاته ومراحلها عند الرفاعي.
418	الفرع الأول: شروط التغيير ولوازمه.

420	الفرع الثاني: مرتكزات التغيير.
421	الفرع الثالث: مراحل الإصلاح والتغيير عند أحمد الرفاعي.
424	المطلب الثالث: نظرات في التغيير والتجديد عن أحمد الرفاعي.
424	الفرع الأول: زوايا التغيير.
424	الفرع الثاني: المسؤولية الاجتماعية في التغيير.
426	الفرع الثالث: التغيير لا يكون بالأحزاب.
427	الفرع الرابع: الحلول المستوردة وكيف جنت على الأمة.
428	خلاصة الفصل
429	خامسا: الخاتمة
432	سادسا: الملاحق
444	سابعا: الفهارس
445	01- فهرس الآيات القرآنية.
450	02- فهرس الأحاديث النبوية.
451	03- فهرس الأعلام.
453	04- قائمة المصادر والمراجع.
472	05- فهرس المحتويات.
486	الملخص بالعربية
487	الملخص بالإنجليزية

الملخص

هذه الدراسة بعنوان: "الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي"، كان إشكالها الرئيس الذي سعت للإجابة عنه هو: ماهي معالم الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي؟ حاولت الدراسة الإجابة عن ذلك من خلال بابين اثنين، خُصص الباب الأول للتعريف بالرجل وبيان جغرافية الدعوة عنده، وفيه التعريف بحياة المفكر أحمد الرفاعي وظروف نشأته، وبيان مصادر الفكر الدعوي التي اعتمد عليها، وتشمل أيضا بيان قضايا الدعوة التي اشتغل عليها طويلا، وكذا مسألة الصحوة الإسلامية وما تعلق بها توجيهها وتقييمها ونقدا. وخصص الباب الثاني لمضامين الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي وتنزيلاتها الواقعية، وشملت الميادين العقدية والاجتماعية والسياسية والفكرية الحضارية.

وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: إبراز الفكر الدعوي عند أحمد الرفاعي شرفي، وتوضيح مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، وبيان حقيقة الصحوة الإسلامية ومركزاتها وأهدافها، والوقوف على أسباب فشل الصحوة الحديثة وسبل الارتقاء بها من جديد، وأنّ مضامين الفكر الدعوي عند الرفاعي واسعة وشاملة لمختلف المجالات العلمية والفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

وأوصت الدراسة بضرورة إيلاء العناية والاهتمام اللازمين بالحقل الدعوي في هذا العصر، خاصة مع التغيرات الدولية المتلاحقة وثورة الإعلام الجديد، كما دعت الباحثين والمهتمين للقيام بدراسات أخرى حول فكر أحمد الرفاعي شرفي في ظلّ الفراغ الكبير في الدراسات حول شخصية الرجل وفكره، للاستفادة من توجيهاته في شتى المجالات الفكرية والعلمية خاصة مجالي الدعوة والصحوة.

Abstract

This is a study entitled : The Daawa thought/ ideology of Ahmed Ar-rifai Shourfi”. The main problem that the study sought to answer was : What are the parameters of the Daawa for the thoughts of Ahmed Ar-rifai Shourfi?

The study tried to answer this problem through two parts. The first part introduces the life of Ahmed Ar-rifai Shourfi, the space for his Daawa and the circumstances of his upbringing as well as showing the sources of the Daawa that he relied on and worked on for a long time. The issue of the Islamic awakening and what it is attached to his guidance, evaluation and criticism.

The second part is devoted to the contents of the Daawa thought of Ahmed Charfi and his application of realism and includes the fields of social, political and intellectual civilization.

The second chapter is dedicated to the contents of ideology/ Daawa Thought of Ahmed Ar-rifai Shourfi and its implementation on the reality in various domains including theological, social political and intellectual.

The study reaches a number of results, the most important of which are : highlighting the Daawa thought of Ahmed Ar-rifai Shourfi, clarifying the methods of Daawa and its means and accountability. As well as, show the truth of the Islamic awakening and its foundations and objectives, To find out the reasons for the failure of the modern awakening and ways to raise it again.

The study recommends the need to pay attention and care to the field of advocacy in this era, especially with the successive international changes and the revolution of the new media. The Daawa of Ahmed Ar-rifai Shourfi are broad and comprehensive in various fields of science, culture, social and political fields.

Researchers are encouraged to conduct lectures on the thinking of Ahmed Rifai in light of the great void, in the fields about the personality of Ahmed Rifai and the idea to benefit from his guidance in various intellectual and scientific fields, particularly the fields of advocacy and awakening.